

التراجميات
اليونانية



مندی مكتبة الاسكندرية

تراجميات أسخولوس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها:
د. عبد الرحمن بدوي



تراجیڊیات اسخولوس

تراجيديات أسخولوس / مسرح إغريقي

اسخولوس / مؤلف

د. عبد الرحمن بدوي / ترجمة وتقديم

الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٦

حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون،

ص.ب: ٥٤٦٠-١١، العنوان البرقي: موكيالي، هـ/١-٨٠٧٩٠٠

تلکس: ٤٠٠٦٧ LE/DIRKAY

التوزيع في الأردن:

دار القارس للنشر والتوزيع، عمان

ص.ب: ٩١٥٧ هاتف ٦٠٥٤٣٢ فاكس ٦٨٥٥٠١

تصميم الغلاف والإشراف الفني:

ستيف ميسيه ©

الصف الضوئي:

المؤسسة العربية، بيروت / حكمت مشموشي

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

التراجيدييات
اليونانية



تراجيدييات أسخولوس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها، علق عليها:
د. عبد الرحمن بدوي

اسخولوس

حياته ومؤلفاته

- (١) -

حياته

مصادرنا عن حياة اسخولوس هي :

أ - «حياته»، وهي نبذة وردت في مخطوط مدتشي (في فيزتسه) إلى جانب النص اليوناني لما بقي لدينا من مؤلفاته، وهذه النبذة مكونة من أخبار متناثرة وناقصة. ومن المحتمل أن يكون كاتبها قد جمعها من مصادر شتى» كتبت في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وهذه المصادر كتبها مشاؤون، منهم: هرقليدس البيزنطي (القرن الرابع قبل الميلاد)، وخامليون (كان حياً في سنة ٣٠٠ ق.م Chameeleon) ودكيارك Dicearque (حوالي سنة ٣٠٠ ق.م)، وساتيروس (الذي وصل إلينا منه قطعة من «حياة يوريفيدس» في ورقة بردي اكتشفت في أهناسيا ببني سويف في مصر العليا).

ب - لوحة مرمر فاروس^(١) (I. G XII, 5, 44h)

ج - معجم سويداس، تحت مادة: اسخولوس.

وقد جمع هذه النصوص كلها فريدرش شيل Ir. Schöll وطبعت في بداية

(١) في سنة ٢٦٤ ق.م نقش على لوحة من المرمر في جزيرة فاروس - إحدى جزر الكوكلاوس أخبار اليونان، وخصوصاً تاريخ مدينة أثينا من سنة ١٥٨١ ق.م حتى سنة ٢٦٤ ق.م.

نشرة رتشل Ritschil لمسرحية: «السبعة ضد ثيبا» لاسخولوس (ليبتيك، ١٨٧٥
كما أن «حياة» أسخولوس قد نشرت في كثير من نشرات مسرحيات اسخولوس.

أما تاريخ ميلاده فيمكن أن يستنتج من تاريخ وفاته، اذ تاريخ وفاته ثابت من
الوثائق، وهو سنة ٤٥٦ / ٥ ق.م (لوح مرمر فاروس النقش رقم ٥٩) وكذلك
الحاشية على مسرحية «الأخزينا» لأرستوفان). وبحسب مرمر فاروس كانت سنة ٦٩
لما توفي، وكانت سنة ٣٥ سنة لما اشترك في معركة ماراتون (النقش رقم ٤٨).
ومن هذا نستخلص انه وُلِدَ في سنة ٥٢٥ / ٤ ق.م أو ٥٢٤ / ٣ ق.م. وهذا
يتفق أيضاً مع الرقم الذي أورده سويداس.
وكان مولده في الويسيس Eleusis، وهي أهم مدن أتيكا بعد أثينا وبيريه.
وأرستوفان يجعله يبتهل الى إلهة الويسيس هكذا:

«إيه يا ديميتير Deemetear، يا مَنْ غذيت روحي، اعلمي كيما أكون جديراً
بأسرارك»^(١).

وكان أبوه يدعى يوقوريون، الذي كان من سلالة نبيلة وكان مالكاً لأراضي
زراعية («حياته» بند ١ ك. ١؛ هيرودوت ٢: ١٥٦ وما يليها) وكان له أخ يدعى
كونيجايروس («حياته» بند ١؛ سويداس) وقد اشترك معه في معركة ماراتون وفيها
قُتل ويذكر سويداس اسم أخ آخر يدعى Animias اشترك أيضاً في معركة سلامين».

ولما كان قد وُلِدَ في الويسيس المشهورة بما كان يقام فيها من «أسرار» فقد
ستنتج البعض ان اسخولوس كان من «المطلعين» على «الأسرار»^(٢). وقد اتهم
ذات يوم بأنه أفشى بعض «الأسرار» في إحدى مسرحياته. لكننا لا نملك دليلاً يدلنا
على ما هي هذه المسرحية. ويذكر أرسطو^(٣) أن اسخولوس دافع عن نفسه من هذه
لتهمة بأن قال: «إنه لم يعرف ان الأمر هنا يتعلق بأمر سرية». وقد استدل البعض
بن هذا الجواب على أن اسخولوس لم يكن من «المطلعين»، لأن «المطلع» على
لأسرار لا يمكن أن يجيب بمثل هذا الجواب، كما قال كلمانس السكندري
«الأمشاج» Stromates ٢: ٦٠: ٣.

(١) أرسطوفان: «الضفادع» البيت رقم ٨٨٦ وما يليه.

(٢) ترجع شهرتها خصوصاً إلى «الأسرار» التي كان يحتفل بها على شرف ديمتر وبرسفونيه.

(٣) أرسطو: «الأخلاق إلى نيقوماخوس»، المقالة الثالثة، فصل ٢، ص ١١١١ أس ٩.

وكانت له أخت، لم يرد ذكر اسمها، تزوجت من شخص يدعى فيلوبيتس .
ومن هذا الزواج ولدت ذرية من مؤلفي المآسي هم: فيلوكلس، وابنه مورسموس،
وحفيده أستودامس، وأبناء أحفاده: فيلوكلس وأستودامس. أما اسخولوس نفسه فقد
وُلِدَ له ولدان كلاهما شاعر مأساوي، بحسب ما يقوله سويداس وهما: يوفوريون
وأوياون Evaion .

وقد حارب اسخولوس في معركة ماراثون^(١)، كما هو وارد في الشاهد
المكتوب على قبره وذكرته «حياته». كذلك يشهد أحد معاصريه، وهو إيون الذي
من خيوس، على حضور اسخولوس في معركة سلامين^(٢). أما الأخبار التي تذكر
انه اشترك أيضاً في معركة ارتمسيون^(٣) Artemision أو معركة پلاتيا فليست مؤكدة
(پاوسنياس ١ : ١٤ : ٥٥ «حياته» ٤).

أما نشاطه في المسرح فيذكر سويداس أنه ابتداءً في سنة ٥٠٠ ق.م. ويذكر
مرمر فاروس أنه نال أول انتصار له في مباريات المسرح التي كانت تقام في عيد
ديونسيوس - في سنة ٤٨٤. ثم إنه في سنة ٤٧٢ حصل على المرتبة الأولى
بمسرحية «الفُرس».

وقام اسخولوس برحلات عديدة إلى جزيرة صقلية (في جنوب غربي
إيطاليا). ويلوح أن أول رحلة له كانت حين دعاه ملك صقلية هيرون الأول
Hieron (توفي سنة ٤٦٧ / ٦ ق.م) لتمثيل مأساة «الفرس» في سرقوسة، بعد أن
كانت مُثلت من قبل في أثينا سنة ٤٧٢ ق.م.

وفي أثناء إقامته في سرقوسة (أكبر مدن صقلية) ألّف اسخولوس مأساة على
شرف مدينة اتنا Etna المدينة الجديدة التي أسسها هيرون الأول.

ثم عاد إلى مدينة أثينا حيث اشترك في المباريات المسرحية في سنة ٤٦٨
وقد فاز بالجائزة الأولى فيها سوفوقليس لأول مرة. وفي السنة التالية - ٤٦٧ فاز

(١) معركة ماراثون بين اليونان والفرس في سنة ٤٩٠ ق.م وفيها انتصر الأثينيون - بمساعدة أهل
پلاتيات على الفرس.

(٢) أوسلاميس، وهي جزيرة في الخليج الساروني بين الشاطئ الغربي لاتيكا والشاطئ الغربي
لميغارا، وعندها هُزم الأسطول الفارسي هزيمة نكرة، سبتمبر سنة ٤٨٠ ق.م من جانب اليونانيين .

(٣) لسان على الساحل الشمالي الغربي لبيوا، وفيه وقعت معركة بين الفرس واليونان.

اسخولوس بالجائزة الأولى عن ربايعته المتعلقة بثيبا والتي منها مسرحية: «السبعة ضد ثيبا» .

كذلك انتصر في سنة ١٤٥٨ بالرباعية المؤلفة من «الأورستيات» وبعدها استأنف السفر الى صقلية . ومن الصعب معرفة السبب الذي من أجله قام بهذه الرحلة . ويستدل من كلام لأرسطوفان في مسرحية «الضفادع» (البيت رقم ٨٠٧) أنه كانت لدى اسخولوس دوافع للابتعاد عن أهل أثينا: ما هي هذه الدوافع؟ هذا هو ما حار في معرفته الباحثون . فقليل إنه لم يكن موافقاً على السياسة الداخلية للمجلس النيابي في أثينا وقيل أيضاً إن السبب في رحيله عن أثينا هو أنه أُتهم باهانة الآلهة . وبلغ فيما بعد في هذه التهمة، وقيل إنه حدثت ضجة واضطرابات في المسرح كادت أن تؤدي الى قتل اسخولوس!! كذلك قيل إنه رُفعت ضده قضية في هذا الموضوع أمام محكمة أثينا (الأريوفاغ) . . بل حدد بعضهم المسرحيات التي وقعت فيها هذه الاهانة: فذكر Asqines أن هذا وقع في مسرحية «المحسنات» لكننا لا نجد في هذه المسرحية أية إهانة «للأسرار» أو للآلهة، كما أثبت ذلك (Opusc. II, 163 f6) G. Hermann .

ومهما يكن السبب الحقيقي في هجرة اسخولوس وذهابه الى صقلية، فإنه قد استقر هناك في مدينة جيلا Gela . وما لبث أن توفي فيها في سنة ٤٥٦ / ٥ ق.م . ومدينة جيلا (وكانت حتى سنة ١٩٢٧ تسمى في العصر الحديث باسم Terranove) تقع على الساحل الجنوبي لجزيرة صقلية . وقد تأسست في سنة ٦٨٨ ق.م، أسسها جماعة من كريت ورووس . وتهيمن على سهل يجري فيه نهر جيلاس . وفي عهد طاغيتين هما كلياندر Cléander، وهيوقراطس Hippocrates أصبحت أهم مدينة في صقلية بتحصيناتها .

موقفه السياسي

وليس من السهل تحديد موقفه السياسي إبان حياته؛ كما اننا نعلم أن مدينة أثينا كانت تنعم بحكم ديمقراطي ابتداء من سنة ٥٠٧ ق.م، كما انتصر قلشانس Clisthens بن مجاقلس Mégacles على الحزب الارستقراطي واستطاع ان يقيم حكماً ديمقراطياً .

وبعد انتصار اليونان على الفرس في معركتي ماراثون (سنة ٤٩٠) وسلاميس (سنة ٤٨٠) شب النزاع الداخلي في أثينا بين الحزب الديمقراطي بقيادة افيلت Iphialte، الذي اغتيل في سنة ٤٦١ ثم خلفه بركليس، وبين أعداء الديمقراطية الذين كان أبرز زعمائهم هو كيمون بن ملتيداس. وقد قام افيلت باصلاح مهم هو أنه انتزع من «الأريوفاغ» (محكمة اثينا) مهمة «السهر على حراسة القوانين»، وقصر دوره على الشؤون القضائية. ومن ثم صار «البولييه» Boulé هو المجلس الاستشاري الوحيد في الشؤون السياسية، إلى جانب الجمعية الشعبية.

ماذا كان موقف اسخولوس من كل هذه التغييرات السياسية؟ - ليس لدينا في مسرحياته الباقية ما يدل على اتجاهه السياسي. لكن يمكن أن نستنتج من الأشخاص الذين تولوا تمويل مسرحياته للتمثيل ما يمكن أن يشير الى ميوله السياسية، فنحن نعلم ان الممول لتمثيل الرباعية التي لم يصلنا منها إلا مسرحية «الفرس» - كان بركليس، وكان أنذاك في حوالى العشرين من عمره، وذلك في سنة ٤٧٢ وقد يدل هذا على أن اسخولوس كان من انصار الحزب الديمقراطي. لكن تلبيته لدعوة الطاغية، كيمون، طاغية صقلية، وعدو الديمقراطية، وقضائه بقية عمره في كنف هذا الطاغية يدل على عكس ما استنتجناه من علاقته مع بركليس. وبهذا لا نستطيع ان نقرر شيئاً قطعاً بالنسبة الى موقفه السياسي من الحكم في أثينا.

وفاته

قلنا إنه توفي في مدينة جيلا في صقلية في سنة ٤٥٦ / ٥ وقد اخترعت اسطورة حول كيفية وفاته، تقول إن السبب في موته هو أن نسرأ محلقاً في السماء، لما شاهد صلعة رأس اسخولوس حسبها صخرة فأراد أن يكسر هذه الصخرة، فلقى عليها من عل سلحفاة، فقضت عليه. وزعموا أن وحيأ قد تنبأ له بهذه النهاية. وعلى هذا النحو تحققت نبوءة هذا الوحي^(١).

وراح الكتاب يؤولون هذه الحكايات تأويلات موهلة في الاسراف: فقال

(١) راجع: «حياة» (ن.د. ١٩) سوبداس (تحت المادة)؛ استوبايوس: Floriley . ٩٨ : ٩، بلييوس: «التاريخ الطبيعي» ١٠ . ١٣ فلريوس ناسيه وس ١٠ : ١٢ ؛ ابليانوس Nar. an. VII, 16. ثم راجع: ارفن رودة في «حوارات الفلاسفة» - ١٢١ (سنة ١٨٨٠) ص ٢٢ وما يليها.

البعض ان هذه الحكاية رمز على تحليق الشعر، كان في البدء منقوشاً على شاهد قبر، وأنها ترمز الى تحليق الشعر، في أعلى السماء مثل تحليق النسر^(١) - وقال البعض الآخر انها تعبر عن خصائص شعر اسخولوس وهي أنه جريء يحلق كالنسر، ولكنه ثقيل ثقل السلحفاة^(٢).

وقد أصدر لوكرجس (٣٩٠ - ٣٢٤) امراً بعمل تماثيل من البرونز للشعراء الأساسيين الثلاثة: اسخولوس، وسوفليس ويوريفيدس، ووضعت هذه التماثيل حول المسرح في أثينا^(٣).

فوزه بالجوائز

وقد فاز اسخولوس بالجائزة الأولى في المباريات المسرحية التي كانت تقام في أعياد ديونيسوس: ١٣ مرة بحسب ما تذكره «حياته»؛ و ٢٨ مرة بحسب ما يذكره سويداس، ويرجع الفارق بين الرقمين إلى كون سويداس قد أدخل مرات الفوز بعد وفاته ضمن العدد الذي ذكره بينما اقتصر «حياته» على ذكر مرات الفوز أثناء حياته. ومن المعلوم أن بعض مسرحيات اسخولوس قد مثلت من جديد بعد وفاته وأنها فازت في مباريات المسرحيات.

وهاك ثبناً بالسنوات التي من المؤكد ان اسخولوس فاز فيها بالجائزة الأولى في هذه المباريات:

٤٨٤ ق.م - ٤٧٢ ق.م - ٤٦٧ ق.م (بثلاثية ثيبا) - ٤٥٨ (بثلاثية الأورستيات) -

(١) راجع Götting: Opux (ص ٢٣٠ وما يليها)؛ و: Welcker alte Denhsm. ج ٢ ص ٣٣٧ وما يليها.

(٢) راجع W. Tieufel في مجلة Rh. Mus ج ٩ (سنة ١٨٥٤) ص ١٤٨ وما يليها.

(٣) راجع فلوطوخس المنحول: «السير» (ج ١ ص ٨٤١)؛ ذيوجانس اللاترسي ٢: ٤٣؛ باوسيناس ١: ٢١؛ فلكر: «التمايل القديمة» ج ١ ص ٤٦٥ وما يليها.

مؤلفاته

يذكر سويداس أن اسخولوس ألف:

١ - إيلجيات .

٢ - وتراجيديات (مآسي).

وقد بقيت لنا بعض الايلجيات التي نظمها . وقد نشرها Theo. Bergk في Griechische Literatur gesch. (ط ٤ ص ٢٤٠ وما يتلوه). وفي المنافسة على نظم مرثية في الذين قتلوا في معركة ماراثون تغلب عليه سيمونيدس في سنة ٤٨٩ .

لكنه توجه مبكراً الى تأليف التراجيديات حتى لو لم نصدق الرواية التي تقول انه دخل في مباراة في التأليف المسرحي مع براتيناس Pratinas وخويريلوس Choirilos في سنة ٤٩٧ .

وعدد التراجيديات التي ألفها اسخولوس هو تسعون (٩٠) مسرحية بحسب معجم سويداس، وهو سبعون (٧٠) بحسب «حياته». ونجد في مخطوط مدتشي (في فيرننتسه) بعد «حياته»: «فهرساً بدرامات اسخولوس» يحتوي على ذكر ٩٠ دراما مرتبة أبجدياً. وبحسب الروايات السكندرية يذكر لاسخولوس: ٩٠ دراما، و٧٠ تراجيديا، و٢٠ مسرحية نقدية.

وفي هذه التراجيديات عالج اسخولوس الأساطير الملحمية الكبرى التي صيغت حول: طروادة، وثيبا وأرجوس خصوصاً وبعض الأساطير الصغرى. لكنه لم يبق لنا من هذه التسعين مأساته إلا سبعة فقط هي التي وصلتنا كاملة وهي:

١ - «الفرس»، وقد مثلت في سنة ٤٧٢ ق.م.

٢ - «السبعة ضد ثيبا»، وقد مثلت سنة ٤٦٧ ق.م.

٣ - «المحسنيات»، وقد مثلت في سنة ٤٥٨ ق.م.

٤ - «المستجيرات»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٥ - «برومثيوس في الأغلال»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٦ - «حاملات القرابين»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٧ - «أجاممنون»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

ومعظم الباحثين يميلون الى تقدير تاريخ متأخر لمسرحية «برومثيوس في الأغلال». ونظراً إلى الملامح القديمة في تركيب مسرحية «المحسنات»، فقد كان الباحثون السابقون يميلون الى عدّها أقدم المسرحيات الباقية لدينا. لكن في سنة ١٩٥٢ نشرت تعليقة على ورقة البردي تؤذن بأن الثلاثية التي تؤلف مسرحية «المستجيرات» جزءاً منها كانت مثلت في منافسة مع سوفقليس، الذي اشترك في المنافسة لأول مرة في سنة ٤٦٨. لكننا لا نستطيع أن نستنتج نتيجة دقيقة من هذا الخبر.

تاريخ النص اليوناني

لا نكاد نعرف شيئاً عن أحوال النص اليوناني لمسرحيات اسخولوس حتى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد. لكن علينا أن نحسب حساباً لما كان يحدث مراراً في نصوص المسرح اليوناني من تعديلات واضافات في النص، خصوصاً بفعل الممثلين أنفسهم طلباً للتسهيل والمزيد من التأثير الانفعالي. وقد كان ذلك امراً معاصر الحدوث. وقد بحث هذه النقطة D.L. Page في كتابه: «اضافات الممثلين الى نصوص المآسي اليونانية»^(١).

لكن النص ثبت لأول مرة لما أن أمر لوكرجس حوالي سنة ٣٠٣ ق.م بكتابة نسخة رسمية - إن صح هذا التعبير. ثم قام الفيلولوجيون في مدينة الاسكندرية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد وتوفروا على تحقيق النص، واستمرت هذه الحركة الفيلولوجية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثالث بعد الميلاد، وقد وصلتنا منها أوراق بردي نجد ثبناً بها في كتاب R.A. Pack^(٢).

وقد وصلنا ١٣٣ مخطوطة لمسرحيات اسخولوس، وصفها اسمث^(٣) ومن بعده A. Iwyn في كتابه: The Manuscript Edition of The Tragedies of Aeschylus (New York, 1943).

(١) D. I. Page. Actors Interpolation in Greek Tragedy. Oxford, 1934.

(٢) R. A. Pack: The Greek and Latin Library Texts from Greco-Roman Egypt. Ann ablor 1952.

(٣) H. W. Smith: catalogue of the Manuscripts of Aeschylus II, PH, 1933, p. 1-62.

لكن أهم هذه المخطوطات هو مخطوط آل مدتشي (في مكتبة آل مدتشي - فيرننسه بايطاليا) رقم 32,9.

وترتيب المآسي الباقية لدينا في هذه المخطوطات هو في الغالب كما يلي:
برومثيوس في الأغلال - السبعة ضد ثيبا - الفُرس - الأورستيات - المستجيرات.

نشراتها بالمطابع

- الطبعة الأولى تمت لدى الناشر Aldi في فينتسيا، سنة ١٥١٨، وتولى تحقيقها F. Asulanus.

- ثم توالى النشرات المحققة في القرن التاسع عشر حتى اليوم هكذا:

- G. Hermann, Leipzig, 1852.
- U. von wilamowitz - Möllendorf, Berlin 1964, 1958.
- M. Unter steiner, Milaw, 1946, 17.
- P. Mazon: Paris 1949/52.
- G. Murry, Oxford, 1955.

- (٣) -

تجديدات اسخولوس في فن التراجيديا

اسخولوس هو المؤسس الحقيقي لفن التراجيديا. وإليه تنسب التجديدات التالية:

١ - يعد اول من استخدم ممثلين اثنين، وبالتالي خلق الحوار، والحوار هو جوهر التراجيديا والمسرحيات بعامة. ولهذا فإن أرسطو («فن الشعر»، فصل ٤) يقول: «اسخولوس أول من زاد عدد الممثلين من واحد الى اثنين، وقلل من أهمية الكورس، وأعطى للحوار المقام الأول؛ أما سوفقليس فقد زاد عدد الممثلين الى ثلاثة، ورسم المناظر على المسرح. ثم إن التراجيديا اتسعت، تاركة الحكايات القصيرة واللغة الفكهة التي كانت تدين بها لأصلها الساتوري، وفي وقت آخر أحرزت الجلالة» (ص ١٤٤٩ أس ١٥ - ٢٠).

ونحن نجد ان عدد الممثلين في مسرحيتي: «الفرس» و«المستجيرات» هو اثنان فقط .

لكننا نجد في مسرحيتي: «السبعة ضد ثيبا» و«بروميثوس في الأغلال» أنه قد أضاف ممثلاً ثالثاً. وخاتمة مسرحية «السبعة ضد ثيبا»، لا يمكن أن تتم دون ممثل ثالث. لكن «حياة» وكتاباً آخرين يؤكدون صراحة أن الذي أضاف ممثلاً ثالثاً هو سوفقليس، وأن اسخولوس قد أخذ عنه هذا التجديد. وأرسطو يذكر، كما رأينا في النص الذي أوردناه متى حصل هذا التغيير ويؤكد صراحة أن سوفقليس هو أول من أضاف ممثلاً ثالثاً. وقبل ذلك كان هناك ممثل واحد هو الذي يتحاور مع الكورس.

٢ - والتجديد الثاني لاسخولوس هو أنه هو الذي أبدع الثلاثيات في المسرح، أعني تأليف ثلاث تراجيديات في موضوع واحد ومرتبطة معاً بفعل مسرحي واحد كبير.

كذلك كان اسخولوس هو الذي أبدع الرباعيات في التأليف المسرحي؛ والرباع يتألف من ثلاث تراجيديات مترابطة في الموضوع يضاف إليها مسرحية نقدية (ساتورية). وبهذا أمكنه أن يجمع بين ثلاثة معان مهمة هي: الجرأة (أو الوقاحة (hybris)، وقوة الاضطراب Afe، والعدالة Dike.

٣ - والفكرة المركزية في مآسيه هي أن وجود الانسان خطيئة (راجع مسرحية «أجاممنون»، البيتين ١٥٦٣ - ١٥٦٤).

٤ - والشاعر اللاتيني هوراس ينسب اليه أنه هو الذي اخترع «القناع» الذي يضعه الممثل على وجهه، كما اخترع الكوتورن Cothurne وهو الحذاء العالي الكعب، والرداء ذا الذيل الطويل المسحوب على الأرض، كما أنه هو الذي ابتكر وضع المسرح على جرارات (هوراس: «فن الشعر» البيت رقم ٤٧٥ وما يتلوه).

٥ - وليس لنا أن نتوقع أن نجد عنده الفعل، والعقدة المسرحية، ووصف الانفعالات والوجدانات على النحو الذي سنجده بلغ ذروته عند سوفقليس ويوريفيدس. ذلك لأن التراجيديا عند اسخولوس بسيطة، كما قال أرسطو، في مقابل التراجيديا المركبة. إذ هي مهنة تقوم على أساس واقعة وحيدة، تامة، ذات سعة معيئة. وإنما اكتفى اسخولوس برسم العواطف التي تنبجس عن هذه الواقعة

البيسطة سواء عند الكورس، وعند الأشخاص. والتنوع في مجرى المسرحية يتم بمجيء رسول، أو دخول ممثل. مثلاً في مسرحية «بروميثيوس في الأغلال» يتوالى التنويع بظهور الأوقيانوسيات، ثم يتلوها أوقيانوس، ثم تتلوه إيو Io، ثم أخيراً هرمه، حتى يغور في أحشاء الأرض بفعل من زيوس.

٦ - والحوار - خصوصاً في مسرحية: «بروميثيوس في الأغلال» وفي «الأورستيات» يتميز بالقوة في الاجابات، وهو مع ذلك يجري على السليقة والطبع.

٧ - لا يزال العنصر الغنائي والأوصاف الملحمية واضحة جداً في تراجيديات اسخولوس لأنها لا تزال قريبة من الأصل الذي نشأت عنه وهو الشعر الغنائي والشعر الملحمي. وسنجد أن هذين العنصرين سيخفان تدريجياً عند سوفقليس ويوريفيدس.

- (٤) -

النزعة الدينية

في تراجيديات اسخولوس نشاهد بكل وضوح أن وراء الأشخاص وأفعالهم تعمل الآلهة عملها على نحو رهيب ومستتر معاً. وهذا هو القدر أو المصير الذي يطارد المذنبين ابناً عن أب وينتقم للجريمة بمثلها، ويخزب البيوت الملكية، بل ويحسد الانسان على سعادته فيجعله يقدم عنها كفارة. والحضور الخفي للقدر يشيع خوفاً ورهبة، ويثير في نفوس المشاهدين الفزع والتعاطف معاً، ويسمو بالتأثير الدرامي للأحداث.

وهذا التداخل بين العالم والانسان والعالم الإلهي نجده سائداً في كل مسرحيات اسخولوس: وكلا هذين العالمين ينعكس على الآخر. وليس ثم نزاع انساني لا يعبر عن نزاع بين الآلهة. وليس هناك مأساة إنسانية إلا ووراءها مأساة إلهية.

ومن هنا نجد زيوس يسود تراجيديات اسخولوس. والأمر نفسه نجده في تراجيديات سوفقليس. لكن مع هذا الفارق وهو أن زيوس سوفقليس خارج التاريخ، بينما زيوس اسخولوس مشتبك في التاريخ.

لكن ليس معنى هذا أن الانسان يستسلم في إذعان تام لهذا القدر. بل

الإنسان يسعى إلى مشاركة الآلهة في قدرتهم: فهذا برومئوس يسرق النار من الآلهة كي يفيد منها الانسان، ويدخل برومئوس في صراع مرير مع الألوهية. صحيح ان زيوس طاغية جبار، وبرومئوس عبء؛ لكنه عبد يسيطر على الزمان، ويستطيع ان يفرض على زيوس تكرار الجريمة التي تميز آل أترپوس وآل لبدك. ويجد الانسان القدوة في تصرفات الآلهة بعضهم مع بعض: فالإله خرونوس (الزمان) صرع اورانوس (السماء) ثم جاء زيوس فصرع أباه خرونوس؛ ثم يأتي ابن زيوس ليصرع أباه. وفي أثناء حكم خرونوس كان المصير ذو النزوات والأهواء المنقلبة هو الذي يتحكم في العالم، لكن مع مجيء زيوس والآلهة الجدد ستحل العدالة العاقلة الحكيمة وهذه العدالة هي التي تعطي لمسرحيات اسخولوس قيمة أخلاقية سامية. وهذه العدالة لها ضوابطها، وأهم ضابط لها هو الاعتدال: فلا يحق لأحد حين يعاقب على جريمة أن يتجاوز في العقاب.

والانسان في صراعه مع القدر يستعين بأمرين: بالعلامات، وبالأحلام. واسخولوس يفرض في استخدامهما، بحيث يجعل مجرى الأفعال محكوماً لهما أحياناً: ومن هنا جاء الدور المسيطر للكاهن الذي ينبىء عن وحي الآلهة، وللأحلام والرؤى في النوم التي تملي على الأبطال سلوكهم. ومن هنا جاء دور «الفوثيا» - الكاهنة المتنبئة في معبد دلف - في بداية مسرحية «المحسنتات»؛ ودور المتنبىء بالغيب كلخاس في مسرحية «أجاممنون» (الآيات ٣٦٠ وما يليها). وكان كلخاس - بحسب الأساطير اليونانية - هو عراف الجيش اليوناني إبان حرب طروادة. وهو ابن نستور، وأصله من ميغارا أو من موقانا. وقد ذهب إليه أجاممنون بنفسه لإقناعه بالانضمام الى الحملة ضد طروادة. وكان ينبىء عن المستقبل بملاحظة الطيور. وتنبأ بتنبؤات مهمة تتعلق بمجريات الحرب ضد طروادة.

أما الأحلام فكثيراً ما كانت تتشخص في الأدب اليوناني وفي الأدب اللاتيني، وعلى وجه التخصيص في شعر الملاحم. ففي «الإلياذة» مثلاً نرى زيوس يعث إلى أجاممنون بحلم خذاع يأمره فيه بالاستعداد لقتال الطرواديين، ويوهمه بأن سقوط طروادة صار وشيكاً. وكان غرض زيوس من هذا الحلم الخذاع أن يمكن الطرواديين من سوق الأخاويين إلى سفنهم. وامثالاً لأمر زيوس ذهب الحلم الى جوار سرير أجاممنون متخذاً هيئة مستشاره العجوز نستور Nestor.

وإذن ليست استعانة التراجيديين اليونانيين بهاتين الوسيلتين: العرافين والأحلام - إلا مستمدة من شعراء الملاحم، وعلى رأسهم هوميروس.

عقيدة اسخولوس

ويرى كارل راينهت^(١) أننا «لو جمعنا كل ما في إنتاج اسخولوس من نصوص تتخذ شكل إقرار بالعقيدة الدينية، وكل العبارات، وكل «القرارات» التي تنطق بها أفواه الآلهة وأعضاء الكورس - وبيننا بهذه المواد لاهوت اسخولوس، فإن النتيجة هي خليط سيء الترابط، ومتناقض، وأحياناً غير شاعر بذلك، من التقديس القديم ومن الخبرة الحقيقية أو المفترضة. وبالجملة فإن دين اسخولوس هو الدين اليوناني القديم: وعلى الرغم من بعض الاستثناءات، فإن مجموع الآراء الدينية لاسخولوس والتي لا نستطيع أن نجد لها مصدراً عند هوميروس ولا عند هسيود، ولا عند هيراقليطس، ولا عند سولون، ولا پندار ولا هيرودوت - نقول إن هذا المجموع ضئيل يمكن إهماله نسبياً. فمن ناحية: اللعنة الموروثة، والاعتقاد في «حسد» الآلهة أمام افراط السعادة (في بني الانسان)، والابتهاال الى أرواح الانتقام - ومن ناحية أخرى: العطف الإلهي، وفكرة العدالة الإلهية، والإيمان بـ «فكرة» سامية: وهي أمور متقابلة متضادة تبقى بدون تسوية أو توفيق. فمن ناحية: القدرة الكاملة وتقرير المصير سابقاً من جانب الآلهة، الذين، مع ذلك، يطالبون بتعاون الإنسان - ومن ناحية أخرى: عدالة زيوس الذي يحدد عقاباً عن كل ظلم، دون أن يستبعد مع ذلك أن تتولى الألوهية - كما لو كانت العلة الباطنة في الإنسان نفسه - إرشاده وسوقه نحو الخير أو الشر، نحو الخطيئة، أو البراءة. وربما كان الجديد هنا ليس في مضمون هذه الأفكار المتقابلة والمتداخلة على التبادل - بقدر ما هو في الكيفية التي يعبرّ تقابلها عن نفسه».

وينبه راينهت الى أن العبارات الواردة على لسان الشخصيات تعرّض من يريد تفسيرها لخطر مزدوج: هو أولاً تنظيمها في مذهب محكم وجعلها عصرية، والثاني هو تفسيرها تفسيراً مستقلاً عن العملية المسرحية الشاملة التي قيلت فيها. إن تفسير استخدام الأشخاص في مآسي اسخولوس على غرار ما فعلت النزعة

(١) Karl Rainhardt: Ecschyle. Tr. fr. p. 37 ss. Paris, 1972.

الكلاسيكية الألمانية بردها الى التقابل بين الحرية، والضرورة - هو مجازفة خطيرة. صحيح أن الضرورة ananke حاضرة عند اسخولوس، ولهذه الضرورة يخضع الآلهة كما يخضع بنو الانسان: إذ يقول بروميشيوس إن زيوس خاضع للضرورة. لكن لو تسرعنا ووضعنا هذه «الضرورة» في مقابل «الحرية» فإننا لن نفهم التفكير اليوناني. «فالقول بأن حرية بدون ضرورة هي ليست حرية، وبأن التناقض بين كليهما هو وحده القادر على جعل أفعالنا أخلاقية - تلك الفكرة لا نجد لها أبداً عند اسخولوس، بل هي لا تتفق مع مقتضى مفهومه للعدالة الإلهية».

والخطر الثاني هو بعزل أقوال اسخولوس بعضها عن بعض. فلنأخذ مثلاً قوله في البيت رقم ٧٥٠ وما يليه من مسرحية «أجاممنون»: «إن قولاً قديماً يسري بين الناس وهو: إن البركة المفرطة في المقدار إذا ما تم نضوجها فإنها لا تموت أبداً محرومة من الأولاد؛ إن السعادة تنبت في البيت لعنة لا تشبع. لكنني اعتقد غير هذا تماماً: إنها الجريمة هي التي تلد ذرية شبيهة بها، ومصير البيت الذي تسود فيه العدالة هو أن يُبارك بأبناء جِسان». ثم تتوسع الفكرة وفق شكل قديم روحاني: فالعدالة والظلم يشبهان الأرواح التي تسكن البيت.. فالهوبريس (الجرأة المفرطة)، متى ما أقامت فيه، فإنها تلد، إذا كانت عجوزاً، روحاً أكثر شباباً: روحاً على صورتها، - بينما «العدالة» Diké مهما طال منحها للنعم، فإنها تهجر البيت الحافل بالخطايا.

لقد قال سولون إن كل مصيبة تصيب بيتنا هي عقاب، وإن زيوس يعاقب الأبناء على خطايا آبائهم. ويلوح أن اسخولوس قد أخذ بهذه الفكرة فقال إن خطايا الآباء يكفر عنها في الذرية، وأنها تسري في دم الأبناء، وتنتقل من جيل إلى التالي على شكل لعنة وراثية. وكما أن دم الأجداد يسري في الأحفاد، فكذلك أرواحهم تقيم في بيوتهم وسلالتهم مرتبطة فيما بينها بنفس السلسلة الوراثية. وزيوس يشغل المكانة العظمى في عالم الآلهة كما تصوره اسخولوس. والصفة الرئيسية في زيوس هي «الحكمة». وكما أن الحكمة تسود سائر فضائل الانسان، فإن زيوس بحكمته يسود سائر الآلهة. ومع ذلك، وعلى الرغم مما هو معروف عن اسخولوس من تقوى، فإنه يصور زيوس بصورتين متناقضتين تماماً. فهو في مسرحية «بروميشيوس في الأغلال» يصور زيوس بأنه طاغية مستبد، لا يرحم، حسود، يحب الانتقام. ولكنه في مسرحيات «السبعة ضد ثيبا» و«المحسنات»، و«المستجيرات» - يصوره

بصورة مضادة تماماً: إنه الرحيم الحافظ، المنجي، المهيب. وبينما نجد برومثيوس يقول صارخاً في وجه رئيس الكورس: «مَجْد، استنجد، تملق القدير الآن. لكنني أنا لا أحفل بزبوس ولا بغيره. فليفعل وليحكم خلال مدته القصيرة كما يشاء» (البيت رقم ٩٣٧ وما يليه)؛ - نجده في مسرحية «المستجيرات» يقول: «لا تُنسى أن حكم زيوس عادل». (البيت رقم ٤٣٥).

لكن ربما كان هذا التناقض راجعاً إلى أشخاص المسرحية، وليس إلى الاعتقاد الحقيقي عند اسخولوس؛ والتناقض بين الأشخاص في المسرحية أمرٌ لازم وإلاً لما قام حوار ولا نزاع. ولكن معنى هذا هو أننا لا نستطيع أن نستنتج من أقوال أشخاص المسرحية ما هو الاعتقاد الحقيقي للمؤلف. فالمؤلف لا يعبر عن حال نفسه، بل عن حال الشخصية التي يقدمها لنا على المسرح.

لكن المعنى الذي يمجده اسخولوس في كل مآسيه هو «العدالة». فهو يقول عنها في كورس «أجاممنون» (البيت رقم ٧٧١ وما يليه) إنها تلمع في البيوت التي يعلوها الدخان، وهي تشرف الحياة الشريفة. لكنها تعرف المساكن الفخمة المليئة بالنفوس الخسيسة. وهي لا تحفل بالقوة والسلطان، ولا بالحال الزائف، وهي تفقد كل شيء إلى نهايته. وفي «الأورستيات» تسود فكرة العدالة وحولها يدور الحوار والأحداث.

بيد أن القدر (أو المصير) يسود إلى جانب العدالة. ماذا أقول! بل القَدْر فوق العدالة، وأحياناً يعاكسها، كما يقول الكورس في مسرحية «المستجيرات» (البيت رقم ٧٨ وما يليه). وقد حاول البعض أن يخفف من حدة هذا القول: فقال بعضهم إن المقصود بذلك أنه حين يقضي القدر على حياة إنسان، فإنه يستطيع أن يفعل ذلك قبل أن تعاقبه العدالة! ومعنى هذا أن القدر وجه من أوجه العدالة^(١).

وإرادة الآلهة ليست هي القَدْر؛ ولكنها تتدخل لسوق الإنسان نحو قَدْره ومصيره. فنحن نجد أورست - في مسرحية: «حملة القرابين» (البيت رقم ٢٦٩ وما يليه) يعرض كل العقوبات التي أنذر بها لوخاس إن لم ينتقم لمقتل أبيه.

(١) وهذا ما حاول اثباته Setti في دراسته بعنوان: «أورستيات أسخولوس»، ص ٢١٤ وما يليها. فيرنسه L'Orestia di Eschilo.

ومن رأي لسكي^(١) أن ثم ارتباطاً وثيقاً بين الضرورة التي تفرضها الآلهة، وبين القرار الشخصي للإنسان، وهذا الارتباط يدع هامشاً للإرادة الفردية للإنسان، وفي الوقت نفسه يضع لها حدوداً. ذلك هو موقف اسخولوس في هذه القضية. والدليل على هذا الهامش من الحرية في مسرحيات أسخولوس هو أن برومثيوس تصرف بحرية في سرقة للنار؛ وأن احشورش - ملك الفرس - كان حرّاً لما قرر غزو بلاد اليونان؛ وأن الدائيات قد هاجرن من مصر هرباً من أبناء ايجبتوس بإرادتهن.

العدالة

والعدالة معنى يسري في كل مسرحيات اسخولوس. ولكنها عدالة من نوع خاص. فهي عدالة تتعلق بالعقاب أكثر من ان تتعلق بالإحسان والاحسان. يقول اسخولوس: «لا حصن يمكن أن يحمي من قلب المذبح الجليل للعدالة: إنه سيهلك» ولهذا نجد «الارينات» (آلهات أو جنيات الانتقام) تلعب دوراً كبيراً في مسرحياته. وهذه العدالة هي كما يتصورها الآلهة، وتتم لصالح الآلهة بالضرورة، لا لصالح الانسان في مواجهة الآلهة. ولولا التنافس بين الآلهة بعضهم وبعض، لما ظفر الإنسان بالعدالة في مواجهة ما يفعله إله ما بإنسان ما. ذلك أن آلهة اليونان لا يريدون بالضرورة خير الإنسان، بل هم أحياناً - أو بعضهم على الأقل - يسعون لإيقاع الأذى به، ويطاردونه دون أن يكون مرتكباً للذنب. فبرومثيوس سعى لجلب الخير للإنسان، ومن ذلك استعمال النار، فطارده كبير الآلهة زيوس مطاردة قاسية لا مبرر لها إلا الهوى والاستبداد.

وإذا أراد الآلهة إيقاع إنسان في الهلاك، نصبوا له الحبائل، وأضلوه، واجتذبه إلى ارتكاب الخطايا التي تدمره. فالآلهة هم أنفسهم الذين أوحوا إلى أجاممنون بذبح ابنته ايفجنيا برغم أن هذه التضحية هي التي ستسمح للإله بتعديل مجرى الريح لتكون مواتية لقيام الأسطول اليوناني بالإبحار لغزو طروادة! والآلهة في مطاردتهم لإنسان ما - لأي سبب يروونه داعياً إلى ذلك - لا يكتفون بالانتقام من

(١) A. Lesley: «Decision and respous ability in the Tragedy of Aesekylus» in Journal of Hellenic

Studies, LXXX VI (1966), oo. 78-85.

الشخص الذي ارتكب جريمة معينة، بل يواصلون الانتقام منه في شخص ذريته، بأن يوجهوا أحد الأبناء للانتقام للأب. فينتقم الابن (أورست) لمقتل أبيه «أجاممنون». ثم يطاردون أورست لقتله أمه انتقاماً منها لقتلها أباه. وهكذا يتواصل الانتقام: أجاممنون يذبح ابنته ايفجنيا، وزوجته قلوطنسترا تقتله انتقاماً لقتله ابنتهما ايفجنيا، وأورست يقتل أمه قلوطنسترا لقتلها زوجها، وهكذا باستمرار. فأية عدالة هذه؟!

ولو كانت عدالة الآلهة تقتصر على عقاب مرتكب الجريمة وحده بل وذريته أيضاً - لهان الخطب. وإنما العقاب يؤدي أيضاً إلى إيقاع الأذى والهلاك بالغير البريء الذي لا شأن له مطلقاً بالجريمة. فمثلاً عقاب باريس لخطفه هيلانة أدى إلى عقاب مدينة طروادة بأسرها وقتل معظم أهلها وهم لا شأن لهم بهذا الاختطاف. وإذن فمعنى المسؤولية قد ضاع تماماً في عدالة الآلهة هذه. خصوصاً وأن القدر أو المصير يسيطر على تصرفات بني الإنسان؛ أي أنهم ليسوا أحراراً في أفعالهم. فكيف يكونون إذن مسؤولين عنها؟ وهكذا يكون الانسان في فعله للشر بريئاً ومذنباً معاً.

وهذا هو ما يفسر لماذا قسم القضاة، حين عُرضت قضية اورست على محكمة أثينا (الاريوفاغ)، إلى قسمين متساويين: أحدهما يرى إدانة اورست، والثاني يرى تبرئته. وللفصل في القضية كان لا بد من تدخل الإلهة أثنا برأيها مؤيدة براءة اورست في قتله لأمه انتقاماً لقتلها لأبيه.

وقد تساءل الباحثون عما أدى باسخولوس إلى الاهتمام بالأمر الدينية الى هذا الحد في كل مسرحياته. فقال البعض إن مرجع ذلك الى كونه ولد ونشأ في مدينة الوسيس، حيث ازدهرت عبادة الأسرار. وكان رائدهم في ذلك هو ارسطوفان في ملهاة «الضفادع» (البيت رقم ٨٨٦) حين جعل اسخولوس يقول: «يا ديميتير، يا من غذيت عقلي، اعمل على أن أكون جديراً بأسرارك». وعززوا رأيهم هذا بكون اسخولوس ولد من أسرة عريقة نبيلة في مدينة الوسيس، مما مكنه من أن يتلقى مشاعر دينية قوية من الوسط الذي نشأ فيه.

وقال البعض الآخر انه لم يكن من المريردين الذين اطلعوا على الأسرار الدينية، وما التأثيرات الدينية الشائعة في مسرحياته إلا نتيجة لما اطلع عليه من نزعات دينية لدى كبار الشعراء اليونانيين، وعلى رأسهم: هوميروس، وهسيود. وإنما لنجد نفس النزعة الدينية عند معاصريه: الشاعر بندار، وعند المؤرخ

هيرودوت الذي نشأ في ايونيا. وفي هذا يقول موريس^(١) كروازيه: «إنه بواسطة كل شعر العصر السابق وصلت هذه المشاعر الدينية الى اسخولوس، وليس ابدأ بواسطة تعاليم خاصة بالأسرار في الوسيس. وما استطاع الوسط العائلي أن ينميه فيه هو فقط نوع من الميل الى معالجة هذه الأفكار، ورد كل ابداعات خياله الى هذه الأفكار. ومن حيث هي تتجلى لنا في تراجيدياته فإنها، في قسمها الأكبر، قديمة ونقلية؛ لكنها تكشف ايضاً عن تقدم العقل الذي حدث في بلاد اليونان منذ ان ظهر فيها التفلسف. والمعتقدات القديمة الخاصة بالمصير، وبتضامن الأجيال، وباللعنة ونتائجها، وفكرة ما يحق بالانسان من أخطار حين يريد أن يرتفع الى درجة مفرطة من العلو، وفكرة الغيرة عند الآلهة - كل هذا يظهر أنه موروث عن الماضي. والأمر كذلك فيما يتعلق بتصور الآلهة على شكل بني الانسان، تصوراً يسمح بأن ينسب اليهم انفعالات شبيهة بانفعالات الإنسان، وتصورهم على أنهم في نزاع بعضهم مع بعض. لكن إلى جانب - أو بالأحرى فوق هذه المعتقدات التقليدية، يتجلى ميل إلى تصحيحها، لأنها لم تعد تتفق مع التفكير الأكثر نضوجاً. فأصبحت المنازعات بين الآلهة ترد إلى الماضي، في عصر يتصور أنه تمهيد لحال أفضل، هي الحال الحاضرة في العالم. وزيوس صار يميل إلى اتخاذ مكانة سامية تجعل منه الممثل والحارس للقوانين الأبدية؛ والقدر هو نفسه، الذي يمسك هو بأسراره، صار كأنه - قدر الإمكان - إرادته هو؛ وفكره يشمل كل الأزمنة، وينفذ في المستقبل، ويعرف نهاية الحوادث بينما هي تبدو كما لو كانت من صنع الصدفة؛ وإذا لم يكن ميسوراً للإنسان دائماً ان يدرك نيات زيوس ومقاصده، فإنه يقر دائماً تقريباً - حين تتحقق - بأن علةً عليا هي التي وجهتها (راجع خصوصاً: «المستجيرات»: الأبيات ٩٠ - ١٠٢) و«أجاممنون» الأبيات ١٧٤، ١٨٣، ٣٦٧، ٣٨٠). لكن هذا الاتجاه ليس مقصوداً على اسخولوس، بل هو موجود أيضاً عند بندار، وعبر روح العصر. وليس في هذا تقوم أصالة اسخولوس، من الناحية الدينية. وإنما تقوم اصالته في ادراجه هذه الأفكار في التراجيديا».

(١) Maurice Croiset: Eschyle. Etudes sur l'invention dramatique dans son théâtre, p. 25. Paris, 1965.

البناء الفني للمأساة

نشأت المأساة عن الشعر الغنائي وعن الملحمة الشعرية. فكان من الطبيعي أن يبقى فيها تأثير هذين النوعين من الأدب.

ويتجلى هذا التأثير أولاً في الأسلوب واللغة والأداة. فالأداة في التراجيديا هي الوزن الشعري، ولم يكن من المتصور - على الأقل، في بداية نشأة المأساة، أن تكتب بالنثر، لأن للشعر جلاله وفخامته لا تتوافران في النثر. ثم كان للشعر الغنائي تأثير آخر وهو أن يكثر ما يشبه الشعر الغنائي في المأساة. وقد تم ذلك عن طريقين: الكورس، والمناجاة. فجاء معظم كلام الكورس ممزوجاً بلهجة غنائية. وكذلك الحال في المناجاة. بيد أن المناجيات قليلة الورد في المأساة؛ وعلى العكس من ذلك يلعب الكورس دوراً سائداً في كل مأساة.

الكورس

وأرسطو في كتابه «فن الشعر» (فصل ٤ س ١٥ - ١٦) يقول إن الكورس كان له - قبل اسخولوس - الدور الأول في المأساة؛ ثم جاء اسخولوس فجعل الدور الأول للممثل الأول.

وإلى الكورس وكل عنصر التأمّلات التي يثيرها مجرى الأحداث. ويتألف كلامه من أناشيد، وتأمّلات، وابتهالات، والتعبير عن مشاعر الخوف أو الرجاء، والسرور أو الألم. والكورس بهذا يسعى إلى توجيه المشاهدين نحو تأمل القوى المستسرة التي يستحيل على الشاعر أن يقدمها بشخصها على المسرح. وأعضاء الكورس يهيئون باللحنات القديمة أو الوعود التي بقيت مغلقة دون أن تتحقق، ويحاولون النفوذ إلى نيات ومقاصد الآلهة، ويعلنون عن كون هذه النيات ليست بذاتها ستتحقق، مما يزيد من مخاوف الأشخاص الفاعلين في المسرحية ومن فزع المشاهدين لها. ثم هم أحياناً يعلنون أن العدالة ستأخذ مجراها، وأن القصاص لا بد سيحقق بمرتكبي الجرائم.

الشعر الغنائي في المأساة

أما الشعر الغنائي في المأساة فإنه يختلف عن الشعر الغنائي الخالص كما يتمثل خصوصاً في قصائد Odes بندار (٥٢٤ - ٤٤٢ ق.م). وهذا طبيعي لأن القصيدة الشعرية نَسَق واحد، بينما المأساة حوار متنوع. ففي قصائد بندار نجد تركيباً موحداً يتألف من ثلاثة مقاطع: دور strophe - دور مقابل anti-strophe - ختام epode. وقد سبق بندار إلى نظم هذا النوع من الشعر عند اليونان: الشاعرة سافو Sappho (ازدهرت حوالي سنة ٦٠٠ ق.م) والشاعر الكايوس Alcaeus (ازدهر بين سنة ٦١١ - ٥٨٠ ق.م). وقد وصلتنا من سافو قصيدة بعنوان: قصيدة موجهة إلى أفروديت، ووصلتنا من الكايوس: قصيدة موجهة إلى كاستور وبوليديكوس. أما الكورس في المأساة عند اسخولوس فيتألف من سلسلة من المثنائي (الدور والدور المقابل) وهي دائماً مختلفة في كل المأساة، وغالباً ما يضاف إليها خاتمة epode. وهذا تجديد كبير لا نعلم هل كان اسخولوس هو الذي ابتكره، أو سبقه إلى ذلك شاعر غيره، لأنه لا توجد لنا وثائق في هذا المجال. على كل حال كان هذا التجديد ضرورياً كي يتلاءم الشعر الغنائي مع الشكل الدرامي. إن أناشيد الكورس تسير مجرى أحداث المسرحية، ولهذا لا يمكن أن تفصل عنها: إنها جزء من سياقها لا يفصل عنها.

ويقارن موريس كروازيه (الكتاب نفسه، ص ٣٤ - ٣٥) بين بندار واسخولوس فيما يتصل بالجانب الغنائي من اسخولوس فيقول: «عند كلا الشاعرين نجد نفس العظمة في الخيال، ونفس القوة في الإبداع اللفظي لكن نشيد بندار يجري باتساع ساج خلال الأساطير والتلميحات، والأفكار التي تتمثل لعقله الواحدة بعد الأخرى، والتي يلذ له أن يوضحها بفيض رائع من الألفاظ ذوات الرنين. وعبقريته يلذ لها أن تبسط أمام عيوننا - بسهولة سامية - على شكل تطريز يبهر الأبصار، الثراء اللامتناهي لابتكاراته الشعرية. أما عند الشاعر الأثيني (اسخولوس) فإن عمل المفكر مشعور به بقوة تأكيد، ويشارك في الحركات العميقة لحساسية تعكس وتعبّر عن كل الاضطرابات التي تقدر النفس الانسانية على معاناتها. وحتى التلقائية نفسها تشعر بأن ثمّ تحتها يوجد مجهود. وهذا يتمثل في تعبيرات تستخدم العنف مع اللغة ابتغاء قهرها على التعبير عن الفكرة وعن الوجدان. وأحياناً ينتج عن ذلك غموض مزعج، ولكن يعوّض عنه القوة والعظمة».

الأسلوب

أما عن أسلوب اسخولوس، فيقول موريس كروازيه:

«إن أسلوبه يبدو لنا كمزيج أصيل من العناصر المستمدة من الملحمة، والشعر الغنائي، والاستعمال الشامخ. فمن الملحمة والشعر الغنائي حاكي نبالة اللغة، والكنيات *Périphrases*، والمجازات الجريئة، واستخدام الكلمات المركبة والألفاظ الشعرية الخالصة، وكل ما بدا أنه خليق بأن يحقق المثل الأعلى للعظمة كما تصورهما عقله. . لكنه كان يهتم في الوقت نفسه بأن يزود جمهوره بانطباع الواقع الحي، ولهذا اقترب من الاستعمال الجاري، وذلك باستبعاد الصيغ الجاهزة، واستخدام أسلوب أسرع، وأشد قوة، وباستعمال التعبيرات الحادة، بل وأحياناً التعبيرات المألوفة، وأخيراً بالاستعمال المتحوّط للألفاظ المستخدمة في اللغة اليومية. وبهذا الطريق خلق جُملاً درامية حقاً للاستعمال في المسرح، بدلاً من الجمل الواسعة الفضفاضة الطافية المألوفة في الملحمة والشعر الغنائي؛ وهذه الجمل الدرامية تكون أحياناً موجزة وقوية، وفي أحيان أخرى تكون متسعة لتكفل التعبير الوافي عن الفكرة، لكنها مع ذلك تُقَطَّع دائماً إلى أجزاء موجزة بارزة التعبير، راسخة محكمة البناء، وقادرة على إبراز كل عنصر من عناصر الفكرة الواحد بعد الآخر دون أن يغفل التناسق بينها وبين ناحية أخرى، فإن ما يستبعده من الشعر السابق عليه، هو يقوم بتجديد شبابه. وعنده نجد أن الألفاظ المركبة دقيقة محرّرة، وهي في الوقت نفسه وصفية؛ والكثير منها جديد، أبدعه اسخولوس من أجل الوفاء المباشر بحاجة الفكر والعاطفة. وحينما يقرؤه المرء بعناية، يُدهش مما تحويه كل مجموعة أبيات شعرية من معنى ومن انفعال. وفي كل موضع تتجلى قوة باطنة خليقة بالإعجاب» (الكتاب نفسه، ص ٣٥ - ٣٦).

الحوار

والحوار^(١) عند اسخولوس موجز ومحكم، ويقتصر في الغالب على سطر واحد لكل من المتحاورين. ويكون ذلك إما بتبادل بيت واحد، أو بتبادل عدد قصير من الأبيات ذوات طول متساوٍ بين المتحاورين. وحيث يطيل الشخص في

(١) راجع Wilhelm Schmid: Geschichte der griechischen Literatur. 2 Band, S 286f München, 1914

الكلام، فإنما يحدث ذلك غالباً حين يتعلق الأمر برواية تقرير عن حادث، أي في الروايات الإخبارية، ومع ذلك يحاول اسخولوس أن ينوع في الرواية، ويقطعها بفواصل من كلام الآخرين. تأملاته وتعليماته تتصل بالموضوع اتصالاً وثيقاً، ولا نجد عنده استطرادات خارجة عن الموضوع، كما هي الحال مثلاً عند يوريفيدس الذي كثيراً ما يستطرد متناولاً أموراً تتعلق بالسياسة أو مشاكل الساعة.

ولهذا السبب أيضاً لا نجد عنده إلا مقداراً قليلاً نسبياً من الجُمَل الحكيمة والأمثال. وربما كان السبب في ذلك أنه يؤمن بما سيؤمن به الموسيقار العظيم جوزيه فُردي Verdi حين قال في إحدى رسائله: «كل الأمثال، وكل الجُمَل الحكيمة خطيرة على المسرح». وهو يضع الجُمَل الحكيمة على لسان الشيوخ المستين، كما هو ظاهر في مسرحية «المستجيرات» ومسرحية «أجاممنون». أما في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» فإن اتيوكل هو الذي استخدم الجُمَل الحكيمة لتهدئة النسوة الهائجات. ولما كان الكورس في «أجاممنون» مؤلفاً من شيوخ عجائز فقد كثرت في كلام الكورس الجُمَل الحكيمة. واستعمال الجُمَل الحكيمة في ختام المسرحية أمر نادر الحدوث في مسرحياته، ولم يحدث في «الأورستيات» الثلاث أبداً. وهذا على عكس ما فعل سوفقليس.

وأما الأمثال القليلة الواردة في مسرحياته فقد نطق بها إما أشخاص في مراتب ثانوية، وإما الكورس، وإما الإلهة أثنا (في «المحسنات»، البيت رقم ٤٢٨): وأرسطو (في كتاب «الخطابة» المقالة الثانية ف ٢١، ص ١٣٩٥) قد طالب بأن توضع الحكيم على ألسنة الشيوخ والمستين، وليس الشباب أو الكهول.

والحوار القائم على المناقضة بين كلا المتحاورين لا نجده عند اسخولوس إلا في المحاكمة الواردة في مسرحية «المحسنات» أمام المحكمة، ومع ذلك فإنها تخلو من المراء والجدل الأجوف. وهذا على عكس ما نجده عند سوفقليس، الذي أفسح المجال لهذا اللون من الحوار.

وقد أخذ^(١) على أسلوب اسخولوس أنه ينقصه بعض المراس والتجربة ويتجلى هذا خصوصاً في كونه رتيباً، وفي وجود بعض التصلب فيه. «والالتجاء

(١) موريس كروازيه: «اسخولوس» ص ٣٦. باريس ١٩٦٧.

الى السطر الواحد sticho mythes حين يريد أن ينعش الحوار، يعوزه السلاسة والمرونة. فكل شخص لا ينطق فيه بأقل من بيت شعر كامل؛ وفي هذا التبادل للكلمات، الذي فيه نصيب كل واحد من المتحاورين محدد تماماً، فإن مجهود الفكر غالباً ما يتجلى في إيجازٍ مفرط ينحلّ إلى تكلف. وحتى في خارج هذه المناظر ذات الطبيعة الخاصة، فإن الأسلوب بعيد عن التنوع وفقاً لصفة من يتكلمون، وبينما الفوارق الأخلاقية بين الأشخاص تتجلى بوضوح في عواطفهم، فإنها ليست جلّية في لغتهم. فداناوس وبناته - في مسرحية «المستجيرات» لا يعبرون بعبارات مختلفة عن تلك التي يستخدمها ملك أرجوس. والأمر كذلك في مسرحية «الفرس» فيما يتعلق بأتوسا، وبالرسول وبيدريوس: وكذلك الحال في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» لا تختلف لهجة اتيوكل عن لهجة رسوله. و فقط في مسرحية «پرومثيريوس» وفي «الأورستيات» نشاهد الحرص على جعل الأسلوب المأساوي متفقاً مع أحوال الأشخاص في بعض المواضع».

كما يلاحظ فلهم^(١) اشمد Schmid أن «اسخولوس في الترتيب الشكلي لمناظر الحوار ظل - جزئياً - خاضعاً لتأثير التأليف التمثالي التجاوبي، الملائم للأسلوب الغنائي، لا للأسلوب الدرامي المسرحي، وذلك حين يطيب له أن يرتب الحوار على شكل سطر واحد stichomytisch أو على شكل قول متأخر epirrhematic. ومع ذلك فإنه حتى في هذا الشكل^(٢) غير الدرامي، في التطور - كما في المنظر الرئيسي في مسرحية «حاملات القرايين» (الأبيات ٣٠٦ - ٤٧٨) فإنه أبدع انعاشاً وسموياً لا يُعلى عليه. وهو لا يزال حتى اليوم يؤثر في نفوسنا تأثيراً قوياً».

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٨.

(٢) يحسن بنا شرح معنى هذين اللفظين: (أ) أما الأول وهو Sticho mychia (ومعناه اللغوي في اليوناني: الكلام المؤلف من سطر واحد) هو الحوار المؤلف من أسطر واحدة يتلو بعضها بعضاً على لسان المتكلمين. وهو ذو تأثير قوي على السامع. وكثيراً ما نجده في المسرحيات اليونانية، ولكنه نادر في المسرحيات الحديثة. بيد أننا نجد نماذج مشهورة له في مسرحية «هاملت» (٤: ٣) و«رتشارد الثالث» (٤: ٤) لشكسبير، وفي مسرحية «النساء العالمات» لموليير (٥: ٣). - (ب) أما epirrhema (ومعناه اللغوي: ما قيل بعد ذلك) فهو كلام يقال في أواخر المسرحية، يقوله قائد أحد نصفي الكورس بعد أن يكون هذا النصف الكورس قد أنشد قصيدة ode. وكان في الغالب هجائياً، أو تعليمياً أو للوعظ والارشاد.

لغته

أما لغته فتغلب عليها اللهجة الأتيكية^(١). ومع ذلك لم تقتصر ألفاظه على اللهجة الأتيكية، بل كثيراً ما استمد من الأدب الملحمي والشعر الغنائي القديمين، ومن اللهجات الأخرى الحية، وخصوصاً الآيونية. ثم إنه هو نفسه قد ابتكر من عنده كثيراً من الألفاظ. ولكن الألفاظ الجديدة التي اخترعها تقتصر على الألفاظ الغنائية.

وكان معجمه اللفظي وفيراً جداً، وقد أسرف فيه إلى درجة أننا نجد أن ما بين ٣٢٩ إلى ٧٨٢ من الألفاظ التي نجدها في إحدى المسرحيات الست، لا نجدها في نص واحدة أخرى من المسرحيات الخمس الأخرى. وعدد الكلمات الجديدة التي ابتكرها يبلغ على الأقل ألف ومائة كلمة: خمسمائة منها في الحوار، و٦٠٠ في الأجزاء الغنائية.

ومن ناحية أخرى أغنى اسخولوس اللغة اليونانية بوفرة من الروابط التصويرية. ولا قرين له في هذا المجال غير بندار. فهو أضفى على الأشياء غير الحية شخصية وكياناً حياً، وتجاسر في هذا الاتجاه إلى درجة كبيرة لم يحدها حد. واستعان في هذا بالمجازات الجزئية وبتوجيه الخطاب إلى الكائنات غير ذوات الشخصية، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مسرحية «أجاممنون»، الأبيات: ٢٢ - ٥٠٣ - ٥٠٨ - ٥١٨، - ومسرحية «حاملات القرابين»: البيت ٩٦٣.

- (٦) -

تأثيره في عصره

والعصور اليونانية التالية

وقد حظي اسخولوس إبان حياته بتقدير بالغ. والدليل على ذلك أن مآسيه حظيت بالنصيب الأوفر من التمثيل المسرحي. وبقي هو المؤلف المسرحي المحبوب لدى شعب أثينا بعد وفاته، إلى جانب سوفقليس. ومن الأدلة على ذلك

(١) كانت لكل مدينة يونانية تكوّن دولة City-States لهجتها اليونانية الخاصة بها. لكن يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات: (١) الأتيكية - الأيونية التي كان يتكلم بها في إقليم اتিকা، والمستعمرات الأيونية على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى وبعض الجزر؛ (٢) الأيولية في جزيرة لسبوس وما جاورها في بز آسيا الصغرى وتساليا وبوتيا؛ (٣) اليونانية الغربية في جوكيس ولوكريس، وإيليس، وتشمل الدورية.

أن أرسطوفان، في ملهاته «الضفادع» يجعل إله المسرح يستدعي اسخولوس من العالم السفلي. وكثرة الاشارات إليه لدى مؤلفي الكوميديات في أواخر القرن الخامس، وخصوصاً لدى أرسطوفان، تدل على أن مآسي اسخولوس كانت لا تزال يعاد تمثيلها باستمرار. كذلك ثم دلائل على أن مآسي اسخولوس كانت تمثل وتُقرأ كثيراً في القرن الرابع قبل الميلاد. صحيح أنه في الأوساط السقراطية كان سوفقليس ويوريفيدس يفضلان عليه (راجع: ديوجانس اللايرسي: «سير الفلاسفة» ٢: ١٨؛ اكسينوفون: «الذكريات» ١: ١). ولئن كان أفلاطون لا يزيه كمرّب للشباب («السياسة» م ٢، ص ٣٨٠ أو، ٣٨١ د، م ٣ ص ٣٩١ هـ)، إلا أنه كان يديم قراءة مسرحياته، كما أن دين الدولة كما رسمه في محاوره «النواميس» يتفق في خطوطه العريضة مع ديانة اسخولوس كما عرضناها منذ قليل.

لكن مآسيه لم تُعدّ تمثل في الأعياد الديونوسوسية ابتداء من سنة ٣٨٦. ومن هنا قل الاهتمام بها منذ ذلك التاريخ لدى عامة جمهور أثينا.

لكن ارسطو، كما أوردنا نص كلامه في كتابه «فن الشعر» أشاد كثيراً باسخولوس؛ كما أنه جعل تلميذه الاسكندر (الأكبر المقدوني) يديم الاطلاع على مآسي اسخولوس.

وفي الاسكندرية، في عهد البطالسة، عني الفيلولوجيون بمآسي اسخولوس وقاموا بتحقيق نصّها وبشرحها.

وفي روما القيصرية كان الكتاب يفضلون عليه سوفقليس ويوريفيدس ومن بين مؤلفي المآسي في روما قام انيوس Ennius (٢٣٩ ق.م - ١٦٩ ق.م) وأكيوس accius (١٧٠ ق.م - حوالي ٩٠ ق.م) بتلخيص بعض مسرحيات اسخولوس. ونظر الرومان إلى اسخولوس على أنه «مخترع» الأسلوب العالي في المسرح المأساوي، لكنهم لم يكونوا يقرأونه كثيراً، حتى في القرن الأول قبل الميلاد الذي انتعش فيه الميل إلى الكلاسيكيين اليونانيين. وقد أشاد به أرشيدس Aelius aristides (١١٧ م - ١٨١ م) وديون الذي من قراسا Prusa. وفي مقابل ذلك لا نجد إلا ذكراً قليلاً له لدى المفكرين البيزنطيين المتأخرين: فثامسطيوس لا يذكره إلا مرة واحدة، وليبانيوس لا ينقل عنه إلا عبارة تافهة. ويذكر ثامسطيوس أنه لم يكن يُقرأ في مدرسة أبيه من بين أصحاب المآسي القدماء إلا سوفقليس ويوريفيدس. وإلى هذه الحال من هجر قراءة اسخولوس يرجع السبب في قلة

أوراق البردي التي وصلتنا فيها نصوص من اسخولوس . كذلك أهمله واضعو القواميس ومن كتبوا عن الأساطير اليونانية .

لكن يلوح أنه عند نهاية عصر الأوائل (أي في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد) عاد الاهتمام بانتاج اسخولوس . وهو ما أدى إلى انقاذ مختار من مآسيه (بما في ذلك «پرومثيوس») يشتمل على سبع مآسٍ، وهذا المختار هو الذي وصلنا وحده من المسرحيات الكاملة .

أما شراح اسخولوس في العصر القديم فلا نعرف منهم غير واحد، وهو أريستارخوس Aristarchos الذي من سارنراس (حوالي ٢١٧ إلى ١٤٥ ق.م) الذي وضع شروحاً أيضاً على هوميروس، وهسيود، وأرخيلوخوس وپندار وسوفقليس وإيون، وأرسطوفان، وهيرودوت .

لكن في القرن الثاني عشر بدأ الفيلولوجيون في بيزنطية بالناية باسخولوس . ونذكر منهم خصوصاً: يوهانس تزتزس Tzetzes . ومن بعده في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في بيزنطية: توماس ماجستر Magister وديمترئوس تركلينيوس Triklinios .

ثم طبع النص اليوناني، في سنة ١٥١٨، للمسرحيات السبع . وفي سنة ١٥٥٥ ترجمه إلى اللاتينية يوهانس سانرافئوس Sanravius وطبعت هذه الترجمة اللاتينية النثرية في بازل بدون تاريخ . وبفضل هذه الترجمة اللاتينية أصبح اسخولوس ميسوراً لأوسع دائرة من العلماء والشعراء والأدباء في أوروبا .

ويلوح أن شكسبير لم يقرأ اسخولوس؛ بينما معاصره المؤلف التراجيدي الهولندي يوست فان فوندل Joost van Vondel اطلع على اسخولوس جيداً . وفي شعر جون ملتون Milton وما يسري فيه من معنى الارتباط بين الخطيئة والجزاء، وقوة العدالة الإلهية، والتقابل بين النور والظلمة - نلاحظ تأثير اسخولوس ممزوجاً بتأثير سوفقليس . وكان خصوصاً لمسرحية «پرومثيوس» تأثير هائل في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في انجلترا عند شلي وبايرن وسونبرن .

ثم بدأت ترجمة مجموع مسرحيات اسخولوس إلى اللغات الأوروبية الحديثة ابتداءً من سنة ١٧٧٠ . إذ ترجمها إلى الفرنسية لوفران دي پومپينيان Lefranc de Pompiyan سنة ١٧٧٠ . وتلاه روشفور Rochefort في سنة ١٧٨٥ ،

- وترجمها إلى الإنجليزية Potter .

- وكانت أول ترجمة لكل مؤلفاته الباقية إلى اللغة الألمانية هي تلك التي قام بها دانس I. h. Danz ، وظهرت سنة ١٨٠٥ - ١٨٠٨ ، لكن سبقتها ترجمات لمسرحيات مفردة إلى الألمانية: إذ ترجم جولد هاجن J. E. Goldhagen مسرحية «السبعة ضد ثيبيا» في سنة ١٧٦٧ ، وترجم اشتولبرج F. L. von Atolberg في هامبورج سنة ١٨٠٢ المسرحيات التالية: «پرومثيروس»، «السبعة ضد ثيبيا»، «الفرس»، «المحسنات» .

أما جيته فقد تأثر خصوصاً بمسرحية «پرومثيروس»، وبوحي منها كتب مخطط مسرحية «پرومثيروس» التي لم يتمها، وهو في مطلع شبابه في سنة ١٧٧٢ . وهو أشار مراراً إلى مسرحيات اسخولوس واقتبس منها اعتماداً على الترجمة التي كان يقوم بها في فيمار الكاتب السويسري G. Chr. Tobler نظماً، وترجمة هومبولت لـ «أجاممنون» .

وتناوله فون اشليجل F. von Schlegl في كتابه: «تاريخ الأدب القديم والحديث» (نشره اشپاير في ريجنزبرج سنة ١٩١١ ، ص ٣٤ - ٣٦) ، لكن بطريقة سطحية .

وتعمق دراسته الشاعر النمساوي جريلپارتر Grillparzer ، وأطرى مسرحياته مراراً («مؤلفات جريلپارتر»، نشرة نكر، ج ١٤ ص ١٤٦ - ١٥٣) .

وحصّه بدراسة وافية فلهم فون اشليجل (راجع مجموع مؤلفاته نشرة Bocking سنة ١٨٤٦ ج ٥ ص ٨٩ وما يليها) وذلك في محاضرات ألقاها في فيينا سنة ١٨٠٨ دارت حول مسرحيات اسخولوس .

أما شلر^(١) (١٧٥٩ - ١٨٠٥) فقد قال في سنة ١٧٨٨ عن مسرحية «أجاممنون» «إنها من أجمل الأعمال التي كتبها عقل شاعر» . وواعد أن يترجم هذه المسرحية إلى الألمانية لنشرها في مجلة Merkur التي كان يُصدرها الشاعر فيلند Wieland (كما أشار هو إلى ذلك في رسالة إلى شارلوت لنجفالد Lengefald بتاريخ ٤ ديسمبر ١٧٨٨) .

(١) راجع M. Gerhard: Schiller and die griechische Tragödie. Wermiar, 1919

ثم توالى الترجمات الألمانية الدقيقة والقائمة على التحقيق الفيلولوجي الوافي. فظهرت في سنة ١٨٣٢ (والطبعة الرابعة في سنة ١٨٨٤) الترجمة العظيمة التي قام بها درديزن J. G. والتي سيطرت على كل القرن التاسع عشر في ألمانيا. وتلتها ترجمات كل من J. V. Danner، وهارتونج Hartung، ومنكفتس Minckwitz. ثم ظهرت بعد ذلك ترجمات لمسرحيات منفصلة، نذكر منها ترجمة ألرش فون فيلاموفتس Wilamowitz «للأورستيات» (في سنة ١٨٩٩).

أما في اسبانيا فيلوح أن كيبديو Quevedo (١٥٨٠ - ١٦٤٥) كان هو الوحيد، في عصر النهضة الأسبانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الذي درس اسخولوس وقرأه مباشرة في الأصل اليوناني، وهو قد ترجم إلى اللاتينية وصاغ في تلخيص موسع على شكل سوناتات باللغة الاسبانية الأبيات ٩٦٦ - ٩٦٩ من مسرحية «پرومثيروس». والترجمة الكاملة الوحيدة لمسرحيات اسخولوس إلى الاسبانية هي تلك التي قام بها برييفا Breiva في سنة ١٨٨٣ (وأعيد طبعها بعد ذلك مراراً). لكن ظهرت قبل ذلك ترجمات منفصلة لمسرحيات مفردة، نذكر منها «پرومثيروس» في سنة ١٨٧٨، و«السبعة ضد ثيبا» في سنة ١٨٧٩ اللتين ترجمهما منندث إي پلايو Menendez Y Palayo، لكن عن اللاتينية، وكان في عزمه أن يترجم كل مسرحيات اسخولوس بالتعاون مع خوان فاليرا Valera، لكن لم ينجز هذا المشروع. كذلك قام الأب سولا Sola بترجمة «پرومثيروس» مع طبع النص اليوناني، وذلك في سنة ١٩٤٣.

خاتمة

والخلاصة هي:

- إن اسخولوس كان أبا المأساة عند اليونان، وفي الأدب العالمي؛
- وأنه حصر دور الكورس والشعر الغنائي في المأساة، وجعل للحوار الدور الأول في بناء المأساة؛ وجعل وجود الكورس ضرورياً لمجرى الأحداث؛
- وأنه جعل السياسة والأخلاق في خدمة المدنية، وفي هذا السبيل قدم نماذج رائعة للبطولة والصدق، واستبعد الضعف والفسولة في الأخلاق؛ ومجد دور الانسان في مواجهة المقدر وأهواء الآلهة؛
- وأنه نظم قصائد وأغاني سامية؛ وزود العرض المسرحي بأدواته الرئيسية.
- ولهذا رأى فيه شعب أتيكا (مدينة أثينا وما أحاط بها) معلماً وقائداً من الطراز العالي؛ خصوصاً لأنه قدم شخصيات نموذجية مثل: اتيوكل، وپرومثيروس، وقلوطينسترا، وأورست. وهي شخصيات تحيط بها الأسرار: فيرومثيروس قد أودع فيه سرّ يتوقف عليه مصير آلهة الأولمب، واتيوكل يحمل على عاتقه ثقلاً من الوراثة رهيب: إذ هو يناضل ضد لعنة وراثية أقوى منه؛ وقلوطينسترا هي أداة للعنة قديمة.

إن مآسي اسخولوس حافلة بالقلق، والرغبة، وجلال العبارة.

باريس في ٦ يوليو ١٩٩٥

د. عبد الرحمن بدوي

مَسْرُوحِيَّةُ «السُّنَجِيْرَاتِ»

مُقَدِّمَةٌ

«المُسْتَجِرَات»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

الدانائيد

كان داناوس Danaus وإيجبتوس Egyptos هما الابنان التوأمان لبيلوس Belos الذي كان ملكاً تشتمل مملكته على آشور (النصف الشمالي من العراق)، وبلاد العرب، ومصر وليبيا. وقد قسّم هذا الملك بينهما، فأعطى ليبيا إلى داناوس. وأعطى بلاد العرب (شمال شبه الجزيرة العربية) إلى إيجبتوس. لكن إيجبتوس فتح مصر، وبهذا هدّد أمن داناوس الحاكم على ليبيا. وقد أنجب إيجبتوس خمسين ولداً ذكراً، بينما أنجب داناوس خمسين بنتاً أطلق عليهن اسم: الدانائيد (أي: بنات داناوس). . فاقترح إيجبتوس أن يتزوج أبناؤه الخمسون من بنات داناوس الخمسين. فشكّ أخوه داناوس في القصد من هذا الاقتراح إذ خشي أنها تكون حيلة ليسلبه إيجبتوس من ملكه. ولهذا أمر ببناء سفينة كبيرة، بمساعدة الإلهة أثنا Athena، وركبها ومعه بناته الخمسون وأبحر متجهاً نحو مدينة أرجوس (في جنوب بلاد اليونان)، وهي المدينة التي كانت قد جاءت إليها جدّته إيو Io (بنت كارموس والانسجام). وفي الطريق إلى أرجوس، توقف في لندوس، وفي جزيرة رودس

حيث بنى فيها معبداً مكرساً للإلهة أثنا Athena شكراً لعطفها عليه .

ثم وصل داناوس وبناته الى أرجوس، وهناك طالب بتولي الملك فيها بدعوى قرابته من إيو Io؛ وكان ملك أرجوس آنذاك هو جيلانور Gelanor الذي سرعان ما رفض دعوى داناوس. فرفُع الأمر إلى شعب أرجوس ليفصل فيه. لكن سويت المسألة، قبيل انعقاد الجمعية الوطنية لشعب أرجوس، بواسطة ما جاء به الفأل: فعشية الاجتماع حدث أن ذئباً انقضَّ على قطيع الماشية في أرجوس وقتل الثور الذي كان على رأس هذا القطيع. وفسر هذا الفأل على أنه يعطي الأولوية في تولي الملك لداناوس. وهكذا تولى داناوس الملك في أرجوس. وشيّد داناوس معبداً للإله أبولون اللوقياني (= الذئبي، نسبة إلى هذا الذئب). ووقر الماء لأهالي أرجوس، ذلك لأن فوسيدون Poseidon (إله البحر) كان قد حرّمهم من الماء غضباً منه عليهم: وذلك لأن هذا الإله قد نازع هيرا (زوجة زيوس) الولاية على أرجوس، لكن آلهة الأنهار التي حول أرجوس فضلت هيرا على فوسيدون. فانتقم فوسيدون بأن أصاب بالجفاف ينابيعهم لكن حدث فيما بعد أن أحب فوسيدون ابنة داناوس - واسمها أمومونة Amymone، ففجّر ينبوعاً في لرن Lerne. وثم رواية أخرى تقول إن داناوس إنما اختير ملكاً على أرجوس لأنه علّم أهلها كيفية حفر الآبار.

فلما فرت بنات داناوس الخمسون مع أبيهم إلى أرجوس أبحر أبناء إيجيبتوس الخمسون إلى أرجوس لاسترداد هؤلاء البنات من اجل التزوج بهن. وكان ذلك - بحسب مسرحية اسخولوس - بعد وصول داناوس إلى أرجوس بوقت قصير. وبناءً على هذه الرواية التي اعتمدها اسخولوس، فإن پلاسجوس Pelasgos، ملك أرجوس، ساعد داناوس في الدفاع ضد أبناء إيجيبتوس الذين كان أبوهم هذا قد حرّم عليهم العودة إلى مصر طالما كان داناوس حياً. بيد أن داناوس أرغم على الاستسلام لرغبة هؤلاء الأبناء وتزوج كل واحد منهم ب ابنة من البنات الخمسين .

لكن كل بنت تطلعت - سراً - من أبيها خنجراً، أمراً إياها بأن تقتل به زوجها في فراش الزوجية. فأطاعت كل البنات، باستثناء واحدة هي كُبراهن، واسمها هوبرمسترا Hypermestra لأنها كانت تعشق زوجها لونقيه Lyncée، لأنه احترم بكارتها فلم يفضّها، وأخبرت زوجها هذا بالمؤامرة ودعته إلى النجاة بنفسه. ففرّ إلى لورقيا Lyrceia، ومن هناك أرسل إشارة تفيد بأنه وصل سليماً. فألقي

بهوپرمسترا في السجن، ومثلت أمام المحكمة؛ لكن محكمة أرجوس برأتها، وربما كان ذلك بتدخل من الإلهة أفروديت (إلهة الجمال والحب).

وأخيراً وافق داناوس على أن يتزوج لونيقي من ابنته هويرمسترا وتصلح معهما.

أما البنات التسع والأربعون الأخريات فقد أحضرت كل واحدة منهن رأس زوجها إلى أبيها داناوس لإثبات اخلاصهن لأمره. وقد طهرهن من جرائمهن هذه هرمس وأثنا بأمر من زيوس. وبعد ذلك أمر داناوس بتزويجهن من شباب من أهل أرجوس ولم يطلب أي مهر، بل على العكس، زود كل واحدة منهن بهدايا فاخرة، وذلك لأن أهل أرجوس لم يرضوا كثيراً عن هؤلاء الزوجات القاتلات لأزواجهن السابقين.

وأخيراً اضطر داناوس إلى تنظيم مسابقة للعدو، والكاسب في كل شوط يختار من بينهن زوجة له، وهكذا حتى تم اختيار الشباب المتنافس في العدو لزوجاتهم التسع وأربعين. والأبناء الذين أنجبوا من هذه الزوجات سموا الدانائين Danaens وهو الاسم الذي أطلقه هوميروس على كل اليونانيين.

وتم رواية تقول إن لونيقي انتقم لإخوته التسعة والأربعين فيما بعد، بأن قتل داناوس، وتولى الملك مكانه وقتل أيضاً كل الدانائين (= بنات داناوس) باستثناء زوجته هويرمسترا. وبعد موتهن، عوقبن في العالم السفلي بالعقاب التالي وهو: أن يملأن بالماء جرة مخروقة.

وقد نظم الشاعر اللاتيني هوراس Horace قصيدة في هذه الأسطورة، أشاد فيها خصوصاً بهويرمسترا.

- (٢) -

تاريخ تأليف هذه المسرحية

ومن هذه الأسطورة كلها تقتصر مسرحية اسخولوس وعنوانها: «المستحيرات» على أمر واحد هو: وصول بنات داناوس الخمسين إلى أرجوس هرباً من الزواج بأبناء إيجيبتوس (وسنسميه: مصرايم، بحسب ما ورد في كتب التاريخ العربية)،

وعلى رأسهن أبوهن: داناوس. ثم طلب من ملك أرجوس حمايتهن من أبناء مصرائم الذين جاءوا لأخذهن. فهن إذن مستجيرات بألهة أرجوس. ومن عادة المستجير أن يحمل عُصناً من الزيتون طويلاً ومستقيماً، ومحاطاً بأربطة من الصوف الأبيض. ولهذا سميت المسرحية باسم: «المستجيرات».

والشخصية الرئيسية فيها هي: الكورس، وهو مؤلف من خمسين فتاة، هن الدنايد، أي بنات داناوس، وتصحبهن خادماتهن.

ويتلو الكورس - بمسافة بعيدة - أبوهن: داناوس، ثم المنادي الذي جاء من قِبَل الأبناء الخمسين الذين نزلوا على شاطئ أرجوس طلباً لاسترداد الخمسين بنتاً للزواج بهن.

وهذا الدور الحافل الذي للكورس يرجع إلى كون مسرحية اسخولوس هذه الوليدة الأولى للمسرحيات اليونانية في نشأتها. ذلك أن المسرحية اليونانية - كما قال أرسطو^(١) - هي وليدة الدثيرمبوس. ولهذا السبب، تعد مسرحية «المستجيرات» أقدم مسرحيات اسخولوس تأليفاً، بين مسرحياته التي بقيت لنا وعددها سبع . .

ويذهب الباحثون إلى تحديد تاريخ تأليفها بالفترة بين هزيمة مدينة أرجوس على يد كليومين حوالى سنة ٤٩٣ ق.م، وبين انتصار اليونانيين على الفرس في معركة ماراثون الشهيرة والتي وقعت في سنة ٤٩٠ ق.م. وكانت سن اسخولوس آنذاك بين اثنتين وثلاثين إلى خمس وثلاثين سنة.

ولم يحصل اسخولوس على الجائزة التي كان يتنافس عليها الشعراء المسرحيون آنذاك، لأن أول ظفر له بالجائزة كان في سنة ٤٨٤ ق.م.

وتم شذرة على ورق البردي، نشرت سنة ١٩٥٢، تتعلق بتواريخ وظروف تمثيل الربوع المسرحي الذي يضم مسرحية «المستجيرات» - تفيد بأن هذه المسرحية مُثِّلت في عهد أرخونية أرخدميدس Archedemides، أي بين سنة ٤٦٤ و٤٦٣ ق.م. ولو صحَّ هذا لانقلب الوضع تماماً فيما يتعلق بتاريخ تأليف مسرحيتنا هذه! وذهبت أدراج الرياح كل الحجج التي انتحلها الباحثون لإثبات أنها باكورة

(١) راجع ترجمتنا لكتاب «فن الشعر» لأرسطو، القاهرة سنة ١٩٥٣. والدثيرمبوس نشيد وجداني عنيف، على شرف ديونوسوس إله الخمر. وقد برع في نظمه أريون Arion في نهاية القرن السابع ق.م.

إنتاج اسخولوس، وهي: (١) بساطة الفعل؛ (٢) سيادة الكورس إلى درجة أنه يلعب الدور الرئيسي في المسرحية من أولها إلى آخرها؛ (٣) استفاضة الجانب الغنائي.

- (٣) -

خلاصة المسرحية

وخلاصة الاسطورة التي استلهمتها مسرحيتنا هذه هي:

كانت إيو كاهنة للإلهة هيرا في مدينة أرجوس. وقد أحبها زيوس فغارت منها هيرا، زوجة زيوس، وانتقمت منها بأن حوّلتها إلى بقرة. ومع ذلك استمر زيوس في وطنها وهو على شكل ثور. هنالك أرسلت هيرا عليها نعرة (ذبابة شديدة اللسع) راحت تطاردها مما جعل إيو يصيبها الجنون. فراحت تذرّع أوروبا وآسيا وهي في هذيان شديد، دون أن تتمكن من الهدوء لكي تضيع الأبن الذي أنجبه منها زيوس. وبعد تشرد طويل وصلت إلى مصر. وهنا لَمَسَ زيوس جبينها ونفخ على وجهها. فهدأ شرورها وهذيانها في الحال، واستعادت شكلها الأصلي، وولدت ولدًا هو إيافوس (ومعناه باليونانية: اللمس، إشارة إلى لمس زيوس لجبين أمه إيو). ومن إيافوس هذا انحدر ملوك مصر.

ومن سلالة إيافوس كان داناوس وإيجيتوس، وقد تنازعا المُلك في مصر. وكان لداناوس خمسون بنتاً، كما كان لإيجيتوس خمسون ولدًا ذكراً. ولما كان داناوس هو الملك، فقد أراد إيجيتوس أن يضمن لأبنائه الخمسين وراثته عرش داناوس. ولتحقيق هذه الغاية اقترح على داناوس أن يتزوج أبنائه الخمسون من بنات داناوس الخمسين. فلم يرضَ داناوس. فقامت الحرب بين كليهما. فانتصر إيجيتوس على داناوس. فهرب هذا الأخير ومعه بناته على سفينة ذات الخمسين مجدافاً قاصداً مدينة أرجوس (في بلاد اليونان)، وأهلها من الهلاجيين. والتمسوا أن يجيروه هو وبناته. فوافق الهلاجيون على حمايتهم وإيوائهم. ومن ناحية أخرى لما علم إيجيتوس وأبنائه بهرب داناوس من مصر، توجهوا في سفينة إلى أرجوس لاسترداد الفتيات واعادتهن إلى مصر للزواج منهن. ولما نزلوا إلى أرجوس، تظاهر

داناوس بالاستسلام وتزويج بناته من أبناء عمّهن ايجبتوس . ثم أمر كل واحدة من بناته بأن تقتل زوجها في فراش الزوجية في أول ليلة تتلو مراسم الزفاف؛ ولهذا أعطى كل واحدة منهن خنجراً لتنفيذ هذا الأمر . وأطعن جميعاً ونفذن هذا الأمر، باستثناء واحدة اسمها: هوپرومسترا فإنها لم تقتل زوجها لونيقياً . فقام هذا بالانتقام فقتل داناوس ثم سائر الفتيات التسع والأربعين . ومن كليهما انحدرت السلسلة الملكية في أرجوس ، ومنذ ذلك اليوم صار الهلاجيون يسمّون باسم: الدانائيين .

- (٤) -

مغزى المسرحية

والمعنى السائد في المسرحية هو: وراثة الشقاء . فالشقاء الذي حلّ بـايو توارثته سلالتها في جنس داناوس ، الذي عانى الكثير من الكوارث الرهيبة .

لكن الآلهة - وعلى رأسهم زيوس ، رب الأرباب - ليسوا غير مكترئين بمصير الانسان . بل هم يحاولون نجدته في إبان محنته . ومن هنا نجد زيوس يعطف على سلالة داناوس ، ويخلصهم ذات يوم من المصير القاسي الذي فرضته الوراثة عليهم .

وما عاناه أبناء دانوس وسلالة إيو من العذاب يكوّن الجانب المأساوي الرهيب في مسرحية اسخولوس هذه ، وهو ما يجعل كل كلمة في أفواه بنات الكورس تفيض أسى وتثير الرحمة في قلوب المشاهدين . وفي هذا ما يعوّض عن خلو المسرحية من العقدة ومن الأحداث المثيرة .

كذلك يعوّض عن هذا الخلو الرسم الدقيق للشخصيات :

١ - الفتيات الفزعيات من الزواج لأسباب لم تبين صراحة في شكاتهن ونواجهن . وهو مسلك راح الباحثون يضربون أخماساً لأسداس من أجل تفسيره ، لأنه ليس من طبيعة المرأة أن تكره الزواج . فهل كان ذلك امتثالاً لأمر أبيهن داناوس الذي خشي من أن يؤدي هذا الزواج إلى أن يرث أبناء أخيه - وخصمه اللدود في وقت واحد معاً - عرش داناوس في مصر؟ ربما كان هذا أحق التفسيرات بالاقناع . . وبهذا يكون موقفهن هذا مزيجاً من اطاعة الأولاد لمشيئة ابيهم أو

أبيهن، ومن الحكمة السياسية. - ومع ذلك نجدهن في آخر المسرحية يتخلّين عن آلهتهن المصريين، آلهة النيل، ويتوجهن بالدعاء والنشيد إلى آلهة اليونانيين - وهو عذر لا يغتفر.

٢ - داناوس، اكبرهن، وقد كشف عن حكمة بارعة أمام القوة القاهرة لأبناء أخيه، وعن احتيال فعال في ترتيب المؤامرة التي أودت بأبناء أخيه. والمغزى المستخرج من هذا هو: تظاهر بالاستسلام أمام القوة القاهرة للعدو، وفي الوقت نفسه ذبّر حيلة للانتقام منه والتغلب عليه.

٣ - ملك أرجوس: والمسرحية لا تذكر اسمه، بل صفته فقط: ملك أرجوس. وفيه تتمثل الشهامة بإجارة هؤلاء المستجيرات، والفتنة العملية بمحاولة تجنب الحرب ضد الغزاة: أبناء إيجيتوس الذين جاءوا لاسترداد الفتيات الهاريات من الزواج بهم.

٤ - المنادي الذي أرسله هؤلاء الغزاة ليفاوض - أو يقسر - هؤلاء الفتيات على العودة إلى مصر. وهو يتصف بالوقاحة والتحدي شأن أمثاله الذين يتولون مثل مهمته.

٥ - ووراء هؤلاء الأشخاص من بني الإنسان يتخذ الآلهة مواقفهم منهم: فزيوس يحمي إيو وسلالتها، أعني داناوس وبناته؛ وأفروديت تتدخل لصالح هوبرمسترا التي عصّت أمر والدها فلم تقتل زوجها؛ وأرتميس تحمي العفة وتتبنى قضية هؤلاء الفتيات اللواتي يفزعن من الزواج، وهيرا إلهة الزواج والأمانة الزوجية، ودورها سائد في المسرحية كلها من وراء الستار.

وأخيراً نرى أنه لا محلّ لاستخلاص رأي اسخولوس من الزواج اعتماداً على هذه المسرحية، كما ذهب البعض، لأن اسخولوس لم يتعرض فيها لهذه المسألة لا تصريحاً ولا تلميحاً.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في ١٠ فبراير ١٩٩٥

«المُسْتَجِيرَات» شخصياتُ المسرحية

كورس من الدانائيد وخادماتهن

داناؤس حفيد حفيد ايافوس Danaos

پلاسجوس، ابن بالايختون، ملك أرجوس، ويسمى: الملك

منادي مصري

(من عمق الأوركسترا رابية تحمل عليها مذبحاً وتمائيل آلهة. يدخل الكورس: خمسون أميرة لهن أقنعة ذوات هالة ومزينات بأشرطة وبراقع على طريقة الأجانب. وخمسون تابعة يصحبهن)^(١)

رئيسة الكورس: ليت زيوس الشفيح يلقي نظرة حنوناً على هذه الجماعة الشاردة، التي ارتحلت سفينتها من مصب النيل ذي الرمل الناعم!

بعيداً عن أرض زيوس^(٢) التي تتاخم البلاد السورية، نحن نهيم على وجوهنا بوصفنا منفيّات؛ وليس ذلك لأن مدينة قد أصدرت ضدنا حكماً بالنفي جزاءً وفاقاً للدم المسفوح؛ وإنما لأننا مملوءات بالفزع الفطري من الانسان^(٣)، ولهذا فنحن نكره الزواج من أبناء مصرايم ونكره جنونهم الفاسق.

وداناوس، الذي يلهم كل خططنا، والذي ألهم تمرّدنا، قد وزن الضربات، ومن بين الآلام اختار الألم الذي أنقذ - على الأقل - مجدنا، أعني: الفرار المستمر خلال أمواج البحار والنزول على شواطئ الأرجولين، مهد جنسنا، الذي نفخر بأنه جاء إلى العالم من البقرة التي تدور وفقاً للنعرة تحت لمس ونفّس زيوس^(٤).

(١) بنات داناؤس Danaos الخمسون، مصحوبات بتابعاتهن، وهن معاً يكوّن الكورس - قد جئن ليستجرن بملك أرجوس كي يهبهن المأوى والمساعدة، ومن هنا جاء عنوان المسرحية.

(٢) أرض زيوس - مصر؛ وفيما بعد سنتعت هكذا: «أرض زيوس التي تنمو فيها كل أنواع الفاكهة».

(٣) النص اليوناني غير واضح؛ لكن المعنى الذي اعتمد عليه في الترجمة مستمد من التصور العام لدور الداناتيات في ثلاثية اسخولوس.

(٤) هناك إشارة إلى الأسطورة التالية: ابو Io كاهنة هيرا في أرجوس، قد أحبها زيوس. فغارت منها زوجته هيرا، وانتقم منها بأن حولتها إلى بقرة. ومع ذلك استمر زيوس في مناشدتها وهو على

في أي بلد مناسب لنا نستطيع إذن أن ننزل ونحن على هذه الصفة، أذرعنا متوسّلة، ومعنا أغصان ملفوفة بالصوف^(١)؟

ألا ليت هذا البلد، وأرضه ومياهه الصافية، - وبأليت الآلهة السماوية والآلهة الأرضية ذوات التارات الثقيلة، من آلهة المقابر^(٢)، - وليت زيوس المنجّي، الذي يحرس بيوت العادلين، - يتفضل بقبول هذه الجماعة من النساء بوصفهن متوسلات إليهم، في هذا البلد الذي يستروح أنفاس الرحمة؛ وقبل أن يطأ الذكور الوُقحاء - على هيئة كوكبة مندفعة - المنحدرين من صُلب مصرايم Egyptos، هذه الأرض الغربية قادمين على سُفُنهم السريعة - أستحلفك أيتها الآلهة أن ترديهم إلى وسط البحر، وأن يصطدموا ببحر متوحش وأن يهلكوا، وهم في عذاب من العواصف القاتلة، وبين الرعود والبروق، تتقاذفهم الرياح المحملة بالأمطار قبل أن يستعبدوا - على الرغم من السماء التي تحميهم - بنات أخي والدهم، بالصعود إلى أسرة لا تريدهم!

الكورس: لكن أولاً صوتي وراء البحار سيدعو مُعيني: وهو الثور الشاب المولود من زيوس ومن البقرة التي شوهدت هنا وهي ترعى الأزهار؛ وتحت أنفاس زيوس، وتحت الملامسة التي أعطته اسمه - تمّت المدة المحدّدة «للپاركات»^(٣) وضعت إيو ابنها إپافوس. . وبمناشدتي لهذا الاسم، وبأن أعيد اليوم ذكر بلاياه الماضية في نفس الأماكن التي فيها كانت ترعى جدتي العفيفة - سأزود هذا البلد بأدلة وعلائم على ميلادي، ومهما تكن غير متوقعة فإنها ستبدو مع ذلك جديرة بالتصديق: وسيرى الناس ذلك إن شاؤوا سماعي.

شكل ثور. هنالك أرسلت عليها هيرا نعرة (ذباية) تعاكسها وتطاردها، واصابها الهديان؛ وراحت تجري تارة في أوروبا وتارة في آسيا دون رحمة وهدوء يمكنها من ان تلد المولود الذي حملت به من زيوس. وبعد شرود طويل، وصلت الى مصر. وهنا لمس زيوس جبهتها ونفخ على وجهها فتوقف شرودها في الحال، واستعادت شكلها الأصلي وولدت ولدأ هو إپافوس Epaphos معناه «لمس» زيوس ومن إپافوس، ابن زيوس هذا، انحدر كل ملوك مصر.

(١) تقضي الشعائر بأن المتوسل يحمل غصن زيتون طويلاً ومستقيماً، ملفوفاً بأشرطة من الصوف الأبيض.

(٢) أي الأبطال الذين يحمون البلد الذي فيه قبورهم.

(٣) مدة الحمل، وكانت طويلة جداً بالنسبة الى إيو. لكن ملامسة زيوس لها وضعت حداً لهذه المدة، فولدت إپافوس (= في اليونانية: اللمس) ومن هنا جاء اسمه. والثور الشاب المولود من زيوس ومن البقرة هو إپافوس هذا، وقد شبّه بعجل إيس.

وإذا كان بالقرب مني انسان يستطيع فهم نشيد الطيور، وسماع شكواه، فإنه سيعتقد أنه يسمع صوت زوجة تيريه^(١)، المثير للشفقة في ندمه، صوت البلب الذي يطارد الصقر.

لقد طُرِدت من مقامها القديم، وها هي ذي تبكي بحرارة مسكنها المؤلف وهي تردد موت ابنها، وكيف هو تحت يدها وهي أمه، تحت ضرباتها هي، فريسة أمٌ فقدت صوابها.

وهكذا أنا بدوري ملزماً أن أنوح على أنغام ايونيا، وأن امزق خدي الذي نضج على شمس النيل وقلبي الحديث العهد بالدموع. إن باقة من الزفرات تعبر عن مخاوفي: فهل أجد ها هنا إخوة مستعدين للسهر على منفاي بعيداً عن الأرض ذات الضباب^(٢)؟

هيا! أي صانعي ميلادي الإلهيين! أنتم ترون أين الحق. فأعينونا. أو إذا كان المصير لا يريد للحق أن يتوافر بأكمله، فعلى الأقل، في كراهيتكم المتأهبة دائماً لضرب تجاوز الحدود، تبيينوا عدالتكم في مواجهة هذا الزواج. حتى بالنسبة الى الهاربين الذين عدبتهم الحرب^(٣)، يوجد أمان لهم ضد الشقاء في المذبح الذي تقيم فيه جلالة الآلهة.

أه! لو كانت الخاتمة يمكن ان تكون تلك التي تطمح إليها أمانينا! إن رغبة زيوس من العسير ادراكها. لكن مهما يحدث، فإنها تتلأأ فجأة، وأحياناً في وسط الكلام^(٤)، مصحوبة بعقاب أسود، في عيون أناس زائلين.

(١) تيريه Térée: ملك تراقيا تزوج من پروكنيه، بنت بنديون ملك أثينا. وأرادت پروكنيه أن تحضر بالقرب منها أختها فيلوميلا. فأغرم بها تيريه وانتهاك عرضها، وكي يمنعها من أن تخبر بذلك أحداً فإنه قطع لسانها. ومع ذلك وجدت فيلوميلا وسيلة لإخبار أختها بما فعل زوجها وانتقمت كلتاها بأن قدمتا إليه أعضاء جسم ابنه اتوس Itys ليأكلها. ومنذ ذلك الوقت وقد تحوّل الى صقر، فإن تيريه يطارد دائماً پروكنيه وقد تحولت الى بلب، وفيلوميلا وقد تحولت الى سنونو. وفي رواية أخرى لهذه الاسطورة يتحول تيريه الى هدهد، وپروكنيه الى سنونو، وفيلوميلا الى بلب.

(٢) المقصود هو مصر، لكن المعنى الدقيق لهذا الوصف الذي ينطبق على بلاد أخرى، ليس مؤكداً عندنا، ولا كان مؤكداً عند الأقدمين الذين اقترحوا تفسيرات أخرى.

(٣) لم يهرب داناؤس وبناته صوب اقليم أرجوس إلا بعد حرب بائسة ضد ابناء مصرائيم.

(٤) إن المذنب يظن ان ليل النسيان يحميه، وإذا به يشاهد فجأة في الظلام ارادة زيوس المنتقمة - ومن الممكن ايضاً أن يكون اسخولوس يشير هنا الى الليلة الدامية التي يجب أن تهلك بها كل ابناء مصرائيم.

إن المصير الذي قرره زيوس بعلامة على جبينه يهوي رأساً على استقامة، ولا يذهب ابداً إلى الأرض، بعد أن قرر أنه لا بد حدوثه. إن طرق الفكر الإلهي تمضي إلى الهدف خلال التواءات وظلال كثيفة لا تستطيع أية نظرة أن تنفذ فيها. إن زيوس يلقي بالفانين من أعلى آمالهم الفخمة - في العدم؛ لكن دون أن يتسلح بالعنف: لا شيء يكلف الإله مجهوداً. إن فكره يتربع على القمم العالية، ومن هناك يحقق أغراضه، دون أن يغادر كرسيه المقدس.

فيليق إذن نظرة إلى تجاوز الحدّ عند بني الانسان، وقد تجسّد من جديد في الجنس - من أجل أن يحصل على الزواج - تفيض منه أفكار جنونية منحوسة! إن شعوراً متولداً من الهذيان ينخسه بمنخاس لا يقاوم، فيذكر الماضي ويقع في شرك أتيه Até.

(يبدأ الكورس في محاكاة عنيفة يتضايق منها الآلهة الذين يتوسل إليهم. فهو يمزق ملابسه، ويصاحب كل مقطع برقصة وحشية).

تلك هي الآلام المعززة التي تعبّر عنها صرخاتي الحاقدة، وزفرااتي الخرساء، وسيول الدموع التي تفيض مني، وحتى هذه الصيحات التي تميّز الأناشيد الجنائزية: إنني، وأنا حيّة، أعزف نشيدي الجنائزي.

كوني مواتية لنا، يا أرض أپيس Apis^(١) الجبلية، هل تسمعيني جيداً، أيتها الأرض، على الرغم من لهجتي الأعجمية^(٢)؛ وبدون توقف تهوي يدي على نقابي الصيداوي لتمزق تيله إرباً إرباً.

نحو السماء ترتفع حشود من الأقسام^(٣)، وأماني الشكر، حينما يكون الموت هناك وهو يهدّد. وا أسفاه. رياح غير دقيقة! إلى أين ستحملنا هذه الأمواج؟

كوني مواتية لنا، يا أرض أپيس الجبلية! - هل تسمعيني جيداً، أيتها الأرض، على الرغم من لهجتي الأعجمية؟ - وبدون توقف، تهوي يدي على نقابي الصيداوي لتمزق تيله إرباً إرباً!

(١) راجع عنها ما سيقوله الملك فيما بعد (ص ٤٩).

(٢) نحن هنا بإزاء تعزيمات سحرية. وهذا النوع من التعبير لا يؤثر إلا إذا كانت التعزيمة منطوقة بتنغيم صحيح. والداناييد يخشون أن تحول لهجتهم الأجنبية دون أن تسمع أرض أرجوس نداءهن.

(٣) جمع: قسم (بفتح الفاف والسين): حلف.

لا شك في أن المجاذيف، والسفينة ذات الألواح المخرومة بالحبال والتي توقف هجوم الأمواج - قد اقتادتني إلى هنا دون عواصف، وذلك بمساعدة النسيم، ولا شكوى لي من هذا. لكن الخاتمة التي أرجوها ألا ليت «الأب» الذي يرى كل شيء يمنحني إياها بجوده!

ألا ليت البنات اللواتي انجبتهن أمٌ جليلة يُفْلِتَن من معانقات الذكور، وهن حرائر من الزواج، وحرائر من القيود!

ويا ليت بنت زيوس العفيفة^(١)، والرحيمة لمن ينشد رحمتها، تُنزل من وجهها العبوس نظرة تؤكد نجاتي! ويا ليتها بكل قوتها. وقد غضبت من مثل هذه المطاردة - وهي العذراء، تنقذ عذراء!

ألا ليت البنات اللواتي أنجبتهن أمٌ جليلة يُفْلِتَن من معانقات الذكور، وهن حرائر من الزواج، وحرائر من القيود!

وإلاً فإننا، بشراتنا التي لَوّحتها ضربات الشمس، سنمضي - والأغصان المستجيرة في أيدينا - نحو زيوس العالم السفلي، زيوس المعنيات للموتى: وسنشوق أنفسنا، ما دامت أصواتنا لم تستطع بلوغ آلهة الأولمب.

أيّ زيوس! إنها إيو Io - وا أسفاه - هي التي تطاردها في أشخاصنا - غضبة إلهية: إني أتبين أن غيرة زوجية^(٢) تتغلب على السماء كلها. إنها عنيفة، العاصفة التي سيصدر عنها الإعصار^(٣)!

حينئذ سيُسلم زيوس إلى روايات تصف ظُلمه، لأنه احتقر ابن البقرة الذي أنجبه هو، والذي يشيح عنه في ساعة الأدعية والصلوات. ألا ليته، بدلاً من ذلك، يستجيب من أعلى السموات لدعاء أولئك الذين يدعونه!

أيّ زيوس! إنها إيو Io هي التي تطاردها في أشخاصنا غضبةً إلهية. إني

(١) هذه الصفة تدل بوضوح على أن المقصودة هي أرتميس، إلهة العفة.

(٢) غيرة هيرا من غرام زوجها زيوس بإيو.

(٣) عنف العاصفة التي تؤذن بالإعصار يسمح بالتنبؤ، بأن هذا الإعصار سيكون رهيباً ولا يمكن أن يصدر إلا عن هيرا. والعاصفة هنا يقصد بها الحرب التي طردت الدانائيد من مصر؛ والإعصار هو المصير الذي ينتظر الآن هؤلاء الهاربات.

أتبين أن غيرة زوجية تتغلب على السماء كلها. إنها عنيفة، العاصفة التي سيصدر عنها الإعصار.

(داناوس، وقد دخل في الأوركسترا خلف الفتيات يصعد على الأرض المرتفعة، التي منها ظل يرقب الأفق طويلاً وفجأة يوجه الكلام الى الكورس، فيقول:)

داناوس: يا بنات، الاحتياط يجب أن يكون قانوننا: إن الأب العتيق - بوصفه مرشداً محتاطاً تثقن فيه - هو الذي اقتادني الى هنا؛ والآن، ونحن على الأرض، فإن تحوُّطي يدعوكن الى مراعاة آرائي ونقشها جيداً في قلوبكن. إنني أرى غباراً هو بمثابة رسول صامت يعلن عن جيش. إن عجالات تصرخ وتجرّها خيولها، وأتبصر فرقة تحمل الدروع، وجيشاً من الرماة، يمتطون خيولاً وعربات ملتوية.

- لا شك في أن زعماء هذا البلد قد جاؤوا للفحص عنا، وقد نبههم أحد الرُّسل. وسواء أكان من يقود حملة هذه الفرقة يأتي إلى هنا بدون نية سيئة، أم كان على عكس هذا - قد شحذ غرائز قاسية - فإن الأفضل - أخذاً بالأحوط - يا بناتي، ان تجلسن على هذه الرابية المقدسة المكرّسة لآلهة المدينة. إن المذبح يذرع لا يُمس، وهو لذا أمتع من أي تحصينات. هيا، أسرعن، وأمسكن بأذرعكن اليسرى بالتيجان البيض المؤلفة من الأغصان، وهي شارات لزيوس المستجار به، وأجبنّ على الأجانب بعبارات مستجيبة، نائحة، متضرّعة، كما هو اللائق بالفارات، قائلات بوضوح إن منفاكن ليس مضرّجاً بالدم. وليس لصوتكن أن يتخذ لهجة التوكيد؛ ولا تقرأن في نظراتكن الهادئة أية علامة على الوقاحة، ولا على وجوهكن التي لا بد لجباهها أن تلتزم التواضع. وأخيراً لا تسرعن إلى أخذ الكلام، ولا إلى التمادي في القول طويلاً: فإن القوم ها هنا سريعون في الانفعال. وتعلمن التسليم والرضا، فأنتن أجنيات، منفيات وفي محنة: إن الكلام الشديد الثقة بنفسه لا يليق بالضعفاء.

رئيسة الكورس: أيها الأب، أنت تتكلم عن الاحتياط مع بنات محتاطات: وسأحرص على تذكر نصائحك الحكيمة. لكن، ليت زيوس، جدنا الأعلى، يلقي نظرة عطف علينا!

داناوس: أجل، ليته يتعطف علينا بنظرة رحيمة.

رئيسة الكورس: ليشأ هذا فقط، يتته كل شيء على وفق مرامنا.

داناوس: إذن لا تبطىء، واتبع نصيحتي.

رئيسة الكورس: بوذي أن أكون جالسة الى جانبك. (يصعد الكورس على الرابية ويحيي أولاً تمثالاً لزيوس). إيه يا زيوس! ارحم آلامنا، قبل أن ننهار تحتها!

داناوس: توجهن بالدعاء أيضاً إلى ابن زيوس المائل أمامكن.

رئيسة الكورس: إنني أحيي الأشعة المنجّية التي للشمس.

داناوس: التي هي أيضاً أبولون الطاهر، الإله الذي نُفي في الماضي من السماء.

رئيسة الكورس: إنه لا بد يتعاطف مع مصير قد عرفه وجربه.

داناوس: فليتعاطف إذن وليساعدنا بإحسانه!

رئيسة الكورس: مَنْ مِنْ هؤلاء الآلهة ينبغي عليّ أن أتوجه إليه بالدعاء أيضاً؟

داناوس: إنما أشاهد هناك شوكة ذات ثلاث أسنان، هي شارة أحد الآلهة^(١).

رئيسة الكورس: كما اقتادنا إلى هنا، فليتفضل باستقبالنا والترحيب بنا ها هنا.

داناوس: وها هوذا أيضاً هرمس على الطريقة اليونانية^(٢).

رئيسة الكورس: آه! ليته يخبرنا برسالة جميلة، رسالة الحرية!

داناوس: وإلى كل سادة هذا المذبح المشترك توجهن جميعاً بتحية الولاء. لكن اجلسن في المعبد، مثل سرب من الحمام يفتر من صقور. - هي مع ذلك

(١) المقصود هو إله البحر: فوسيدون.

(٢) ذلك لأن المصريين يمثلونه بشكل آخر مختلف تماماً عن اليونانيين. فهرمس المصري - وهو الإله تحوت - رأسه مثل رأس أبو قردان. والدانايد يتعرفن هذا الإله من عصاه التي هي عصا المنادي والرسول.

إخوة لها تحولوا الى أعداء، ويريدون أن يتنجسوا بجريمة يرتكبونها في حق جنسهم. وهل يبقى الطائر طاهراً إذا أكل لحم طائر؟ فكيف يمكن إذن أن يكون طاهراً من يريد أن يتزوج من امرأة على الرغم منها ومن أبيها؟ كلا، وحتى في العالم السفلي هو لن يفلت ابداً من رئيس الفجور إذا كان هذا هو سلوكه. . وهم يقولون^(١) في هذا إنه يوجد زيوس آخر هناك يحكم على كل الخطايا عند الموتى بأحكام عليا. - فاعملن على الاجابة بهذا المعنى^(٢)، إن شئتَ الانتصار لقضيتكن.

(الملك يدخل على عربة، يتبعه حراس مسلحون)

الملك^(٣): من أين أتت هذه الجماعة التي تلبس ملابس لا تشبه ملابس اليونانيين، وعليهن أثواب فاخرة وأشرطة أجنبية واللواتي أتحدث إليهن ها هنا؟ ليست هذه أزياء النساء في أرجوس، ولا في أي بلد من بلاد اليونان. أما أنكن قد تجاسرتن على المجيء إلى هنا دون مناد ولا ممثل دولة^(٤) - ولا مرشدين! - فهذا هو الأمر الذي يثير دهشتي. صحيح أنني أشاهد معكن أغصان استجارة موضوعة بحسب الشعائر عند أقدم آلهة المدينة: وفي هذا فقط يمكن الافتراض أن بلادكن هي بلاد اليونان. لكن ثمت ما يبرر افتراضات أخرى؛ لكنك أنتِ ها هنا، فتكلمي واشرحي.

رئيسة الكورس: أنت لم تخطيء فيما يتعلق بشيأنا. لكني أنا مع من أتكلم هنا؟ هل أنت مواطن، هل انت منادٍ يحمل عصا مقدسة؟ هل أنت رئيس المدينة؟

الملك: في هذا تستطيعين أنت أن تجيبي عليّ وأن تكلمي بكل ثقة وأمان: إنني ابن پالايختون Palaichton الذي وُلِد من الأرض، أنا پيلاسجوس Pelasgos، الرئيس الأعلى لهذا البلد؛ وشعب الپيلاجيين الذي يزرع هذه الأرض قد اتخذ اسم مَلِكِه. أنا سيّد هذا البلد كله، الذي يخترقه نهر الاسترومون Strymon المقدس، ابتداءً من شاطئه الغربي. إنني أملك أراضي پرييس Perrhebes، وجبال دودونا إلى

(١) إن ما يشعره الدنايد من فزع طبيعي تجاه أبناء مصراميم يحملهن على أن يحسبن الشهوة مسلماً سيذكرن للملك فيما بعد أسبابه الحقيقية وهي الطمع والجشع. وداناوس يأخذ بآرائهن.

(٢) إشارة الى العقائد الأورفية والفيثاغورية.

(٣) اسم الملك هو: پيلاسجوس Pelasgos، كما سيقول هو فيما بعد.

(٤) هو ممثل مدينة أجنبية في مدينته هو، أي الوكيل القنصلي بالمعنى الحديث. وهو يمثل المدينة (الدولة) الأجنبية أمام السلطات السياسية في مدينة أو أمام المحاكم، وفي العلاقات التجارية.

النقطة التي عندها تكوّن مياه البحار حدودي: وكل ما هو من هذا الجانب ملك لي. أما بلد أپيس Apis فإن هذه الأرض قد اتخذت هذا الإسم (= أپيس) تذكّاراً لطبيب كان يعيش في الأزمنة القديمة، وهو ابن أپولون، وهو نبيّ طبيب جاء من الساحل المجاور لنوبكت، من اجل تنظيف هذه المنطقة من الوحوش القاتلة لبني الإنسان، وهي بلايا أطلقتها الأرض ذات يوم لما أن غضبت من النجاسات التي نجستها بها جرائم قتل قديمة - إنها أفاع متعدّدة، ورفاق قاسية. فجاء أپيس Apis وبواسطة أدوية حاسمة حرر البلاد كلها بطريقة حاسمة، وكان كل أجره عن هذا هو أن اسمه كان يذكر في أدعية وصلوات أهل أرجوس. لديك الآن ما يكفي لتعرف من أنا. فخبّرني أنت من هو جنسك، وقولي لي كل شيء، لكن لا تُنسي أن هذا البلد يكره إله الكلام.

رئيسة الكورس: سأتكلم بإيجاز ووضوح. إننا نتشرف بأننا من جنس أرجوس، وننحدر من بقرة ولود. كل هذا حق، وإذا تمكنت من الكلام فسأتمكن من إثبات ذلك.

الملك: لغتكن، أيتها الأجنبيات، تبدو غريبة على أذني: من أين أتاكُن هذا الأصل؟ إنكُن تشبهن الليبيات أولى من أن تشبهن الأرجوسيات. إن (نهر) النيل يستطيع أن يروي مثل هذه النباتات. ثم إن النمط القبرصي الذي يطبع - كما في القالب - الذكور في أرحام النساء، يشبه نمطكن. ولقد سمعت أيضاً عن هنديات رخالات، يركبن الجمال على سروج ذات مساند للظهر (هوادج) خلال مناطق تجاور الحبشة. أو أمازونات، هن عذراوات يأكلن اللحم! - بهن أشبهكن أيضاً لو كنتن تحملن أقواساً. لكن خبّرني حتى أفهم جيداً كيف يمكن ان يكون أصلكن ودماءكن يمكن أن تكون أرجوسية.

رئيسة الكورس: ألا يقولون أنه كانت توجد هنا، في اقليم أرجوس، حارسة على معبد هيرا، اسمها إيو Io؟

الملك: نعم، لا شك في هذا، وقد استقرت التقاليد على هذا.

رئيسة الكورس: ألا توجد رواية تقول إن زيوس أحبها، على الرغم من أنها إنسانة فانية؟

الملك: وعلاقتهما الجنسية لم تغفل عنها عيون هيرا.

رئيسة الكورس: وكيف انتهى النزاع الملكي؟
الملك: إلهة أرجوس حوّلت المرأة (إيو) إلى بقرة.
رئيسة الكورس: وهل استمر زيوس في الثّراء على البقرة ذات القرنين؟
الملك: يقال هذا، وهو على شكل ثور كثير الثّراء.
رئيسة الكورس: فماذا صنعت حينئذ زوجة زيوس العنيدة؟
الملك: وضعت لدى البقرة حارساً يشاهد كل شيء.
رئيسة الكورس: ومَن كان هذا الحارس الذي يشاهد كل شيء، وكان مرتبطاً بالبقرة وحدها؟
الملك: إنه أرجوس، ابن الأرض، وقد قتله هرمس.
رئيسة الكورس: وماذا دبّرت هيرا إذن للبقرة المسكينة؟
الملك: حشرة تثير الجنون وتطارد البقر.
رئيسة الكورس: بالقرب من النيل الناس يقولون إنها «نُعرة»!
الملك: وهذه النُعرة طردتها من أرجوس وساقتها الى أسفار لا نهاية لها.
رئيسة الكورس: في هذا أيضاً تتفق روايتك مع روايتي!
الملك: وأخيراً وصلت الى كانوب وممفيس.
رئيسة الكورس: حيث لمسها زيوس بيده، وعلى هذا النحو أُتس جنسها.
الملك: أي ثور، هو ابن زيوس، يتشرف بأن أمه هي البقرة؟
رئيسة الكورس: إنه ايبافوس Epaphos، واسمه الحقيقي يعبر عن خلاص إيو.
الملك: ومَن وُلد إذن من ايبافوس؟
رئيسة الكورس: ليبيا^(١)، الذي يملك الجزء الأكبر من أجزاء العالم.

(١) Libye (وينطق في اليونانية: لبوا) كانت تعني عند اليونانيين القدماء كل افريقيا المملومة عندهم، باستثناء مصر والحبشة. راجع مقالنا: «ليبيا في مؤلفات أرسطو»، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، سنة ١٩٦٩.

الملك: وما هو الفرع الآخر الذي خرج منها؟

رئيسة الكورس: بيلوس Belos الذي أنجب ولدين، وكان أباً لأبي.

الملك: وما هو الاسم الذي أُطلق على حكمته؟

رئيسة الكورس: داناوس Danaos، وله أخ هو والد لخمسين ولداً.

الملك: اذكر لي اسمه، ولا تبخل عليّ بشيء.

رئيسة الكورس: اسمه: اجيبتوس^(١) Agyptos. . . والآن صرت تعرف أصلي

القديم: فعامل إذن الجماعة الماثلة أمامك هنا على أنهم أرجوسيات.

الملك: يلوح في الواقع أن لكن روابط قديمة مع بلدنا. لكن كيف تجاسرتن

على ترك قصر أبيك؟ وأي مصير انقضّ عليكين؟

رئيسة الكورس: يا ملك البيلاجيين، إن المصائب الإنسانية لها أشكال

مختلفة: ولا يوجد أبداً نفس النوع من الألم. مَنْ كان يتصور أن هذا النفي غير

المتوقع سينزل في أرجوس قوماً كانوا في الماضي إخوة لقومك وينقلهن الى هنا

بسبب الخوف من فراش الزوجية؟

الملك: ماذا تطلبين إذن من آلهة المدينة، بوصفك مستجيبة، ومعك هذه

الأغصان الحديدية القطع تلقها الأشرار البيض؟

رئيسة الكورس: أريد ألا أكون عبدة لأبناء مصرائم.

الملك: هل هي مسألة كراهية؟ أو تقصدين أن تقولي إنهم سيجلبون عليكين

مصيراً خسيماً؟

رئيسة الكورس: مَنْ ذا الذي يحب سادة عليه أن يشتريهم^(٢)؟

الملك: بهذه الطريقة يمكن زيادة قوة البيوت.

(١) عزيناه باسم: مصرائم، كما يرد في كتب التاريخ والأخبار العربية القديمة.

(٢) إشارة الى نظام «البائنة» المتبع في الزواج في أوروبا منذ أقدم العصور حتى اليوم والذي بموجبه تلتزم الزوجة بدفع بائنة (دوطا، كما يقال في اللغة العامية في مصر، تعريباً لكلمة dota, dot الخ، . لزوجهها، بعكس ما هو جار في الشريعة الإسلامية من ان الزوج هو الذي يلتزم بدفع «مهر» للزوجة.

رئيسة الكورس: وأن يعثر ايضاً على رداء سهل للبرس!
الملك: كيف أستطيع معكم أن أتجاوب مع قانون الآلهة؟
رئيسة الكورس: إن طالبوا بي: فلا تُسلمني إلى أبناء مصرائيم.
الملك: هذه كلمات سخيفة! معناها شئٌ حرب غير موثوق بنتيجتها!
رئيسة الكورس: إن العدالة تحارب في صفٍ من يدافع عنها.
الملك: نعم، إن كانت منذ أول يومٍ معكن.
رئيسة الكورس: احترم مثل هذه القرايين المقدمة الى السفينة الأرجوسية.
الملك: إني أرتعد حين أشاهد مذابحنا تظللها هذه الأغصان.
رئيسة الكورس: اعترف بأنه من المخيف ايضاً غضبة زيوس المستجير!
الكورس: إيه يا ابن بالايختون، يا أمير الهيلاجيين! أعرني قلباً مليئاً بالإحسان. شاهد هنا مستجيرة، هاربة شاردة، شبيهة بالبقرة التي يطاردها الذئب، والتي تستجير بالصخور العاتية، ثم تخور وتروي آلامها لمراعئها.
الملك: إني أشاهد في ظل الأغصان المقطوعة حديثاً - مؤنات غريبات أمام آلهة مدينتي. يا ليت قضية هؤلاء المواطنين - الأجنيبات لا تخلق متاعباً وحاشا أن ينتج عن ذلك، وفجأة، وبغطة، منازعات مع أرجوس: فإن أرجوس ليست بحاجة الى ذلك.

الكورس: أجل وحتى لا يخلق منفانا مصائب، يا ليت أرتميس المستجيرة - بنت زيوس الذي يقسم المصائد^(١) - تلقى علينا بنظرة!

على الرغم من سنك ومن علمك، فتعلم هذا بمن هو أصغر منك سناً: إن الفلاح والنجاح سيكون من حظ من يوقر المستجير؛ والمعابد الإلاهية المفتوحة

(١) فيما خاطب الملك الشعب عند أقدام آلهة المدينة، فإنه يذكر صورة المرشد البحري الذي يمسك بسكان سفينة الدولة.

(٢) كثيراً ما تستخدم أرتميس كناتبة عن زيوس، فتتخذ - وفقاً للأحوال - هذا الشكل، وذاك من أشكاله. وهي هنا تمثل زيوس المستجير، وبهذه الصفة تطلب من زيوس مقسم المقادير ان يمنح الفلاح والنجاح الموعد به لمن يحترم المستجيرين.

لتلقي القرايين لا تتقبل قبولاً حسناً إلا ما تتلقاه من انسان فإن لم يتلخ بأي ذنب .
الملك : إنكن لستُنَّ جالسات في بيتي أنا : إذا كانت النجاسة ستصيب أرجوس ، والمدينة كلها ، فعلى الشعب أن يعمل على اكتشاف العلاج . أما فيما يتعلق بي أنا ، فأني لا أستطيع أن أعدكن بشيء قبل أن أبلغ كل الأرجوسيين بالأمر .

الكورس : إنك أنت ، المدينة ؛ وأنت المجلس ؛ أنت الرئيس الذي ليس عليه رقيب ، أنت سيد المذبح ، أنت البؤرة المشتركة للبلد ؛ ولا أصوات هناك إلا العلامات المرسومة على جبينك ، ولا صولجان إلا ذلك الذي تمسك به أنت على عرشك . أنت وحدك تقرر كل شيء : فاحفظ نفسك من كل نجاسة .

الملك : لتكن النجاسة من نصيب أعدائي ! لكني لا أستطيع إغاثتكم دون أن يلحق بي ضرر . ومع ذلك فإنه من المؤلم لي أيضاً أن أحفل بتوسلاتكن . لست أدري ماذا أعمل ؛ الجزع يسيطر على قلبي : أينبغي علي أن أفعل ، أو ألا أفعل ؟ وهل ينبغي علي أن أنزل المصير ؟

الكورس : تتطلع نحو من من أعلى ينظر إلى كل شيء ، حامي بني الإنسان المعذبين الذين يركعون عند أقدام اخوانهم فلا يحصلون على الحق الذي يكفله لهم القانون : فكّر في هذا : إن غضبة زيوس المستجير تترتبص بكل أولئك الذين لا يتأثرون بشكوى من يتألمون .

الملك : إذا كان لأبناء مصرايم سلطان عليكن ، بموجب قانون بلدك ، منذ أن يعلنوا أنهم أقاربكن الأقربون ، - من ذا الذي يستطيع أن يعارضهم ! ينبغي عليك أنت أن تثبتني أن القوانين عندكن لا تمنحهم وصاية عليكن .

الكورس : آه ليتني لا أقع أبداً تحت سلطان الذكور الظافرين ! الهرب - ولنا مرشد غير النجوم - هذا هو النصيب الذي أوثر أن أهيبه لنفسي إن كان يصونني عن زواج بغيض . هيا اعقد محالفة مع العدالة : اتخذ قراراً يوقر الآلهة !

الملك : اتخاذ قرار في هذه المسألة ليس بالأمر السهل ، فلا تعتمدي علي في اتخاذ القرار . لقد قلت لك : مهما يكن سلطاني ، فإنني لا أملك أن أفعل شيئاً دون استشارة الشعب . ولتحفظني السماء من سماع أرجوس تقول لي ذات يوم ، لو حدثت مثل هذه المصيبة : « من اجل تكريم أجانب أنت قد ضيعت مدينتك » .

الكورس: إن الصانع المشترك لجنسنا يتأمل هذه المجادلة: زيوس النزيه^(١)، ويعامل الأشرار وفقاً لما يستحقون من كونهم مذنبين، ويعامل القلوب المستقيمة بوصفها عادلة. فإذا كان كل شيء يوزن هكذا «بميزان» عادل دقيق، فلماذا تتردد في فعل ما تقتضيه العدالة؟

الملك: أجل، أنا في حاجة الى تفكير عميق ينقذنا، مثل غواص ينزل في الهاوية بنظرة واضحة، لم تُشبع الخمر فيها الاضطراب^(٢)، حتى لا يؤدي الأمر إلى خلق بلايا لمدينتنا، ولي أنا بعد ذلك، وينتهي الأمر على خير وجه - أقصد أن تنجو أرجوس من ويلات حرب انتقامية؛ وحتى لا أربط نفسي بإله الخراب، الجنّي المكلف بالانتقام والذي لا يفلت منه حتى الميت في العالم السفلي - وذلك لو أنني أسلمتكن هكذا راكعات عند مذابح آلهتنا. خبّرني: ألسْتُ في حاجة إلى تفكير يُنْجِي؟

الكورس: فُكّر إذن، وكُنْ وكيلاً عتاً تقياً، كما هو الواجب. لا تُسلم الهاربة التي ألقى بها النفي الفاسق على هذه الشواطئ وقد جاءت من بعيد.

وأرفض أن تراني وقد انتزعتُ من هذا المعبد المكرّس لآلهة عديدين، أيها السيد الأعلى لأرجوس. وتفهم تجاوزات الذكور؛ وتجنّب الغضبة التي تعرفها!

لا توافق على أن تشاهد المستجيرة - على الرغم من العدالة - وقد جُرّت بعيداً عن المذبح من رباطاتها، مثلها مثل المهرة، وتمسك بيديها القماش المحكم النسج لنقابي.

واعلم - مهما فعلت - أن أولادك وأهلك ملزمون بأن يدفعوا ثمن ذلك لآرس^(٣) Ares. فُكّر جيداً: إن ملكوت زيوس هو ملكوت العدالة.

(١) النص الحرفي: «الذي يرجح كفة الميزان إلى ناحيته»؛ والمعنى المضمّر: «أو إلى ناحية أخرى» - أي العادل النزيه الذي لا ينحاز إلى جانب ضد الجانب الآخر ظلاً.

(٢) اسخولوس يفكر هنا في صيادي الاسفنج.

(٣) ليس المقصود هنا آرس: إله الحرب، بل آرس إله الطاعون، المنفذ للانتقامات الإلهية. إن المدن إذا ارتكبت نجاسة، فإن بلايا كثيرة تنتفض عليها، وتصيب الناس والقطعان والحصاد: وهذا كله من عمل آرس هذا.

الملك : لقد أتممت تفكيري؛ إن سفينتي قد اخططفت: فإما أن أشن حرباً ضروساً ضد هؤلاء، وإما ضد أولئك، فإنني مضطر إلى ذلك، وعند هذه العقبة قد تسمرت كما لو كانت قد رفعت هناك بمساعدة كبيرة من روافع بحرية. لا مخرج بدون آلام.

إذا انتزعت ثروات عديدة من بيت، فإن ثروات أخرى يمكن أن تدخل فيه قيمتها تفوق المفقود، إلى درجة ملء الحمولة^(١) بفضل زيوس حامي الأموال. وإذا كان لسانك قد رمى بسهام غير موفقة تهز القلب هزاً قاسياً، فإن ثم كلمات تستطيع أن تخفف الألم الذي أحدثته هذه الكلمات. لكن حين يتعلق الأمر بدم إخوتنا فيجب من اجل صيانة التضحية أن تقدم إلى كل الآلهة كل الأضاحي الكفيلة بعلاج هذه البلوى - أو أنا أخطيء خطأ فاحشاً فيما يتعلق بطبيعة المناقشة الوشيكّة^(٢). بيد أنني أفضل أن أكون متنبئاً رديئاً على أن أكون متنبئاً صادقاً جداً بالمطلب: ليت كل شيء ينتهي على خير وجه - على عكس ما أتوقع.

رئيسة الكورس: لقد نطقت بالكثير من الكلمات المستجيرة: فاسمع الأخيرة.

الملك: أنا أصغي اليك، فانظقي بها، وسأسمعها.

رئيسة الكورس: عندي هنا شرائط، هي أحزمة لربط ثوبي.

الملك: لا شك أنها زينات تليق بالنساء؟

رئيسة الكورس: إنني أنتظر منها مساعدة عظيمة.

الملك: خبريني إذن ما هي الكلمات التي تريدن أن تنظقي بها.

رئيس الكورس: إذا لم تعط هذه الجماعة وعداً ملكياً...

الملك: ما هي المساعدة التي تنتظرينها من هذه الأحزمة؟

رئيسة الكورس: أن تزين التماثيل التي تشاهدها بقرايين غير عادية.

الملك: هذه ألغاز. تكلمي إذن بصراحة.

(١) النص اليوناني هنا غامض جداً.

(٢) أي: أن الأمر يتعلق بدم شعبي أنا.

رئيسة الكورس: هذه المساعدة هي أن نشنق أنفسنا بها في الحال ونعلقها لهؤلاء الآلهة الماكثين أمامنا.

الملك: إني أسمع في هذا كلمات دامية لقلبي.

رئيسة الكورس: أنت فهمت؛ ولقد أوضحت لك الأمور.

الملك: نعم، والهموم التي لا تُفهر تحيط بي من كل جانب. إن حشداً من الشرور ينقض عليّ كأنه نهر، وهأنذا في عرض بحر من الآلام، بحر لا قاع له، من الصعب اجتيازه - وليس ثم أي مرفأ مفتوح لاستقبال محنتي! إذا لم ألب طلبكن، فإن النجاسة التي أشرت إليها تتجاوز نطاق عقلي - وعلى العكس إذا أنا قررت أن أحسم الأمر بشن حرب ضد أبناء عمومتهن: أبناء مصرايم، الواقفين أمام أسوارنا - أفلن تكون هذه خسارة مريرة، خسارة دم رجال من أجل نساء؟ - ومع ذلك فأنا مضطر الى احترام غضبة زيوس المستجير فليس ثم ما يخيف بني الإنسان أكثر منها.. فاذهب إذن، أيها الشيخ العجوز، براء هؤلاء العذراوات، وخذ بين ذراعيك هذه الأغصان، وضعها في مذابح أخرى لألهتنا القوميين، حتى يشاهد كل المواطنين هذه العلامة المستجيرة، ولا يرفضوا الاقتراحات الصادرة عني. إن الجمهور يحب أن يبحث عن أسباب لدى سادتهم. ولا شك ان العطف سيتولد لدى رؤية هذا المنظر: وتجاوزات جماعة الذكور تشير الفزع في نفس شعبي وسيشعر باستعداد أحسن نحوكن. إن الإرادات الطيبة تتجاوب دائماً مع الضعفاء.

داناوس: إنه لشيء ثمين جداً أن نكون قد وجدنا فيك وكيلاً يحترم المستجيرين. لكن زودني بحراس ومرشدين محلّيين لمساعدتي على العثور على مذابح موضوعة أمام معابد آلهة المدينة ومساكنها المضيفة، لزيادة تأمين أمننا حين نعبّر المدينة. إن الطبيعة قد خلقتنا بلامح غير ملامحكم: فالنيل والإناخوس Inachos لا يغذيان جنسين متماثلين. وحذار أن تولد الثقة المفرطة خوفاً كبيراً: وأكثر من إنسان قد قتل صديقاً له لأنه أساء فهمه.

الملك: هيا، أيها الحراس، إن هذا الرجل الأجنبي على حق؛ فأرشدوه؛ الى مذابح المدينة، مساكن آلهتنا؛ ولمن يقابلونكم قولوا. بدون تطويل، إنكم ترشدون ملاحاً مستجيراً بالهاتنا.

(داناوس يخرج مصحوباً ببعض الحراس)

رئيسة الكورس: أنت اعطيته تعليماتك. فليذهب معهن. أما أنا فماذا يجب علي أن أفعل؟ وأين - بحسب رأيك - سأكون في أمان؟

الملك: اترك هناك أغصانك، فهي رموز لمأساتك.

رئيسة الكورس: هأنذا أتركها، في حراسة ذراعك ووعدك.

الملك: انتقل الى هنا الآن في الجزء المستوي من المعبد.

رئيسة الكورس: أية حماية يقدمها لي المعبد هناك حيث هو مفتوح للجميع؟

الملك: لا تُخشي شيئاً؛ إنني لا أريد أن أسلمك إلى الطيور الجارحة.

رئيسة الكورس: أجل، ولكن إلى وحوش أكثر قسوة من أقسى أفعى؟

الملك: على من يقول لك: «كن واثقاً» - أجب بكلمات ملؤها الثقة.

رئيسة الكورس: لا تندهش إذا كان قلبي الخائف يشعر بالجزع.

الملك: الملك لا يشعر أبداً بالخوف.

رئيسة الكورس: عليك ان تطمئني بالأفعال مثلما تطمئني بالأقوال.

الملك: إن أباك لن يتركك وحيدة وقتاً طويلاً. وسأدعو أهالي هذا البلد

ليجعلوا الرأي الشعبي يدافع عنكن؛ ثم سأعلم أباك اللهجة التي ينبغي عليه أن

يتكلم بها. ابقِي إذن ها هنا، ولتطلبني في دعواتك من آلهة المدينة ما تحبين

الحصول عليه، بينما سأذهب أنا لأمر بكل هذا. يا ليت الإقناع والحظ المؤثر

يصحباني!

(يخرج الملك مع فرقته. الكورس ينزل إلى الأوركسترا).

الكورس: يا سيد السادة^(١)، أيها السعيد بين السُعداء، يا أيتها القدرة القديرة

بين القدرات، من أعلى سعادتك، يا زيوس استمع إلينا. ابعِد عن جنسك

تجاوزات الذكور، فهي جديرة بالكراهية، وألقي في البحر الأسود بالشقاء ذي

الجوانب السود^(٢).

أنت نصير قضية النساء، فشاهد قِدم جنسهن؛ إن جدتهن الأولى كانت أثيرة

(١) يتوجه الدانائيد الى زيوس لأنه هو أقوى الآلهة، ولأنه مؤسس جنسهن. وعليه أن يعين أبناء إيور.

(٢) أي السفينة السوداء التي تجلب لنا الشقاء.

لديك: فجرّد أسطورة إحسانك. تَدُكّر أنت، يا من لمست يد إيو Io إننا بنات زيوس، ومن هذا الشاطئ رحلت جماعتنا.

إن جنساً عتيقاً أحضرني اليوم إلى الأماكن التي فيها رَعَت أُمي في الماضي، تحت حراسة حارس. هذه هي المراعي التي ترعى فيها البقرات، والتي منها هربت إيو Io ذات يوم وقد طاردها النُعرة، فمرت، مذهولة حائرة العقل، بمئات من الشعوب المختلفة، واخترقت المضيق ذا الأمواج، بناءً على أمر «المصير»، واجتازت حدود القارتين المتواجهتين.

إنها تجوب خلال آسيا، مازة بافروجيا ذات قطعان الضأن، وتصل إلى مدينة تويشراس Teuthras في موسيا، ومن خلال أودية لوديا، ووراء جبال قليقية وپمغوليا^(١)، ذوات الأنهار التي لا تجفّ أبداً، في بلاد يعمّ فيها الثراء، وفي أرض أفروديت المجيدة الغنية بالقمح.

لكنها، تنحسها لسعة راعي البقر المجنّح، تصل إلى الأرض المقدسة لزيوس حيث تنمو كل الثمار، وإلى المرعى الذي تخصبه الثلوج^(٢) وتهاجمه غضبه تيفون Typhon والنيل ذو المياه الصحية التي لا يفسدها شيء. وقد جُنّ جنونها من الآلام المُهينة وألوان العذاب التي بعثت بها هيرا، فصارت تهذي

ولهذا فإن الناس الذين كانوا يسكنون في هذه الأقاليم شعروا فجأة بأن قلوبهم تتواثب من خوف شاحب أمام هذا المنظر الذي لم يعرفوه من قبل.

أمام عيونهم تجلت دابة كريهة المنظر، دابة ممزوجة بشكل إنسان: جزء منها لبقرة، والجزء الآخر امرأة. وأمام هذه الأعجوبة بقوا مُبلسين.

(١) پمغوليا والجزء الجبلي من قليقية (في آسيا الصغرى) يكوّنان في نظر اسخولوس كلاً شاملاً، ولهذا فإنه يذكر قليقية قبل پمغوليا، وهذا يخالف الجغرافيا. وايو لا تلاقي هناك إلا مجاري سيول هي في الغالب جافة. لكنها تنزل بعد ذلك في سهول قليقية وتجد في مواجهتها «أنهاراً لا تجف أبداً»؛ وهي: نهر ساوس، ونهر فوراموس، الخ. وأخيراً تصل إلى البلد الخصب المكّرس لأفروديت وهو: فينيقيا.

(٢) مصر تدين بخصبها لفيضان النيل، وفيضان النيل مصدره ثلوج اثيوبيا. وبدون النيل كانت أرض مصر ستكون قاحلة بسبب ريح الصحراء التي تهب عليها باستمرار بهواء مُخرق، هو التيفون Typhon.

لكن، أي ساحر جاء حينئذ ليشفي إيو الشاردة البائسة، والتي كانت تدور بحسب طيران النعرة؟

من يملأ ملكوته الأبدية، زيوس، حررها من أدوائها.

بقوته ذات الحنان القوي، وبنفسه المعجز، انتهت هذه الأدوية؛ والآن، ببطء، تسيل عَبرَات حياتها المتآلم.

لكن رواية لا تكذب تقول إنها أنجبت ولداً كاملاً بفعل ذرة ألقاها زيوس فيها.

إنه وَلَدٌ ملأت سعادته أياماً طويلة! لهذا فإن الأرض، كلها تعلن: «هذا الولد، ينبوع الحياة، هو من زيوس حقاً!» ومن ذا الذي يستطيع أن يهدى هدياناً أرادته هيراً؟

لكن هذا هو ما فعله زيوس؛ ومن يُقَل إن هذا الجنس هو من إنجاب إيافوس يُقَل الحق.

وأَيُّ إله آخر أستطيع ان أتوجه إليه بالدعاء - بسبب أفعاله؟

مولانا وأبونا، من بيديه غَرَس هذا الحذر، الصانع القديم التقدير الذي أنجب هذا الجنس، إنه وحده العلاج، إله الأنفاس المواتية - زيوس!

لا تقوم قوة فوق قوته. وناموسه لا يخضع لقانون أقوى. ولا أحد يجلس على عرش أعلى من عرشه، ويجب على كل الذين اسفل منه أن يعبدوه.

فعله سريع سرعة كلمته، إن الفعل تحت إمرته لانجاز ما يقترحه مجلس أفكاره في الحل.

(داناوس يدخل)

داناوس: اطمئنن، يا فتياتي: كل شيء يسير سيراً حسناً من ناحية أرجوس؛ فالشعب قد أصدر قراراً حاسماً.

(١) إشارة ليست فقط الى ذرية ايافوس، بل وايضاً الى دوره بوصفه مؤسس مدن. يقول پندار (Nem. X, 5). . عديده هي المدن التي أسسها داناوس بيده في مصر.

رئيسة الكورس: السلام عليك، أيها الشيخ العجوز، الحامل لهذه الأنباء السارة! خبّرنا، ما هو مضمون القرار الذي اتُّخذ، وفقاً للاستفتاء الشعبي الذي تنتصر فيه الأغلبية.

داناوس: أصدرت أرجوس قراراً بالإجماع، به شعر قلبي بأنه استرد شبابه. إن الشعب بأسره هزَّ الأثير بأيديه اليمنى وهي مرفوعة، من أجل التصديق على هذه الكلمات: «سنقيم في هذا البلد أحراراً ومحامين ضد كل محاولة لأمتنا، وهذا بموجب قانون للجوء معترف به؛ ولن يستطيع أي مواطن، أو أجنبي أن يقبض علينا؛ وإذا استخدم العنف، فإن كل مواطن من اهل أرجوس لا يساعدنا فإنه يحكم عليه بالعار، وينفى بناءً على حكم الشعب، تلك هي الصيغة التي دافع عنها حامينا ملك البلاجيين، ودعا المدينة الى عدم تقديم غداء في الأيام المقبلة لغضبة زيوس المستجير الرهيبة، وأشار إلى النجاسة المزدوجة: القومية والأجنبية، التي ستحلّ حينئذٍ بالمدينة، والوحش الفظيع الذي لا بدّ أن يتغذى حينئذٍ بالآلام^(١). ولدى نطقه بهذه الكلمات وافقت أكفّ شعب أرجوس على هذا القرار، دون ان تنتظر نداء المنادي. إن الشعب البلاجي قد اقتنع بالحجج القوية التي وردت في خطبته البارعة، بيد أن زيوس هو صانع القرار النهائي.

رئيسة الكورس: هيا، ولتحقق تمنياتنا لأهل أرجوس الخيرات التي يستحقونها لأنفسهم، وليعمل زيوس المضيف على ان يحقق تحقيقاً كاملاً وبدون تحفظ - الأمانى التي يتفوه بها فم ضيوفه.

الكورس: ها هي ذي الساعة التي تكرسها الآلهة يا أبناء زيوس، للإصغاء إلينا، بينما نحن نستنزل الأمانى الطيبة على هذا البلد^(٢).

(١) «غضبة زيوس» غالباً ما تجسّد في جني منتقم، يتغذى بدم الضحايا التي يطالب بها الإله الذي يهان. وفي هذا الموضوع نجد أن النجاسة هي الأخرى تنجسد في شخص الإله المكلف بفرضها، واسخولوس يشبه النجاسة بوحش هائل تلتزم المدينة بتغذيته بالآلام المفروضة عليها.

(٢) لو كان طلب الدنانيد اللجوء في أرجوس، لكنّ قد طلبن من زيوس المستجير ان يطلق آرس على اهل أرجوس، وحينئذٍ كان آرس سيصيبهم في أولادهم ومحصولاتهم وماشيتهم. فجاءتهم هي إذن لعنة مقلوبة. مؤلفة وفقاً لصيغة تقليدية. واسخولوس يكتب هذا تحت تأثير الكارثة التي حلت بأرجوس (راجع المقدمة) وقد هلك الكثير من اجلها الى درجة انها أدرجت بين المواطنين العبيد. واسخولوس يشير هنا خصوصاً إلى خراب هذه المدينة من اهلها.

ألا ليت أرض الهلاجيين لا تقع فريسة لنيران آرس Ares الموقدة! إن ضحيته توفف الرقص وتحصد الناس في الحقول التي لا تنضج محاصيلها.

لقد اشفقوا عليّ، وأصدروا قراراً مبنياً على الإحسان، إنهم يحترمون المستجيرين بزيوس من بين هذا القطيع الذي يدعو إلى الرحمة. إنهم لم يحكموا لصالح الذكور، احتقاراً منهم لقضية النساء.

لقد ابصروا ما سيفعله زيوس المنتقم الساهر، وما ينبغي لأحد أن يعمل ضده، ولا يستطيع أي بيت أن يطرده إذا انقضض بثقله الذي لا يقاوم على سقف ليحدث فيه تأثيراً.

إنهم يمتجدون إخوة لهم في شخوص هؤلاء المستجيرين بزيوس ذي الجلال والتقديس، ولهذا السبب فإن المذابح التي يستنزلون فيها رضا الآلهة ستكون طاهرة.

وهكذا إذن، في ظل الغصن التقي ستطلق شفاهنا تمنيات حافلة بمجدهم.

ليت الطاعون لا يُخلي المدينة من الناس!

وليت الأجنبي لا يخضب أرضهم بدم أبنائهم المُضحى بهم!

وليت زهرة شبابهم تبقى على عودها، وليت العاشق لأفروديت والقائل: آرس لا يطيح بالأمل، وليت الشيوخ^(١) يملأون الحجرات التي يتجمعون فيها حول المذابح التي تحفل بالشعلات.

ليت المدينة تزدهر هكذا في إجلال لزيوس القدير، زيوس المضيف بخاصة، والذي ينظم ناموسه المصائر^(٢).

ولو استجاب السماء لرجائي، فيا ليت مواليد جديدة تعطي لهذا البلد زعماء باستمرار، ويا ليت أرتيميس هيكلاته تسهر على أرحام نساها!

(١) مجلس الشيوخ ينعقد حول نار المدينة. وبعد الخسائر في النفوس الذين فقدتهم أرجوس، فإنه يخشى أن تخلو المدينة من الشيوخ.

(٢) دار الندوة هي بمثابة معبد زيوس المضيف، لأن فيها تستقبل الدولة ضيوفها. ورفاهية مدينة ما تتوقف على زيوس المضيف الذي منذ أقدم الأزمان لا يهبها إلا لمن يراعون حقوق الضيافة.

ألا لا تأتين أية كارثة لتدمير هذه المدينة، بتسليح آرس، إله الدموع، ومصدر
فزع الكورسات والقيثارات، وإثارة ضجيج الحروب الأهلية!

ويا ليت أسراب الأمراض^(١) تَحْطَّ بعيداً عن جباه الأرجوسيين! ويا ليت
أبولون اللوقياني يُحسن إلى كل أبنائهم!

وأخيراً، ليت زيوس يجعل هذه الأرض خصبة دائماً في كل موسم! ويا ليت
الأغنام التي ترعى في مروجها تكون خصبة! ويا ليت النغمة تزهر في كل شيء
برعاية من الآلهة!

ويا ليت الشعراء يرددون الأناشيد التقيّة أمام مذابحهم!

ويا ليت الشفاه العذراوات ينطلق منها نشيد مصحوب بالقيثارة!

ويا ليت «المجلس» الذي يحكم هذه المدينة يحفظ شرفه دون ثلم، وهو
السلطة الساهرة التي تفكر لخير الجميع!

وقبل تسليح آرس، ليت الأجانب يُمنّحون ترضيات تنظمها معاهدة، ابتغاء
تعجب الشرور!

ويا ليت الآلهة الذين قُسمت لهم هذه الأرض ينالون عبادة المذابح المنعزلة
عن الأجداد، ويتم ذلك والجبين متوّج بالغار.

ولهذا فإن احترام الآباء هو القانون الثالث المسجّل في كتاب العدالة وهو
جدير بأعلى تقدير.

(داناوس عاد إلى الصعود على الرابية، ومن هناك راح ينظر إلى البحر. ثم تلتفت
إلى أبنائه).

داناوس: لا أملك إلا الموافقة على هذه التمنيات الحكيمة، يا بناتي؛ لكن
لا تخفن إذا أعلننّ لكنّ أبوكنّ فجأة أنباء جديدة. من هذه الرابية المرحبة
بالمستجيرين، أنا أشاهد سفينة. ومن السهل تعرفها، ولا يندّ عني شيء منها: لا

(١) ليس المقصود الطواعين الكبيرة، بل الأمراض التي تسلب المدينة من يدافعون عنها؛ والتي يستطيع
الأرجوسيون أن يلتمسوا للشفاء منها حماية أبولون اللوقياني الذي هو في وقت واحد إله قومي وإله
يشفي من الأمراض.

ترتيب الأشرع، ولا صناديقها ولا جؤجؤها، الذي منه العين^(١) ترقب الطريق الذي تسير فيه، وهي مطيعة للسُّكَّان الذي يقودها من الخلف - بل مطيعة جداً لرغبة أولئك الذين تأتي إليهم لا كصديقة. وأمير بحارتها بأغصانهم السوداء الخارجة عن قمصانهم البيضاء. وها هي ذي بقية الأسطول، وكل الجيش على مرآى النظر. والسفينة التي في المقدمة وقد وصلت الى الشاطئ، قد طوت شراعتها ومجاذيفها بعمليات سريعة. هيا! خليك بكن أن تتأملن هذا الأمر بهدوء وحيطة وأن تتعلقن بهؤلاء الآلهة، بينما أذهب أنا للبحث عن مدافعين ومحامين. ومن الممكن أن يأتي مناد أو سفارة الى هنا، بدعوى أخذكن والقبض عليكين بناءً على قانون الغنائم. لكن لن يحدث شيء من هذا: فلا تخفن! لكن من المستحسن، إذا نحن تأخرنا في جلب النجدة، ألا تنسين ابداً هذا الملجأ ولا للحظة واحدة. كُنْ واثقات: مع الوقت، في اليوم المحدد، كل انسان يزدرى الآلهة سيلقى العقاب.

رئيسة الكورس: يا أبي، إني خائفة. إن السفن السريعة قد وصلت فعلاً. لا مجال للتمهل.

الكورس: إن فزعاً مقلقاً يستولي عليّ: هل كسبت حقاً من الهرب في كل الطرق؟ يا أبي، إني أموت من الخوف.

داناوس: إن الأرجوسيين قد أصدروا قراراً لا رجعة فيه، يا ابنتي: فاعتصمي بالثقة، إنهم سيقاتلون من أجلك، أنا متأكد من هذا. هيا!

رئيسة الكورس: إنهم ملاعين! هذا هو انتقام مصرايم - وهم لا يشبعون من القتال: أنت تعلم هذا مثلما أعلمه أنا.

الكورس: على سُفنهم ذوات الألواح المحكمة الشد، وعلى وجه اللازورد الكابي، قد مزوا إلى هنا، وساعد الحظُّ حقدهم، مع جيشهم العرمرم الأسود! داناوس: وعديدون أيضاً من سيلاقونهم وأذرعهم مصقولة من حرارة الشمس.

رئيسة الكورس: لا تتركني وحيدة، أتوسل اليك يا أبي! فما قيمة المرأة حين تكون وحدها؟ إن آرس لا يسكن فيها.

(١) اسخولوس يتصور السفن المصرية على شاكلة سفن أثينا التي كانت تحمل في مقدمتها عيوناً.

الكورس: إنهم مملؤون بالأفكار الإجرامية، والمقاصد الغدّارة، وهم أنجاس في أعماق قلوبهم، وهم لا يحفلون بالمذابح شأنهم شأن الغربان. داناوس: سيكون مكسباً عظيماً لنا، يا ابنتي، إن كرهتهم الآلهة مثل كراهيتك أنت لهم.

رئيسة الكورس: آه! ليست هذه الشوكات المثلثة، هذه الجلالات الإلهية، هي التي تستطيع أن تبعد أيديهم عنا، يا أبي.

الكورس: إنهم متغطرسون^(١)، ممتلئون بالجرأة الفاجرة كالكلاب التي لا حياء عندها، ولهذا فإنهم صُمّ عن صوت الآلهة.

داناوس: أفلا يقول المثل إن الذئاب تتغلب على الكلاب؟ وبين ثمار الأرض، ليس البردي^(٢) هو الذي يتحكم في السنابل.

رئيسة الكورس: وأكثر من هذا: إن غرائزهم هي غرائز دواب شرهة ونجسة. آه! حذار أن يحكمونا ابداً.

داناوس: إن الجيش البحري لا يكون مستعداً بسرعة. بل إن الرسوّ يحتاج الى وقت طويل: إذ لا بد من ان تنقل الى البرّ المراسي الحامية؛ وحتى لو ألقى بالمرساة، فإن مرشدي الأسطول لا يتحررون من الخوف بسرعة، خصوصاً إذا وصلوا إلى بلد لا مرفأ له في الساعة التي تميل فيها الشمس نحو الغروب: إن الليل مصدر قلق في نفس المرشد الحاذق. ولهذا فلا يمكن ان يحدث انزال كما ينبغي إذا لم يُؤمّن للسفينة الرسوّ مقدّماً. ومع ذلك، فإن كنت خائفة. فاستعدي للعياذ بالآلهة. أما أنا فسأبذل كل ما في وسعي وأعود سريعاً^(٣) متى ما حصلت على نجدة. إن أرجوس لن تشكو من الرسول: لئن كان عجوزاً، فإن روحه شابة ويحسن صياغة الكلمات الواجبة.

(١) إشارة الى الحرب التي خاضها الداناتيد في مصر ضد أبناء عمومتهم.

(٢) ويرد في حاشية ما يلي: «المصريون هم أكلة البردي» ولا تزال جذور البردي حتى اليوم تعدّ قابلة للأكل؛ لكن المصريين كانوا يأكلون عود البردي، أو على الأقل الجزء الأسفل من عود البردي - هكذا يقول هيرودوت (٢: ٩٢). وسنرى بعد قليل ان بلاسجوس يصنع الخمر اليونانية في مقابل الجعة (البيره) المصرية.

(٣) يبدو أنه سقط هنا في النص اليوناني بعض الأبيات، وقد وضع المحققون مكانها المعنى العام المذكور هنا.

الكورس: يا أيتها الأرض الجبلية^(١)، يا موضوع عبادتي، ماذا سيكون مصيري؟ وأين أفرّ، هل في أرض أپس Apis مكان مظلم اختبئ فيه؟

آه! بودي لو كنت البخار الأسود الذي يقترب من سُحُب زيوس، كي أموت مثل الغبار الذي يتطاير - بدون أجنحة - ويختفي!

إن القشعريرة تسري بسرعة في نفسي؛ وقلبي، وقد صار الآن أسود، ينبض بشدة. إن ما شاهده أبي من مرصده قد هز كياني؛ إنني أموت من الخوف.

آه! يا ليتني وجدت الموت في انشوطة حبل أُسْنِق فيها، قبل ان يمس زوج بغيض جسمي بيده. أولى من هذا ان يكون سيدي هو هادس بعد الموت!

ألا ليتني أستطيع الجلوس على صدر الأثير، هناك حيث ماء السُحُب يتحول إلى ثلج!

أين أجد صخرة وعرة، هجرها الماعز، ولا تبلغها العين، عالية متوحدة، معلقة في الخلاء، مأوى للحدأة، تضمن لي سقطة عميقة قبل ان اعاني - على رغم ارادتي، زواجاً من مختطف!

وليجعلوا مني - وانا موافقة على هذا - فريسة للكلاب، ومأدبة للطيور المحلقة حوالينا.

من يُمت يتحرر من الآلام والدموع. فليأت الموت قبل فراش الزوجية!

هل هناك طريق للخلاص أستطيع ان اسلكه للإفلات من الزواج؟

فلتطلق الأناشيد التمنيات نحو السماء، صوب الآلهة والآلهات!

لكن من هم الذين سيقومون بها! أدر نحونا إذن، أيها الأب، عيوناً تعِدُّنا بالخلاص، حتى لو كان ذلك في مقابل معارك! وألتي نظرة غضب على العنف: فهذه هي ما يستحقه. واحترم فينا المستجيرات بك، يا زيوس القدير، ويا مولى مدينة أرجوس! لأن أبناء مصرايم الذكور يطاردوننا، وهذا تجاوز لا يحتمل، ويلتخون على الهاربة بصرخاتهم الشهوانية ويزعمون أنهم سينالونها بالقوة القاهرة!

(١) إن أرض أرجوس، التي استجارت بها هذه الفتيات، ينبغي عليها ان تساعدهن بعد أن باركتهن.

لكن أنت وحدك الذي تُمسك بقبّ الميزان: وهل يمكن أن يتم شيء عند بني
الانسان الفانين بدونك أنت؟

(يصرن من بعيد فرقة من المصريين)

آه! آه! الآسر هناك^(١).....

آه! أيها الآسر، ليتك تهلك...

إني أصرخ صرخة مَنْ في محنة. هذا هو استهلال العنف الذي ينتظرنا. آه!
آه! اهرب الى النجدة. الارهاب ينتصر، وهو لا يحتمل سواء على البرّ أو على
البحر! يا سيّد هذا البلد، احمنا!

(يتدافعن نحو المذبح. منادٍ مصري يدخل وهو يرشد فرقة مسلحة)

المنادي: هيا! سرن الى السفينة بأسرع ما تستطيع سيقانكن وإلا لانتزعت
الشعور^(٢)، وعلمت الأجسام بالحديد، وقطعت الرؤوس، وسالت أمواج من الدماء
التي احدثتها المذابح. هيا، سرن...

الكورس: ليتك تهلك انت وسط الأمواج العديدة في طريقك في البحر،
انت ومعك تجاوزات سادتك وسفينتك ذات السوائد القوية!

المنادي: هيا! اتركي المذبح، وسيري نحو
السفينة.....

الكورس: كلاً، كلاً، لا أريد أن أرى مرة أخرى المياه المحققة للخصب
والتي عند بني الانسان تولد دماً حاملاً للحياة ومسبباً للتكاثر^(٣).

(١) نص كل هذا المنظر قد وصل مخروماً مشوهاً. ومعظمه غير مفهوم، لكن يمكن مع ذلك تصور
السياق.

(٢) يعني أنهم سيعاملن معاملة العبيد الأبقين والذين يعلمون بواسطة كيّهم بالحديد المحمي. وهذا قد
يدل على ان ابناء مصر ايم لهم حقوق مطلقة على الدانايد. ولا يقتصر الأمر إذن على الوصاية
الشرعية التي تسمح لهم باتخاذ زوجات بدون موافقتهم ولا موافقة وليهنّ الشرعي. لكن لما كان
أبوهم داناوس،

(٣) تشير هذه العبارات الى ما كا ينسب الى ماء النيل من خاصية الإخصاب، كما يشهد بذلك أرسطو
(بحسب ما نقله عنه سطرابون). فهل كانت الدانايد تخشى من كثرة الحمل؟ هذا محتمل، لأن =

المنادي: ستركبين السفينة، نعم: السفينة، شئت أم أبيت
الكورس: آه! آه! لتهلك أنت هلاكاً بشعاً بأن يتلعلك الماء المقدس للبحر،
بعد أن تتلاعب بك الريح السماوية حول القبر الذي فيه يرقد في الرمل سارپدون^(١)
. Sarpedon

المنادي: اصرخي، أعولي، نادي الآلهة: متى ما صرت في الغليون
المصري، فإنك لن تستطعي أن تقفزي منه!

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! يا ليت النيل القدير^(٢) الذي يراك
يضع حداً للتجاوزات التي لم تسمع بها.

المنادي: أنا أدعوك الى النزول في السفينة ذات الجوانب المنحنية، وبسرعة!
وبلا تأخيراً حين تجرُّ عاصية متمرده، فإن شعرها لا يعفى من الشد.

(المنادي وفرقته يصعدون على الراية ويحاولون القبض على الدانائيد).

الكورس: وا أسفاه! يا أبتاه، هل نجدة المذابح سيكون فيها هلاكي؟ نعم،
إن الشبح الأسود يجزني مثل عنكبوت خطوة فخطوة! وا أسفاه! وا أسفاه! ثلاث
مرات! يا أيتها «الأرض» الأم ابعدي عني الصارخ المفزع! أيها الأب يا زيوس يا
ابن «الأرض»!

المنادي: اغربي عني، أنا لا أخاف آلهة هذا البلد. انهم لم يربوني في
طفولتي ولم يغذوني في أيام شيخوختي!

الكورس: إنه يتواثب نحوي، هذا الشعبان ذو القدمين إنه يشبه
الأفعى وا أسفاه! وا أسفاه ثلاث مرات! يا أيتها «الأرض» الأم، أبعدي
عني هذا الصارخ المخيف! أيها الأب، أي زيوس يا ابن «الأرض»!

= اسخولوس يمثلهن متمرديات، لا يردن أن يكنَّ أمهات ولا زوجات - وواضع إحدى الحواشي يزعم
أن ماء النيل يساعد على إنجاب الذكور وآية ذلك أن زيوس أنجب آرس لما أن شرب ماء النيل.
وبحسب هذه الفكرة فإن الدانائيد كانت تخشى من ماء النيل لأنه أنتج جنساً من الذكور البعيصين،
مثل جنس سلالة مصرايم.

(١) بحسب الشارح صاحب الحاشية فإن المقصود هو رأس سارپدون الموجود على ساحل قليقية في
مواجهة قبرص.

(٢) من يستغثن بالله اجنبي لأنهن يعلمن أن المنادي لا يتأثر بالهة اليونان.

المنادي: إذا لم تدعني وتركبي في السفينة، فإن قميصك المزركش سيُمزق بلا رحمة.

الكورس: لقد ضيعنا! يا سيدي، نحن نعامل معاملة فاسقة!
المنادي: أما عن السادة، فسيكون لَكُن سادة عما قليل، عددهم كبير، هم أبناء مصرايم! لا تَخَفَنَّ، لن تشكين من نقص في السادة!
الكورس: آه! يا زعماء هذا البلد وأمرأؤه، إنني أنهار أمام القوة القاهرة!
المنادي: أعتقد أنه لا بد من جرّكن من شعوركن، لأنكن بقيتين صمّاوات عن صوتي.

(فجأة يدخل الملك ومعه رجال مسلّحون)

الملك: ما هذا، ماذا تفعل؟ أية وقاحة تحملك على أن تزدرني هكذا أرض الهللاجيين؟ هل تظن أنك نزلت في دولة من النساء؟ وباعتبارك أجنبياً فإنك تبدي وقاحة شديدة تجاه اليونانيين! إنك بهذا ترتكب الكثير من الأخطاء وتكشف عن قلة عقل.

المنادي: أي خطأ ارتكبته في حق القانون؟

الملك: أنت تجهل أولاً واجبات الأجنبي.

المنادي: في ماذا؟ إنني إنما أسترده ما فقدت.

الملك: إلى أي وكلاء قنصليين توجهت إذن؟

المنادي: إلى أكبر الوكلاء: هرمس، إله كل من يبحثون.

الملك: أنت تتوجه إلى الآلهة، ولكنك لا تكين أي احترام للآلهة!

المنادي: إن آلهة النيل هم الآلهة الذين أعبدتهم.

الملك: والآلهة الذين يُعبدون ها هنا ليسوا بشيء في نظرك؟ إنني أسمع هذا من فمك.

المنادي: سأقتاد هؤلاء النساء اللهم إلا إذا انتزعوا مني بالقوة.

الملك: لو مستهتن لدفعت ثمناً غالياً، ولن يطول الأمر!

المنادي: إني أسمع كلمات غير مضيافة .

الملك: أنا لا أرى ضيوفاً في أولئك الذين يزدرون الآلهة.

المنادي: هذا هو ما سأقوله لأبناء مصرًايم.

الملك: هذا شيء لا يقلق قلبي.

المنادي: لكن، من أجل ان يكون تقريرى دقيقاً ومحدداً - لأنه ينبغي على المنادي ان يقدم تقريراً واضحاً عن كل شيء - ماذا سأقول؟ مَنْ أقول انه انتزع مني جماعة بنات العم اللواتي سأعود بدونهن؟ هذه الأمور آرس لا يحكم فيها وفقاً لشهادة شهود؛ وخصومة كهذه هو لم يشترها بالمال^(١) بل لا بد أولاً من مصرع مئات المحاربين في وطيس المعركة.

الملك: ولماذا اذكر لك اسمي؟ ستعرفه مع الزمن، أنت وأصحابك. هؤلاء النسوة أنت ستأخذهن معك! إن هن وافقن على ذلك عن طيب خاطر، وحين تجد لإقناعهن أسباباً وجيهة كريمة. إن شعب أرجوس قد أصدر بالإجماع قراراً لا رجعة فيه يقضي بأنه لن يسلم للعنف طائفة من النساء. وهذا مسمار قد دق مراراً وغاص بحيث لا يمكن أبداً نزعها. إنها ليست كلمات مكتوبة على ألواح ولا مرقمة في لفائف من البُردي: أنت تسمع هنا اللغة الواضحة الصادرة عن فم حرّ. اغرّب عن وجهي بسرعة!

المنادي: اعلم منذئذ أنك تثير حرباً غير مؤكدة النتيجة. إن النصر والفتح سيكونان للذكور!

الملك: أما الذكور فستجدهم ايضاً في هذا البلد، وهم لا يشربون نبيذاً مصنوعاً من الشعير^(٢).

(المنادي ينسحب. الملك يستدير نحو الكورس)

(١) يقصد المنادي ان يقول: حذار، إنها الحرب. وآرس (إله الحرب) لا يحكم مثل القضاة العاديين الذي يستمعون شهادات الشهود، ويحددون الغرامة والتعويض. بل لا بد - عند آرس - من أن يكون الدفع بأرواح الناس، لا بالمال.

(٢) إشارة إلى ان خمر المصريين هي الجعة المصنوعة من الشعير، بينما خمر اليونانيين مصنوعة من العنب.

أما أنتن فامتلكن ثقة، وادخلن جميعاً ومعكن خادما تكن، في مدينتنا المغلقة إغلاقاً محكماً، والتي يحميها جهاز من الاستحكامات العالية. والدولة تمتلك فيها مساكن عديدة. وقد هُييء لي فيها شقق بذلتها يد سخية. وهناك مساكن مهيأة لكُن، إن شئتُن ان تسكُنْ مع آخرين وأنتن حُرّات ايضاً في السكن في مساكن معدة لكن وحدكن. فاخترن إذن - وأنتن حُرّات - ما يلوح لكن أنه الأنسب والأمتع. وكفلائكن^(١) هم الملك وكل المواطنين وهنا ينقذ قرارهم: فهل تتوقعن من هم أفضل منهم؟

رئيسة الكورس: جوزيت خير الجزاء عن إحسانك، أيها الملك المُبَجَّل بين البلاجيين! وليُعذِّد إلينا إحسانك أبانا، داناوس الشجاع، الذي يفكر لنا ويريد. وهو الذي يقرّر أولاً أين ينبغي علينا أن نسكن، وما هو الاختيار الذي سيكفل لنا حسن الضيافة. إن كل إنسان متأهب لأن يصب الاتهام على مَنْ هو أجنبي فلتؤمّل أن يجري كل شيء على ما يرام!

(الملك يخرج)

ولحسن سمعتنا، ولكي يتحدث عنا أهل هذا البلد بدون خبث، رتّبُن أنفسكن، أيّتها الأسيرات العزيزات، بحسب الترتيب الذي حدّده داناوس لكل واحدة منّا حسبما هو مقرر في بائنتها.

(يدخل داناوس محروساً بحرس)

داناوس: يا بناتي، لا بد لكُن أن تقدمن لأهالي أرجوس الدعوات والأضاحي والرّشّات، كما تقدم إلى آلهة الأولمپ، لأنهم جميعاً بدون تفرقة قد قاموا بانقادنا. لقد أصغوا إلى روايتي بعطفٍ جديرٍ بالأقارب، وغضبوا الغضبة التي يستحقها أبناء عمكُن، وزوديني بهؤلاء التابعين، هؤلاء الرجال المسلحين، أولاً لمنحي امتيازاً يشرفني، وبعد ذلك لحراستي أنا من أية ضربة مفاجئة قاتلة قد تصيبني بالمفاجأة، وتكون عاراً أبدياً ووسيلة لاختطافكن بالقوة. وفي مقابل هذه

(١) في معظم المدن اليونانية، كان لا بد للأجنبي المقيم من مواطن كفيل أو مولى Prostates. وبالنسبة إلى الدنايد فإن كفيلهن الملك نفسه ومعه كل أهالي أرجوس الذين قبلوا المستجيرات وأعلنوا أنهم في حمايتهم.

الثَّعم ينبغي علينا نحوهم، إن كانت روحنا يرشدها مرشد صالح، أن نشكر لهم أطيب الشكر ونعرف لهم هذا الجميل الذي يشرفهم إلى الأبد. - والآن، أضفن - إلى الدروس العديدة في التواضع التي نقشها أبوكن في قلوبكن - ما يلي: إن الجماعة المجهولة لا تقدّر إلا مع مرور الزمن؛ ذلك لأنه بالنسبة إلى الأجنبي، كل انسان متأهب لأن يقول عنه كلمات سيئة، ولا شيء أسرع إلى الشفاه من الكلمات النسائية. لهذا فإني أدعوكن إلى عدم سربلتي بالعار، لأنكن تملكن هذا الشباب الذي يجتذب عيون الناس. إن الثمرة الناضجة الحلوة ليس من السهل حمايتها: فالدواب شأنهم شأن بني الإنسان تتعدى عليها، وكذلك الطيور ذات الأجنحة وذوات الأربع من الحيوان، وأنتن تعرفن هذا جيداً. ثم إن كوپريس (أفروديت إلهة الجمال) ستطالب بثمان الأجسام المليئة بالعصارة، وذلك بأن تدعو الحب إلى اقتطاف زهرة الشباب^(١). ولهذا فإن كل المارة إذا ما شاهدوا جمال العذارى، فإنهم ينهارون أمام الشهوة ويرسلون إليهن سهام النظرات الساحرة. فلا تلقين مثل هذا المصير، بينما نحن من أجل الهرب منه عانينا أشد الآلام، واجتزنا المسافات الشاسعة من البحار؛ فلا نخلقكن لأنفسنا العار، وللأعداء ما يدعوهم إلى التشفي والابتهاج. إن المسكن لن يعوزنا، ولقد عُرض علينا اثنان: أحدهما عرضه پلاسجوس Pelasgos، والثاني عرضه المدينة، وفي وسعنا ان نستعمله دون أجر: لقد يسروا لنا كل شيء... لكن فكّرنا جيداً في دروس الأب: اجعلن التواضع فوق الحياة.

رئيسة الكورس: لنحتفظ لآلهة الأولمپ بتمنيات أخرى، وإذا تعلق الأمر بزهرتي أنا، فاطمئنْ يا أبي: لن أحميد عن الطريق الذي اتبعته روحي حتى الآن، اللهم إلا إذا كانت السماء قد فكّرت في خطط جديدة تماماً.

(داناوس يخرج. موكب الدانائيد يستعد للسير وراءه)

الكورس: هيّا، ولنحتفل بالسُعداء، سادة أرجوس، الآلهة البلديين والآلهة الساحليين على مياه اراسينوس القديم. وأنتن، أيتها الخادما، أجبْن على نشيدنا... - ولتناول مدائحنا مدينة الهلاجيين! ولن يحظى النيل والأفواه بعد بتحية

(١) النص في المخطوط الوحيد الذي بقي لنا من هذه المسرحية شديد التشويه. ولهذا فإن الترجمة احتمالية تقريبية ها هنا.

من أناشيدنا، بل الأنهار^(١) التي تمتد هذا البلد بالمياه الهائلة التي ترويه، وتكاثرت إلى جداول مخصبة، لتطرية أرض أرجوس. ليت أرتيميس العفيفة تلقي على هذه الجماعة بنظرة من الشفقة، حتى لا يأتي أي زواج ليخضعنا لنير كوبريس (إلهة الحب). ولتُصِيب هذه المحنة مَنْ أكرهه!

الخدومات: إن نشيدي الورع لا يستطيع أن ينسى كوبريس إنها حليفة لهيرا، وتكاد تصيب سلطان زيوس، وحينئذ فإن الإلهة ذات الأفكار الوظيفية تتلقي التشريف الراجع إلى أفعالها المقدسة. وإلى جانبها، ومن أجل مساعدة أمهما، ها هي ذي الشهوة والإقناع الساحر الذي لم يُعانِ أي رفض؛ و«الإنسجام» هو الآخر له نصيب من حظ أفروديت، شأنه شأن «المحبات» ذوات الثرثرة الفريحة.

وأنا أخشى على الهاربات من رياح معاكسة: ومن آلام قاسية وحروب دامية. . لماذا حظوا^(٢) من السماء بأنسام مواتية لمطاردتهم السريعة؟ إن ما قرره «المصير» يخشى أن يتحقق - إنه لا يمكن تجاوز فكر زيوس، الجليل الذي لا يدرك غوره - وبعد آلاف من النساء قبلك، ومن الممكن أن يكون الزواج هو نصيبك النهائي.

الكورس: آه! ليت زيوس الجليل يُبْعِد عني الزواج بأبناء مصرام!

الخدومات: ومع ذلك فإن هذا سيكون هو الأحسن.

الكورس: هيا، عاملي على حسب هواك امرأة عنيده.

الخدومات: هيا، أنت لا تعلمين المستقبل.

الكورس: هل أستطيع أن أدعي إدراك فكر زيوس، وأن يغوص نظري في

الهاوية؟

الخدومات: تمني إذن أمنية أكثر اعتدالاً.

الكورس: أي درس في الاعتدال تريد أن تُلقيني إياه؟

(١) الأنهار تمثل القوى المغذية لبلد ما. وله الحق في أن يمجدها كل من يأتي ليعيش فيه ولو لمدة قصيرة وكانت الدنائيد قد مجدنها، لما وضعن أقدامهن على شاطئ أرجوس. وهن يعلنن ها هنا أنهن سيقين له مخلصات إلى الأبد.

(٢) الضمير يعود إلى أبناء مصرام الخمسين الذين طاردوا بنات داناوس الهاربات منهن كي لا يتزوجن من أولئك الأبناء.

الخدّامات: «لا إفراط» - حتى بالنسبة إلى الآلهة.

الكورس: كلا! ليت المولى زيوس يجنّبني الزواج القاسي بزواج بغيض! إنه هو الذي حرّر إيو Io، وأبطل عذابها بيده الشافية وأشعرها بقوته الحلوة. وليهبّ النصر للنساء - إني أقنع بأقل شرّ، وبثلثي سعادة^(١)، وأن يستجيب حاكم عادل لنداء العدالة إذا استجيب دُعائي بالطرق التي تكفل النجاة والتي هي تحت تصرف الآلهة.

(تذهب الدانائيد ومعهن خدّامتهن).

انتهت مسرحية «المستجيرات»

(١) الثلث الباقي من السعادة هو ألا تقع حرب... فإن لم يظفر به الدانائيد، فإنهن سينعمن بالثلثين الآخرين، أي: العثور على مدافعين عنهن، والحصول على النصر وهذا النصر هو «الحكم العادل» الذي ينتظره من الآلهة. والعبارة قد ذهبت مثلاً.

مَسْرُوحِيَّةُ «السَّبْعَةِ ضِدِّ ثِيَابِ»

مُقَدِّمَةٌ «السَّبْعَةُ ضِدَّ ثِيْبًا»

بقلم : الدكتور عبدالرحمن بدوي

- (١) -

اتيوكل

بطل هذه المأساة هو اتيوكل وهو ابن أوديب ، ملك ثيبا ، من زوجته - وهي أمه أيضاً -
يوكاسته . وإلى جانب اتيوكل أنجب أوديب ويوكاسته : فولونيقيس ، أنتيجونا ، واسمينا .
ويمكن عرض جدول هذا النسب على الشكل التالي :

كادموس + هارمونيا

فولودورس

لايوس + يوكاسته

أوديب + يوكاسته

فولونيقيس أتيوكل أنتيجونا اسمينا

ولما اكتشفت أوديب أنه إنما تزوج أمه يوكاسته ، فإنه فقأ عينيه بدبوس
يوكاسته ، وهذه بدورها شنقت نفسها . فتولى الملك أخوها كريون كريون في شكل وصيِّ
على عرض ثيبا ، إلى أن يبلغ ابنا أوديب ويوكاسته سن الرشد ، وهما : اتيوكل
وفولونيقيس .

وكان هذان الوالدان قد أهانا أباهما أوديب مرتين:

الأولى: حينما وضعنا أمام أبيهما أوديب بعد أن صار أعمى أطباقاً من الفضة كانت لأبيه لا يوس، فشعر أوديب بأنه أهين - لماذا؟ لا توضح لنا الرواية السبب في ذلك.

والثانية: هي أنه جرت العادة بأنه يجب على الأبناء أن يقدموا إلى والدهم الملك قطعة من لحم الأضاحي مأخوذة من الكتف. لكن اتيوكل وفولونيقس قدما إلى أبيهما الأعمى قطعة من لحم الفخذ، بدلاً من لحم الكتف، فشعر أوديب بالاهانة مرة ثانية. وهناك استشاط غضباً ونطق ضد ابنه بلعنة مغلظة، إذ تنبأ لهما بأن كليهما سيقتل الآخر.

تلك هي الرواية المشهورة للسبب في لعنة أوديب التي صبتها على ولديه. لكن سوفقليس يعتمد رواية أخرى تقول أن كريون - أخا زوجته يوكاسته - كان قد أرسل أوديب إلى المنفى بسبب افتضاح أمر زواجه من أمه يوكاسته، بدعوى أن مدينة ثيبا ستصبح دنسة لو بقي فيها أوديب، هذا الملك الذي ارتكب هذه الخطيئة الكبرى ولم يفعل ابنه: اتيوكل وفولونيقس شيئاً لمنع تنفيذ قرار كريون بنفي أبيهما؛ لهذا لعنهما أبوهما أوديب بأن تنبأ لهما بأن كليهما سيقتل الآخر.

ولما بلغ اتيوكل وفولونيقس السن التي يحق لهما فيها أن يتوليا حكم مدينة ثيبا خلفاً لأبيهما أوديب، قررا أن يتناوبا على تولي العرش لمدة عام في كل مرة. وبحسب مسرحية «أوديب في كولون» لسوفقليس كان فولونيقس أول من تولى العرش وأنه نفى أباه أوديب. لكن الرواية الأشهر تقول إن اتيوكل هو الأول: إما لأنه كان الأكبر سناً (وتم خلاف حول هذه النقطة)، وإما لأنه أجريت القرعة بينهما فخرجت لصالح اتيوكل فتولى عرش ثيبا لأول مرة. لكن لما انقضى العام المخصص له، رفض أن يُسلم العرش لأخيه فولونيقس بناء على الاتفاق المعقود بينهما، وسانده في هذا الرفض كريون. هنالك ذهب فولونيقس إلى مدينة أرجوس التي تزوج فيها «أريجا»، بنت الملك أدراسـت Adraste ملك أرجوس وأنجب منها ولداً هو ثوساندروس. وكان أخوه اتيوكل هو الآخر قد تزوج وأنجب ولداً اسمه: لاورامس. واستنجد فولونيقس بوالد زوجته أدراسـت ملك أرجوس لأخذ العرش من أخيه. فقام أدراسـت بتجهيز جيش كبير يقوده سبعة رؤساء وتوجه به إلى ثيبا، وحاصرها، وخص كل باب من أبوابها السبعة بواحد من هؤلاء الزعماء السبعة.

وقد تولى فولونيقس قيادة الكتيبة التي خصص لها مهاجمة المدينة من الباب الذي وراءه وقف للدفاع عنه أخوه اتيوكل.

وشارك في هذه الحملة أيضاً أمفياروس، زوج أخت ادراست. وكان عزافاً، فتنبأ بأن مصير الحملة هو الاخفاق الشنيع. ولهذا رفض الاشتراك فيها في أول الأمر. لكن فولونيقس أغرى زوجته اريفوله بأن أعطاها عقد هارمونيا وثوب زفافها، فحملت زوجها أمفياروس على الاشتراك في الحملة. وفي الطريق إلى ثيبا وجه اللوم العنيف إلى السبعة الزعماء بسبب تهورهم وغطرستهم، ووبّخ خصوصاً توديا Tydée. وفي ساحة القتال حارب توديا ضد ميلانيفوس حتى قُتل. وهناك وضع أمفياروس في يدي توديا وهو يحتضر، رأس ميلانيفوس مقطوعاً! ففتح توديا جمجمة خصمه ميلانيفوس وأكل المخ الموجود فيها!

واستمرّ القتال بين المحاصرين والمحاصرين، لكن دون نتيجة حاسمة. لهذا اتفق الطرفان على أن يحسما الأمر في مبارزة فردية، بين الأخوين: اتيوكل، وفولونيقس: فإن انتصر اتيوكل انسحب جيش أرجوس وعاد أدراجه؛ أما إذا هُزِمَ، فإن تولّي العرش سيكون من حق فولونيقس. لكن لم يكن هناك منتصر، بل قتل كلا الأخوين الآخر. ولما كان اتيوكل موجود بنفسه تطلع في أخيه وبكى، إذ لم يكن في وسعه أن يتكلم. أما فولونيقس فقد استطاع أن يتمم بوضع كلمات هي: «يا أخي، وعدوي، أنت دائماً عزيز عندي، عزيز جداً. اسمح لي بأن أدفن في بلدي الذي ولدت فيه - وحسبي هذا».

وهكذا لم تحسم المبارزة الفردية الأمر. فاستؤنف القتال. وأخيراً انتصر أهل ثيبا، وقُتل جميع الزعماء، باستثناء ادراست، الذي هرب مع بقايا الجيش الغازي، وذهبوا إلى مدينة أثينا.

وفي ثيبا استأنف كليون تولّي السلطة، وأعلن أنه لا يجوز دفن أي واحد من الذين حاربوا ضد ثيبا، بينما تقام لاتيوكل كل المراسم الجنائزية المخصصة لأشرف الناس؛ أما جثة فولونيقس فيجب تركها في العراء نهياً للكلاب وجوارح الطير.

ومن المقرر بحسب الديانة اليونانية أن أرواح مَنْ لا يُدفنون من الموتى لا تستطيع أن تعبر النهر الذي يحيط بمملكة الموت، بل تبقى في التشرذم والتجوال الضال دون أن تحظى بمكان تستريح فيه. . ولهذا كان دفن الموتى واجباً مقدساً

ليس فقط تجاه الأقارب، بل أيضاً تجاه الغرباء. لكن بحسب قرار كريون صار دفن فولونيقس جريمة كبرى يُعاقب عليها بالإعدام.

لكن أخته: أنتيجونا واسمينا، لما علمتا بقرار كريون هذا، امتلأتا حنقاً وغضباً. أما اسمينا فلم تشأ الذهاب إلى حد تحديّ قرار كريون هذا، وقالت لأختها: «نحن نسوة، وليست لدينا القوة لتحديّ أمر الدولة». فأجابتها أنتيجونا: «أنت أخذت دورك. أما أنا فإني ذاهبة لدفن أخي الذي أحببته». فصاحت اسمينا قائلة: «ليست لديك القوة لفعل ذلك». فأجابت أنتيجونا: «إذا خانتني قوتي، فسأستسلم». وغادرت أختها اسمينا، التي لم تجرؤ على الذهاب معها، ومضت لتنفيذ ما عزمت عليه.

وهنا نتوقف عند هذا الحد، محيلين فيما يتعلق بما يتلو هذا، إلى المقدمة التي قدّمنا بها ترجمتنا لمسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس.

- (٢) -

ومسرحية «السبعة ضد ثيبا» لأسخولوس قد مُثّلت في ربيع سنة ٤٦٧ ق.م وكانت المسرحية الثالثة في ثلاث من المسرحيات لأسخولوس هي «لايوس» و«أوديب» و«السبعة ضد ثيبا»، وأضيفت إليها دراما هجائية بعنوان: «الاسفنكس». وقد حصل اسخولوس على الجائزة في مسابقة ذلك العام بهذه المسرحيات الأربع.

وقد حظيت مسرحية «السبعة ضد ثيبا» بنجاح متواصل طوال القرن الخامس قبل الميلاد، بدليل أن النص اليوناني قد عانى الكثير من التنقيحات والاضافات طوال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. ثم إن شاعراً مجهول الهوية قد أضاف إلى المسرحية خاتمة من عنده يعلن فيها تمرد أنتيجونا.

أما المصادر التي رجع إليها اسخولوس في تأليفه لمسرحيته هذه فيعرف منها ملحمتان هما: «ملحمة أوديب» Oedipodie وملحمة «ثيبا» Thébaide. ويلوح أن هاتين الملحمتين كانتا مزيجاً من الأغاني الشعبية القديمة. ولما كانت هاتان الملحمتان قد ضاعتا، فمن الصعب تحديد ما استقاه منهما اسخولوس، وما ابتكره هو.

كذلك ضاعت المسرحيتان الأخريان اللتان كانتا تؤلف مع مسرحيتنا هذه

الثلاث المسرحي الذي أشرنا إليه في أول هذا الفصل . بيد أننا نستطيع أن نستخلص الملامح الرئيسية فيها بفضل ما ورد في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» . إنها تدور حول أسطورة لايوس . وخلصتها هي أن لايوس ، ملك ثيبا ، رغب رغبة حارة في أن يكون له ولد ذكر : لكن زوجته يوكاسته بقيت عقيماً فذهب ثلاث مرات إلى مدينة دلف حيث معبد ووحى أبولون ، كي يضرح إلى أبولون كيما يهبه ابناً . لكن هذا الإله أمره بأن يتخلى عن الأمل في أن تكون له ذرية ، لأن ذريته مقدر لها أن تضيع مدينة ثيبا . إنه لو صار له نسل ، فإنه بهذا سيضحى بمدينة ثيبا . بل إن رغبته هذه قد صارت إجرامية ، منذ اليوم الذي فيه كشفت له السماء الخطر الذي يتعرض له بلده . لكن الآلهة يساعدون الناس الذين يعملون على هلاك أنفسهم ، ولهذا سمحوا لزوجته - يوكاسته بأن تحمل وتنجب ولداً . فلما وُلد هذا الابن أدرك لايوس أنه أخطأ ؛ لهذا أرسل الطفل الوليد إلى العراء لتأكله الذئاب ، لكن هذا الوليد نجا من الوحوش ونما وترعرع بعيداً عن مدينة ثيبا . وذات يوم ، عند ملتقى طرق ، لقي أباه دون أن يعرفه ، وشبّ نزاع بينهما حول المرور من هذا الطريق ، فما كان من هذا الشاب إلا أن قتل أباه هذا الذي لم يكن يعرف من هو . ثم تغلب على الاسفنكس ، هذا الوحش الذي كان يتعرض للمأزاة ويلقي عليهم ألغازاً ، فإن لم يستطيعوا الاجابة الصحيحة عليها قتلهم . لكن لما مرّ هذا الشاب - واسمه أوديب - وألقى الاسفنكس عليه السؤال اللغز استطاع أوديب أن يجيب عليه إجابة صحيحة ، ثم قتل الاسفنكس ، وبهذا خلّص مدينة ثيبا من هذا الوحش الكاسر : الاسفنكس . ومكافأة له على هذا العمل ، قرر أهل ثيبا أن يولوه ملكاً عليهم ؛ ثم تزوج يوكاسته ، زوجة ملكهم السابق لايوس ؛ وأنجب منها ولدين هما : اتيوكل وفولونيقس ، وبعد ذلك ابنتين هما : أنتيجونا وإسمينا . وكبر هذان الابنان ، وهنا انكشفت الحقيقة المرّوعة وهي أن أوديب إنما تزوّج أمه يوكاسته التي كانت قد أنجبته من زوجها الأول : لايوس . وهكذا تبين أن أوديب ارتكب خطيئتين : الأولى هي أنه قتل أباه لايوس ، والثانية هي أنه تزوّج أمه يوكاسته . وأمام هاتين الخطيئتين شنقت يوكاسته نفسها ، وفقاً لأوديب عينيه بدبوس . . وحبس ابنه في القصر الملكي في ثيبا ، حيث لقي إهانات قاسية . وبقي الأسطورة قد عرضناه في الفصل السابق .

فموضوع ثلاثية اسخولوس هو اذن عصيان لأيوس وما ترتب على هذا

العصيان من نتائج. فالمصائب التي ستنصب على أبنائه جميعاً هي نتائج خطيئة لا يوس. وانتقام أبولون لهذه الخطيئة سيطارده وأحفاده. لقد كان لا يوس على حق حينما تمنى أن تكون له ذرية؛ لكن بعد سماعه لوحي أبولون في دلف لم يعد له هذا الحق، لأن الوحي أنبأه أنه لو صارت له ذرية فسيكون في ذلك تدمير لمدينة ثيبا. فكان من الواجب عليه إذاً - بناء على هذا الوحي - أن يتخلى عن طلب الذرية..

ومع ذلك فإن وحي أبولون لم يتحقق إلا جزئياً: وهو المصائب التي حلت بأبناء لا يوس، أما النتيجة الأخرى وهي تدمير مدينة ثيبا فإنها لم تتحقق، بل نجت مدينة ثيبا وارتد عنها الغزاة السبعة مهزومين. فهل أخطأ اسخولوس في تصوره حينما جعل ثيبا تنجو من هذا الغزو تلك النجاة التي تتعارض مع وحي أبولون؟

يجيب المدافعون عن اسخولوس قائلين إنه إذا كانت الآلهة لم تطلب ضحايا أخرى واكتفت بما فعلت، فإن السبب في هذا هو أن السلالة الخاطئة (سلالة لا يوس) قد اعترفت باليد التي ضربتها: لقد رضيت بمصيرها، وبهذا أنقذت بلدها ثيبا. وهذا هو الدور الذي قام به اتيوكل في مسرحية «السبعة ضد ثيبا»: فقد دافع عن بلده هذا دفاعاً مجيداً وضحى بنفسه في سبيل نجاتها، فنجت بفضل هذه التضحية، ولم يعد لدى الآلهة مبرر إذن لتنفيذ الشق الثاني من الوحي، وهو تدمير ثيبا. «إن الجريمة المشتركة بين لا يوس، وأوديب، وفولونيقس كانت هي التضحية بوطنهم في سبيل أهوائهم: أما مجد اتيوكل فيقوم في إخلاصه التام لوطنه الى حد التضحية بنفسه في سبيله والنداء الذي يوجهه الى الشيوخ والشباب، في اللحظة التي فيها تبدأ المسرحية، يعبر عن الدور الذي سيقوم به. إننا نشعر فيه بالحب الحار الذي يكتنه لوطنه، وبالمرارة العميقة تجاه الناس. بل إن اتيوكل لا ينتظر شيئاً من مواطنيه، اللهم إلا عرفان الجميل. ذلك أن هذا البطل - اتيوكل - هو أيضاً هدف للجنة. فعليه، مثلما على أخيلوس - البطل الوحيد الذي يمكن مقارنته به - يثقل الهم والجزع؛ لكنه ليس فقط الجزع من موت قريب، بل هو أيضاً الجزع من جريمة لم يكن من الممكن تجنبها. بيد أن هذا المصير الذي يعلمه تمام العلم يزيد في طاقته بدلاً من أن ينتقص منها. إنه لا ينسى، بل هو يشعر دائماً بأنه تقف الى جانبه «اللجنة»، وهي إلهة رهيبة، لكنها صارت مألوفة عنده، وتدين له بالحماية التي يدين بها الجلاد لفريسته قبل ساعة تنفيذ العذاب: إنه منها، وفي الوقت نفسه

من زيوس يطلب الشيء الوحيد الذي يهّمه: ألا وهو نجاة مدينته. بيد أن هذا المصير، في مقابل ذلك، يعزله عن سائر الناس؛ وليس لديه، مثلما كان لدى أخيلوس، ملجأ في الصداقة؛ بل هو حَشِينٌ مع أولئك الذين يتولّون حمايته؛ وهو يجيب النساء اللواتي يرتعدن بعبارات السخرية والاستهزاء. ولم يشعر بالضعف إلا في لحظة واحدة وذلك حينما وضعه القدر في مواجهة أخيه، فإنه زفر بالشكوى. لكنه سرعان ما يستعيد قوّته وشهامته. إن الجريمة التي هو بسبيل ارتكابها - وهي قتل أخيه في المباراة - هي موضوعة على الطريق المؤدي إلى واجبه: ولهذا وثب للقتال، ولا تثريب عليه في أن يهلك في هذه المباراة الفردية، فإن شرفه سيسلم، وسينقضي بانقضائه هو وأخيه السلالة التي لعنها أبولون. من أجل إبعاد آلهة الانتقام لا بد من تقديم ضحايا ترضى عنها السماء؛ إن حياته هي العنوان الوحيد الذي تقدّره الآلهة، فليكن لها إذن ما تريد^(١)!

لكن إلى جانب أتيوكل الذي تسود شخصيته كل المسرحية بجلالها وروعيتها، ينبغي ألا ننسى دور الكورس، ودور الرسول. فالكورس بتعبيره عن الأحزان والمخاوف بلغة غنائية حافلة بالمجازات القوية يؤثر في نفس المشاهدين تأثيراً عميقاً. وتشغل شكاته وآهاته وحسراته حيزاً ضخماً في المسرحية.

ثم إن الرسول، خصوصاً في استعراضه للرؤساء السبعة الذين تولوا قيادة الهجوم على ثيبا، قد برع كثيراً في وصف تهديداتهم المستكبرة وغطرستهم المتحدية - وذلك في مقابل الحزم والعزم ورباطة الجأش والثبات وصدق العزيمة: تلك الصفات التي تجلت في شخص أتيوكل ورفاقه المدافعين عن مدينة ثيبا. وكان لهذا التقابل بين خصال الفريقين أثر عظيم في المشاهدين اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد وما تلاه من قرون كَثُرَ فيها تمثيل هذه المسرحية الفذة.

باريس في ٨ مارس ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

(١) من مقدمة پول مازون Paul Mazon ترجمته الفرنسية. باريس، ١٩٢١، عند الناشر Les Belles Lettres.

« السبعة ضدّ ثيبا » شخصيات المسرحيّة

اتيوكل : ابن أوديبي ويوكاسته ، وملك ثيبا

رسول

كورس من أهالي مدينة ثيبا

(سوق ثيبا. وفي عمق الأوركسترا تماثيل للآلهة. كل الجيش عند الاستحکامات.

ليس هناك في السوق إلا شيوخ أو شباب. يدخل اتيوكل)

اتيوكل: يا شعب كادموس! ينبغي على الرئيس أن يقول كل ما تقتضيه الساعة، الرئيس العاكف على عمله، الممسك بدقة المدينة، المتولي بيده توجيهها، والذي لا تغفل عيناه. لأنه في حالة النجاح سيُرد الفضل كله إلى الآلهة، وإذا حدثت - لا سمحت السماء! - مصيبة فإن اسماً واحداً هو: «اتيوكل» يكون في آلاف الأفواه هو الذي سيُشهر به في أناشيد صارخة ومناحات، ليت زيوس الحافظ يحمي منها المدينة الكادموسية، كيما يستحق لقبه هذا! وأنتم أيضاً، يجب عليكم في هذه الساعة: سواء منكم من ينتظرون قوة الشباب المليئة، ومن منكم فارقته القوة مع طول العمر - أقول: يجب عليكم جميعاً أن تنفخوا في عضلاتكم لمضاعفة قوتها، وأن يقوم بدوره بحسب ما تسمح به قُواه - ابتغاء نجدة المدينة، وأن يذهب إلى مذابح آلهة البلاد - حتى لا تزول عبادتهم إلى الأبد، وابتغاء نجدة أبنائكم، وإنقاذ الأرض التي هي أمكم، وأحنى المرَبَّيات عليكم، - في هذه الساعة التي تدرجون فيها على تربتها المُحسِنة وأنتم أبنائها، وقد تكفلت لكم بغذائكم، وصنعت لكم مواطنين مخلصين مسلحين بالترس الذي تتوقعه في هذا الوقت العصيب. صحيح أنه حتى الآن السماء لا تزال في صفنا: ذلك أنه منذ الأيام الطويلة التي حوصرت فيها ثيبا، فإن الحرب - بفضل الآلهة - كانت لصالحنا في الغالب. لكن ها

هوذا العراف^(١) اليوم - وهو راعي الطيور، يزن علائم التنبؤات بعلم لم يكذب أبداً، ودون أن يلجأ إلى العلامات المستمدة من النار. وما صرّح به - وهو أستاذ في هذه التنبؤات - هو أنه منذ وقت قليل تقرر قيام الأخايوين بهجوم في الليل، وبخبث وخسّة سيهاجمون مدينتنا. فهيا بكم إذن إلى أعالي الاستحكامات، وإلى أبواب الحصون! هُبُوا جميعاً، واهرعوا وأنتم مسلحون من الرأس حتى القدم! إملأوا الشرفات، احتلّوا أسقف الأبراج، وعند مخارج الأبواب انتظروا في ثقة وعزم دون أن تخافوا من عدد المهاجمين: إن الآلهة ستكون معنا. وأنا من ناحيتي قد أرسلت إلى خطوط الأعداء مترصدين وكشافة، وأنا واثق أنهم لن يضلوا: ومتى استمعت إلى تقاريرهم، فإنني لن أخشى بعد ذلك أية مفاجآت.

(يدخل رسول)

الرسول: اتيوكل، يا سيد الكادموسيين الشجاع، لقد جئت من عند الخطوط الحربية، وأحضرت رواية دقيقة للأحداث: إنني بعيني شاهدت الأمور. إن سبعة من القواد الصناديد قد ذبحوا - على درع أسود - ثوراً، وأقسموا، وأيديهم في الدم، بحق آرس، وإنيو والهزيمة الممزوجة بالمذابح - أقسموا إما على أن يدمروا وينهبوا مدينة كادموس، أو بموتهم أن يروّوا هذه الأرض بدمائهم. وبعد ذلك علقوا بأيديهم على عربة أدراس^(٢) تذكارات لأقاربهم الذين بقوا في بيوتهم، وهم سيكون؛ لكن لم تتجاوز الشكوى شفاههم؛ بل كانت قلوبهم الحديدية تدخن وتغلي بالشجاعة: لقد كانوا أشبه بالأسود في عيون آرس. ولا خوف احتجزهم عن وعودهم: لقد تركتهم وهم يجرون القرعة على الباب الذي سيكون من نصيب كل واحد منهم ليقود إليه كتيبة. - عليك إذن، بأقصى سرعة، أن تختار أحسن قوادك، وصفوة أهل مدينتك، لكي يتولوا الإمرة عند مخارج أبوابنا. ذلك أن جنود أرجوس ها هم يقتربون وهم مدججون بأسلحة الحرب! إنهم زاحفون والغبار

(١) وهو تيرسياس Tiresias.

(٢) في مسرحية «ديار ثيبا» نجد أنه عُلق في عربة أدرست فُرس إلهي هو أريون (راجع باوسنياس ٨: ٢٥ ش). لقد كان السبعة يعتقدون أن هذا الفرس لن يهلك، ومهما كان مصير المعركة فإنه سيعود بالعربة إلى أرجوس.

يتصاعد، وحقولنا دُئست بالرغوة البيضاء التي تبصق بها خيولهم النافخة. هيا، أيها المرشد البارح، أمسك بزمام السفينة! حصن مدينتك، قبل أن تنطلق عاصفة آرس: ها هي ذي الأرض تزمجر من الأمواج الحربية! اهتبل أسرع فرصة للعمل! وسأكرس عيوني الساهرة المخلصة لخدمتك؛ وبفضل اطلاعك على ما يجري خارج الأسوار بواسطة تقرير دقيق، فإنك ستتجنب كل خطر.

اتيوكل: يا زيوس، ويا أرض، ويا آلهة وطني، وأنت يا أيتها «اللعة»، يا ارنيس Ernys الوالد القوية - اكفلوا السلامة لمدينتي لا تقتلعوا من التربة بجذورها المحطمة تماماً، فريسة للعدو: مدينة تتكلم لغة اليونان الفصيحة، وبيوتاً يحميها إله السكن! لا تُذِلُّوا بلداً حرّاً، مدينة أسسها كادموس، ولا تضعوها تحت نير العبودية. كونوا عوناً لنا ونجدة! إنني أتكلم لمصلحتكم بقدر ما أتكلم لمصلحتي؛ أعتقد ذلك: لأن المدينة المزدهرة هي وحدها التي توقّر الآلهة.

(يخرج، أهل ثيبا يتبعونه.. جمع من النساء الفزعيات يتدافعن مضطربات في الأوركسترا)

الكورس: إنني أعلن ها هنا عن فزعي وآلامي الهائلة! لقد أُطلق لها العنان. لقد غادرت المعسكر، وموجة من الفرسان لا حصر لعددهم تندفع ضدنا. ويحملني على هذا الاعتقاد الغبار المفاجيء الذي يتصاعد إلى عنان السماء كرسول بلا صوت، لكنه صادق أمين.

وها هي ذي أرض بلادي وقد أُسِّمِت إلى ضجيج الحوافر^(١)، الذي يقترب، ويطير، ويزمجر، مثله مثل السيل الجارف الذي يضرب سفح الجبل. أواه! أواه! أيها الآلهة ويا أيتها الألهات! أبعادوا عنا الكارثة التي تريد أن تنقض علينا.

آه، إن ضجة قد مرّت فوق أسوارنا: جيش الدروع البيضاء^(٢) يتقدم، وهو متأهب للقتال، ويُهْرَع نحو ثيبا. من سينقذنا إذن؟ أيّ إله، أو أية إلهة ستأتينا بنجدته؟ وماذا أستطيع أنا غير أن أركع على ركبتي أمام تماثيل آلهتنا؟ إيه أيها المخلصون السعداء لمعابدنا، إنني أتشبه بصوركم! لأن الوقت يضغظ. ولماذا أتلبث في المناحات التي لا جدوى منها؟

(١) النصّ اليوناني في هذا الموضع مضطرب.

(٢) الدرع المستديرة البيضاء المدهونة بالأبيض هي قطعة مميزة في سلاح أهل أرجوس.

هل تسمعون - أو لا تسمعون - ضجة التروس؟ متى إذن - إن لم يكن في هذه الساعة - نلجأ إلى توسلات الحجب والتيجان؟

آه! إنني أشاهد هذه الضوضاء إنه تصادم المقاليع؛ ماذا ستفعل، يا آرس؟ هل ستخون ميدانك القديم؟ أيها الإله ذو الخوذة الذهبية، ألقي نظرة، نظرة على المدينة التي أخلصت لك في الماضي^(١) حبها لك.

(يصعدن على المنصة المنصوبة عليها تماثيل الآلهة، وهن يذهبن من تمثال إلى آخر).

يا آلهات ثيبا، تعالين جميعاً مسرعات: انظرن إلى مجموعة من العذارى المستجيرات اللواتي يخشين الوقوع في العبودية. حول مدينتهن تزمجر موجة حرية من ذوي الخوذات المجلجلات وقد أسكرتها رياح آرس. إيه يا زيوس! يا زيوس! أيها الأب الذي بدونه لا يتم شيء، أبعده عنا إلى الأبد العدو الآسر. إن الأرجوسيين يحاصرون مدينة كادموس! الفرع ينفذ في باطني، الفرع من الأسلحة القتالة! وبين فكوك الخيول ترن اللعجم برنين المذابح! الرؤساء السبعة المتحالفون، الذين تسلحوا في أذرعهم بالنشابات، يتقدمون صوب أبوابنا السبعة، على الترتيب الذي قرره القرعة!

وأنت يا بنت زيوس، المحاربة القوية، كوني النجاة للمدينة. يا بلاس (أثنا). وأنت، أيها الإله الفارس، يا مَنْ تتحكم عصاه المثلثة الأسنان ويخافها السمك - تتحكم في البحار، أي فوسيدون، خلصنا، خلصنا من هذه المخاوف! وأنت يا آرس، وأسفاه وأسفاه، اسهر على مدينة تحمل اسم كادموس: كُنْ حليفاً لها، بالسلاح، كما أنك نسيبها بالدم! وأنت يا كوپريس، الجدة القديمة لجنسنا^(٢)، احميننا! إن دمك هو الذي يجري في عروقنا، وقد جئنا إليك بנדاءات، وزفرات ترجو الوهيتك. وأنت، أيها الإله الذي يُهلك الذئاب^(٣)، اقضِ على جيش أعدائنا، واجعلهم يدفعون ثمن تأوهاتنا!

(١) في اليوم الذي فيه آرس زوّج كادموس من ابنته هارمونيا.

(٢) أهل ثيبا ينحدرون من كادموس وهارمونيا. وهارمونيا هي بنت آرس وأفروديت. إذن أفروديت هي الجدة المشتركة لكل هذا الجنس.

(٣) الصفة Lylkeios (مُهلك الذئاب) كثيراً ما يوصف بها أبولون ولا يعرف ما هو الأصل فيها، كما هي الحال في كثير من الصفات التي يهاب بها في الطقوس. والعلماء المحدثون يريدون أن يجدوا فيها الجذر المعبر عن النور. أما القدماء فكانوا يعتقدون أن أصلها مأخوذ من اللفظ Lykos = ذئب.

وأنتِ، أيتها العذراء المولودة من ليتو^(١) - امتشقي سلاحك!

آه! آه! إني أسمع جلجلة العَرَبَات حول المدينة.. إيه يا هيرا القديرة! إن العجلات تصدح تحت ثقل المحاربين يا أرتميس الحبيبة! - أجيبي غاضبة على الثُّبَال التي تحرَّك الأثير. ما هو إذن مصير ثيبا؟ ماذا ستصير إليه مدينتي؟ وإلى أين تقودها السماء في النهاية؟

إن رَحّة من الحجارة تأتي من بعيد وتصيب أبراجنا، يا أبولون العزيز! إني أسمع عند أبوابنا قعقة التروس النحاسية. آه! أعزنا سمعك، أنت يا من جعلك زيوس حَكَمًا مقدّساً يفصل - في المعارك - في مصير الحرب^(٢)؛ - وأنتِ يا أونكا Onka، أيتها المَلِكة الإلاهية التي نعبد أمام أسوارنا، احمي المدينة ذات الأبواب السبعة!

آه! أيتها الآلهة القديرة، آه! أيتها الآلهة والإلاهات المنصّبون حراساً يحرسون استحكامات مدينة ثيبا! إن مدينتنا تترنح تحت أفاعيل الرماح؛ لا تسلموها إلى جيش يتكلم بلغة أخرى^(٣). استجيبوا لدعوة العذارى، استجيبوا لدعوات الأذرع المبسوطة نحوكم.

آه! أيتها الآلهة الصديقة، اشمولوا هذه المدينة بمساعدتكم المحرّرة؛ برهنوا على أنكم تحبّون مدنكم! تذكروا الأضاحي التي قدمها إليكم هذا الشعب، وليرشدكم هذا التذکر إلى نجدته. ولا تنسوا الأسرار الحافلة بالقرابين والتي كان يحتفل بها في هذه المدينة.

(يدخل اتيوكل)

اتيوكل: إني أطلب هذا منكم أنتم، أيتها المخلوقات غير المحتملة: أهذا هو

(١) أي: أرتميس، التي تصورها الأساطير غالباً وهي تقاتل إلى جانب أخيها: أبولون.

(٢) من الواضح أن المقصود هو «إله النصر» Nike، إذ اسمه مصحوب دائماً باسم زيوس، ويمكن أن يعد بمثابة المنفذ لإرادته ولما كان أهل أثينا غالباً ما يهيئون بالنصر على شكل: «أثينا نكيه» فإن اسخولوس هنا يقرب «النصر» من أثنا الشياوية: پلاس أونكا.

(٣) كان بين أهل بيوتيا وأهل أثينا اختلاف في اللهجة، لا في اللغة اليونانية، لكن اليونانيين كانوا شديدي الحساسية لاختلاف اللهجات بحيث كانوا يعدون ذلك اختلافاً في اللغة، وليس مجرد اختلاف في اللهجة.

ما يليق بالحال وينقذ المدينة؟ هل هذا هو ما يبث الثقة في هذا الشعب المحاصر: أن تنكبوا على تماثيل آلهة ثيبا بالصراخ والصياح اللذين يفزعان العقلاء من الناس؟ آه! ألا ليت السماء تحفظني من المرأة، سواء في الضراء وفي السراء! إن المرأة إذا انتصرت صارت وقاحة لا تُحتمل؛ وإذا خانت، صارت كارثة على منزلها وعلى مدينتها. واليوم، بمشاويركم التائهة في المدينة، أنتن أطلقتن نداء الجبن الخوآف؛ وكان في هذا خير مدد لمن هم أمام أسوارنا، بينما نحن ندمر أنفسنا خلف هذه الأسوار. هذا هو ما يكسبه الناس من العيش مع النساء. لكن، في هذه المرة، مَنْ لا يمثل لأوامري، رجلاً كان أو امرأة، أو أي مخلوق آخر، فإنه سيرى في الحال قراراً بالإعدام ينقض عليه، ولن يُفلت - وأنا كفيل بهذا - من الأحجار القاتلة يرميها به الشعب. إن ما يحدث خارج البيت هو من شأن الرجال؛ وليس للمرأة أي صوت فيه. التزمي بيتك، وكُفّي عن إيدائنا. هل سامعة أنت، أو لا؟ هل أنا أكلم صماء؟

الكورس: يا ابن أوديب العزيز! إنني أشعر بالخوف من الضجيج، ضجيج العربات ذات الأصوات، ومن الصياح الذي تحدثه العجلات، ومن لُجم الخيول، التي لا تنام ابداً في أفواهما، ومن حديدة اللجام، وهي بنت النار.

أتيوكل: هل بالهرب من المؤخرة إلى الجؤجؤ يجد البحار المناورة التي ستقذه، في الوقت الذي فيه تترنح السفينة تحت هجمات الأمواج؟

الكورس: لا، إنني هُرِعت فقط إلى التماثيل القديمة لآلهتنا، واضعة أمني في السماء، لدى أول زئير أو سيل جارف قاتل تدفق على أبوابنا. هنالك دفعني الفرع إلى الذهاب إلى «السعداء» (= الآلهة) لأتضرع إليها كي تشمل بالنجدة مدينتنا.

أتيوكل: أن تصد استحكاماتنا جيش الأعداء: هذا هو الدعاء الذي ينبغي توجيهه إليهم! وهذا أيضاً هو ما تطلبه الآلهة هي نفسها. أفليس يقال إن المدينة التي تم الاستيلاء عليها تتخلى عنها آلهتنا؟

الكورس: آه! ليتني لا أرى ثيبا وقد تخلت عنها الآلهة المجتمعون ها هنا! ألا ليتني لا أرى مدينتي تتجول فيها الخيول في كل اتجاه ملقية عليها شعلات من النار مدمرة!

أتيوكل: ادعي الآلهة، لكن لا تصرفني تصرفاً أحمق! إن النظام أبو النجاح الذي يؤمن - وحده - النجاة في الحياة، يا أيتها المرأة! تلك هي الحقيقة.

الكورس: نعم، لكن القوّة السماوية أشدُّ قوّة! إنها وحدها التي تُنهض الانسان، حين يكون غائصاً في مصائب لا مخرج منها وواقعاً في محنة مريرة بحيث يرى ضباباً ينزل على عينيه.

اتيوكل: إن على الرجال أن يقدموا إلى الآلهة مئآت الأضاحي، وأن يمتحنوا الحظّ بالاشتباك مع العدو. أما أنتِ فدورك هو أن تسكتي وأن تقبعي في بيتك.

الكورس: إننا ندين للآلهة بالسكنى في مدينة غير مهزومة، وأن نشاهد استحكاماتنا تحميننا من جحافل الأعداء. أيّ قلق حاسد يمكن أن يرتاب في صلواتي؟

اتيوكل: إني لا أنكر عليك الحق في تمجيد الآلهة؛ لكن إذا شئت ألا تنشري الجُبن في قلوب المواطنين، فعليك أن تبقي هادئة، وألاً تفصحي عن فزعك.

الكورس: إن ضجة مبهمة قد طرقت مسامعي منذ قليل، فهرعت خائفة إلى هذه الرابية التي هي مقام مقدس.

اتيوكل: إذن لا تندفعي في العويل حين تسمعين الناس يتحدثون عن جرحى وموتى.

رئيسة الكورس: يا للسماء! إني أسمع الآن صهيل الخيول!

اتيوكل: اسمعي، ولكن لا تُظهري أنك تسمعين.

رئيسة الكورس: ثيبا تنوح من أعماق تُزيتها: إنهم يُخدقون بنا!

اتيوكل: أنا هنا لإتخاذ الاجراءات اللازمة.

رئيسة الكورس: أنا خائفة؛ إن ضوضاء الأبواب المصدومة تتزايد باستمرار.

اتيوكل: ألا تكفّين عن الصراخ هكذا في المدينة! اسكتي.

رئيسة الكورس: أيها الآلهة المجتمعون هنا! لا تتخلّوا عن متاريننا!

اتيوكل: يا ويلتاه! ألا تستطيعين الاستسلام للصمت؟

رئيسة الكورس: يا آلهة مدينتي، احفظيني من العبودية!

اتيوكل: إنك إنت التي تُسلميننا إلى العبودية، أنا وكلّ المدينة.

رئيسة الكورس: يا زيوس القدير: صوّب سهامك ضد أعدائنا!

اتيوكل) يا زيوس! ماذا خلقت حين خلقت لنا المرأة؟
رئيسة الكورس: كائناً بئساً، تماماً مثل الرجل، حين يُستولى على مدينته.
اتيوكل: لا تزالين تتكلمين عن المصائب، وأنت تحتضنين الآلهة!
رئيسة الكورس: لم تُعدّ عندي شجاعة: إن الخوف ينتزع مني كلماتي!
اتيوكل: أرجوك، هل تفضّلين عليّ بفضل رقيق؟
رئيسة الكورس: قلّ لي بسرعة، وبسرعة أستجب لك.
اتيوكل: اسكتي، أيتها البائسة. كُفّي عن اشاعة الخوف في قومك.
رئيسة الكورس: سأسكت، إن مصيري سيكون مصير الجميع.

اتيوكل: هذه جملة أنا أحفظ بها - وأترك لك ما عداها! لكن افعلي أكثر من هذا: غادري هذه التماثيل، وتوجهي إلى الآلهة بالدعاء المفيد الوحيد، وهو أن يقاتلوا في صفنا. ثم اسمعي تمنياتي أنا، واصحبها - مثل مصاحبة نشيد مناسب - بالهتاف المقدس، وبالصيحة الشعائرية التي - في بلاد اليونان - تُحيي سقوط الأضاحي. إنها ستبث الثقة في رجالنا وتبدد ما فيهم من خوف من العدو. أمام الآلهة سادة هذا البلد، وآلهة الأرياف، والآلهة الحراس على مياديننا، وعلى نبع دركيه^(١)، وعلى مياه نهر اسمينوس - أنا أعلن أنه إذا تم كل شيء على نحو سعيد، وإذا نجت مدينتنا، فإنني سأسيل دماء النجاح على مذابح الآلهة، احتفالاً بانتصارنا؛ وبثياب أعدائنا، وهي أشلاء مزقتها النبال: سأعمل قرابين معلقة على جدران مقاماتهم المقدسة. تلك هي التمنيات التي أدعوك إلى تمتيها، بدلاً من الانخراط في هذه المناحات، وهذه الصيحات المهدّجة، التي لا فائدة منها والتي هي وحشية، ولن تستطيع أن تساعدك على الإفلات من المصير. أما أنا فسأذهب إلى المخارج السبعة لاستحكاماتنا للتصدّي للعدو. فأمنع ستة محاربين أشداء - أنا سابعهم - قبل أن يأتي رُسُلُ منزعجون وشائعات سريعة لمفاجأتنا، وتشعل النار في كل شيء تحت تهديد الضرورة.

الكورس: بودي أن أطيعك؛ لكن الفزع يوقظ قلبي والقلق المستعر عند أبواب نفسي يشغل فيها الفزع. . . إني أخشى الجيش الذي يحيط بمدينتنا، مثلما

(١) نبع يتدفق من نهر صغير في الجنوب الغربي من كومايا، رابطة ثيبا.

تخاف الحمامة المرتعدة على فراخها من الأفعى ذات الضمات القاتلة .

إن بعضهم يزحف في كتل متراصة نحو متاريسنا - فماذا سيكون مصيري؟
والبعض يرمون الآلاف بالأحجار الحادة على مدينتنا المحاصرة، يا أيها الآلهة، يا
أبناء زيوس، ساعدوا الشعب المنحدر من كادموس . أي بلاد ستقدم إليكم تربة
أفضل من تربة ثيبيا، إذا أنتم غادرتم هذا البلد الخصب، وبيع دركيه الذي هو
أعذب الينابيع التي يفجرها فوسيدون الذي يحيط بالأرض وأبناء تيثس^(١) Tethys؟

إذن، يا أيها الآلهة سادة هذه المدينة، على أولئك الذين هم خارج اسوارها:
أسقطوا الجُبن الذي يُضيق الرجال، والضلال الذي يرمي سلاحه، وفوزوا بالمجد
من أجل هذه المدينة؟ وأنتم أيها المدافعون عن ثيبيا، ابقوا مخلصين لمعابدكم: إن
زفراتنا الحارة تناشدكم وتبتهل إليكم!

وسيكون من المُخزن حقاً أن مدينة عنيفة مثل هذه سيلقى بها في هادس،
فريسة قد أطاح بها الرُمح، وعلى مشهد من الآلهة تصبح رماداً هشاً، قد دمّرها
الأخاياويون؛ - وأن تجرّ نساؤها - أرامل المدافعين، ويا حسرتاه! شابات وعجائز
على السواء . أن تجرّ من شعورهن، مثل المهاري، وملايسهن ممزقة، بينما تقفز
المدينة وسط الصراخ - وأن نسير نحو الموت غنيمة^(٢) ذات صيحات مبهمة . آه!
إني أخشى من وقوع كوارث فظيعة!

وسيكون مما يثير الأسى أن عذارى عفيفات - لم يحتفلن بعد بالمراسم التي
تقتطف زهرتهن الرقيقة - يسلكن الطريق الجديد الى مسكن بغيض . آه . إنني أؤكد
أن مصير الموتى أفضل من مصيرهن .

حينما تسقط مدينة فما أكثر ما ينهال عليها من المصائب! بعض المنتصرين يأسر
أسارى، والبعض الآخر يقتل المهزومين؛ وأحياناً تشعل الحرائق فيها، ويدنّس اللدخان

(١) أبنا تيثس والأوقيانوس هم الأوقيانوسيات، وهن حوريات المياه . وتبعاً لما يقوله هسيود («نَسَب
الآلهة» البيت رقم ٣٦٤) فإن عددهم يبلغ ثلاث آلاف حورية: وكل ينابيع الأرض تتدفق بفضل
فوسيدون (إله البحر) أو بنات أوقيانوس .

(٢) التعبير هنا مجازي . والمقصود، هو أن الأسيرات اللواتي اسرهن المنتصرون ستكون مسيرتهم شبيهة
بالمسيرة الى الموت .

المدينة كلها. إن آرس^(١) ينفخ بغضب ويطيح بالرجال، ويتهك كل ما يقَدسه الناس .
وها هي ذي تسري في المدينة شائعات حقاء. وحولها مُدَّت الشبكة التي
سيعاد بها حصونها. والمحارب ينهار، تحت رمح المحارب. وتأملات الأطفال
الدامية ترفع شكواها الطفولية.

وفي كل مكان يجري الخطف، أخو المطاردة. وناهب مملوء اليدين يلاقي
ناهباً مملوء اليدين؛ وناهب خاوي اليدين ينادي على ناهب خاوي اليدين، ليصبح
له شريكاً: ولا واحد يريد أقل من الآخر، بل ولا مثل الآخر. وما ينجم عن هذا،
في وسع العقل أن يتخيله.

وثمار الأرض من كل لون سقطت على الأرض. يا له من منظر مؤلم!
وعيون ربات البيوت تمتلئ بالمرارة. وهدايا الأرض على شكل أكوام مختلطة،
تتدافع في سيول لا فائدة منها.

وأسيرات، حديثة عهد بالآلام، تتنهّد وهي تفكّر في الفراش المخصّص
للإماء، فراش الجندي الذي تعطيه الصدفة هؤلاء الأسيرات: إنهن ليس أمامهن
مصير آخر ينتظره غير أن يكنّ - إبان الليل - في خدمة عدوّ منتصر، ابتغاء زيادة
الآلام التي تستوجب كل دموعهن.

رئيسة الكورس: أعتقد أن هذا هو كشف الجيش وقد جاء إلينا نحن
الصديقات، برسالة جديدة. وفي إسرعه يضغط على ركبتيه اللتين تحملاّنه. - هو
الملك نفسه، ابن أوديبي، وهو يسرع لسماع ما أتى به الرسول. وهو الآخر في
إسرعه لا ينظّم سيره.

(يدخل الرسول وهو يجري. اتيوكل يأتي من الجانب المقابل ويندفع نحوه).

الرسول: أستطيع أن أذكر - وأنا أعلم هذا بدقة - ما يفعله أعداؤنا وخصوصاً
نصيب كل واحد منهم من الأبواب بحسب القرعة: إن توديا Tydée هو الذي يزأر
أمام باب پروتيد Proitide؛ لكن العرّاف يمنعه من اجتياز نهر اسمينوس Ismenos،
لأن الأضحى لا تزال غير مواتية. توديا يغلي وهو متعطش للقتال، ويصرخ مثل
ثعبان يتلوى في شمس الظهيرة، ويسبّ العرّاف، ابن أويكله Oicléé «الذي يسعى -
بجُبن - إلى تملق الموت والقتال». هذا هو ما قاله، بينما هو يهز

(١) أي: الحماية في القتال، التي تتاب المحاربين.

ثلاثة أعراف مُظَلَّلَة هي عُرف خُوذة، وتحت ترسه أجراس برونزية ترنّ بالفرع . وعلى الترس يحمل شارة الكبرياء: سماء منقوشة مرصعة بالنجوم يتجلى فيها قمر بَدْرٌ يلمع في وسط الترس، كأنه ملك الكواكب، وعين الليل. ذلك هو الجنون الذي يكشف عنه لباسه الوقح بينما يصرخ على شاطئ النهر متعطشاً للمعارك، شبيهاً بفرس يبصق على لجامه بغضبه المتهدج، وهو ينتظر غاضباً نداء النفير . فمن ذا الذي ستكلفه بمواجهته؟ ولكن هو الجدير بتأمين الدفاع عن باب پرويتوس Proitos، حينما يزول الحاجز؟

اتيوكل: إن سلاح المحارب لا يخيفني. ولا توجد شارة تحدث جُرحاً؛ ولا أعراف، ولا أجراس تمزق، بدون مساعدة من الرمح. أما ذلك الليل، الذي تصف أنه مرسوم على تُرسه، مرصعاً بالنجوم السماوية، فإني أعرف إنساناً يمكن أن يتخذ منه دليلاً صادقاً على التنبؤ لو سقط هذا الليل على عينيه المائيتين، فإن من يحمل هذه الشارة المتكبّرة ستطبق تماماً عليه: إنه يكون قد جعل هذا الوحي حكماً عليه، وحي تجاوز^(١) الحدأ في مواجهة توديا سأضع ابن أستاكوس Astacos الجريء ليحمي هذا الباب: . إنه من سلالة نبيلة جداً، ويوقر عرش الشرف ويكره العبارات المتغطسة: وإذا كان يأنف من السفالات، فليس من عاداته مع ذلك أن يكون جباناً: لقد نبت على جذور أبناء سلون^(٢) Sillon الذين أبقى عليهم آرس (إله الحرب)، وهو الابن الحقيقي لأرض ثيبا - ميلانيبأ أما المعركة فستفصل فيها قرعة آرس؛ لكن حق الدم هو الذي يبعثه باسمه ليبعد عن الأرض - التي يدين لها بالمولد - رماخ الأعداء.

الكورس: ألا ليت السماء تكفل النجاح لبطلنا، لأن لديه كل حق في النهوض لنجدة ثيبا لكنني أرتعد من فكرة أن أتأمل يوماً الموت الراضي للأبناء الذين يسقطون من أجل أمهم.

الرسول: ليت الآلهة تمنحه إذن النجاح الذي أنت تريده له! - ثم إن القرعة

(١) نصيب توديا هو «ليل» الموت: فإن مالانيب ستقتله. لكن مالانيب هو الآخر سيسقط ميتاً في الحال، وتوديا وهو يعالج سكرات الموت سيلتهم جميعته. والعبارات الأخيرة في قول الكورس هنا تشير الى هذه الوقائع التي يعرفها المشاهدون جيداً.

(٢) المعنى الحرفي: «الناس المبدورون»، والمقصود هم الناس المولودون من أسنان التنين التي بذرها كادموس. لم يبق على قيد الحياة منهم إلا خمسة.

قد وضعت بعد ذلك كبانيه Capanée أمام باب الكترا: إنه كافر فاسق هو الآخر أسوأ من الأول، وتصرفاته تدل على الغطرسة التي تتجاوز الانسان. إنه يوجه إلى أسوارنا تهديدات رهيبية - فليحفظنا المصير من أن نتحقق! وسواء شاءت السماء أو لم تشأ، فإنه يؤكد أنه سينهب هذه المدينة، وأن تحدّي زيوس نفسه له لن يوقفه مهما انقض هذا التحدي أمامه! إن البروق، ومربعات الصاعقة هو يشبهها بقيظ الظهيرة. وشارته عبارة عن رجل عالٍ يحمل النار؛ وإن شعلة ملتهبة تسلح يديه، وهو يعلن بحروف من ذهب: «سأحرق المدينة». في مواجهة مثل هذا المحارب أرسيل... لكن من ذا الذي يستطيع مصارعته. مَنْ ذا الذي يستطيع - دون خوف ولا وجل - أن يتحمل هذا الرجل وادعائه؟

اتيوكل: إنه يخلق لنا ميزة فوق ميزة! إن الرجال حين يكونون مملوئين بالغرور الجنوني، فإن لهجتهم هي أصدق مُتهم لهم. إن كباينا يهدد، وهو مستعد للانتقال من القول إلى الفعل؛ وهو يزدري الآلهة، ويستخدم فمه للتعبير عن استكباره الجنوني، ويجرؤ - وهو الانسان الفاني البسيط - على أن يبعث إلى زيوس في السماء بكلمات رئانة مزمجرة مهددة؛ وأنا أؤكد أن الصاعقة ستنقض عليه، محملة بالنار، ولن تكون شبيهة بحرارة شمس الظهيرة. ومن ناحية رجالنا نحن، فإن من بينهم - على الرغم من وقاحة لهجته - رجلاً قد قُيِّض له أن يواجهه، وهو پوليفونت Polyphonte القدير: إنه إرادة حامية، وجِصْنٌ مجرّب، وسينعم بعطف أرتيمس الحامية وسائر الآلهة.

انتقل إذن إلى زعيم آخر وباب آخر.

الكورس: آه! ليهلك من يوجه إلى ثيبا هذه التهديدات، وليسمره في الأرض سهم من سهام الصاعقة، قبل أن يستطيع اقتحام منزلي، وبرمحه المتعجرف يرمي بي خارج غرفتي العذراوية!

الرسول: أنتقل الآن إلى من قررت له القرعة أن يهاجم أبوابنا. الرئيس الثالث هو اتيوكلوس Eteoclos، الذي وثب ما قدر له من الخوذة النحاسية^(١) المقلوبة. لقد قرر أن يسوق كتيبته ضد باب نايست Naiste وهو يتجول بخيوله^(٢)

(١) وهي التي أجريت بها القرعة.

(٢) إن الخيول تريد الاندفاع الى الأمام باستمرار، ولهذا يجب على الفارس المحارب، ان يستدير بها في جولات ليطامن من جموحها واندفاعها.

المزمجرة في لجمها، والتي تريد أن تثب نحو أبوابنا، وشراكها تنفخ بأصوات وحشية، مملوءة بنفخات أنوفها المتعجرفة. ودرعه تحمل شارة لا تتسم بالتواضع. . إنها تصوّر جندياً يصعد درجات سلّم موضوع على سور العدو، ويريد أن يقلبه، وهو يصرخ - إن كنت أصدق الحروف المرسومة إلى جواره - بما معناه أن آرس هو نفسه لن يلقي به إلى أسفل هذا الاستحكام. - إلى هذا أيضاً أُرسل المحارب القادر على إبعاده عن مدينتنا، وإبعاد نير العبودية عنّا نحن.

اتيوكل: سأرسل في الحال بالمحارب الذي تريده - إن لم يكن لحسن الحظ قد أرسل فعلاً. إنه رجل لا يحمل ادعاءاته إلا في ذراعيه: إنه ميغاريوس Megareus، ابن كريون Creon، من سلالة أبناء سيلون Sillon. وما هو بالرجل الذي يترك أبوابنا لمجرد أنه خاف من زمجرة خيول ذات سهيل غاضب؛ بل هو رجل إما أن يدفع الدين الذي عليه للأرض التي غَدَّتْه فيموت في سبيلها، وإما أن يتغلب على المحاربين الاثنيين والمدينة المرسومين على ذلك الدرع، ويجعل منهما غنائم يزين بها منزل أبيه. - خبرنا بدعاوى زعيم آخر ولا تبخل علينا بالتقارير.

الكورس: الصلوات تطالب كلها بالانتصار - فافضِ أيها المدافع عن بيتي -، وبالهزيمة للآخرين. وإذا كانوا في هذيانهم يتوقحون على ثيبا بعبارات مليئة بالعجرفة - فيا ليت زيوس المنجي يلقي عليهم بنظرة غاضبة.

الرسول: زعيم رابع، مكلف بالباب المجاور، باب أونكا، يقترّب منه وهو يصيح: هذا هو الشكل الجبار لهيوميدون Hippomedon. حينما شاهدت كوة درعه الهائلة وهي تدور على ذراعه، فإني ارتعدت، هذا أمرٌ لا أنكره. صحيح أن صانع الشارة لم يكن صانعاً غشيماً صنع درعه بهذا الشكل: توفيا Typhée، من فمه المشتعل، ينشر بخاراً مسوداً كأنه دوامة من النار المشتعلة بينما حلقات من الأفاعي تكوّن قاع الشريط الذي يدور حول الكرة الواثبة. وهو نفسه قد صاح صيحة الحرب، ودعا - وهو ممتلىء بآرس، إلى القتال، مثله مثل توياد Thyiade وهو يهذي، وعيناه تشران الفزع. لا بد من اتخاذ كثير من الحيطة في مواجهة مثل هذا المحارب، لأن ادعاءاته قد أثارت الهلع بالفعل أمام أبوابنا.

اتيوكل: نعم! لكن أولاً پلاس أونكا، جارة ثييا، التي تسكن بالقرب من هذا الباب، تكره خروجه عن الحدّ، ولهذا فإنها ستبعده عن أولادها. إنه أفعى رهيبية. ثم إن هوبريوس Hyperbios، هو البطل الذي اختير فعلاً لمواجهة هذا المحارب.

إنه لا يدّعي إلا أن يسأل الحظ في وقت الحاجة^(١). وليس في سمته ولا قلبه ولا سلاحه ما يدعو إلى اللوم. وهرمس قد رتب الأمور خير ترتيب: إنه عدوّ يصارع عدوّاً، وسيصطدمان بالآلهة المتحارين على تروسهم: فإذا كان أحدهم يحمل توفياً Typhée ذا الفم الملتهب، فإن هوپريوس يحمل على ترسه زيوس، أبا الآلهة، راسخاً على عرشه، ومربعات النار في يده - وبحسب علمي لم يشاهد أحد زيوس^(٢) مهزوماً.

الكورس: أنا متأكدة أن من يحمل، على ترسه، الجسم المقبور للخصم الكريه للسماء، وهي صورة يفزع منها الناس والآلهة الخالدون على السواء سيأتي أمام أبوانا يخطب جبهته.

الرسول: ليكن هذا إذن! - وانتقل الآن الى الزعيم الخامس، الواقف أمام بابنا الخامس: باب الشمال، بالقرب من قبر أمفيون Amphion ابن زيوس. إنه يقسم على حزبه التي يمسك بها في قبضة يده، والتي يقدّسها أكثر من الإله، بل أكثر من عيونه - بأنه سيخرب مدينة كادموس (= ثيبا)، على الرغم من زيوس. هكذا يتكلم ابن الأمّ الجبلية هذا، ووجهه لطيف، وهو رجل - طفل، زغب مراهقته بدأ يبرز على صدغيه وينمو في خصل كثيفة من الشعر. لكن ليس في قلبه شيء من العذاري اللواتي يحمل اسمهن؛ وهو يقترب بعين متوحشة. إنه پرتنوييه الأركادي Parthénopée! ومثل هذا المحارب ليس إلا نغلاً؛ لكنه في أرجوس التي ربه يرى أن يدفع دينه مضاعفاً؛ ولا شك أنه لم يأت للمساومة على المعركة، بل جاء من أجل أن يشرف السبيل الذي سلكه. ومع ذلك فإنه جاء أمام أبوانا وعليه سيما الغطرسة، لأنه - على الثرس النحاسي - الذي هو متراس مستدير لحماية

(١) يعني أنه سيقوم بدوره حينما تقتضي الظروف ذلك، ولا يربغ إلى التفاخر مقدماً بالنصر، كما يفعل خصمه المذكور آنفاً.

(٢) في المخطوطات ها هنا تصوير لنفس الكلمة، ينبغي أن يحل محل البيت الأخير، كما فعل بعض المحققين للنص. وذلك كما يلي:

«هؤلاء هم أولياؤهم الإلهيون. أما نحن فإننا في صف المنتصرين بينما هم في صف المهزومين، إن صحّ أن زيوس في القتال أقوى من توكيا. من المحتمل إذن ان كلا البطلين سيواجه مصيراً مماثلاً لمصير الآخر وهو بريوس، كما تدل على ذلك شارته. سيجد منقداً في زيوس المرسوم على ترسه..»

جسمه - راح يشهر الالهانة المفروضة على ثيبا - أعني: صورة الاسفنكس (الذي يأكل اللحم الطري)، وهذه الصورة مثبتة بمسامير، ولكنها تبرز بوضوح، وتعلق تحتها كادموشيا، من أجل اجتذاب أكبر عدد من السهام الى المحارب.

اتيوكل: آه! لكأن الآلهة أصابتهم بمصير خليق بأفكارهم وبخطرستهم الفاسقة! لكأن في ذلك إبادة كاملة بائسة لهم: - أما فيما يتعلق بالأركادي الذي تكلمنا عنه، فإن عندي محارباً لا غطرسة عنده، وذراعه ترى ما ينبغي عليه أن يفعله: إنه أكتور Actor، أخو المحارب السابق ذكره. إنه لن يسمح لهذا السيل من الكلمات التي ليس وراءها أفعال أن تزيد في المصائب في داخل استحكاماتنا، ولا أن تعبر أسوارنا إلى مَنْ يحمل صورة دابة متوحشة بغیضة على تُرس عدوّ. إن هذه الصورة هي التي ستجعل حاملها ينخرط في الشكوى، حينما ينصب عليها طرُق عنيف - هذه المرّة في الجون^(١)! - عند اسفل أسوارنا. ليتني أضدق فيما أقول، إن شاءت الآلهة.

الكورس: الكلمات تنغرز في صدري، وشعوري المصفرة تنتفض، حينما أسمع وقاحة هؤلاء المتعجرفين الفاسقين تتكلم. آه! ليت الآلهة تبيدهم على هذه الأرض.

الرسول: وانتقل الى السادس: إنه شجاع وعاقل معاً في القتال، إنه العرّاف القدير: أمفياراوس Ampharaos. إنه يقف أمام باب هومولوييس Homolois، ويطارد بشتائمه توديا القدير «توديا القاتل»^(٢)، مثير الاضطرابات في مدينته، وفيما يتعلق بأرجوس هو السيد الأكبر في المصائب، وأداة أرونييس Erynys،^(٣) وخادم الموت، ومستشار أدراست Adraste في كل هذه المصائب! ثم إنه يدور بنظراته حول أخيك: فولونيقس، وعيناه مشرعتان نحو أعلى^(٤)، وفي النهاية يناديه مرتين، ناطقاً باسمه، وهذه الكلمات تخرج من فمه: عمل جميل، محبوب من السماء،

(١) حرفياً: إنها من الخارج صوب الداخل ستجعل من يحملها يشكو حينما تتلقى طرُقاً متواصلًا في أسفل بيتنا.

(٢) اضطرت توديا الى الذهاب الى المنفى بعد قتله أحد أقربائه.

(٣) حينما تأتي إلهة الانتقام لترغم الجناة على دفع ما عليهم من دين، فإن توديا يكون الى جانبها. كشاهد الى جانب الدائن.

(٤) النص هنا محزّف تحريفاً لم يستطع احد إصلاحه. على نحو مرضي.

مجيد للأسماع، ويكرر لأبناء أخيك: هذا القول: تدمير بلد آبائه، وآلهة جنسه، مرسلأ ضدهم جيشأ أجنبياً! هل هي شكوى تمكن من إنضاب الينبوع الأمومي؟ لعل أرض الوطن، التي فتحت بالرمح بفضل مجهوداتك - هي التي ينبغي أن تخدم قضيتك؟ فيما يتعلق بي، فإني سأسمّن هذه الأرض، بوصفي عزافاً مختبئاً في أرض العدو. فلنقاتل: إن الموت الذي أتوقّعه لن يكون خلوأ من المجد». هكذا تكلم العزاف، بينما كان يحمل تُرسأ من البرونز الثقيل. لكن لم تشاهد أية شارة على الكرة، لأنه لا يريد أن يظهر بمظهر البطل، بل يريد أن يكون بطلاً بالفعل، ويستثمر في قلبه الخط العميق الذي منه نشبت الخطط النبيلة. - وأنا أدعوك أن توجه ضد هذا الشخص خصوماً حكماً وشجعاناً في وقتٍ واحد. إنه رهيب هذا الذي يوقر الآلهة.

اتيوكل: وأسفاه! أية علامة تقرب هنا بين العادل والفُسّاق! في كل مغامرة، لا شيء أسوأ من الرفاق الأردياء! إن المحصول منهم لن يدخل في مخزن^(١). لو أبحر رجل تقّي صالح مع تجار متحمسين لإرتكاب جريمة، فإنه سيهلك مع رفقته اللعينة. وإذا اشترك إنسان عادل مع مواطنين غير كرماء، قد نسوا حق السماء، فلا مناص من أن يؤخذ في نفس الشبكة: إنه سيسقط تحت وطأة السيف الإلهي الذي لا يميّز بين الناس! وهكذا الحال في شأن العزاف، ابن أويكليا Oicléé: الرجل العاقل، العادل، الشجاع، الورع، والنبيّ الشهير، متى وجد - على الرغم منه مشتركاً مع فسّاق ذوي لهجة وقحة، متورطين في طريق العودة منه ستكون طويلة: فإنه سيلتقط في نفس الشبكة، إن شاء زيوس. - وأنا أعتقد انه لن يهاجم أبوابنا - لا لأنه خالٍ من الشجاعة أو واهي الإرادة. ولكن لأنه لا بد يعلم أنه سيسقط صريعاً في المعركة، إذا لم تكن تنبؤات لوكسياس زائفة، وقد اعتاد ألا يقول إلا ما هو لائق، أو يعتصم بالصمت. ومع ذلك فإننا سنضع في مواجهته بواباً مضيافاً هو

(١) أولج في النص في هذا الموضع بيت شعر منقول إما عن مسرحية أخرى لاسخولوس، أو عن شاعر مأساوي آخر - وهو: «في حفل الخطأ يحصد الموت». وهذا البيت لا محل له هنا. إن الخطأ المقصود هنا هو ذلك الذي يسببه رفاق فاسدون، لا ذلك الناشء عن الخطأ. ثم إن هذه الفكرة لا تتفق مع حقيقة أمفياروس، فإنه رجل فاضل. كما ان أمفياروس لن يصاب بالموت: فإن الآلهة قد قرروا أن تنشق الأرض وأن تبتلعه وهو حي ومعه عربته، في اللحظة التي سيصيبه فيها رمح لاشين.

لاشين Lasthene القدير: ولئن كانت روحه روح عجز، فإن عضلاته شابة وعينه حادة، وذراعه مستعدة كي تضرب بالنبال الجانب المكشوف من الترس. لكن، بالنسبة إلى بني الإنسان الفانين، النجاح ليس إلا هبة من الآلهة.

الكورس: ليت الآلهة تسمع وتحقق دَعواتي العادلة، ابتغاء أن يكون النجاح من نصيب ثيبا، وليتها تنزل بلايا الحرب على المعتدين علينا! ويا ليت زيوس، في خارج أسوارنا، يضربهم بصواعقه ويقتلهم!

الرسول: سأنتقل الآن إلى الرئيس السابع الواقف أمام الباب السابع - إلى أخيك أنت، وإلى المصير الذي يطلبه لهذه المدينة في دعواته ولعناته. إنه يريد، بعد أن يتسلق أسوارنا، أن يعلن أنه انتصر، وأن ينشد نشيد الغزو، وأن يصارعك أنت فإما أن يسقط ميتاً، بالقرب منك، أو أن يقتلك ويسقط ميتاً بالقرب منك، أو - إن تركه حياً من سلبه من حقوقه، ينفيك بدوره خارج ثيبا فيكون انتقامه معادلاً لانتقامك منه. هذا هو ما يعلنه متوسلاً إلى آلهة الأجداد في أرض الآباء ان يسهروا على تحقيق أمانيه، أمانى فولونيقوس القديرا! وهو يحمل ترساً مستديراً، صنِع حديثاً رسمت عليه شارة مزدوجة: محارب منحوت بالذهب تقوده امرأة، وهي تقوده وجبينها هادىء. وهي تطالب بالعدالة، كما تدل على ذلك الحروف المكتوبة الى جوارها: «وساعد هذا الرجل من أجل أن يستعيد مدينته ومدخل مسكنه الذي ورثه عن أبيه».

إنني أخبرتك بالدقة عن مقاصدهم: ولن تجد ما تعييه على تقاريرى؛ وقرر وحدك القرار الذي ستصدره إلى المدينة.

(الرسول يخرج)

اتيوكل: آه! يا له من جنس غضوب، تكرهه الآلهة أشد الكراهية؛ جنس أوديب - جنسي أنا! - جدير بكل الدموع؛ وأسفاه! لقد تحققت اليوم لعنات الوالد! لكن ليس من اللائق البكاء ولا الشكوى - خوفاً من توليد مآسى أشد تغلي على جيبني. وفيما يتعلق بفولونيقس هذا - وقد أحسنت تسميته بهذا الاسم^(١) - فستعرف عما قليل إلى أي حد ستتتحقق شارته وهل من أجل إرجاعه تكفي

(١) المعنى اللغوي لهذا الاسم هو: «صاحب المشاجرات العديدة».

الحروف الذهبية المنقوشة على الثرس وهي سيل من الوقاحة متدفق من قلب في هذيان. لو كانت العذراء بعد، زيوس وهي: «العدالة» في أعماله وفي روحه، فهذا سيكون ممكناً. لكن «العدالة» لم تشرفه بكلمة واحدة ابداً بعد، لا في اليوم الذي فيه هرب من ظلمات رحم أمه، ولا حين كبر، ولا حين دخل في سن المراهقة، ولا حين تكونت خصلة من الزغب على ذقنه. ولا أظن أنه في اللحظة التي فيها ينجس أرض آبائه، يمكن أن تكون العدالة في صفه، وإلا لكانت خائنة تماماً لاسمها، هذه العدالة تنضم حينذ إلى إنسان لا ترعوي جراته عن أي شيء. هذا هو ما أومن به، وسأتولى أنا مواجهته وإلا فمن هو المرشح لمثل هذا غيري أنا؟ ملك ضد ملك، أخ ضد أخ، عدو ضد عدو: هكذا سأخوض القتال ضده. هيا! أحضروا إليّ أغطية الركبة لحمائتي من الحجارة والنبال.

رئيسة الكورس: لا، يا أعز الرجال، يا ابن أوديب! لا تُصبر في غضبك شبيهاً بذلك الذي يتكلم لغة اجرامية كهذه! حسبنا أن الكادموسيين سيتقاتلون ضد الأرجوسيين. من هذا الدم يمكن أن يتطهر الانسان. أما قتل أخوين، يسقطان تحت ضربات متبادلة، فهذه نجاسة لا يمكن أن تشيخ أبداً.

اتيوكل: احتمال مصيئته لا يصحبها عار - هذا ممكن؟ لأنه لا يوجد أي مكسب آخر يبقى عند الأموات. أما المصائب المصحوبة بالعار أيضاً فلن تحظى أبداً بالسمعة الحسنة!

الكورس: ما هذا الهذيان، يا أيها الولد؟ لا تدع الضلال الناشئ عن جنون قاتل يملأ قلبك ويعصف به. انبذ حتى مبدأ هذا المطعم الرديء.

اتيوكل: ما دامت السماء نفسها تعجل بالأمور، فلتذهب موجة كوكوت Cocyte بحسب الريح التي تدفعها نحو مصيرها، هذا الجنس البغيض الى نفس فويوس، جنس لا يوس كله!

الكورس: آه! بأية سن قاسية تعضك إذن الرغبة التي تدفعك - رغم ثمارها المرة - إلى القيام بسفك دم محرّم عليك!

اتيوكل: ذلك لأن «اللعة» الأبوية السوداء البغيضة، ودون أية دمعة في عينيه الجافتين ها هي ذي تقترب وتقول لي: مكسب كلُّه أن يموت المرء مبكراً لا مؤخرًا.

الكورس: إذن! قاوم من يريد أن يجرك. لن توصف بالجبن لأنك أفلحت في البقاء حياً. وآلهة الانتقام ذات الشارة السوداء الموكلة بهذا البيت ألن تخرج منه في اليوم الذي فيه الآلهة سيرضون عن الضحية التي قدّمها يداك؟

اتيوكل: الآلهة! إنهم لن يهتموا بعدُ بي. إن قربان موتي هو وحده الذي له قيمته عندهم. هل لا يزال عندي سبب لتملق موت يزيلني من الوجود؟

الكورس: نعم، اليوم على الأقل، بينما هو قريب جداً. لكن مع الزمن فإن «المصير» يمكن أن يفيد الخطة وينفحك بنفَس أكبر رحمة. أما اليوم، فإنه غاضب هائج.

اتيوكل: من الذي أثار هذا الغضب الهائج؟ لعنات أوديب. كانت صداقة جداً الرؤى التي رأيتها في أحلامي، وقسمت أملاكي.

رئيسة الكورس: اذهب، وأصغ إلى النساء، مهما كان ذلك ثقيلاً على نفسك.

اتيوكل: أسدي إذن نصائح يمكن اتباعها، وبدون حُطْبِ طويلة!

رئيسة الكورس: لا تسلك هذا الطريق: لا تذهب إلى الباب السابع.

اتيوكل: إن قلبي مشحوذ: فالكلمات لن تُفَلِّ من حدّه.

رئيسة الكورس: إن النجاح، حتى لو كان الحصول عليه قد تم دون مجد، هو شاهد على رضا الآلهة.

اتيوكل: لا يليق بالجندي أن يأخذ بهذا المثل.

رئيسة الكورس: ماذا؟ هل تريد أن تطيح بحياة أخ لك؟

اتيوكل: لا يستطيع أحد أن يُفَلِّت من المصائب التي ترسلها إليه الآلهة.

(يخرج وهو يجري)

الكورس: أخشى أن تلك التي تدمر البيوت، الإلهة القليلة الشبه بالآلهات، المتنبئة الصادقة جداً في تنبؤاتها بالمصائب، إلهة الانتقام التي تمنهاها الوالد - أخشى أن تنفذ اللعنات الغاضبة التي تفوه بها أوديب وهو في حالة من الجنون: إن هذا النزاع يلقي بأبنائه إلى التهلكة.

إن من يحرك نرد الحظ، خالوب Chalybe الغريب، المهاجر من اسقوثيا، القاسي في تقسيم الأموال، الحديد ذو القلب القاسي قد قرر، وهو يهزّ النرد، أنهم لن يشغلوا من أراضهم إلا ما يمكن أن يشغله الميت - وسيحرمون إلى الأبد من مزارعهم الشاسعة!

وحيثما يموتان كلاهما قُتلاً، كلا الأخوين قتل أحدهما الآخر، وحيثما تشرب الأرض الدم الأسود المتخثر الذي سفحه القتل، فمن ذا الذي يستطيع أن يتولى تطهير ذلك؟ ومن الذي يستطيع أن يغسله عنهما؟ أه! هذه آلام جديدة تمتزج بالآلام الماضية!

إني أفكر في الخطيئة القديمة، التي عوقبت بسرعة، والتي يمكن أن تستمر إلى الجيل الثالث، خطيئة لايوس Laios الذي تمرد على أبولون، وعلى فوثنو Pytho ثلاث مرات: معبده الذي يجري فيه التنبؤ، وهو مركز العالم، وقد أعلن له أنه يجب أن يموت دون أولاد إن شاء نجاة ثيبا.

لكن لايوس خضع لضلال رقيق^(١)، وأنجب موته هو، أوديب قاتل أبيه، والذي تجاسر على أن يلقي بالبذور في الخط المقدس الذي تكوّن فيه، وأن يغرس فيه جذراً دائماً: إن الجنون جمع بين الزوجين في الجنون^(٢)!

والآن، فإن بحرّاً من المصائب يتدفق بأواجه نحونا. وإذا انهارت إحدى الأمواج تلتها أخرى أعتى منها ثلاث مرات، تزمجر وتخلي حول مؤخر مدينتنا وبينها وبيننا لا يمتد أيّ دفاع غير ما سمكه متراس صغير؛ وأخشى أن تسقط ثيبا ومعها ملوكها^(٣). فها هي ذي لعنات الماضي تتحقق على نحو أليم. والبائسون يشاهدون الكوارث تمر إلى جوارهم. لكن عليهم - على عكس ذلك - أن يلقوا بالكثير من الحمولة من أعلى مؤخر سفينتهم: المغامرون الفانون الذين زاد ثراؤهم زيادة مفرطة.

من من الناس نعيم بالآلهة الجالسين في معبد ثيبا وفي السوق المزدهمة،

(١) هو الرغبة في أن يكون له ذرية. وكان الحرمان من الذرية أمراً قاسياً على نفوس الأقدمين، لأن ذلك معناه زوال الأسرة، وبالنسبة إلى الأب: انعدام الأوصاحي الجنائزية التي يطلبها الموتى وهم في العالم السفلي.

(٢) المقصود هو يوكاسته ولايوس.

(٣) وحي أبولون كان مهدداً لثيبا، بقدر ما كان مهدداً لسلالة ملوكها.

مثلما كان أوديب موقراً منذ أن خلّص هذه الأرض من الوحش الذي كان يفتال رجالها؟ لكن لما أن أدرك هذا الشيء النجس: حقيقة زواجه، فإنه - في ألمه الشديد، وفي هذيان نفسه - أتمّ شقائه المزدوج: فبيده القاتلة لأبيه اقتلع عينيه، عينيه الأثمن من أبنائه! وضد أبنائه، أيضاً - وقد غضب من قلة رعايتهم^(١) له - أطلق لعنات مرّة: إنهم سيتقاسمون أمواله والحديد في قبضة أيديهم وأنا أرتجف الآن من أن تتحقق هذه اللعنات على يد إلهة الانتقام ذات الركبة المرنة.

(رسول يدخل)

الرسول: اطمئنّي يا نساء يا أصدق بناتٍ لأمهاتكن: إن المدينة أفلتت من نير العبودية: لقد انهارت تنفّجات هؤلاء المحاربين الأقوياء؛ إن ثيبا تنعم بالانفراج قبل ان تغرق تحت تصادم الأمواج. إن متاريسها تحميها؛ ونحن زودنا أبوابنا بأبطال مستعدين للدفاع عنها. وفي الجملة، كل شيء حسنٌ عند ستة أبواب؛ أما الباب السابع فقد احتفظ به لنفسه الإله الجليل، مولانا أبولون، من أجل ان يتم على سلالة أوديب عقاب لا يوس وأخطاؤه القديمة.

رئيسة الكورس: أية محنة غير متوقعة لا تزال من نصيب ثيبا؟

الرسول: لقد نجحت ثيبا. أما الملكان الأخوان...

رئيسة الكورس: مَنْ؟ ماذا تقول: إنّي سأجنّ من الفزع.

الرسول: استرديّ وعيك واسمعي: إن ذرية أوديب...

رئيسة الكورس: وا حسرتاه! يا للشقاء! في وسعي أن أتنبأ بالمصيبة التي

وقعت.

(١) في مسرحية Thébaidé لعن أوديب أبناءه مرتين: ففي ذات يوم وضع فولونيقس أمامه المائدة الفضية وكأس كادموس الذهبية. فلما شاهد أوديب هذه الأشياء التي جاءت من لا يوس شعر بأنه أهين إهانة بالغة بفعل فولونيقس هذا، فأطلق ضد أبنائه هذه اللعنة: «أنهم لن يتقاسموا أمواله بالمعروف والتعاطف، ولن يكون بينهم إلا الحروب والمعارك» وفي مرة أخرى تالية بعث إليه أبناءه، بعد ذبح أضحية، بورك الضحية، لا بكتفها: ومعنى هذا أنهم رفضوا ان يعطوه القطعة المخصصة للملك، أي أنهم أعلنوا سقوطه! هنالك توسل أوديب إلى زيوس أن «ينزلهم الى العالم السفلي كل واحد منهم بضربة من أخيه» (حاشية على أوديب في كولون» لسوفقليس، البيت رقم ١٣٧٥ - راجع ترجمتنا لـ «مأسي سوفقليس»).

واسخولوس قد مزج هاتين اللعتين معاً في لعنة واحدة..

الرسول: لا شك أنها تعضُّ على التراب... .

رئيسة الكورس: مطروحة على الأرض هناك بلا حياة؟.. آه! مهما تكن الكلمة قاسية، فانطق بها.

الرسول: لقد مزَّق كلاهما الآخر بيديه الأخويتين!

رئيسة الكورس: وكان الإله عادلاً معهما معاً. إنه هو الذي أهلك هذه السلالة البائسة.

الرسول: في هذا مادة للسرور وللدموع. إن ثيبا ظفرت بالنصر؛ لكنَّ مَلِكَيْهَا، رَئِيسِي جيشها، تقاسما كل ثروتها بواسطة الحديد الاشقوزي المصنوع بالمطرقة، ولن يملكا من الأرض إلا ما سيجدانه في القبر الذي دفنتهما فيه التمنيات الشقية لأبيهما^(١).

(الرسول يخرج)

رئيسة الكورس: أي زيوس العظيم! ايتها الآلهة السادة على ثيبا: يا مَنْ تفضلتم بالدفاع عن استحكامات كادموس!

أينبغي عليّ أن أُسَرَّ وأن أُحْيِي بصياح ورع المخلص^(٢)، الذي حفظ مدينتنا من كل شر؟ أو أن أبكي على زعمائها في الحرب البائسين المتألمين المحرومين من الذرية، والذين - من أجل تبرير أسمائهم بوصفهم: «ساعين إلى المنازعات»^(٣) حقاً، قد هلكوا في خلافٍ فاسق؟

الكورس: إيه أيتها اللعنة السوداء الجبّارة، لعنة أوديب^(٤) وسلالته! إن برداً قاسياً يغشى على قلبي!

إنني أردد النشيد الخاصّ بالقبر، في هذيان ثياد Tyiade، حين أسمع عن الجثث الدامية التي سقطت سقوطاً بائساً. إن تلاقي هذه الرماح كان منحوساً!

(١) يتلو هذه الأبيات العبارة التي تبدو تكراراً وتقول: «المدينة قد نجت، لكن الأرض قد شربت دم الملكين الأخوين المسفوح بواسطة قتل متبادل».

(٢) المقصود هو: زيوس المخلص.

(٣) إن مصير فولونيقس لا ينفصل عن مصير أخيه اتيوكل، واسمه يعبر ويتنبأ بمصيرهما المشترك.

(٤) أي: التي أطلقها أوديب وارتبطت بسلالته.

والكلمة التي تفوه بها الأب قد أصابت إصابة قاتلة! وعدم لين لا يوس قد أطال
آثاره. والجزع يخنق المدينة؛ والتنبؤات لا تتلطف. آه! أيها المحاربون البائسون،
لقد أنجزتم ما كان من غير الممكن التجرؤ على تصديقه! وها هي المصائب التي
لا ترحم قد وقعت إذن، ولم يُعد الأمر مجرد كلام!

(يؤتى بجثتي اتيوكل وفولونيقس)

ها هوذا ما ينطق بأوضح كلام: إن عيوننا تشاهد ما رواه الرسول. إن نصيب
كل واحد من المحاربين الاثنيين، المثيرين لجزعنا المزدوج، وقتل كل واحد من
الأخوين لأخيه: كل هذا مائل أمامنا الآن. ماذا أقول؟ نعم، ماذا أقول، غير أن
الآلام قد جاءت لتأخذ مكانها في هذا البيت؟

هيا، يا صديقتي، استسلمن لريح المناحات، واضرين رؤوسكن بأيديكن،
ورددن خفقات المجاذيف التي تصاحب الموتى، وتقود دائماً خلال نهر أخيون
السفينة ذات الشراعات السوداء، غير متأثرة بالمناحات، نحو الشاطئ الذي لا
يعرف أبولون، ولا الشمس، الساحل المستور الذي اليه يذهب كل الفانين.

[لكن ها هي أنتيجونا واسمينا قد جاءتا لأداء واجب قاس هو: انشاد النشيد
الجنائزي لأخويهما. ولا شك في أنهما بصدريهما الفاتنين ذوي الثنايا العميقة،
سيعبران عن ألم عادل. لكن من العدل أن ننشد - قبلهما - النشيد الحزين لأرنيس
Ernys وأن نردد أيضاً نشيد هادس البغيض: وأنتما، يا مَنْ من بين النساء اللواتي
يحزمن ملابسهن بحزام كنتما بأبس البائسات بأخيهما، - إنني لن أبكي، ولن أنوح
ولن أنظاهر بالصرخات الحادة التي تنطلق فوراً من قلبي]^(١).

(ينقسم الكورس إلى نصفين يجب أحدهما على الآخر)

وا أسفاه! وا أسفاه! أحمقان، لم يصغيا إلى نصائح أصدقائكما، صانعان
للشروع لا تكلان، لقد تملكتما، أيها البائسان، بيت أبيكما بالسيف. آه! أجل!
أنتما بائسان لقيتما موتاً بائساً من أجل تدمير أسرتكما!

وا أسفاه! وا أسفاه! لقد دمرتما جدران بيتكما، بعد ملكية مريرة، ها أنتما
قد تصالحتما بالسيف من الآن فصاعداً.

(١) يرى بعض النقاد والمترجمين أن هذه الأبيات قد أولجها هنا شاعر مجهول، من أجل ان يمهد
لدخول ابنتي أوديب ليجعلهما ينشدان النشيد الجنائزي التالي.

إن أرنيس القوية قد صدقت على تمنيات أوديب، أبيكما مضروبين، نعم، مضروبين في الجانب الأيسر، في الجانب الأخرى، قد سقطتما أيها البائسان. وأسفاه! وأسفاه! وأسفاه! لعنات كانت السبب في هذا القتل المتبادل!

بالضربات التي ضُربا بها اخترقا بيتهما مثلما اخذت جسميهما، وقد أعماهها جنون مُطبق وخلاف ناشئ عن لعنة أبيهما.

إن نواحاً يسري خلال المدينة. استحكاماتنا تنوح، وهذه الأرض التي أحبتهما تنوح. لآخرين ستصير هذه الأملاك، التي هي السبب في كارثتهما، هذه الأملاك التي تسببت في نزاعهما وموتهما.

والحنق في قلوبهما تقاسما أملاكهما قسمة متساوية؛ لكن الوسيط لا يخلو من اللوم في نظر أصدقائهما، و«آرس» كان قاسياً عليهما.

هذه هي الحال التي وضعتهما فيها ضربات السيف. لكن، بعد ضربات السيف، ماذا ينتظرهما؟ جزءٌ من قبر آبائهما.

إن نواحاً صاخباً في بيتهما يرافقهما، نواحاً يمزق القلب وينوح على نفسه ويتألم لنفسه، ويُحزن النفس ويترد السرور، وينتزع من قلبي دموعاً صادقة، قلبي الذي يحترق وهو يبكي على هذين الأميرين.

يمكن أن يقال عن هذين البائسين انهما أهلكا في القتال كثيراً من المواطنين وكثيراً من الغرباء في صفوف الأعداء. بائسةٌ بين كل النساء اللواتي يسمين أمهات تلك التي أنجبتهما. لقد أنجبتهما من ابنها هي الذي اتخذته زوجاً لها - وهكذا انتهت تحت الضربات المتبادلة بأيديهما الأخوية.

أجل هما أخوان، أضاع كلاهما الآخر بالكراهية التي فصلت بينهما، والصراع الجنوني الذي أنهى نزاعهما. وأخيراً انتهت كراهيتهما؛ وفي الأرض المغمورة بدمائهما اختلطت حياتاهما وهما حقاً من نفس الدم. لقد كان قاسياً الحَكَم الذي فصل في نزاعهما، الأجنبي الذي من بُنطش. السيف الحاد الخارج من الفرن؛ وقاسٍ أيضاً القاسم الشرير الذي قسم ثروتها: آرس، الذي صدق على اللعنة التي نطق بها أبوهما.

هذان البائسان كان لهما نصيب في المصائب التي فرضتها الآلهة وقررها

المصير وتحت جسميهما ستكون لهما ثروة التراب التي لا قاع لها. آه! لقد بلغا الذروة بالمصائب العديدة التي أصابت سلاتهما. لكن اللعنات جعلت النشيد الحاد للانتصار يتردد، بعد أن هزمت السلالة هزيمة كاملة. إن غنيمة آتیه Até تقف عند الباب الذي اصطدما عنده، وتوقف الإله بعد أن هزمهما كليهما.

أنتيجونا (مخاطبة فولونيقيس): أنت ضَرَبْتِ، أنت ضَرَبْتِ.

(الموكب الجنائزي ينظم، ثم يتحرك).

اسمينا (مخاطبة اتيوكل): أنت مُت، بعد أن قَتَلْتِ.

أنتيجونا: أنت قَتَلْتِ بالرمح

اسمينا: أنت هَلَكْتِ بالرمح.

أنتيجونا: أنت تسببت في مصيبة.

اسمينا: انت عانيت مصيبة.

أنتيجونا: ها أنت طريح.

اسمينا: بعد أن قَتَلْتِ.

أنتيجونا: يا زفراطي، انطلقني.

اسمينا: يا دموعي، سيلني.

أنتيجونا: وا أسفاه!

اسمينا: وا أسفاه!

أنتيجونا: الألم يصيبني بالجنون.

اسمينا: إن قلبي ينوح في صدري.

أنتيجونا: ستكونين أنت دائماً حزينة!

اسمينا: وأنتِ أيضاً، ستكونين دائماً بائسة.

أنتيجونا: أنت قد هَلَكْتِ على يد أخ.

اسمينا: وأنتِ أيضاً، أنتِ قتلْتِ أخاً.

أنتيجونا: حُزْنٌ مزدوج يُتكلّم عنه.

اسمينا: حزن مزدوج يُشاهد.
أنتيجونا: شقاء مزدوج نراه أمام أعيننا.
اسمينا: شقاء أخوينا تحت مرأى أختيهما.
أنتيجونا واسمينا معاً: آه! أيتها «البارك» Parque أنت قاسية في توزيع
المصائب! وأنت أيها الشبح المقدس لأوديب! آه! يا «أرتميس» السوداء، إن قوتك
هائلة!

أنتيجونا: أنت تعلمين هذا، لأنك جرتبها.
اسمينا: وأنت، لم تتأخري في معرفتها.
أنتيجونا: لما عُذت إلى بلدك.
اسمينا: وأنت حينما صدمت رمحك برمحها!
أنتيجونا: شقاء يعزّ على النفس تذكره!
اسمينا: شقاء يعزّ على النفس رؤيته.
أنتيجونا: آوه! الألم!
اسمينا: آوه! البلاء!
أنتيجونا: بلاء على القصر وعلى البلاد.
اسمينا: وعليّ أنا أيضاً.
أنتيجونا: وا حسرتاه! وا حسرتاه! أمير مصائب جدير بالرثاء!
اسمينا: وا حسرتاه! أحق الناس بالرثاء.
أنتيجونا واسمينا معاً: وا حسرتاه! لقد أعماهما آتیه Até.
أنتيجونا: آه، آه. أين نقبرهما؟
اسمينا: آه! في أشرف مكان.
أنتيجونا واسمينا معاً: آه! آه! إن شقاءهما سيتقاسم مرقد أبيهما.

المنادي: أنا مُكَلَّفُ بأن أعلن لكم ما قرره مستشارو الشعب في مدينة
كادموس. لقد قرروا، فيما يتعلق باتيوكل - نظراً لإخلاصه لوطنه - أن يحفر له قبر
وأن يدفن فيه بورع وتقوى. لقد كان مملوءاً بالكراهية للعدو، ولهذا أراد ان يموت
في وطنه. لقد كان طاهراً ولا تثریب عليه فيما يتصل بمعابد آبائنا، فمات حيث
يطيب للشباب أن يموتوا. هذا هو ما طلبوا مِنِّي إعلانه فيما يتعلق به. أما فيما

يختص بهذه العجثة الأخرى، جثة أخيه فولونيقس، فسيرمى بها خارج الأسوار، دون أن تُدْفَن، كيما تمزقها الكلاب، لأنه كان سيخرب أرض كادموس لولا أن أحد الآلهة قد أوقف رمحه. وحتى وهو ميت فإنه سيظل نجساً بعدوانه على آلهة البلد، إذ أهانهم بأن وجه جيشاً أجنبياً لغزو هذه المدينة. ولهذا تقرر أنه - عقاباً له على هذه الجريمة - سيدفن دفنة مجللة بالعار بأن تتخطفه الطير، ولا تتولى يد إهالة التراب عليه وقبره، وألاً يُشرف بانشاد نشيد حاد للنواح عليه، وألاً تصحب جثته المحترقة بأي واحد من أقاربه. ذلك هو ما قرره السلطات في مدينة كادموس.

أنتيجونا^(١): أما أنا فأعلن للزعماء الكادموسيين أنه إذا لم يرد أحد أن يساعدني في دفنه فسأتولى أنا بنفسني دفنه. إنه أخي؛ ولهذا فإنني سأواجه الخطر بأن أقوم بدفنه في قبر، ولن أخجل أبداً من عصياني وتمردّي على قرارات المدينة. إننا كلينا مرتبطان ارتباطاً وثيقاً جداً بالاشتراك في الرحم الذي وُلدنا منه، ونحن أبناء أمّ بائسة وأب سيء الحظ. ولهذا يطيب لنفسني أن أشاطره بإرادتي في شقائه غير الإرادي، وأن أشهد، وأنا حيّة، للميت بعواطفني الأخويّة. إن لحمه لن يصير غذاءً للذئاب الجائعة؛ وليس لأحد أن يعتقد هذا؛ لأنني، وإن كنت امرأة، فإنني قادرة على أن أزوده بقبر أدفنه فيه، وسأحضر التراب في حجري الذي من التيل، وسأعطيه به، وليس لأحد أن يعتقد عكس هذا. وسأجد وسيلة فعّالة لتنفيذ خطّتي الجريئة.

المنادي: إنني أحذرك من التمرد هكذا على المدينة.

أنتيجونا: وأنا أحذرك من أن توجه إليّ إنذارات لا فائدة فيها.

المنادي: إن الشعب لا يقبل التساهل، وقد أفلت من كارثة.

أنتيجونا: لا يقبل التساهل، إن شئت؛ لكن هذه العجثة لن تبقى بدون دفن.

المنادي: رجلٌ تكرهه المدينة - أتريدون أنت أن تشرفيه بقبر؟

أنتيجونا: هل الآلهة، حتى الآن، قد رفضوا أن يعطوه نصيبه من التشريف؟

(١) يرى المترجم الفرنسي مازون Mazon والمترجم الانكليزي مزي Murray أن هذا المنظر الأخير هو من عمل نفس الشاعر المجهول الأنف الذكر، من أجل ان يعلن عن عصيان أنتيجونا، هذا العصيان الذي سيصبح موضوعاً يفاً شائعاً منذ مسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس. راجع ترجمتنا لها.

المنادي: كلا، على الأقل قبل الخطر الذي أوقع فيه المدينة.

انتيجونا: إنه لم يفعل إلا أن بادل الشرّ بالشر.

المنادي: لكنه عاقبنا نحن جميعاً بسبب غلطة شخص واحد.

انتيجونا: إن النزاع يمنع أن تكون له الكلمة الأخيرة بين الآلهات. إنني أنا سأدفعه: فوفّر على نفسك الأقوال الطويلة.

المنادي: اتبعي وحدك خُططُك: لكنني سأمنعك من هذا.

رئيسة الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! يا مدمرة الأجناس يا مستكبرة! يا كيرس ارنييس Kers Ernyes، يا من دمرتني حتى الجذور سلالة أوديب - ماذا سأصير؟ وماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ ماذا أقرّر؟ هل سيكون في وسعي أن أبكي عليك، وأنا أشتيعك حتى القبر؟ لكنني خائفة أيضاً وأريد أن أصرف الرُعب الذي تبثه المدينة في نفسي. ومع ذلك فإنك أنت سيكون لك باقيات عديدات، بينما هذا البائس سيذهب بدون نواح عليه، مشيعاً بمرثية واحدة تنشدها أخته المفجوعة: مَنْ يستطيع أن يصدّق هذا؟

رئيسة النصف الأول من الكورس: سواء أضربت المدينة أو لم تضرب أولئك الذين سيكون على فولونيقيس، فإننا نحن سنذهب وسنشارك في جنازة ونكوّن موكبها إن الأمر يتعلق بحداد عام مشترك على السلالة كلها، وما تقرر الدولة أنه الحق، فإنه أحياناً يكون هذا وأحياناً أخرى يكون ذلك!

رئيسة النصف الثاني من الكورس: أما نحن فإننا سنشتيع ذلك، كما توصي بذلك الدولة والحق.

بعد «السعداء» (= الآلهة) وقوة زيوس، فله تدين مدينة الكادموسيين بأنها لم تُخرّب ولم تُغرّق تحت الموجة الأجنبية دون رحمة.

انتهت مسرحية

«السبعة ضد ثيبا»

مَسْرُحِيَّةُ «الْفَرَسِ»

مُقَدِّمَةٌ «الْفَرْسُ»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

الخلفية التاريخية

مسرحية «الفرس» لآسخولوس مسرحية تاريخية، موضوعها فصل مهم من تاريخ اليونان هو الحروب التي تسمى بالحروب «الميدية» - نسبة إلى ميديا، أي فارس القديمة - التي وقعت بين الفُرس واليونانيين في الفترة بين سنة ٤٩٢ ق.م و٤٧٩ ق.م. وتنقسم إلى حربين: الحرب الأولى (٤٩٢ ق.م - ٤٩٠ ق.م)، والحرب الثانية (٤٨٤ - ٤٧٩ ق.م).

وكان السبب في قيام الحرب الأولى أن الفرس كانوا قد استولوا على كل آسيا الصغرى التي كانت تتألف من مستعمرات يونانية أهمها: موسيا، وافروجيا، ولوديا (وأكبر مدنها: سرديس)، وإيونيا (ومن اسمها جاء اسم: يونان، الذي أطلقه الجغرافيون العرب على الشعب اليوناني كله: ما كان منه في بلاد الاغريق الأصلية، وما كان منه في هذه المستعمرات اليونانية)، وكاربه). - فقامت ثورة في أيونيا ضد الحاكم الفارسي، بتحريض من أرسطاجوراس، الطاغية الحاكم في ملطية وكان شاهنشاه (= ملك الملوك) فارس (من ٥٢١ ق.م حتى ٤٨٥ ق.م) هو داريوس. فأثار ذلك غضب داريوس ضد المدن اليونانية في آسيا الصغرى، فأرسل جيشه لإخماد ما ثار فيها من ثورات، وقام هذا الجيش بتدمير مدينة ملطية. كما أرسل

حملة ضد مدينة أثينا وارتريا لأنهما ساندا الثوار في أيونيا.

(أ) الحرب الميدية الأولى (٤٩٢ - ٤٩٠ ق.م): وكانت الحملة الأولى بقيادة مردونيوس في سنة ٤٩٢ ق.م؛ لكنها أخفقت. فتلاها داريوس بحملة ثانية، تحت إمرة داتس Datis وأرطافرن Artapherne، عبرت البحر إلى أرض بلاد اليونان الأصلية. فاستولت على ارتريا (مدينة في جزيرة أيونيا، في مواجهة مدينة ثيبا في إقليم أتيكا). ثم نزل الجيش الفارسي في سهل ماراتون (جنوبي ثيبا). لكن الأثينيين وحلفاءهم من پلاتايا، بقيادة ملتيداس انتصروا على الجيش الفارسي، وذلك في سنة ٤٩٠ ق.م فاضطر الأسطول الفارسي إلى العودة إلى آسيا الصغرى دون أن يحاول القيام بهجوم جديد. وأمام هذا الخطر الفارسي قام ثمستوكل (٥٢٥ - ٤٥٩ ق.م) وقد صار أرخون (حاكم على مدينة) في سنة ٤٩٣ بإجراء اشغال في مرفأ پيريه (ميناء أثينا) وبناء سفن حربية، وذلك في سنة ٤٨٣ ق.م. وكان رئيساً للحزب الديمقراطي في أثينا، وخصماً لرئيس الحزب الارستقراطي أرستيد Aristide الذي صار أرخون في سنة ٤٨٩ ق.م. لكن ثمستوكل تغلب عليه واستطاع أن يحمل شعب أثينا على اصدار قرار بنفي أرستيد.

(ب) الحرب الميدية الثانية (٤٨٤ - ٤٧٩ ق.م): وتوفي داريوس في سنة ٤٨٥ ق.م فخلفه ابنه احشويرش Xerxes^(١) (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م). فقام بحملة جديدة ضد بلاد اليونان الأصلية، اشترك فيها جيش برّي ضخم، واسطول حربي كبير التزم شواطئ آسيا الصغرى، ثم شواطئ اليونان.

فقام اليونانيون بمواجهة هذه الحملة براً وبحراً. فحاول ليونيداس (ملك اسبرطة) الذي كان يقود طليعة الجيش اليوناني أن يوقف تقدم الجيش الفارسي في شعب ثرموپيل (حيث الممر ضيق بين سلسلة جبال أوتا والبحر)، لكنه أخفق في هذه المحاولة. واستطاع الجيش الفارسي أن يغزو بلاد اليونان الوسطى، وأن يستولي على أثينا ويدمرها. لكن الأسطول اليوناني انتصر في خليج سلامين (أو: سلامينا - وهي جزيرة في خليج سارونيك، بالقرب من سواحل أتيكا - وذلك بفضل الفرقة الأثينية. وكان ذلك في ٢٨ سبتمبر سنة ٤٨٠ ق.م.

(١) يكتب في اللغة الفارسية القديمة: خشيارشا؛ وفي العهد القديم من الكتاب المقدس: احشويرس، احشويروش؛ وفي النقوش الآرامية: خشيارش.

وفي السنة التالية - سنة ٤٧٩ - انتصر الجيش اليوناني، تحت إمرة باوسانياس ملك اسبرطة (توفي من الجوع في سنة ٤٧٧ ق.م!) في معركة پلاتايا، بينما الأسطول اليوناني، تحت قيادة اكسانتييوس Xanthuppos الأيكي، هزم الفرس عند رأس موكاله (في آسيا الصغرى، في شمال خليج لاتيكي، في مواجهة ساموس): وبهذين الانتصارين الحاسمين صارت بلاد اليونان بمنأى عن غزو الفرس. تلك هي الوقائع التاريخية. فماذا فعل بها اسخولوس في مأساته: «الفرس؟» لقد أهملها كلها، واقتصر منها على شيء واحد هو هزيمة الأسطول الفارسي على يد اليونانيين في معركة: سلامين وپلاتايا!

ثم إنه زيف الحقيقة التاريخية حين قارن بين داريوس وابنه أحشويرش: فزعم أن داريوس عاقل لأنه لم يقم بحملة بحرية على بلاد اليونان، بينما ابنه احشويرش أحقق طائش لأنه أرسل حملة بحرية لغزو بلاد اليونان الأصلية - والحقيقة التاريخية هي أن داريوس هو أول من قام - كما رأينا - بحملة برية وبحرية معاً ضد بلاد اليونان الأصلية بقيادة داتس وارطافرن، واستولت هذه الحملة على ايرتريا، في جزيرة يوبيا في مواجهة اقليم اتيكال الذي عاصمته أثينا، أي في قلب بلاد اليونان، ودمرتها، ونزل الأسطول الفارسي في سهل ماراثون، على بعد بضعة أميال من أثينا، وذلك في سنة ٤٩٠ ق.م. ولولا انتصار اليونانيين في المعركة التي جرت في سهل ماراثون، لواصل جيش وأسطول داريوس تقدمه في أعماق بلاد اليونان. إن أحشويرش، لما شعر بأنه خسر من القوة البرية والقوة البحرية ما فاق مراراً القوة التي أرسلها أبوه^(١)، قام بهذه المغامرة التي انتهت بالإخفاق مثل سابقتها التي أرسلها أبوه.

ولهذا فإن اسخولوس لم يقل الحق حين أنطق شبح داريوس بما نطق به من «نصائح» مزعومة لابنه أحشويرش.

فهل فعل اسخولوس هذا عن جهل بحقيقة نيات داريوس؟ أو لأنه أراد المزيد من التشهير بأحشويرش وتوكيد أنه طيأش متهور، على عكس أبيه داريوس الذي كان - في نظر اسخولوس - عاقلاً متزاناً؟!

(١) أعد احشويرش لحملة بعناية فائقة: فشق قناة خلال - خليج شبه جزيرة جبل أتوس؛ وأقام جسرين على مضيق الهلسبوننت (الدرديل)؛ وأعد مخازن كبيرة في الطريق خلال تراقيا. وعقد محالفة مع فرطاجنة مما حرم اليونانيين من مساعدة سرفوسة.

وتم مأخذ آخر على اسخولوس من الناحية التاريخية - وهو أنه سرد أسماء خرافية لقواد الجيش والإسطول الفارسيين. إنها أسماء وهمية، ولا يخفف من ذنبه ها هنا ما زعمه بعض المدافعين عنه من أن هذه الأسماء ترنّ رنين الأسماء الفارسية. فهذا غير صحيح مطلقاً، وإنما ترنّ كلها إما رنين الأسماء اليونانية، وإما لا رنين لها مطلقاً ينتسب الى أي شعب.

وعذره في هذا أن اليونانيين في أيام تأليفه لمسرحيته هذه لم يكونوا على علم دقيق بأسماء هؤلاء القواد الفرس. وكان عليهم أن ينتظروا أن يؤلف هيرودوت «تاريخه» (ولد هيرودوت في هاليكوناس حوالي سنة ٤٨٠ ق.م، وتوفي في مدينة ثوريدي حوالي سنة ٤٢٥ ق.م) فزود اليونانيين لأول مرة بالأخبار الصحيحة الوفيرة عن الحروب الميديدية - وهي الموضوع الرئيسي لتاريخه هذا - بعد أن قام بأسفار طويلة في العالم المعروف آنذاك، ومنه بلاد الفُرس.

- (٢) -

مسرحية «الفرس»

ومسرحية «الفرس» قد مثلت في ربيع سنة ٤٧٢ ق.م في عهد أرخونية (حكّم) مينون Menon الذي عهد بالانفاق عليها إلى پركليس (٤٩٩ - ٤٢٩ ق.م) كمتعهد للكورس، وكانت سنّه آنذاك السابعة والعشرين. وكانت هذه المسرحية واحدة من رُباع من المسرحيات هي: «فينيا»، و«الفرس»، و«جلوكس الذي من فوتنيس»، و«پرومئوس». وقد حصل اسخولوس على الجائزة في تلك السنة. وقد ضاعت المسرحيات الثلاث الأخرى، ولم يبق لنا إلا مسرحيتنا هذه «الفرس». وليس ثم دليل على أنه كان بين هذه المسرحيات الأربع أي ارتباط؛ بل كانت كل واحدة منها قائمة برأسها.

وقد عالج نفس موضوع مسرحيتنا هذه فروينخوس Phrynichos (في سنة ٤٧٦) ومن المحتمل أن ثمستوكل هو الذي تعهد بالإنفاق عليها. وكان الكورس فيها مؤلفاً من فينيقيات. وقد حيا اسخولوس هذه المسرحية ونقل عنها في مطلع مسرحيته، البيت الأول من مسرحية فروينخوس.

والممثل الرئيسي في مسرحيتنا هذه هو الكورس، وهو مؤلف من شيوخ مخلصين للشاهنشاه احشويرش، وهم يؤلفون ما يمكن أن يسمّى بمجلس حكماء يديرون شؤون الامبراطورية الفارسية أثناء غيبة احشويرش، الذي قاد حملة ضخمة برية وبحرية لغزو بلاد اليونان. وهؤلاء الشيوخ في حالة انعقاد دائم في انتظار الأنباء عن تلك الحملة. وعلى الرغم من أنهم يعلمون ضخامة الجيش والأسطول الفارسيين المشاركين في هذه الحملة، فإنهم في قلق شديد على مصيرها.

وأخيراً وصل رسول، أعلن وقوع الكارثة: وهي أن الأسطول الفارسي قد دُمّر في سلامين، وأن صفوة القوات الشاهنشاهية قد أيدت في بسوتاليا Psytalie؛ وأن احشويرش، إزاء هذه الكارثة، قد أمر بالانسحاب، ولكن لم يتبق من الجيش والأسطول غير الشاهنشاه: احشويرش، وحفنة من الرجال.

هنالك استدعى الكورس والملكة روح داريوس ليسدي إليهم نصائحه في هذا الموقف. ولبت روح داريوس هذا النداء، فصعدت من العالم السفلي. فأخبروه أن ابنه اضاع الدولة الفارسية وهو يريد فتح بلاد اليونان. وهنا تنبأت لهم روح داريوس بأنه سينضاف إلى هذه الكارثة كارثة أخرى وهي أن اليونانيين سيبيدون الجيش الفارسي البري في پلاتايا. وراح داريوس ينصح أبناء وطنه بأن يقتصروا على الحرب البرية في آسيا الصغرى، وأن يتجنبوا خوض حرب جديدة.

ثم اختفت روح داريوس ونزلت إلى مقامها في عالم الأموات. وهنالك أخذ الكورس في النواح على كارثته، وفي الشكوى من حماقة احشويرش، وفي تمجيد حكمة أبيه داريوس الذي لم يتهور - في زعمهم - ولم يغامر مغامرة ابنه.

وأخيراً وصل احشويرش وهو ينوح. ويلوم نفسه على أنه جلب الكارثة على جنسه وعلى وطنه. ودعا الكورس إلى النواح والبكاء معه، فراح الكل ينوحون ويرثون لحالهم.

والفضل في انتصار اليونانيين على الفرس إنما يرجع - كما صرّح بذلك ثمستوكل (راجع تاريخ هيرودوت ٨: ١٠٩ س ٣) - إلى الآلهة والأبطال. أما الأبطال فإنهم الحماة الطبيعيون للأرض التي دُفِنوا فيها، وقد حاربوا، وهم أموات، إلى جانب الأحياء لطرد الغزاة الفُرس. أما الآلهة فقد عاقبوا المعتدي الأجنبي لأنه أحرق معابدهم وقَلب صورهم («الفرس»، البيت رقم ٨٠٩ وما يليه). لكنهم

عاقبوا هذا الغازي الأجنبي خصوصاً لأنه - بهذا الغزو - قد تجاوز حقه وانتهك قوانين المصير. إن المصير ترك له آسيا الصغرى، وسمح له بأن يدمر المدن الثائرة فيها («الفرس»، البيت رقم ١٠٢ وما بعده). ذلك أن الآلهة لم تحفل بما يجري في آسيا، لأن مصير آسيا بحسب ما قدرته الآلهة، هو أن تتصارع فيها الشعوب ويهزم بعضها بعضاً. لكن ليس من حقهم أن يشقوا طرقاً جديدة نحو البحر: إذ البحر محترم عليهم. أما عبور البحر إلى العروش الأوروبية فمعناه السقوط في أحبولة أتيه Até، إلهة الخطأ الذي يُعمي الناس، وهو المضي في طريق الدمار. وهذه الفكرة يعبر عنها بإصرار وعناد (راجع: «الفرس»، الأبيات ١٠٩، ٥٤٨، ٩٠٦، ٩٥٠، ١٠٧٥).

وسفن احشويرش هي التي أفضت به إلى الكارثة - هذا ما راح يردده هؤلاء الشيوخ المخلصون، وانخرطوا في نواح وبكاء على الامبراطورية الفارسية التي أضاعها احشويرش في معركة بحرية، هي معركة سلامين. وخلال هذا البكاء على هذه الامبراطورية العظيمة نستشف افتخارهم بعظمتها: اذ راحوا يسردون أسماء كل الأماكن في تراقيا، وكل الجزر في بحر ايجه والتي كان قد استولى عليها داريوس، وأضاعها الآن ابنه احشويرش.

وقد أبدع أسخولوس في جعله المشاهد تحدث في السوس - في فارس - وليس في أثينا أو بلاد اليونان، لأن صنيعه هذا مكنه من أن يحول المسرحية إلى مأساة باكية نائحة؛ ولو كان قد جعل المشاهد في بلاد اليونان لكانت المسرحية قد تحولت الى نشيد انتصار وتمجيد من جانب اليونانيين فخراً بانتصارهم. وإذا كان هذا الصنيع قد جعلها خالية من الأحداث والعقد، فيها ونعمت.

- (٣) -

موضوع «الفرس» في الموسيقى

وقد عالج نفس الموضوع في الموسيقى في العصر اليوناني القديم: طيموتائوس الملطي (ولد في ملطية Milet حوالي سنة ٤٥٠ ق.م، وتوفي حوالي سنة ٣٦٠ ق.م) وهو مؤلف موسيقي ومغنٌ بمصاحبة القيثارة. وكان يمثل الموسيقى الجديدة التي سادت في العقود الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد

والعصر التالي في بلاد اليونان. وهو يزعم أنه هو الذي كان أول من أدخل استعمال الإحدى عشرة نغمة (أو: وتر: كورديه) على القيثارة («الفرس» ٢: ٢٤١ - ٢٤٣) وقد هوجمت تجديدهاته هجوماً شديداً في أثينا واسبرطة.

ومن بين مؤلفاته الموسيقية العديدة يهمنا هنا أن نذكر ملحمة موسيقية بعنوان: «الفرس» Persai، قصد بها الإنشاد بمصاحبة قيثارة. وقد عثر على هذه الملحمة في سنة ١٩٠١ في أقدم مجموعة من أوراق البردي المصرية عُرفت حتى اليوم، إذ كتبت حوالى سنة ٣٥٠ ق.م وقد أمكن قراءة ٢٥٠ بيتاً منها، فيها يتغنى طيموثاوس بمعركة سلامين بأسلوب حافل رصين يتسم بالصنعة وبالمجازات الغريبة. ولم يحفل الشاعر بالمعنى والأهمية التاريخية لمعركة سلامين، إنما اهتم بإبراز الضجيج والواقع المثير. لكن بسبب كون ما وصل إلينا منها ضئيلاً، فمن الصعب أو المستحيل الحكم على هذا العمل الفني بدقة وانصاف. ذلك أن النصف الأول منها ضاع. وإنما بقي لنا أولاً ختام وصف معركة سلامين (١ - ٢١٤). وباستثناء الأبيات الخمسة والعشرين الأخيرة، التي تحتوي على أمر الملك أحشويرش بالانسحاب، وعلى احتفال اليونانيين بالانتصار، فلا نجد إلا ملامح من وصف المعركة وهزيمة الفرس.

وظلت هذه الملحمة الموسيقية لوقت طويل شائعة العزف شعبية في العصر القديم.

وفي العصر الحديث: أَلَف الموسيقار الفرنسي موريس امانويل (ولد سنة ١٨٦٢، وتوفي سنة ١٩٣٨) مأساة غنائية بعنوان: «سلامين» استناداً إلى قصيدة من تأليف تيودور رانيناك. وقد عُرضت في باريس في سنة ١٩٢٩. والموضوع الرئيسي فيها هو كيف استقبل الشعب اليوناني نبأ انتصار اليونانيين على الفرس في تلك المعركة. وفي الفصل الثاني نرى الملكة أتوسا ترفض تقديم القرابين لروح داريوس، وبعد ذلك نشاهد ظهور شبح داريوس، الذي يعنى على أحشويرش طيشه وغروره. وفي الفصل الثالث نجد الشعب الفارسي كله هو البطل. فأحشويرش تُصَب عليه اللعنات، والشيوخ والأرامل ينهالون عليه بالتوبيخ، والأمهات يعترن عن كراهيتهن له.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في ٢٣ فبراير ١٩٩٥

«الفرس» شخصيات المسرحية

كورس مؤلف من مستشاري الشاهنشاه .

أتوسا: زوجة داريوس، وأم أحشويرش، ويعبر عنها بـ «الملكة» .

داريوس: شاه فارس المتوفى: شَبَح .

احشويرش: ابن داريوس، مَلِكُ الفُرس .

(ما يشبه الرواق يكون زينة العُمق وهناك يجتمع مستشارو الشاهنشاه الأُمَاء . يدخلون بخطوات بطيئة في الأوركسترا).

رئيس الكورس: هؤلاء هم الذين من بين الفُرس - وقد رحلوا اليوم لبلاد اليونان - يوصفون بأنهم الأُمَاء وهم حُرَّاس هذا القصر الفخم المطهَّم بالذهب . وقد اختارهم، بحسب مراتبهم، مولانا أحشويرش، الملك، ابن داريوس، اختارهم للسهر على سلامة بلاده .

لكن قلبي، حينما أفكر في عودة الملك، وعودة الجيش المحمَّل بالذهب - قلبي المبشر متسرِّعاً بالمصائب، يضطرب في جوفي - فالقوة التي ولدت في آسيا قد ذهبت كلها! - أقول: إن قلبي يُرْعِد من كل قادم جديد^(١)؛ لكن لم يصل أي رسول، ولا أيُّ بريد راكب إلى مدينة الفُرس!

لقد غادروا سوسة واكبَّاتان (همذان) والاستحكات القديمة الكسبانية^(٢): بعضهم راكبين الخيول، وآخرون على سُنْفن، والمشاة على أقدامهم يكوّنون العدا الأكبر من المحاربين. وهكذا ذهب للقتال: أمسترس^(٣)، وأرطفرنيس، ومجتابس،

(١) يشبه القلب بالكلب الذي ينيح في وجه كل قادم جديد لا يعرفه وهو تشبيه سبق ان استخدمه هوميروس في «الأوديسا» (النشيد رقم ٢، الأبيات ١٣ - ١٥).

(٢) كسبنا منطقة جبلية في اقليم السوس، الممتد بين سوسة وهمذان (اكباتان) ولكن يلوح من كلام اسخولوس هنا وفيما بعد أنه يعتبر كسبنا: مدينة محصنة.

(٣) كثر الجدل بين الباحثين منذ العصر القديم حتى اليوم حول حقيقة هذه الأسماء التي سردها اسخولوس: هل هي أسماء تاريخية، أو هي مجرد أسماء اخترعها اسخولوس ولم توجد في الواقع

واسطاسيس، قواد الفُرس، وهم ملوك تابعون للشاهنشاه، ورؤساء جيش عرمرم! ومعهم قواستهم الظافرون وفرسانهم الذين يثير مرآهم الرعب، وهم جبّارون في القتال، لأن قلوبهم قويّة العزم. وأرطمبارس على فرسه، وماسسترس وأمايوس الشجاع وهو قواس ظافر، وفرنداكس، وسوسثانس الذي يحثُّ جياده!

ونهر^(١) النيل المغذّي لأبنائه قد أرسل ايضاً رجاله: سوسسكانس وبجاستاجون ابن ايجبتوس؛ وسيّد مدينة منف المقدسة: أرسامس الكبير، وسيّد مدينة طيبة العتيقة: أريو ماردوس؛ والبحارة الذين تجر زوارقهم في الملاحات وهم كثرة لا حصر لها، ومخيفة.

وخلفهم جمهرة من أهل لوديا الرقاق، وهم يسيطرون على كل شعوب قارتهم^(٢). والصناديد متروجاتس، وأركتيوس، وهم ولاة، ومدينة الذهب: سرديس قد أرسلوهم للقتال على آلاف العربات التي تجر الواحدة منها أربعة أو ستة خيول مصفوفة على شكل أسراب - وهذا منظر رهيب.

وجيران طمولوس Tmolos يفخرون هم ايضاً بأنهم ألقوا على عاتق اليونان نير العبودية؛ ماردون، ثروبيس: سندانات^(٣) الرمح، مع قومهم الذين من موسيا:

التاريخي وثم حاشية قديمة على المسرحية تقول: إن معظم هذه الأسماء هي من اختراع اسخولوس لكن ثم رأي يزعم أنها ليست من اختراع اسخولوس ويشير أصحاب هذا الرأي بأن بعض هذه الأسماء قد ورد في وثائق تاريخية، وبعضها قد أصابه التحريف الخفيف؛ وبعضها الثالث مجهولة لكن يمكن تبريرها بالمماثلة أما النسبة إلى بلادهم فهي وهمية، وأحياناً، متناقضة: فمثلاً أريوماروس هنا مصري، وفي موضع آخر من لوديا (في آسيا الصغرى)؛ وأركتيوس مصري تارة، وتارة أخرى زعيم اللودياويين.

(١) الأسماء السابقة كانت أسماء قواد فارسيين. والأسماء التالية أسماء حلفاء وأتباع للفرس: من مصر، وآسيا الصغرى، الخ. وعلى رأسهم المصريون لأنهم كانوا العنصر الأهم في الأسطول البحري الذي غزا به الفُرس بلاد اليونان.

(٢) في عهد الحروب الميدية (أي بين فارس واليونان) كانت لوديا قد صارت جزءاً من الامبراطورية الفارسية، ولكن كان من عادة ملوك الفرس أن يعينوا ولاة من أهل البلاد التي يفتحونها. ولهذا فإن نبلاء لوديا بقوا ولاة على ولاية لوديا الخاضعة للامبراطورية الشاهنشاهية، وسرديس بقيت عاصمة لكل آسيا الصغرى الغربية. وهذا هو معنى قوله إن «أهل لوديا لا يسيطرون على كل شعوب قارتهم»، والمقصود بالقارة آسيا الصغرى.

(٣) في مسرحيتنا هذه نجد أن فكرة «الرمح» مرتبطة دائماً بالجيش اليوناني. والتعارض بين «الرمح» =

الذين يطلقون السهام. ومن بابل - وهي مدينة ذهب هي الأخرى، يصل كالسيل جمهور مختلط: نجده على سفن، جنود مملؤون بالإيمان بالقوس التي بيد قوية. ومن خلفهم جاء من آسيا كلها شعب يحمل سيوفاً قصيرة، وهو مطيع لأوامر الملك الرهيبة.

وهكذا ذهبت زهرة المحاربين القادمين من فارس، وعليهم تنوح بأسفٍ مآثر أرض آسيا بأسرها وكانت هي التي تغديهم، بينما الأقارب والزوجات تحسب الأيام وترتعد من الزمان الذي يستطيل.

الكورس: لا شك في أن الجيش الشاهنشاهي المدمر قد وصل فعلاً إلى الساحل المواجه للقارة المجاورة، وبواسطة عبّارته ذات الحبال التي من التيل، عبر مضيق هله^(١) الاثماسي رامياً طريقه ذا الألف كعب^(٢) مثل نير في عنق البحر.

إن عاهل آسيا الجبار، آسيا العديدة بسكانها قد دفع لغزو العالم قطيعه البشري الرهيب - عن طريقين في وقت واحد: ولقيادة جيشه وأسطوله وضع ثقته في زعماء صنائيد قُساء. وهو ابن المطر الهاطل بالذهب^(٣)، إنه انسان ولكنه يساوي الآلهة.

وفي عينيه تلمع النظرة الزرقاء الكابية التي للثنين الدامي. إنه يحرك ألف ذراع وألف سفينة، ويدفع بعبرته السورية^(٤)، ويقود الهجوم، هجوم الأبطال، الذي برز فيه رمح آرس Ares على «القوس» الظافرة.

«القوس» هو من موضوعات هذه المسرحية. فتحت ضربات «الرمح» اليوناني هذان البطلان اللذان من موسيا ثابتين مثل «السندان» تحت المطرقة.

(١) مضيق البوسفور Hellespont اتخذ اسمه من Hellé - بنت أثماس Athamas الذي هرب مع أخيه فركسوس من امرأة أبيهما اينو Ino، ففرقا وهما يعبران المضيق على ظهر كبش.

(٢) فيما يتعلق بوصف جسر السفن الذي أقامه أحشويرش على مضيق البوسفور - انظر هيرودوت (٧): (٣٦). وقد حدث أن عاصفة أطاحت بأول جسر، لهذا أمر ملك الفرس بضرب مضيق البوسفور ٣٠٠ جلدًا

(٣) اسم الجد الأعلى للفرس هو: فارسيوس، وهو ابن دانائيه Danaé وزيوس، وقد نزل على الأمة الفارسية على شكل مطر من الذهب،

(٤) اسخولوس يقصد: الأشورية، ولكنه خلط بين: سوريا وبين آشور.

من ذا الذي سيستطيع إذن أن يصمد أمام هذا التيار الإنساني الجارف؟ إن مثل هذا مثل من يريد أن يكبح بالسدود القوية أمواج البحر التي لا تُقهر! إن جيش فارس لا يُقهر وشعبها ذو قلب شجاع.

أجل! لكن مَنْ مِنْ بني الإنسان الفانين يستطيع أن يفلت من الأحبولة التي نصبتهما الخطة الغادرة التي دبرها إله؟ ومن ذا الذي يستطيع حينئذ، بقدمه الخفيفة، أن يقفز قفزة سعيدة^(١)؟

إن أتيه Atê ناعمة ملاطفة، وهي تخدع الإنسان بألواحها ولا يستطيع أي إنسان بعد ذلك أن يفلت منها بوثة ويفر.

والمصير الذي قرره الآلهة في كل الأزمان للفارسيين يفرض عليهم أن يواصلوا الحرب حيث تتداعى الحصون، والمعارك التي فيها تتصادم الفرسان وتهاوى المدن.

لكن ها هم قد تعلموا، على الطرق الواسعة في البحار، التي تبيضها الرياح العاصفة - أن يتأملوا الاتساع المقدس للمياه، وهم واقفون بالأبنية الصعبة المكوّنة من الجبال^(٢)، في عمائر تنقل الناس.

وهذا هو السبب في أن نفسي التي في حالة جِداد يمزّقها القلق.. «أواه على الجيش الفارسي!» - هل هذا هو الخبر الذي ستعرفه مدينتي، مدينة سوس العظيمة، وقد خلّت من كل أبنائها الذكور؟

وهل سأسمع قلعة الكسياويين تجيب؟ «أواه!»: هل هذا ما سيصيح به ذات يوم، جمهور مختلط من النساء، بينما على ثيابهن التيلية تنقضّ أيديهن لتمزقها إرباً إرباً؟

(١) الصورة هنا مستعارة من صورة القنينة التي طاردها القناصون وأوقعوها في وسط الواح عالية لا تستطيع القنينة أن تتجاوزها بوثة وأن تهرب: والفخ الذي وقع فيه الفرس هو البحر. إن أتيه، إلهة الخطأ، قد جرّت أحشويرش إلى البحر، فصارت الامبراطورية الفارسية كلها معرضة للهلاك فيه. - ومعنى هذا الموضع هو: صحيح أن أحشويرش، شاهنشاه الفرس، قد وضع قدمه في أوروبا. لكن المصير كان قد قدر لجيش فارس الانتصار في البر فقط، أما في البحر فلا. لكن ها هي إلهة «الخطأ» قد خدعته وجرّته إلى البحر، فكان ذلك سبباً في هلاكه.

(٢) المقصود هو الأسطول، وليس جسر السفن.

وا أسفاه! إن شعباً من الفرسان، والمشاة قد سار مثل خلية النحل وراء قائد الجيش. وقد اجتاز الرؤوس البحرية المرتبطة اليوم والتي صارت مشتركة بين كلتا القارتين^(١).

إن حزن الناس يملأ الأسيرة بالدموع. وكل امرأة فارسية، في حدادها المتهالك، قد شيعت زوجها المتعطش للحرب بأسف غرامي، وبقيت وحدها من بين زوجي الأمس.

رئيس الكورس: هيا، أيها الفُرس، ولنجلس تحت هذا السقف العتيق، ولنشرع في الفحص الفطن العميق - لأن الضرورة تحثنا على هذا - عما عسى أن يصبح عليه مصير أحشويرش^(٢)، ابن داريوس الملك الذي من دَمنا، والذي زودنا باسم أجدادنا^(٣). هل القوس والسهم هو الذي سينتصر؟ أم الرمح المتوج بالحديد هو الذي انتصر؟

لكن ها هي ذي قادمة، مثل النور الذي يشع من عين الآلهة، أمُّ الشاهنشاه، ملكتي^(٤): إني أسقط جاثياً على ركبتي. وعلى كل الموجودين هنا أن يظهروا آيات الولاء التي تستحقها.

(الكورس يسجد. تدخل الملكة، راكبة عربتها، تتبعها حاشية عديدة).

يا سيّدة نساء فارس الجلييلة، ذوات النطاقات العميقة، يا أم أحشويرش العجوز، يا زوجة داريوس - السلام عليك! إنك شاركت في الفراش إله الفُرس، وأنت مرشحة لأن تكوني أمّاً لإله - إذا كان الحظ القديم لم يفارق جيشنا.

الملكة: وهذا هو السبب في أنني غادرت القصر المطهّم بالذهب، والغرفة التي نمتُ فيها طويلاً مع داريوس: فأنا أيضاً أشعر بالهَمّ يمزق قلبي، وأريد أن أصارحكم بكل شيء يا أصحابي، في هذه الساعة التي لا أخلو فيها من الخوف

(١) نتيجة ملء مضيق الدردنيل - الممتد بين آسيا وأوروبا - بالسفن.

(٢) الكورس يعلن جدول أعمال جلسة المجلس، وهو «مصير أحشويرش» أي الاجراءات التي ينبغي اتخاذها وفقاً لمصير احشويرش وجيشه. وهؤلاء الأمناء - أعضاء هذا المجلس - مسؤولون عن النظام، كما ستذكرهم الملكة بذلك.

(٣) ذكرنا فيما مضى أن اسم: فارس، مأخوذ من برسيوس، الجد الأعلى لأحشويرش.

(٤) أي: أتوسا Atossa.

على نفسي . ذلك أنني أخشى على ثروتنا - وقد صارت كبيرة جداً - أن تدمر وتحول إلى تراب بناء السعادة الذي أعان أحد الآلهة داريوس على تشييده^(١) . ولهذا فإن قلقاً لا يبلغ مداه التعبير يوقف فكري على خطر مزدوج: إن قدراً عظيماً جداً من الكنوز، إذا لم يدافع عنه إنسان، فإنه لن يحصل على احترام مساوٍ لقيمته، مثلما أن إنساناً بلا كنوز لا يمكن أن ينال الجلالة التي تستحقها قوته. وإذا لم يكن لدينا ما نشكو منه فيما يتعلق بالثراء، فإنني أخشى على عيوننا: لأن عين البيت هي في رأي حضور رب البيت . فاقنعوا بهذا جيداً أولاً، ثم أشيروا عليّ فيما يتعلق بالوقائع التالية، أيها الفُرس، يا أعواننا الأمانة القدماء، فمنكم أنتظر اسداء كل النصائح المفيدة .

رئيس الكورس: اعلمي، يا ملكة هذه البلاد، أنه ليس عليك أن تشيرين مرتين بكلمة أو بفعل، بينما أنا مختص بإرشادك . أنت إنما تتوجهين إلى مستشارين مليئين بالإرادة الطيبة .

الملكة: في كل ليلة أنا أعيش وسط الأحلام، منذ أن رحل ابني، بعد أن جهّز جيشاً، لتخريب أرض ايونيا . لكنني لم أر من قبل حلماً مثل حلم الليلة الماضية، فاستمعوا: لاح لي أن امرأتين، حسنتي الهندام، قد تجلّيتا أمام عيني: إحداهما ترتدي ثوباً فارسياً، والأخرى ترتدي ثوباً دورياً، وكلاهما تتفوق على نساء اليوم سواء بقامتها وبجمالها الصافي . وعلى الرغم من كونهما أختين من نفس الدم، فإنهما تسكنان في وطنين مختلفين أحدهما هو بلاد اليونان التي قدر لها القدر الإقامة بها، والآخر هو الأرض غير اليونانية . ويلوح لي أنهما كانتا في نزاع، وأن ابني لما أدرك ذلك، سعى إلى عقد الصلح بينهما - وفي نفس الوقت ربطهما بعربته ووضع العدة على عنقهما وهنالك افتخرت إحداهما بهذا الهندام، وقدمت فمها طواعية إلى اللجام، بينما الأخرى تدمرت، وفجأة مزقت العدة التي ربطتها بالعربة وجرّتها بقوة على الرغم من الشكيمة، وأخيراً كسرت النير الى قطعتين . فسقط ابني؛ وظهر أبوه داريوس إلى جواره لمواساته؛ لكن لما شاهدته احشويرش فإنه مزق الملابس التي تغطي جسمه!

(١) اسخولوس يضع الثراء (پلوتوس) في مقابل السعادة (أولبوس). إن الثراء يمكن أن يكون عنصراً في السعادة، لكن الثراء المفرط يمكن أن يؤدي الى تدمير السعادة.

تلك هي رؤياي في الليلة الماضية. لكنني أفقت من نومي، وغسلت يدي بماء صافٍ، وحملتُهما بالقربين، واقتربت من المذبح، من أجل تكريس الكعكة الشعائرية للآلهة الحافظين الذين أردت تقديم العبادة لهم. وهناك أبصرت نسرًا يهرب نحو المذبح السفلي لفويبوس Phoibos! أسكتني الخوف، فتوقفت، يا أصدقائي. لكن حدث بعد ذلك أن رخمًا انقضَّ من السماء وهو يضرب بجناحيه بسرعة، وأخذ يمزق بمخالبه رأس النسر الذي لم يستطع إلاَّ الإنكماش بدون دفاع!

كان هذا كله مثيراً للربح في نفسي، ولا بد أنكم ارتعتم لسماعه. ذلك لأنكم تعلمون أنه إذا نجح ابني، فإنه سيكون بطلاً منقطع النظير؛ وإذا أخفق، فليس عليه أن يقدِّم حساباً عن هذا الإخفاق إلى هذا البلد، وسيظل إذاً سيد هذه البلاد، بشرط أن يعود.

رئيس الكورس: نحن لا نريد، يا أمّاه، أن نزعجك كثيراً ولا أن نطمئنك كثيراً. فتوجهي أولاً إلى الآلهة مستجيبة بهم، وإذا كانت رؤياك مزعجة فاسألِي الآلهة أن تُبعد عنك تحقيقاتها، وأن تحقق ما يخدمك أنت وأولادك ووطنك وأهلك. وعليك بعد ذلك أن تصبِّي رشات على الأرض وعلى الأموات؛ ثم، من أعماق نفسك، تضرعي إلى داريوس، زوجك الذي تقولين إنك رأيتَه في الحلم هذه الليلة، ألا يرسل إليك من الأرض إلا السعادة لك ولابنك، وأن يحتفظ بما عدا ذلك مُلغى إلى الأبد في الظلام السُّفلي. هذا هو ما أنصحك به من أعماق قلبي، وأنا المتنبئ الذي يلهمه قلبه؛ ونحن نقدر أن مثل هذه النبوءات ستتحقق في كل أجزائها على خير ما يرام.

الملكة: لا شك عندي في أن تعاطفك مع ابني وبيتي هو الذي جعلك أول من يفسّر هذه الإرهاصات ويصدر مثل هذا الرأي. ألا ليت النتيجة أن تكون سعيدة. وسأرتب كل شيء بحسب ما تريد، فيما يتصل بالآلهة وبأمواتنا، متى ما

(١) رؤيا الملكة هذه تعني أولاً أنه يوجد بين أوروبا وآسيا نفور شديد ولهذا لن يستطيع احشويرش أن يوحد بينهما تحت سلطانه؛ وأوروبا ستكسر عربة أحشويرش، أي قوة فارس. ومن ثم ظهر داريوس - مؤسس هذه القوة. - وسيشاهد الرخم اليوناني يهاجم بشجاعة النسر الفارسي ويذله. أما النسر الذي خاف وتلوى وانكماش عاجزاً عن الدفاع عن نفسه - فإنه يشير مقدماً إلى منظر احشويرش وقد صار أعزل مهجوراً، كما سيظهر في المنظر الأخير من هذه المسرحية.

عُدت إلى القصر. لكن ثم أشياء أود أن أعرفها أولاً، يا أصدقائي: في أي مكان من الأرض تقع أثينا؟

رئيس الكورس: إنها بعيدة جداً وتقع في مغرب الشمس نفسه، حيث تغرب ربتي الشمس.

الملكة: وابني يريد أن يفتح هذه المدينة؟

رئيس الكورس: لو حدث هذا لدانت له كل بلاد اليونان بالطاعة.

الملكة: وهل عندهم جيش من الرجال حسن التدريب؟

رئيس الكورس: قلبي أكثر من هذا: إن لديهم جيشاً أصاب الميديين بأضرار بالغة.

الملكة: وماذا أيضاً؟ هل عندهم في بيوتهم ثروة كافية؟

رئيس الكورس: منجم للفضة، وهو كنز تحرسه^(١) الأرض لهم.

الملكة: هل تشاهد في أيديهم السهام التي تطلقها الأقواس؟

رئيس الكورس: كلا، وإنما معهم سيوف يستخدمونها عند الالتحام، وتروس تحمي أذرعهم.

الملكة: ومن هو قائد ورأس هذا الجيش؟

رئيس الكورس: إنهم ليسوا عبيداً ولا رعايا لأحد.

الملكة: كيف يقدرّون إذن على الصمود أمام غزو العدو؟

رئيس الكورس: ما يكفي للقضاء على جيش داريوس العرمرم الفخم.

الملكة: آه! ماذا تقول؟ هذا يثير انزعاجاً شديداً في قلوب أمهات أولئك الذاهبين إلى القتال!

رئيس الكورس: أعتقد أنك ستعرفين الحقيقة كاملة عما قليل: إنني أشاهد

(١) مناجم مرونيه Maronée التي اكتشفت في القرن الخامس ق.م (راجع: أرسطو: دستور أثينا، ٢٢: ٧).

هناك رجلاً يلوح إنه فارسي . إنه يأتينا بالخبر اليقين، حسناً كان أو سيئاً .

(رسول يدخل)

الرسول: يا مُدُن آسيا كلها، يا أرض فارس! مرفأ الثروة اللامتناهية بضربة واحدة قد دمّرت سعادة كبيرة وقضي على زهرة فارس .

- وا أسفاه! إنها لمصيبة في حد ذاتها أن أكون أول مَنْ يعلن عن مصيبة . ومع ذلك ينبغي أن أعرض أمامكم مصيبتنا كلها، يا أيها الفُرس إن الجيش الأجنبي قد هلك كله!

الكورس: آلام رهيبة هائلة ومدمّرة! ابكوا إذن، أيها الفُرس، لدى إعلان هذه المأساة .

الرسول: أجل، فقد قُضيَ على كل أولئك الذين ذهبوا إلى هناك وأنا نفسي لم يكن عندي أي أمل في مشاهدة شمس العودة .

الكورس: آه! إن الوجود الذي يجعل الشيوخ منا يسمعون هذه الضربة غير المنتظرة هو وجود استمر أطول مما ينبغي .

الرسول: وكشاهد، لا كراهية لأقوال الغير، سأخبركم، أيها الفُرس، بما أعدّ لكم هناك من مصائب .

الكورس: أواه! أواه! إذن! كان عبثاً أن آلفاً من الأسلحة المختلفة الأنواع قد نقلت من أرض آسيا إلى أرض العدو، إلى أرض يونان .

الرسول: وكمية ضخمة من جُثث أمواتنا المساكين تغطي في هذه الساء شاطئ سلامين وكل نواحيه .

الكورس: أواه! أواه! إنك تجعلني أرى جثث رجالنا مطوية ومُغرقة في أمواج البحر، أجساد بلا حياة محمولة شاردة في معاطفها الواسعة .

الرسول: كانت القوى عاجزة، وانهار جيشنا كله مسحوقاً تحت السُّفن .

الكورس: ردّد على مصيبتنا شكاة حزينة مروّعة . إن الآلهة قد فعلوا كل شيء من أجل أن تنقّض كل الشرور على الفُرس . واحسرتاه! واحسرتاه! على جيشنا الذي أيد!

الرسول: سلامين! يا له من اسم قاس سماعه أشد ما تكون القسوة! آه! كم يكلفني ذُكْرُ أئينا من زفرات!

الكورس: نعم! «أئينا» اسم بغيض لما أصابني من شقاء. من الآن فصاعداً ستكون لديّ مادة لتذكرها: من آلاف النساء الفارسيات قد صُنِعت - وبدون جدوى - أمهات أرامل أو بدون أولاد.

الملكة: لقد بقيتُ وقتاً طويلاً، بائسة يسحقها الشقاء، فالكارثة أفضع من أن تسمح بالنطق بكلمة واحدة وبالسؤال عن بلايانا. لكن لا بد، مع ذلك، من أن يتحمل الناس المصائب التي تبعث بها الآلهة إليهم. فاعرضِ إذن أمام عيوننا كل بلايانا، وأطلق في وقارٍ ببعض المناحات التي تنتزعها منك مصائبنا، ومن من بين الرؤساء لم يهلكوا، ومن منهم يجب علينا أن نبكي عليه ممن كانوا في الصف الذي يحمل فيه الصولجان وتركوا بموتهم المكان خالياً.

الرسول: أما أحشويرش فإنه حيٌّ يرى النور.

الملكة: لكم تغمر كلماته بالنور بيتي! إنه النهار المشرق بعد الليل البهيم!

الرسول: لكن أرتيمبارس Artembares - الذي كان فيما مضى رئيساً على ألف فارس - فإنه الآن يصطدم بكل صخرة على ساحل سيلينيس^(١) Silenies وداداكس Dadakes، رئيس الألف من المشاة، فإنه تحت صدمة مقلع لم يَقم إلا بوثة من أعلى السفينة! وتيناجون Tenagon، البطل البختياري النبيل السلالة، يحوم شبحه الآن على جزيرة آياس^(٢) التي تضربها الأمواج! وليلايوس وأرسامس وأرجستس Liliaos, Arsames, Arghestes، كانوا يحومون حول جزيرة الحمام^(٣)، يواجهون بجباههم المهزومة الساحل الغليظ! وأبناء النيل المصري: أركتيوس Arcteus وأديوس Adeues وفرنوكس Pharnookes ذو الترس الجيد كلهم قد سقطوا من نفس السفينة. ومطالوس Matallos - الذي من خروسه Chroyse - وكان

(١) من المحتمل أن تكون سيلينيس هي اللسان الجبلي الطويل لسلامين ويقع عند مدخل المضيق. وهناك عرض اليونانيون غنائمهم بعد المعركة.

(٢) هي سلامين. وهذا الوصف ربما يدل على أن اسخولوس كان يعتقد أن آياس قد اشترك في الدفاع عن جزيرته.

(٣) لا يدل هذا الوصف على أن المقصود به سلامين؛ لكننا لا نعلم على أي مكان يدل.

يقود ألف رجل، شاهد - وهو يموت - لحيته الطويلة الكثة الصهباء تتخذ صبغة جديدة في حمام من الفورفيرا وأرابوس Arabos المجوسي، وأرطامس Artames البختياري الذي كان يقود ثلاثين ألف فارس أسود قد ثبتوا في الأرض التي هلكوا عليها! وأمستريس Amestris وأمفستريوس Amphistreus - الذي كان يشهر دائماً مقلاعه الذي لا يهدأ - وأريوماردس Ariumardis الشجاع الذي يُلبس اليوم سراتيق ثوب الحدادا وسيسامس Seisames الذي من موسيا، وثروبس Thrybis قائد الأسطول المؤلف من مئتين وخمسين سفينة، هذا المحارب الرائع المولود في لورنا^(١) Lyrna قد سقط تحت ضربة من القدر الأيمة. أما سؤنيمس Syennesis، قائد جماعة قليقلية وهو أول الشجعان، فإنه بعد أن أصاب العدو بألف خسارة، فإنه قُتل مكللاً بالمجد. لكن مصائبنا لا حصر لها، ولهذا فإنني لم أرو لكم منها غير القليل.

الملكة: واحسرتها! إنك تخبرني بمصائب لا تُحصى، تسربل فارس بالعار، وتشير زفرات حادة. لكن عُدْ إلى الوراء، وخبرني كم كان عدد سُفن اليونانيين بحيث حملهم على أن يخوضوا القتال ضد جيش الفُرس، ويحدثوا التصادم بين السفن.

الرسول: لو كان الأمر أمر العدد فقط، لكان الفُرس قد انتصروا، لأن عدد سفن اليونانيين كان حوالي ثلاثمائة، إلى جانب عشر سفن احتياطية. أما أحشويرش فأنا أعلم أنه كان يقود أسطولاً من ألف سفينة، بخلاف الزوارق السريعة وعددها مائتان وسبعة. تلك كانت النسبة بين الأسطولين؛ فهل ترين أنها كانت في غير صالحنا؟ كلا، ولكن إلهاً هو الذي دمر جيشنا، بأن جعل الحظ في كلتا كفتي الميزان غير متكافئاً أبداً! ذلك أن الآلهة يَحُمون مدينة أثينا.

الملكة: إذن أثينا لا تزال سليمة؟

الرسول: إن المدينة التي تحرس رجالها عندها أكبر حصن.

الملكة: لكن ماذا كانت إشارة الهجوم، بالنسبة إلى الأساطيل! خبرني مَنْ الذي بدأ القتال: هل هم اليونانيون؟ أو ابني وقد وثق بعدد سُفنه.

(١) مدينة مجهولة الهوية، اعتقد القدماء أنها هي لورنشا في إقليم طروادة.

الرسول: إن من بدأ - يا مولاتي - كل مصائبنا، كان جثياً منتقماً^(١)، إلهاماً شريراً، طلع من حيث لا أدري. إن يونانياً^(٢) جاء من الجيش الأثيني ليقول لإبنك أحشويرش^(٣) حينما يسدل الليل المظلم ستاره، فإن اليونانيين لن ينتظروا بل سيندفعون على مقاعد سفنهم ويبحثون عن النجاة، كل واحد من ناحية، في هروب سرّي. ولم يكد أحشويرش يسمع هذا الكلام، ودون أن يخطر بباله أن هذه حيلة من اليوناني أو حسدٌ من الآلهة، فإنه أعلن لكل رؤساء الأسطول ما يلي: حين تتوقف الشمس عن تدفئة الأرض بأشعتها، فعليكم أن تصفّوا معظم السفن في ثلاثة صفوف، من أجل حراسة المخارج والممرات المزمجرة، بينما الصفوف الأخرى تحيط بها، وتسدُّ جزيرة آياس؛ وذلك لأن اليونانيين إذا أفلتوا من الرصيف ووجدوا على البحر طريقاً للهرب السرّي، فستقطع رؤوسهم جميعاً. بهذا أمر الملك أحشويرش. إن قلباً مفرط الثقة هو الذي أملى عليه هذه الكلمات، وكان يجهل المستقبل الذي دبرته له الآلهة! أما هم، فبدون اضطراب، ونفوسهم مطواعة، فقد أعدوا طعامهم؛ وكل بتّار ربط مجذافه بعروته التي تمسكه؛ وفي الساعة التي انطفأ فيها ضوء النهار وبدأ الليل في الإظلام صعد كل رؤساء المجداف^(٤) إلى سفنهم، وكذلك كل الرجال المسلّحين^(٥). ومن مقعد إلى آخر في كل سفينة طويلة كانوا يشجعون بعضهم بعضاً. والتزم كل واحد بالصف الموكول إليه، وراح رؤساء الأسطول يجولون كل الأسطول. لكن انقضت الليلة دون أن يحاول الأسطول اليوناني النجاة خفية والخروج سراً. لكن لما نشر النهار ذو الأفراس البيضاء ضوءه على الأرض، إذا بصياح رنان يرتفع من ناحية اليونانيين، صياح منغم كأنه أنشودة، بينما صدى الصخور في الجزيرة يردد انطلاقه. هنالك استولى الفزع على كل الفرس، وقد شعروا بأنهم خُدعوا وعُرّزَ بهم إذ لم يحدث ما كانوا ينتظرونه. ذلك أنه لم يكن من أجل الهرب دق اليونانيون هذا النشيد الجاد، وإنما للسير إلى المعركة وهم مملؤون بالثقة والشجاعة. ونداءات النفير أشعلت كل خطوطهم.

(١) هذا مثل شائع. لكن اسخولوس إنما يعبر هنا عن الفكرة التي أرشدت ثموستكل حين نصح أهل أثينا ضد أثينا بترك مدينتهم.

(٢) كان يدعى سيكتوس، وكان مربياً لأولاد ثموستوكل.

(٣) كان أسطول أحشويرش راسياً في البحر.

(٤) أي: المجدفون. وقد انتقد أرسطو هذه المبالغة في التعبير.

(٥) أي المقاتلون الحقيقيون الذين سيقاتلون بالفعل.

وسرعان ما أخذت المجاديف الصخّابة، وهي تسقط معاً تفرغ الماء العميق في ايقاع، وبعد قليل ظهر الجميع أمام الأنظار. والجناح الأيمن المصفوف هو الذي سار أولاً بنظام جيد^(١). وبعد ذلك برز الأسطول كله وتقدّم، وأمکن حينئذ أن يسمع، عن قريب جداً، نداء هائل يقول: «هيا، يا أبناء اليونان، خلّصوا وطنكم، خلّصوا أبناءكم ونساءكم وقبور أجدادكم، ومعابد آلهة أجدادكم: إنه الجهاد الأكبر» ومن ناحيتنا أجاب عليهم ضجيج باللغة الفارسية. لا مجال لأي تأخير. فاصطدمت السفن بالسفن واحتكت جوانبها البرونزية وأعطت سفينة يونانية إشارة الالتحام ودمرت مقدّم سفينة فينيقية. وباقي السفن توجهت كل واحدة منها صوب سفينة للعدو. وفي البداية صمدت السفن الفارسية: لكن كثرتها جعلتها تتكدّس في الممر الضيق^(٢)، فلم تستطع أن يساعد بعضها بعضاً، بل احتك بعضها ببعض واصطدمت مقدمتها البرونزية، وتكسّرت أجهزة المجاديف، وهنا أحاطت بها - ببراعة - السفن اليونانية وضربتها فانقلبت القيعان؛ واختفى البحر كله تحت كومة من الجثث الدامية؛ والشواطئ امتلأت بالموتى، وما بقي من سفن الفرس أخذ في الهرب مستعملاً المجاديف، بينما كان اليونانيون يضربون ويضربون ببقايا المجاديف وشدرات الآلات، كما لو كان الأمر يتعلق بأسمك التوتة وهي تخرج من الشبكة! ساد على البحر كله نواح وزفرات، إلى أن جاء الليل بوجهه الأسود فأوقف كل شيء. أما فيما يتعلق بمجموع خسائرنا فإني لا أستطيع أن أحصيه حتى لو أمضيت عشرة أيام في إحصائه! ولم يحدث ابداً أن هلك في يوم واحد مثل هذا العدد من الرجال.

الملكة: واحسرتها! أيّ محيط من الشرور قد انصبّ على الفرس وعلى كل الجنس الأجنبي (غير اليوناني).

الرسول: واعلمي جيداً أن هذا لا يمثل نصف ما عانىناه من بلاء! ثم كارثة أليمة قد انقضت عليهم هي أفضح مرتين من كل المصائب التي عرفتتها.

(١) تقضي خطة أحشوبرش بأن تقوم غالبية الأسطول بحراسة الممرات، بينما الباقي يحاصر الجزيرة.

(٢) أورد هيرودوت نفس هذه الوقائع (المقالة الثامنة، البند ٧٦ و٩٥). وبناء على روايته فإن الفضل في انتصار اليونانيين إنما يرجع إلى مبادرة شخصية من أرسيد Aristide. وربما كان هذا هو السبب في أن اسخولوس قد أفاض في وصف هذه الأحداث بارتياح وتفاحر. أما الجزيرة المشار إليها بعد قليل فهي جزيرة بسوتاليا Psytalié التي تقع عند مدخل المضيق، بين سلامين والساحل الأتيكي.

الملكة: وأية فاجعة أخرى يمكن أن تكون بعد أقسى؟ أية كارثة جديدة -
خبرني - قد أصابت جيشنا لتزيد من ثقل مصائبنا؟
الرسول: ومن بين الفرس: أولئك الذين امتلأوا بالقوة، وكانوا يقاتلون في
الصف الأول لشجاعتهم، وكانوا الأرفع في النسب - هؤلاء قد هلكوا هلاكاً شائناً،
وماتوا ميتة هي الأشنع في العار.

الملكة: واحسرتها! يا لبؤسي! أي مصير قاس هو مصيري، يا أصحابي!
ولكن ما هو هذا الموت الذي أصابهم هكذا؟

الرسول: في النواحي المتقدمة من سلامين توجد جزيرة ضيقة لا مرفأ لها،
وPan وحده إله الكورسات يفد على ساحلها البحري. إلى هناك بعث بهم
أحشويرش، وذلك من أجل أنه لو اتجه غرقى يونانيون نحو الجزيرة للنجاة، فإن
عليهم أن يذبخوا اليونانيين الذين من السهل التغلب عليهم هنا، وإنقاذ رجالهم هم
من تيارات البحر لقد كان ذلك من سوء تقدير المستقبل. وذلك أنه منذ أن وهبت
السماء النصر للأسطول اليوناني فإن اليونانيين، في نفس اليوم، وكانوا قد لبسوا
على صدورهم دروعاً من البرونز، وثبوا خارج السفن وحاصروا الجزيرة كلها،
بحيث لم يعد الفُرس يعرفون في أي اتجاه يتجهون. ثم إن آلاف الأحجار قد
انطلقت من أيدي اليونانيين فأرهقت الفُرس، كما قذف اليونانيون السهام بقسيهم
على الفُرس فأحدثت الموت في صفوفهم. وأخيراً وثبوا وثبة واحدة، وراحوا
يضربون، ويشطرون أجساد هؤلاء المساكين حتى قضوا على حياتهم جميعاً. -
وراح أحشويرش يشكو مَرَّ الشكوى أمام هذه الهاوية من الآلام، إنه كان قد أخذ
مكاناً في نقطة منها كان يشاهد كل الجيش، وهي رابية^(١) مرتفعة قريبة من السهل
البحري: وراح يمزق ثيابه، وينوح نواحاً عميقاً، وفجأة أصدر أمراً إلى جيشه البري
واندفع في هروب شارد. وتلك هي الكارثة التي انضافت إلى سائر الكوارث لتقدم
إليك مادة للنواح والبكاء.

الملكة: آه! أيها المصير المُعادي، كم خدعت الفُرس في آمالهم! إن العقاب
الذي ذهب ابني لإنزاله بمدينة أثينا الشهيرة - قد كلفه غالباً، وكان حسبه آلاف
الفرس الذين هلكوا في ماراثون. لقد اعتقد أنه سينتقم، لكن شبكته لم تمسك إلا

(١) من المحتمل أن تكون عند حضيض جبل أيجاليوس Argalios الذي يسيطر على المضيق الضيق في
أضيق موضع منه.

بما لا نهاية له من المصائب - لكن، خبّرني - أين تركت السفن التي أفلتت من الكارثة؟ هل تستطيع أن تحدّد ذلك بدقة؟

الرسول: كلا! لأن رؤوس السفن الناجية قد استغلوا ريحاً ملائمة فأسرعوا في الهروب بشكل مضطرب. أما باقي الجيش البرّي، على أرض بيوتيا Beotie فقد أخذ في الانهيار. فبعضهم، حول ضياء الينابيع، عالج سكرات الموت من العطش^(١)؛ والبعض الآخر سقط في الطرقات من الإعياء. أما نحن فقد مررنا بأرض فوقيديا في الدوريد Doride، ووصلنا إلى خليج المالياوي Maliaque، حيث نهر اسپرخيوس Sperchios يسقي السهل بمائه العذب المفيد. واقليم أخايا Achaie ومدن تساليا شاهدتنا نصل إليها وقد أعوزتنا المؤونة. فمات هناك أكثر من واحد إما من العطش وإما من الجوع. وكلا البلاءين قد أصابنا الآن! ثم وصلنا إلى بلاد المغنيط Magnetes إلى اقليم مقدونيا، وإلى نهر أكسيوس ثم إلى أحراراش اليراع التي تحدد بولبا Bolbé، وأخيراً إلى جبل پانجيه Pangée وأرض الأيدونيين^(٢) Edoniens وفي تلك الليلة صنع الإله شتاءً مبكراً، فتجمد نهر الاسترومون Strymon المقدس في كل مجراه. هنالك أكثر من واحد ممن لا يؤمنون بوجود الآلهة أخذوا في الدعاء والتمنيات، عابداً الأرض والسماء؛ ولما كفّ الجيش عن اطلاق الدعاء، بدأ الفرار على النهر المتجمد. لكن فقط أولئك من بيننا الذين اجتازوه قبل أن تنتشر أشعة الإله (الشمس) على الأرض هم الذين اليوم أحياء. لأن قرص الشمس المضيء، بأشعته المتلاثة التي نفذت في قلب النهر، أدفأه بشعلته، وإذا بالفُرس يتساقطون الواحد بعد الآخر: والسعيد هو من يفقد النُفس والحياة قبل غيره! والآخرون الذين أفلتوا من الموت - بعد اجتياز بطيء مُنْهَك لسهل تراقيا، وصلوا إلى أرض مساكنهم، وهم حفنة من الباقين في قيد الحياة، وقد دعوا فارس إلى النواح والبكاء على الشيبية المحبوبة التي نبتت في أرضهم.

(١) اسخولوس يشير هنا إلى الاسطورة التي رواها هيرودوت، والتي تقول إن الجيش الفارسي جَفَف جداول الماء.

(٢) جبل پانجيه، وأرض الأدونيين يقعان في الجانب الآخر من نهر استرومون. والفرس كانوا يرونهما، لكنهم لم يستطيعوا الوصول إليهما إلا بعبور هذا النهر.

تلك هي الحقيقة؛ ومع ذلك فإن روايتي أغفلت ذكر الكثير من البلايا من بين تلك التي أصابت السماء بها الفُرس .

(يخرج)

رئيس الكورس: آه! أيتها الألوهية القاسية، بأي ثقل أنُخت إذن على كل الجنس الفارسي!

الملكة: واحسرتاه! وابؤساه! لقد هلك جيشنا! يا أيتها الرؤيا الواضحة جداً، في أحلامي الليلية، لقد كنتِ صادقة لما أن أريتني هذه المصائب! أما أنتم فقد استخففتن بها. ومع ذلك فإنه لما كان رأيكم بهذا المعنى، فإني أريد أولاً أن أصلي للآلهة، بعد ذلك أقدم للأرض وللأموات قرباناً مختاراً من قصري. صحيح أنني أعلم أن الأمر يتعلق بالماضي: لكن المستقبل ربما يعدُّ لنا مصيراً أحسن. وفيما يتصل بكم، يخلق بكم أن تجمعوا عن الأحداث الآراء المخلصة الواجبة لأمراء مخلصين وإذا وصل ابني إلى هنا قبل أن أعود، فواسوه، واصحبوه إلى القصر - خشية أن يضيف إلى مصائبنا مصيبة أخرى^(١).

(تخرج الملكة مصحوبة بحاشيتها)

رئيس الكورس: أي زيوس الملك، لقد جاءت الساعة التي أوقعت فيها سوسة واكباتان في حداد مظلم، بعد أن دمّرت جيش الفُرس، الفُرس الشُّم الأنوف وعددهم لا يُحصى!

إن آلاف النساء يمزقن، بأذرعتهن الضعيفة، أحجبتهن ويغرقن صدورهن في دموع متدفقة، وقد استولى عليهن الألم.

والزوجات الفارسيات، النائحات برقة، وهن يأسفن على الرجال وأحضانهم الشابة، مودّعات أفرشة ناعمة وشباباً مزدهراً - ينقسون عن مصابهن بزفرات لا تنتهي، بينما أنا احتفل هنا بموت من هلكوا، وهو مصدر دائم لآلام لا تُحصى.

الكورس: نعم، جاءت الساعة التي فيها آسيا كلها تنوح لأنها تشعر بأنها أفرغت من أهلها.

(١) اعتاد الملوك في الشرق أن ينتحروا إذا هزموا هزيمة، منكراً لا يمكن الانتقام لها. ولهذا فمن الطبيعي أن تخطر هذه الفكرة بخاطر الملكة.

إن أحشويرش قد اقتادهم، وأهلكهم، فوا أسفاه! وا أسفاه!
إن أحشويرش قد قاد كل شيء بطريقة جنونية، فوا أسفاه! أحشويرش وسفنه
البحرية!

آه! لماذا كان داريوس ملكاً رحيماً لأهله، داريوس القوَّاس، الرئيس
المحبوب لبلاد السُّوس!^(١)

مُشاة وبتجارة. أشبه ما يكونون بأسراب من الطيور اللابسة ثوب السماء
الكابية، والسفن التي حملتهم، وا أسفاه! السُّفن أهلكتهم، واحسرتاه!

السفن الجالبة للكارثة، سُفن اليونانيين وأذرتهم! بصعوبة بالغة استطاع مَلِكِي
أن يهرب وحده، بحسب ما فهمت، خلال سهول تراقيا والدروب القاسية.

أمَّا الآخرون، الذين كانوا - ويا حسرتاه، فرائس لمصير كانوا هم أول
ضحاياه، حول الرؤوس التي يحميها كوخيوس^(٢) فإنهم هناك يدورون.

آه! نوحى، مزقي قلبك، واصرخي إذن بملء صوتك! معبرة عن آلامك حتى
تبلغ السموات! وارفعي صوتك بنداء الألم المعادي، صوتك البائس!

لقد عصفت بهم الأمواج بقسوة، وا أسفاه، كما مزَّقهم الأبناء الصامتون،
أبناء الطاهر!^(٣)

وبينما البيت لبس الحداد على مَنْ فَقَد، والآباء الشيوخ الذين صاروا بلا أبناء
ينوحون تحت وطأة آلام لا نهاية لها ويعانون الألم الشامل.

وطوال زمان مديد، لن يطيع أحد، في بلاد آسيا، سلطان الفُرس؛ ولن تدفع

(١) يقصد أن يقول: لماذا كان حكم داريوس نعمة للفرس، بينما كان حكم احشويرش نقمة عليهم؟ - وكان داريوس يستخدم القسي في القتال، أما أحشويرش فقد أراد أن يكون الملك البحار، وهكذا أضاع دولة الفرس، حين أراد لها ان تنتصر بما لا تحسنه: أي الحرب في البحر.

(٢) Kykhrus: يروي باوسنياس (٣٦ : ١) أن كوخيوس كان بطلاً من أبطال معركة سلامين، وقد ظهر للأثينيين في وسط المعركة على شكل حية، ودافع عن الأرض التي كان فيها قبره. وقد كثرت الأساطير التي تدور حول تدخل الأبطال أثناء الحروب بين الغرب واليونانيين.

(٣) الطاهر: كناية عن البحر. وفي كتاب «الابتساق» (الكتاب المقدس في ديانة المجوس) يعبر عن البحر بهذه الصفة: «الطاهر».

لهم الجزية تحت القهر والعنف؛ ولن يركع أمامهم لسماع الأوامر: إن قوة الشاهنشاه قد وُلّت. والألسنة لن تشعر بعد بما يلجمها، لقد تحرر الشعب وصار يتكلم بحرية منذ أن فُكَّ عنه زير القوة القاهرة.

في أرضها الدامية صارت جزيرة آياس Ajas، التي تضربها الأمواج، تحتفظ بمقبرة قوة الفُرس!

(تدخل الملكة ماشية على قدميها، وهي تلبس ملابس بسيطة جداً. ويتبعها عبيد يحملون القرابين)

الملكة: يا أصدقائي! مَنْ عَرَفَ البؤس ليعلم أن الناس، منذ اليوم الذي يَمَرُّ عليهم فيه سيلٌ من المصائب - يزدادون خوفاً من كل شيء، أما في وسط المصير النهائي فإنهم يعتقدون أن المضييق الذي وافهم بالسعادة سيكفلها لهم أبداً. وفيما يتعلق بي اليوم، فإن كل شيء مملوء بالرُعب: أمام عيوني تتجلى عداوة الآلهة؛ وفي مسامعي تنصاعد ضوضاء لا تفيد في علاج آلامي. لأن الخوف الذي يزعج قلبي فظيع هائل. ولهذا رجعت من القصر إلى هنا بدون عربة، وبدون فخفختي السابقة، كي أقدم إلى والد ابني الرّشّات المهدّئة للموتى، والتي يقدّمها إليه حُبّي: لَبَنٌ أبيض عذب محلوب من بقرة لم يَدنّسها ناف، وَعَسَلٌ رائق فَطَرته ناهبة الأزهار (= النحلة)، إلى جانب ماءٍ جارٍ من ينبوعٍ بِكْرٍ؛ ثم هذا السائل الصافي البهيج، الصادر عن أُمِّ بَرّيّة، عن كَرمة عتيقة؛ وثمرات عطرة من شجرة زيتونة شقراء، أوراقها الحيّة تتفتح في كل الفصول؛ وأزهار على شكل تيجان، هي نبات لأرض خصبة. هيا، يا أصدقائي، أنشيدوا أناشيدكم على هذه الرّشّات المقدّمة الى موتانا: وارفعوا ذكراً داريوس الإلهي، بينما أوجّه نحو آلهة العالم السفلي هذه القرابين التي ستشربها الأرض.

رئيس الكورس: أيتها الملكة، يا مَنْ يوقرك الفُرس، وجّهي رشّاتك الشعائرية إلى المساكن التي تحت الأرض: وأناشيدنا نحن ستطلب أن يكون الذين يرشدون الموتى رحماء لنا تحت الأرض

هيا، يا آلهة العالم السفلي المقدسين؛ الأرض، وهرمس، وأنت يا سلطان الموتى، أصعدوا إلى النور هذه الروح! إن كان يعلم خيراً منا ما هو العلاج لمصائبنا، فإنه يستطيع هو وحده، من بين سائر الناس، أن يخبرنا متى ستنتهي.

(الكورس يبدأ الاستدعاء، مازجاً إياه بصيحات وبوادر عنيفة؛ وهو ينوح ويضرب صدره، أو يشدد في استدعاء الميت بأن يصفق بيديه).

الكورس: هل يسمعي الملك المتوفى، المساوي للآلهة؟ هل يسمعي وأنا أنطق بلغة أعجمية، واضحة لأذنه، هذه النداءات النائحة، الحزينة، التي تمتزج فيها كل نبرات الشكوى؟

إنني أصرخ معبرة عن آلامي التي لا نهاية لها. فهل يسمعي وهو في أعماق الظلمات؟

هيا، أيتها الأرض، وأنتم يا أمراء العالم السفلي، إنكم تحضرون كائناً لإلهياً سامياً؛ دعوه إذن يخرج من مساكنكم، هذا الإله، ابن اقليم السوس، الذي يعبدته الفُرس. أُرشدوا إلى النور ذلك الذي لم تعرف أرض الفرس له نظيراً من بعده!

عزيز لدينا هذا البطل، وعزيز علينا هذا القبر، لأن الروح التي يضمها عزيزة علينا. يا أويدونيوس^(١) أصدِّد إلى النور الملك المنقطع النظير: داريوس، هيا، هيا!

ليس هو الذي أضع جنوده في هزائم مُهلكة!

لقد سمّاه الفُرس بمتلقي وحي الآلهة، وهو فعلاً وجه سفينة شعبه بوحي من الآلهة! هيا، هيا!

أيها العاهل، عاهلنا القديم، تعال، وأظهر فوق الذروة التي تتوّج قبرك! ارفع الى هناك الحذاء المصبوغ بالزعفران والذي يغطي قدمك؛ واجعل زر التاج^(٢) الملكي يلمع أمام عيوننا؛ تعال، أيها الوالد المُحسن، أي داريوس! تعال، واعلمُ الأبناء، أبناء الآلام الرهيبة. يا مولى مولاي^(٣)، اظهر.

(١) لا ينجح هذا الابتهاج إلا إذا كان بلغة يفهما من يتوجه إليه هذا الابتهاج. ولعة أعضاء الكورس هي الفارسية، وهي لغة داريوس أيضاً. وقد حاول اسخولوس أن يضيف على هذا الابتهاج طابعاً أعجمياً.

(٢) كان غطاء الرأس في فارس طرطوراً مخروطياً، في العادة من الفراء، وينتهي في أعلاه بسنّ مدببة تميل إلى الورا. أما طرطور الملوك فكان ينتهي بزر.

(٣) يقصد: يا مَنْ أنت أقوى من احشويرش.

إن علينا يتجلى ضباب الموت: كل شبابنا هلكوا. تعال، أيها الوالد
المُحسن، أي داريوس! آه! آه!

وا أسفاه! وا أسفاه، أيها الميت الذي تبكي عليك آلاف^(١)
الأصحاب.....

لقد هلكت سفننا ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف، سفننا التي لن تبحر
عوضاً.

(شبح داريوس يظهر فوق القبر)

داريوس: يا أخلص المُخلصين، يا رفاق شبابي، أيها الشيوخ الفُرس! أية
آلام تعانيها مدينتي؟ إنها تنوح، وتلطم صدرها، وفي الحال «تنشق» الأرض إني
أشاهد زوجتي بالقرب من قبوري، إني أفزع، وبكل قلبي أتقبل رشاتها وأنتم
تنوحون حول هذا القبر، وصرخاتكم حادة تبعث الموتى من قبورهم، وهي
تدعوني دعاءً يثير الشفقة. ليس من السهل ترك العالم السفلي: وخصوصاً لأن آلهة
العالم السفلي تُحسِن الأخذ أكثر مما تحسن التُّرك: لكنني استغللت ثقتهم بي:
وهأنذا جئت إليكم. خبروني بسرعة، حتى لا يستطيع أحد أن يلومني على أي
تأخير: أية مصيبة جديدة انقضت إذن على الفُرس؟

الكورس: لا أجرؤ على التطلع فيك؛ ولا أجرؤ على الكلام في مواجهتك:
إن ما كنت أشعر به من هيبة في الماضي يملكني الآن وأنا أمامك.

داريوس: استجابة لشكواك صعدت إلى النور؛ فتخلّ عن لهجة من شأنها أن
تؤخرنا، بكلمات موجزة قل كل شيء، وتنحّ عن الاحترام الذي كنت تكثفه لي.

الكورس: إني أخاف من إرضائك؛ وأخاف من الكلام في مواجهتك، ومن
النطق بكلمات قاسية على أولئك الذين أحبهم.

داريوس: إذن! إذا كانت الرهبة القديمة لا تزال تستولي على نفسك
وتحتجزك هكذا، فعليك أنت، يا رفيقة فراشي، أنت يا زوجتي النبيلة، أن توقفي

(١) تتلو هذا ثلاثة أبيات محرّفة تحريفاً لا سبيل إلى تصحيحه، بل ولا إلى معرفة المعنى العام المقصود
منها، ولم تغلح في تصحيحه كل محاولات الباحثين.

الدموع، والزفرات وأن تخبريني بالحقيقة أن المصائب الانسانية يمكن دائماً أن تصيب الناس. إن آلاف المصائب تخرج من البحر، وآلاف المصائب تخرج من الأرض، لتصيب أولئك الذين تستطيل حياتهم في الزمان.

الملكة: إيه أنت يا من تجاوز حظه السعيد سعادة كل الناس - لأنك طالما كنت تنعم بضوء الشمس، فإنك عشت - محسوداً من الفُرس - عيشة سعيدة مماثلة لعيشة إله، وأنا لا أزال اليوم أحسبك على أنك مُتٌ قبل أن تشهد انشقاق هاوية الآمنا - ستعرف كل شيء، وبقليل من الكلمات، يا داريوس: أستطيع أن أقول لك إن قوة الفُرس قد قُضي عليها.

داريوس: وكيف؟ أهو الطاعون، أهى الحرب الأهلية هي التي انقضت على الدولة؟

الملكة: كلا، ولكن بالقرب من مدينة أثينا هلك جيشنا كله.

داريوس: مَنْ مِنْ أبنائي نقل الحرب الى هناك؟

الملكة: أحشويرش المنذفع، مُفرغاً سهول قازتنا.

داريوس: أبالأرض، أم بالبحر حاول هذا البائس تلك المحاولة الجنونية؟

الملكة: بهذين الطريقتين معاً: إن جيشيه: البري والبحري صنعا جبهة مزدوجة.

داريوس: وكيف استطاع مثل هذا الجيش البري أن يَغُبر البحر؟

الملكة: لقد ألقى بمراكبه كقنطرة على مضيق هلييه^(١) Hellé من أجل العبور.

داريوس: وهل وصل إلى هذا الحد: إغلاق البوسفور الكبير؟

الملكة: لا شك في أن إلهاً قد مسَّ عقله.

داريوس: يا له من إله رهيب، ذاك الذي أعماه إلى هذه الدرجة!

الملكة: إن الخاتمة كانت في هذا: أي خرابٍ أحدث!

داريوس: لكن ماذا حدث لجيوشنا، حتى تنوحي على هذا النحو.

الملكة: إن هزيمة الجيش البحري أضاعت الجيش البري.

(١) أي ما يسمى الآن: مضيق الدردنيل.

داريوس: هل كانت الكارثة شاملة إلى حدّ أن شعباً بأكمله قد هلك في القتال؟
الملكة: شاملة إلى درجة أن اقليم السوس كله يبكي، وقد صار منذ الآن
خالياً من الرجال...

داريوس: واحسرتاه على جيشنا، على سندنا القوي، على ما يشدّ أزرنا!
الملكة: ... والشعب البختياري هلك، ولن يوجد فيه ولا رجل
عجوز^(١)...

داريوس: يا له من شقي! أخذ شبيبة حلفائنا.
الملكة: ... ولم يسلم إلا أحشويرش وحده وبعض رفاقه...
داريوس: وكيف وأين تم مصيره؟ هل عنده فرصة للنجاة؟
الملكة: ... لقد كان من حسن حظه أن وصل إلى الجسر الذي يوصل بين
القارتين...

داريوس: وهل صحيح أنه عبر إلى آسيا وهو حيّ؟
الملكة: نعم، هناك أخبار أكيدة عن هذا، ولا خوف عليه.

داريوس: آه! لقد تحققت بسرعة تنبؤات الوحي، وعلى ابني أسقط زيوس
تحقيق التنبؤات. لقد كان يواسيني أنني كنت أظن أن الآلهة ستأخذ وقتاً طويلاً قبل
تنفيذها. لكن حين يسعى الإنسان الى هلاكه، فإن الآلهة تأتي لمساعدته في ذلك.
واليوم إنه لمصدر لمصائب لكل أهلي ينكشف، وابني - دون ان يفهم - فعل هذا
كله في طيش شبابه! لقد راوده الأمل في أن يتوقف مجرى البوسفور المقدس
بواسطة سلاسل من العبيد، البوسفور الذي فيه يجري الاله! لقد ادعى القدرة على
تحويل مضيق وفتح طريق شاسع واسع لجيشه العرمرم، بأن يضع في هذا المضيق
سلاسل مصنوعة بالمطرقة! هذا الإنسان الفاني ظن في جنونه أنه يستطيع أن يتغلب
على كل الآلهة، على خورسيدون! هل في وسع أحد أن ينكر أن طائفاً جنونياً قد
طاف بعقل ابني؟

(١) الشيوخ يكونون نخبة لا تستطيع المدينة أن تستغني عنها. والمقصود بالشعب البختياري شعب
بكتريان: اقليم بخارى وما حولها.

أخشى أن تصبح الثروة الهائلة التي حصلت عليها بمجهوداتي - غنيمة فرصة لنهب أسرع المبادرين إلى خطفها.

الملكة: تلك كانت الدروس التي تلقاها احشويرش المندفع من اتصالاته مع الأشرار. لقد كرروا له أنك بالحرب استوليت لأبنائك على ثروة هائلة، بينما هو بجبهته راح يحارب في غرفته دون أن يسعى لزيادة الثروة التي تركها أبوه. ومن طول سماعه لتهمك هؤلاء الأشرار، تكونت لديه فكرة هذه الحملة ضد بلاد اليونان.

داريوس: هم إذن صانعو هذه الكارثة الهائلة التي لا يمكن نسيانها، والتي أخلت مدينة السوس على نحو يفوق كل ما وقع عليها من قبل من بلايا، منذ اليوم الذي فيه أعطى زيوس لرجل واحد امتياز السيطرة على كل آسيا التي تربى الأغنام، ووهبه الصولجان الذي يوجه ويدير. . كان ميدوس Medos أول زعيم للشعب المسلح. ومن بعده أتم ابنه العمل: لقد كان عقله يتحكم في وجداناته وأهوائه. . والثالث كان قيرس Keros ذلك البطل ذو الطالع السعيد، فإنه لما تولى الحكم أرسى قواعد السلام بين الشعوب الشقيقة، وبعد ذلك فتح لوديا، وافروجيا، واستولى بالقوة على ايونيا كلها. وابن قيرس كان القائد الرابع للجيش، واستولى مارديس على المُلْك وكان الخامس، ولكنه كان عاراً على وطنه وعلى هذا العرش العريق - حتى اليوم الذي فيه قتله أرطفريتس الشجاع، قتله بالحيلة في قصره، بمساعدة اصدقاء اتحدوا للقيام بهذه المهمة وأنا أيضاً، حينما أعطاني الحظ ما تمنيته، قُمت بحملات مع جيوش عديدة: لكنني لم أجلب على وطني مصيبة كهذه. لكن ابني أحشويرش، وهو شاب، يفكر بعقلية الشباب وينسى نصائحي. فاعلموا إذن، يا أصحابي، فحتى لو أخذنا جميعاً معاً، فإننا لا يمكن أن نظهر ونحن الذين ملكنا هذه الامبراطورية، بمظهر من فعلوا كل هذه البلايا.

رئيس الكورس: لكن يا مولاي داريوس، إلى أية نتيجة تريد أن تصل بأفوالك هذه؟ كيف نستطيع، نحن الفُرس، أن نعمل على خير وجه؟

داريوس: ألا تحاربوا أبداً في بلاد اليونان، حتى لو كان جيش الميديين أقوى. ذلك لأن أرض بلادهم حليفة لهم.

قائد الكورس: ماذا تقصد؟ كيف هي حليفة لهم؟

داريوس: بأن تُهلك بالجوع الجموع الكبيرة جداً.

رئيس الكورس: لكننا نجند جيشاً منتخباً، مسلحاً بأسلحة خفيفة.

داريوس: لكن حتى الجيش الذي بقي الآن في بلاد اليونان لن يحصل على النجاة والعودة!

رئيس الكورس: ماذا تقول؟ هل لم يجتز كل الجيش الفارسي مضيق هلييه ويغادر أوروبا؟

داريوس: كلا، بعض الرجال من بين الآلاف - إذا كان علينا أن نصدق وحي الآلهة، بملاحظة كل ما تمّ: لا يشاهد تحقيق بعض هذا الوحي دون تحقيق البعض الآخر؛ وإذا كانت الوقائع هي كذلك، فإن احشويرش، بتركه فرقة مختارة، فإنه يطبع آمالاً كاذبة. إنها باقية في الأماكن التي فيها نهر أسوبوس Asopos يروي الساحل بمياهه الجارية، إنه المغذي المحبوب لأرض بيوتنا، وهناك تنتظرهم آلام في غاية الشدة، جزاءً وفاقاً لتجاوزهم الحدّ وغطرستهم الفاجرة: إنهم جاءوا إلى بلاد اليونان، ولم يترددوا في نهب تماثيل الآلهة وإحراق المعابد؛ وهم الذين دمّروا المذابح وصور الآلهة وقلبوها رأساً على عقب، وحطموا قواعدها. إنهم آثمون مجرمون، فاستحقوا العقاب بقدر جرائمهم وتنتظرهم مصائب أخرى: إن نبأ مصائبهم لم يصل بعد إلى أساسه بل سيزداد الأمر سوءاً ذلك لأن الرمح الدوري (= اليوناني) سيسيل على أرض پلاتيا Plateé فيضاً من الدماء^(١) ويصرع أكواماً من الموتى، بلغة خرساء، حتى الجيل الثالث. وكل هذا يؤكد لنظرات الناس أنه ينبغي على كل فإنٍ ألا يتعلل بأفكار هي فوق أحواله الفانية. إن تجاوز الحدّ حين ينضح ينتج سُنْبلة الخطأ، والمحصول الذي يُحصل عليه لا يتكون إلا من دموع. اعتبروا دائماً بهذا العقاب واجعلوه نصب أعينكم؛ وتذكروا مدينة أثينا وبلاد اليونان^(٢)، وليس لأحدٍ منكم أن يذهب، مزدرياً مصيره وقدره، ليطمع في غيره، فتنهار بذلك سعادة كبيرة. إن زيوس هو المنتقم من الأفكار المتعجرفة ويكلف أصحابها بدفع حساب رهيب عنها. ولما كان احشويرش فقيراً في العقل والفطنة، فلتلقنه نصائحك العاقلة درساً، كي يكفّ عن إهانة الآلهة بجسارته الوقحة.

(١) انتصار اليونانيين على الفرس في معركة پلاتيا يرجع الفضل فيه الى الجيش المغولي.

(٢) كان داريوس قد أعطى أمراً بهذا، عند تناوله لأية وجبة طعام: فكان على أحد الجنود أن يقول له ثلاث مرات: «مولاي! تذكر الأثينيين» (هيروdot: ن: ١).

وأنتِ، يا أم أحشويرش العجوزة العزيزة، ادخلي في قصرِك. وتزيّني بأفخر زينة. واذهبي لملاقة ابنك: إن ملبسه، في الألم الذي يعانیه، ملبسه ذوات الألوان العديدة قد تمزقت على جسمه إرباً إرباً. هدّني نفسه بكلمات طيبة، فأنت وحدك التي يمكن أن يتحمّل كلامها. أما أنا، فأني عائد إلى ظلمات العالم السفلي؛ وأنتم، أيها الشيوخ، وداعاً وحتى في وسط المصائب، هبوا أنفسكم السرور الذي يوفّره لكم كلُّ يوم: أما عند الموتى، فالثروة لا تفيد شيئاً.
(الشيخ يخفي. صمت طويل)

رئيس الكورس: آه! كم أتألم حين أسمع أن الكثير من الآلام، في الحاضر وفي المستقبل، تنتظر الفُرس!

الملكة: أيها المصير! كم من الآلام تنفذ في نفسي حين أفكر في مثل هذه البلايا! لكن المصيبة التي تشق عليّ خصوصاً هي عار الملابس التي تغطي الآن جسم ابني. إني ذاهبة إلى القصر للبحث عن ملابس جديدة؛ وبعد ذلك سأحاول لقاء ابني: في البلاء لن أخون أعز الناس عندي.
(تخرج).

الكورس: آه! الحياة العظيمة، الجميلة التي كانت لمدننا الطيبة، حينما كان يحكم على هذه الأرض الملك العجوز، القدير، المُخسِن، الذي لا يُفهر: داريوس المساوي للآلهة!

ونحن خصوصاً أظهرنا للعالم جيوشاً ذات مجد لا غبار عليه؛ جيوشاً لم توجّه ضد العدو إلاّ الفن المعتاد للحصار^(١)، ثم عادت دون مشقة ولا خسائر إلى بيوتها سعيدة.

كم من مدنٍ فتحها دون أن يجتاز نهر هالوس^(٢) Halys، بل ودون أن يغادر مسكنه!

(١) النص اليوناني هنا صعب الفهم. لكن الفكرة العامة فيه هي أنه كان من تقاليد الفرس ألا يخوضوا الحروب إلاّ على البرّ، وأن يقيموا الحصار حول المدن، وأن ينجوا بخيولهم. ولم يكن على الشاهنشاه إلاّ أن يترك الجيوش تحارب: فالتصر كان حليفها في كل مكان، وكانت تعود دائماً منتصرة. غلط أحشويرش أنه تخلّى عن هذه التقاليد الحربية الفارسية، واقتاد جيوشه عبر البحار والمخاطرة بخوض معارك بحرية.

(٢) نهر هالوس هو الحد الطبيعي بين الامبراطورية الميديّة واقليم لوديا.

كل المدن النهرية على بحيرة استرومون^(١) والتي تتاخم مدن تراقيا وخارج هذه البحيرة، على الأرض الراسخة، تلك التي تملك نطاقاً من الاستحكامات - قد خضعت لهذا الملك. والمدن التي تجلس بكبرياء على شواطئ مضيق هلييه الواسع، والانحناء العميق لإقليم البنطس ومصبات البنطس.

والجزر التي تحيط بها الأمواج، وقد تجمعت حول رأس بحري، ترتبط بأرضنا في آسيا، مثل: لسبوس، وشامس التي تحظى بأشجار الزيتون، وخيوس، وكذلك پاروس، وناكسوس، موقونس؛ وأخيراً أندروس، العجاة المرتبطة بتانوس .Tanos

وهو قد سيطر أيضاً على المدن القائمة في وسط البحر، بين القارتين (آسيا وأوروبا): لمنوس Lemnos وبلاد ايكاروس Icaros، ورودس، وكنيد Cnide، ومدن قبرص وهي: پافوس، وسولي Soli، وسلامين، وعاصمتها اليوم تسبب نواحنا!

والمدن الغنية في المجال الأيوني، التي يكثُر فيها السكان اليونانيون: وهذا - بفكره هو وحده - مستنداً إلى قوة جنوده التي لا تكِل، والجموع الهائلة لأعوانه! لكننا نعاني اليوم من انقلاب للموقف يبدو بوضوح أنه قد أراده، الآلهة، ونحن ننحني تحت ضربات هائلة قد أصابتنا بها الحرب في البحر.

(عربة بأربع عجلات، تحمل نوعاً من الخيمة، تدخل في الأوركسترا، ينزل منها أحشويرش ببطء وهو يترنح، ثم يخطو بضع خطوات نحو الكورس).

احشويرش: واحسرتاه! يا لشقائي! أي مصير مفزع غير متوقَّع لاقيت إذن! وبأي قلبٍ قاسٍ انقض «المصير» على الجيش الفارسي! أنا البائس، ماذا سأصير؟ إنني أشعر بانقطاع قوَّة أعضائي، حينما أتأمل هنا شيوخ مدينتي. آه! ألا ليتني، يا زيوس، قد تقاسمت مع جنودي الموتى مصيرهم، ودُفِنْتُ في الموت!

(١) الكلام هنا هو عن المدن التي انتزعها كيمون من الفرس في حملته على تراقيا. وبعد هذا الانتصار حاول الأثينيون انشاء مستعمرة في هذا الاقليم.

(٢) كان يوجد في قبرص مدينة تسمى: سلامين، أسسها - بحسب الأخبار المنقولة، فويكروس، أخو آياس، وابن طلامون، وقد طرده أبوه من سلامين الأخرى (القريبة من اثينا) لأنه لم يستطع الدفاع عن آياس أو الانتقام له.

قائد الكورس: واحسرتاه، أيها الملك، على جيشنا الرائع، وعلى جلال القوة الفارسية - وعلى هندام المحاربين الذين أطاح بهم «المصير»!

الكورس: إن هذه الأرض تنوح على الشبيبة التي نبتت منها، والتي ذبحها أحشويرش، المورّد للعالم السفلي الذي بسبيل الامتلاء من الفُرس. سيقوا مثل القطعان، رجال بالآلاف، زهرة هذه البلاد، قوَّاسون ظافرون، جمهور لا عداد له ومتماسك - كل هؤلاء هلكوا إلى غير رجعة! ابكوا، ابكوا على المدافعين عنا الصناديدا - إن آسيا، يا ملك هذه الأرض قد ركعت وذُلت.

أحشويرش: إنه أنا إذن، أنا البائس المسكين، الذي كنت بلاءً على جنسي وعلى وطني.

الكورس: من أجل تحية عودتك، أوجه إليك الصرخة التي تتحدث عن البلاء، والشكاة المخصصة لمصيبة الباكي المارياندوني^(١)، والمرثية الغارقة في الدموع.

أحشويرش: آه! أفيضوا إذن في النبرات الأليمة، النائحة، الكثيبة، إن «المصير» قد انقلب ضدي من الآن فصاعداً.

الكورس: أجل، سأفيض في النبرات النائحة، من أجل توكيد الضربات الفظيعة التي أصابتك في البحر؛ وسأكون الباكي على الوطن، وعلى الجنس، وسأصبح من الآن فصاعداً صيحة الشكوى الباكية.

أحشويرش: آرس ايونيا قد سلبنا كل شيء، آرس البحري الخاص بأيونيا قرر مصيرنا بإطاحته بالسهل الحزين والشاطئ الأليم!

الكورس: واحسرتاه! أصرُخ وتعلّم. أين إذن ما بقي من جموعك؟ أين القائممقامون: فرناداكس، سوساس، وبيلاجون، ودوتامس، وأجداباتس، وپساميس، وسوسسكانس الذي غادر اكباتان؟

أحشويرش: هلكوا! لقد تركتهم هناك، بينما اصطدموا بالصخر الوعر وقد سقطوا من السفينة، بالقرب من شواطئ سلامين.

(١) المارياندون قبيلة من بثنونيا. والشعراء الأثينيون كثيراً ما يشبهون الترنيمات المساوية بالمراثي الشعائرية المستخدمة في بعض العبادات الشرقية.

الكورس: وا أسفاه وأين صاحبك فرنوكس؟ وأين أريوماردس الصنديد؟ وأين المولى سناكس؟ وليلايوس المنحدر من أجداد نبلاء، وممفيس، وثروبس؟ وماستراس، وأرتمبارس، وهوشيشماس؟ أجب عن أسئلتي.

أحشويرش: الويل لي، الويل لي لقد تأملوا مدينة أثينا القديمة البغيضة؛ وبعد ذلك سقطوا صرعى على الرمال، سقطوا جميعاً بضربة واحدة! يا للباشرين!

الكورس: وذلك الذي أحصى الفُرس بالآلاف^(١)، عَيْنك^(٢)، المخلص دائماً: أبستوس^(٣)، ابن بتنوكاس، ابن سيسامس؟ وپارثوس، وأوبارس الكبير؟ لقد تركتهم إذن، تركتهم؟ آه! آه! يا للشقاء! آلام شديدة الإيلام أصابت الفُرس الأشاوس!

أحشويرش: أجل! أنت توقظ في نفسي الحنين إلى رفاقي الشجعان، بكلماتك المروعة، القاسية، المفرطة في الإيلام. إن قلبي يصرخ في أعماق أعضائي.

الكورس: وثم كثيرون آخرون نحن نبيهم: اكسانتس، الذي قاد عشرة آلاف فارس ماردي^(٤)؛ وأنخارس الشجاع، ودياكسيس، وأرسامس، وكانوا على رأس فرسانهم وداداكس، ولوثمنس، وطولموس، القاذف بالمقلع الذي لا يكاد - إنني مندهش لعدم رؤيتي لهم وراء العربة ذات الهودج^(٥)!

أحشويرش: لقد هلكوا، كل أولئك الذين قادوا جيشي!

الكورس: لقد هلكوا، وا أسفاه بشكل مليء بالعارا!

أحشويرش: وا أسفاه! وا أسفاه!

(١) إشارة إلى الإحصاء الذي قام به أحشويرش لجيشه في تراقيا، وقد اسفر عن مليون وسبعمائة ألف جندي (هيرودوت ٧: ٦٠).

(٢) كان هذا لقب كل مندوبي وعمال الشاهنشاه.

(٣) في النص اليوناني هنا نقص بمقدار بضع كلمات.

(٤) المارديون Mardes. قبيلة فارسية رحالة (هيرودوت ١: ١٢٥).

(٥) كان الفرس يستخدمون في أسفارهم عربة يسميها اليونانيون: هرما كاسا، كان مقدمها يشبه عربات القتال. وفي خلفها ما يشبه الخيمة التي يستطيع المسافر أن يتخفى فيها. وكان الشاهنشاه يستخدمها لنفسه ولحريمه.

الكورس: واحسرتاه! إن الآلهة قد أحدثوا كارثة غير متظرة: بأي سطوع
تجلّت أتية Até!

أحشويرش: نحن أصبنا بكارثة أبدية.

الكورس: نحن أصبنا - هذا أمرٌ في غاية الوضوح.

أحشويرش: أصبنا بنكسةٍ لم يُسمعَ بمثلها من قبل.

الكورس: لأننا اصطدمننا - وهذه ضربة من القدر أليمة - ببخّارة ايونيا! إن
شعب فارس كان في الحرب شقياً.

أحشويرش: هذا صحيح. لقد أصبنتُ أولاً في جيشي العرمرم.

الكورس: ماذا بقي منه؟ لقد كانت عظيمة قوة الفُرس.

أحشويرش: أنت ترى كلّ ما بقي من قُوات الفُرس التي حشدتها.

الكورس: إني أرى، إني أرى!

أحشويرش: وهذه الكنانة.

الكورس: ماذا تقول؟ ماذا انقذت أيضاً؟

أحشويرش: احتياطيّ من الأسهم.

الكورس: هذا قليل من بين آلاف.

أحشويرش: ها نحن اولاء بدون مدافعين!

الكورس: إن شعب إيونيا لا يفتر من القتال.

أحشويرش: إنه شجاع جداً! وقد شاهدت عيناى ايضاً كارثة غير متوقّعة.

الكورس: هل تقصد هزيمة أسطولك الحربي؟

أحشويرش: وهذه الضربة القاضية جعلتني أمزق ملبسي.

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه!

أحشويرش: كلا، بل قلّ: «وا أكثر من أسفاه!»

الكورس: نعم، مصائب مزدوجة، ومثلثة!

أحشويرش: ألم لنا، وسرور لأعدائنا.
الكورس: وقوتنا نفسها قد حُطمت.
أحشويرش: وهأنذا مجرد من الحراسة!
الكورس: بسبب هزيمتنا في البحر!
أحشويرش: ابكوا، ابكوا من الكارثة، واسلكوا الطريق الى القصر.
الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! أية نكسة! أية نكسة!
أحشويرش: اصرخ لتردّ على صرخاتي.
الكورس: توفيق بائس لبائسين!
أحشويرش: نُح مازجاً أناشيدك بأناشيدي. وا أسفاه! ثلاث مرات وا أسفاه.
الكورس: وا أسفاه! ثلاث مرات وا أسفاه! صحيح ان الضربة كانت قاسية؛
لكن ثم ما يضيف أيضاً إلى آلامي!
أحشويرش: اضرب، اضرب بايقاع! ونُح، إن رُمت إرضائي.
الكورس: لقد غرقت في الدموع، وا حُزنه.
أحشويرش: اصرُخ لتردّ على صرخاتي.
الكورس: عندي ما يذكّرني بهذا، يا مولاي.
أحشويرش: أطلق زفرائك، وا أسفاه، ثلاث مرات وا أسفاه!
أحشويرش: واضرب صدرك ايضاً، وأطلق النداء الموساوي.
الكورس: يا أيتها الآلام، يا أيتها الآلام!
أحشويرش: وانكش ايضاً شعر لحيتك الأبيض.
الكورس: بكل يدي، بكل يدي، وعلى نحو فاجع.
أحشويرش: وأطلق صرخة حادة.
الكورس: وفي هذا ايضاً أنا أطيعك.

أحشويرش : ويديك مَرَّق القماش الذي يغطي صدري .
الكورس : يا للآلام ، يا للآلام !
أحشويرش : وانتزع شعرك وأنت تنوح على الجيش .
الكورس : بكل يديّ ، بكل يديّ ، وعلى نحو فاجع .
أحشويرش : بلّل عينيك بالدموع .
الكورس : لقد غرقت (في الدموع) .
أحشويرش : اصرُخ لتردّ على صرخاتي .
الكورس : وا أسفاه! وا أسفاه!
أحشويرش : اسلك الطريق إلى القصر وأنت تنوح .
الكورس : وا أسفاه! وا أسفاه!
أحشويرش : وا أسفاه! من خلال المدينة .
الكورس : وا أسفاه نعم ، نعم ، وا أسفاه!
أحشويرش : عليك بالنواح ، أيها الموكب الحزين .
الكورس : وا أسفاه! أرض فارس ، الأليمة على خطواتنا .
أحشويرش : وا أسفاه! وا أسفاه! على أولئك الذين هلكوا - وا أسفاه! وا أسفاه! - هلكوا بسفنتنا ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف .
الكورس : أجل ، سأشيعك بزفرااتي الحزينة .
(الكورس يخرج خلف المَلِك).

انتهت مسرحية

«الفرس»

مَسْرُحِيَّةٌ «بِرُومِيثْيُوسِ مَفْلُولَا»

مُقدِّمة « پرومِثيوس مفلولا »

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

پرومِثيوس

هو المحسن لبني الإنسان، بأن «سرق» النار من الآلهة وأعطاه للإنسان، فعاقبه زيوس، كبير الآلهة، على هذا الفعل بأن قيده بالأغلال العاتية إلى صخرة عاتية في قمة جبل، وبهذا صار رمزاً فريداً لصراع الانسان ضد ظلم الأقدار، أي رمزاً، لحال الانسان بعامة إبان وجوده في قيد الحياة.

وهو من الطيطان. والطيطان جنس من الآلهة، ولدوا من القران بين «أورانوس» (السماء) و«جايا» (الأرض). وقد تصوّرهم اليونانيون كائنات ذوات قامات عملاقة، وقد حكموا العالم في بداية الزمان. وأشهرهم هم: خرونوس، ريا، أوقيانوس، أثوس، يافت، هوبريون، كوثيروس، كريوس، فوبيه، ثيميس، مناهرسونة، ثايا. وبعض أبنائهم عُذّوا من الطيطان أيضاً وهم: هيلوس (الشمس)، پرومِثيوس، ايمِثيوس، اطلس. ووقع الصراع بينهم وبين الآلهة، كما وقع أيضاً بين بعضهم وبعض. فخرنوس خلع أباه أورانوس عن العرش، وزيوس طرد

خرونوس من عرش الكون بعد معركة رهيبة جرت بين الآلهة من ناحية، والطيطان من ناحية أخرى. وانضم بعض الطيطان إلى زيوس وصاروا أنصاره ضد بني جنسهم الطيطان: إذ انضم برومثيوس، والعمالقة ذوو المائة ذراع، والقوقلوفات إلى زيوس وتحالفوا معه؛ وظل عدد من الطيطان على الحياد في القتال بين زيوس والآلهة بوجه عام وبين الطيطان، نذكر منهم: أوقيانوس، وهليوس.

ونعود إلى برومثيوس - وهو الذي يهّمنا هنا - فنقول إن أباه هو يافت؛ أما أمّه فهي ثميس، أو كلومينا بنت أوقيانوس، التي أنجبت أيضاً إبيمثيوس، وأطلس، ومينوئيتيوس.

وتختلف الأسطورة التقليدية الخاصة ببرومثيوس عن الصورة التي نجدها عنه عند الشعراء اليونانيين. فتلک الأسطورة تقتصر على أن تصوّره، بأنه محتال ذكي أفلح في خداع زيوس كبير الآلهة. أما هزيود في «نشأة الآلهة»، واسخولوس في مسرحية «برومثيوس مغلولاً» فيصورانه على أنه خالق بني الانسان والمحسن إليهم بإعطائهم النار التي سرقتها من الآلهة، ولما كانت النار هي العنصر الرئيسي في قيام الفنون والصناعات فإن برومثيوس هو إذن مبدع الحضارة.

ولما قامت الحرب بين زيوس وبين الطيطان، نصّح برومثيوس أبناء جنسه الطيطان باستخدام الحيلة لأنهم لن يستطيعوا التغلب على زيوس بواسطة القوة. بيد أنهم سخروا منه وازدروه، ولهذا تخلى عنهم وانضم إلى زيوس. وفعلاً انتصر زيوس بقوته الهائلة على الطيطان، وألقى بهم، في طرطارس، أي العالم السفلي. لكن ما لبث برومثيوس أن وقع في خلاف مع زيوس بشأن بني الإنسان: كيف ومتى حدث هذا الخلاف؟

أما بحسب هزيود، فإن برومثيوس هو الذي خلّق الإنسان من طين مأخوذ من أرض پانوبيه Panopée في مقاطعة بيوتيا Beotie في بلاد اليونان. وكان برومثيوس صانعاً بارعاً يصنع أشكالاً من الطين قامت الإلاهة أثينا Athena بنفخ الحياة فيها. وبحسب بعض المصادر فإنه كان يعرض كل شكل يصنعه على زيوس ليوافق عليه، لكنه نسي أن يعرض أحد الأشكال على زيوس، وهو شكل شاب جميل جداً، اسمه: فاينون Phaenon (= الوضاء). فلما اكتشفه زيوس، رفعه إلى السماء وحوّله إلى كوكب، هو كوكب المشتري.

لكن لما رأى زيوس أن الانسان الذي خلقه پرومثيروس كائن شرير، فإنه قرر ابادته ابتغاء خلق جنس جديد أفضل.

وفي سبيل إبادة الجنس الإنساني بدأ زيوس بأن حرّمهم من النار. وحاول بعد ذلك أن يميتهم من الجوع بأن طلب منهم أن يقدموا إليه كقربان أحسن الأطعمة الإنسانية. لكن پرومثيروس أفلح في درء هذا الخطر بالحيلة التالية: عُقد لقاء بين الآلهة وبين الإنسان في ماكونيه Maconé (التي صارت فيما بعد: سكيون Sicyon) من أجل تحديد ما هي الأجزاء من لحم الأضاحي التي يجب تخصيصها للآلهة. واختاروا حكماً في هذا الأمر پرومثيروس، فجاء بثور وذبحه وقطعه إرباً إرباً، وقسمه إلى قسمين: قسم يحتوي على الأحشاء وقد كساها بالشحم؛ أما القسم الآخر فكان الأفضل ويشمل بطن الثور. ثم طلب من زيوس أن يختار القسم الذي يريده. فاختر زيوس القسم المغطى بالشحم، ظناً منه أنه اكتشف الحيلة؛ وهكذا وقع في الفخ. وهذا هو السبب في أنه منذ ذلك الحين، فإن الناس يقدمون في القرابين الشحم والأحشاء. فلما أحسّ زيوس بأنه انخدع، فإنه عاقب بني الإنسان بأن حرّمهم من النار.

ازاء هذا، سرق پرومثيروس النار في غصن من الشُمر Fenont، على جبل الأولمب أو في محل حداثة هيفايستوس. وقدم هذه الشعلة إلى بني الانسان. ثم علّمهم الكثير من الصناعات، ومنها صناعة الحديد.

لكن پرومثيروس منع بني الإنسان من معرفة المستقبل، وهو كان يعرف المستقبل - ومن هنا جاء اسمه: پرومثيروس، أي: العارف بالمستقبل، والسبب في هذا المنع هو أنه خاف على بني الانسان أن يصابوا باليأس والجنون لو أنهم عرفوا مستقبلهم.

وذات ليلة شاهد زيوس الأرض مغطاة بمقدار كبير من الأضواء المحمارة، فغضب غضبة شعواء، وكلف أثنين من خدمه هما كراتوس وبيبا Bia، وكذلك هيفايستوس بأن يقبضوا على پرومثيروس وأن يقيدوه بالأغلال على جبل (ربما كان جبل القوقاز)، عند حدود الأوقيانوس، بعيداً عن بني الإنسان. ثم ارسل نسره في كل يوم ليلتهم كبد پرومثيروس، وكان هذا الكبد يتولد من جديد اثناء الليل. وذلك لأن پرومثيروس كان خالداً لا يموت، لأنه من جنس الطيطان كما ذكرنا.

ولما رأى زيوس أن پرومثيروس يسخر منه لأنه رفض أن يكشف له السرّ في خلوده؛ فإنه أهاب بالصاعقة الصخرة التي قيد بها پرومثيروس، فسقطت هذه الصخرة في طرطاروس (العالم السفلي).

وأخيراً، وبعد مرور ما لا نهاية له من السنين، أذن زيوس بفك أغلال پرومثيروس، في مقابل خبر أخبره به وكان خبيراً ذا أهمية بالغة بالنسبة إلى زيوس، وهذا الخبر مفاده أن الأبن المولود من ثاتيس Thétis سيكون أقوى من أبيه، حينئذ جاء هرقلس، ابن زيوس، وقتل الثّسر بسهم، وخلص پرومثيروس من أغلاله. وجزاء لهذا الفعل، يتن پرومثيروس لهرقل الوسيلة للحصول على تفاحات هسپيريدس التي كان يسعى للحصول عليها. ولولا المعلومات التي كشفها پرومثيروس لزيوس، لكان زيوس قد تزوّج ثاتيس Thétis، ولكان قد عُزل عن عرشه بواسطة ابن أقوى منه، كما فعل هو حينما خلع أباه خرونوس عن العرش.

- (٢) -

إيو

والشخصية الثانية في هذه المسرحية هي إيو Io.

إنها بنت إيناخوس Inachos الإله النهر، وأول ملك على مدينة أرجوس. وأمها هي مليا Melia.

وكانت كاهنة للإلهة هيرا، زوجة زيوس. وقد عشقها زيوس، مما أثار غيرة هيرا: وفي أحلامها شاهدت إيو مرات عديدة وهو يهمس في سمعها ويرجوها أن تلحق به في مروج لونا. فلما روت إيو لأبيها إيناخوس هذه الرؤى، استشار إيناخوس وحي مدينة دلف ووحى دودونه، فأخبراه، بعد تردد وإجابات غامضة، أن عليه أن ينفي ابنته إيو من البلاد الى الأبد إذا شاء ألا يصيب زيوس بلاده بالصاعقة. ولم تكذ إيو تغادر بيت أبيها حتى تحوّلت إلى بقرة بيضاء جميلة - إما بواسطة هيرا وإما بواسطة زيوس. كذلك تسلطت عليها نُثرة (بعوضة) تعذبها باستمرار، وقد ارسلت هيرا هذه البعوضة إليها؛ وكان لسع هذه النعرة لها يمنع من توقفها وقتاً كافياً كي يغشاها زيوس ويفضّ بكارتها. كذلك كلفت هيرا راعياً عملاقاً له مائة عين - اثنتان فقط منها تغلقان في وقت واحد - واسم هذا الراعي هو: أرجوس - بأن يراقب هذه البقرة.

بيد أن زيوس لم يفقد الأمل في غشيان إيو. فكلف هرمس بإبعاد أرجوس عن هذه البقرة الجميلة، ومن أجل ذلك اضطر هرمس إلى التخفي في شكل راع، ليبعد الشكوك عن أرجوس ذي المائة عين وأفلق هرمس في جعله يغط في النوم بأن كان يروي له الحكايات ويهدده بالعزف على ناي. فلما أغلق النوم كل عيون أرجوس، استل هرمس سيفه وهوى به على هذا الراعي العملاق. لكن قتل أرجوس لم يكن كافياً لمساعدة زيوس، لأن النعرة ظلت تعذب إيو، كما أن شبح أرجوس ظل يطاردها. فراحت تذرع الأرض: فمرت بوحي رودون الذي حيّاها بوصفها زوجة زيوس المقبلة؛ ثم ساحلت البحر الأدرياتي، وباسمها سُمي الخليج الايوني. ثم توجهت نحو الشمال حتى وصلت إلى الإقليم القريب من المحيط حيث كان بروميثوس مغلولاً إلى الجبل. وهنا أخبرها بروميثوس بمصيرها. وبعد ذلك اجتازت بلاد الاسقوثيين وبلاد القوقاز. وساحلت البحر الأسود وعبرت البوسفور. ومن هناك توجهت نحو بلاد الجورجون، وانتهى بها المطاف إلى مصر. وفي مدينة رشيد Canope - عند مصب النيل - لحق بها زيوس، وأعادها إلى شكلها الأصلي بأن لمس بيده جسمها، وباشرها فأنجبت ابناً هو إپافوس Epaphos (ومعناه اللغوي: لمس زيوس). وحكم إپافوس على مصر وافريقية. وانجب الكثير من الأسر، ومن بينها الأسرة المالكة في مدينة أرجوس (ببلاد اليونان).

تلك هي الرواية الواردة في مسرحيتنا هذه عن إيو. وثم رواية أخرى تختلف عن هذه كثيراً، أوردها أوفيد في كتابه «التحوّلات» ولا محل لها هنا لإيرادها.

- (٣) -

خلاصة المسرحية

وخلاصة المسرحية التي ألفها اسخولوس (٥٢٥ - ٤٥٥ ق.م) هي على النحو التالي.

المسرح يمثل جبلاً يقع في أقصى شمال أوروبا. والقدرة والقوة وهما المكلفتان بتنفيذ إرادة زيوس، وهيفايستوس، ابن زيوس قد اقتادوا الطيطان بروميثوس، المتهم بأنه سرق النار من الآلهة وأهداها إلى بني الإنسان. وزيوس أمرهم بأن يقيدوا بروميثوس الى قمة هذا الجبل. لكن هيفايستوس يتردد، لأنه

يعطف على برومئوس. وإذا بالقدرة التي لا ترحم تنتهر هيفايستوس وتحثه على تنفيذ أمر أبيه، فيضطر إلى تنفيذ عملية تقييد برومئوس بالأغلال. ولما أتم هذه العملية هو ومساعداه انسحبوا من المسرح.

وطوال العملية لم يصدر عن برومئوس أية شكوى أو صراخ. لكنه لما صار وحده، انطلق يشكو ظلم زيوس. وفجأة يشاهد عربة مجنحة تهبط بالقرب منه. وكانت تحمل ثلثة من الأوقيانوسيات، وهن بنات الطيطان أوقيانوس، وهو من أقرباء برومئوس. وقد جئن لمواساة برومئوس. فرحن يرثين لحاله عنده ويبدن غضبهن لما اصابه. لكن برومئوس ظل رابط الخاش، لأنه واثق من أنه سيطلق سراحه ذات يوم، ذلك أن لديه سراً سيخلع زيوس عن العرش، إن لم يعرف هذا السر مقدماً. وراح يروي للأوقيانوسيات ما سبق أن أسداه من خدمات لزيوس، وكيف أنه ساعده في صراعه مع الآلهة الذين سعوا إلى خلعته عن عرش الآلهة. ثم ذكر ما أسداه لبني الانسان من نعم. ثم جاء أوقيانوس هو نفسه راكباً جريفون، عارضاً على برومئوس أن يتوسط في الصلح بينه وبين زيوس. بيد أن برومئوس نصحه بعدم التدخل في الأمور حتى لا يصيبه شرّ من زيوس نتيجة هذه الوساطة: فلم يلخ أوقيانوس، ومضى راضياً لأنه قام بواجبه نحو قريبه برومئوس؛ وركب جريفوته وعاد من حيث أتى.

واستأنف برومئوس، أمام الأوقيانوسيات، روايته، مذكراً بما صنعه من جلائل الأعمال لصالح بني الإنسان: فهو لم يقتصر على أن أعطاهم النار التي بها يستطيعون أداء الكثير من الصناعات؛ بل علّم بني الإنسان أيضاً: الفلك، والطب، والتنبؤ بالغيب، وعلم العدد، والكتابة، واستخدام المعدن.

وإثناء ما كان يخوض في حديثه هذا مع الأوقيانوسيات، إذا بفتاة تحمل في جبينها قرون بقرة تأتي مندفة على المسرح. إنها إيو التي أتينا على ذكر سيرتها منذ قليل. وقد تعرّف برومئوس من هي وذكر لها اسمها، مما أثار في نفسها الدهشة الشديدة. وطلبت منه أن يكشف لها عن المستقبل، ومتى تنتهي محتتها.

لكن الأوقيانوسيات تشوّقن إلى معرفة ما جرى لها من تجارب وبلايا. فراحت إيو تروي لهم - بعبارات تتسم بالحياء - ما شاهدت في أحلامها من رؤى، وما أنبأها ألوان الوحي من ضرورة الاستسلام لحب زيوس الذي اشتهاها لما أن كانت كاهنة؛ وذكرت كيف تحوّلت إلى بقرة بيضاء، تطاردها نكرة تلسعها

باستمرار، وكيف أن هيرا هي التي فعلت ذلك غيرة منها لأن زوجها زيوس قد عشق إيو.

وفي إثر ذلك تنبأ لها برومثيوس بما سيكون مصيرها؛ ولكي يثبت لها صحّة تنبؤاته راح يذكر لها ما وقع لها قبل ذلك من أحداث وتجارب وما مرت به من وباء وبلاء. أما فيما يتعلق بمستقبلها فإنه تنبأ لها بأنه سينتهي بها التجوال في بلاد العالم إلى الوصول إلى مصر، وكيف أن زيوس سيعيدها إلى سيرتها الأولى، وغشيتها زيوس وهي في مدينة رشيد - في مصر عند مصب نهر النيل - ومن هذا الغشيان أنجبت من زيوس ابناً هو إپافوس Epaphos، وسينجب إپافوس ابناً هو الذي سيفك أغلال برومثيوس. ولم يكد برومثيوس يتم تنبؤاته حتى عادت إليها نوبة الهذيان التي تسببها لها لسعة النعرة؛ فهربت مسرعة.

وعلم زيوس أن برومثيوس هدده بالخلع عن عرشه. لهذا أرسل ساعي بريده هرمس ليأمره بالإفصاح عن السرّ الذي يحمله. فرفض برومثيوس أن يفصح عن هذا السرّ لهرمس. هنالك أرسل زيوس صاعقه على الصخرة التي قيد إليها برومثيوس، فسقطت الصخرة ومُنّ عليها في أعماق الأرض. وهكذا تنتهي هذه المسرحية.

- (٤) -

تحليل المسرحية

ونبدأ بتحديد تاريخ تأليفها ومكانتها بين مثيلاتها.

لا نعرف على وجه الدقة متى أُلّف اسخولوس مسرحيته هذه: «برومثيوس مغلولاً». وكل ما نعرفه في هذا الشأن هو أن اسخولوس قد مثلت له مسرحية بعنوان «برومثيوس» في سنة ٤٧٢ ق.م؛ في نفس الوقت الذي مثلت فيه مسرحيته التي عنوانها: «الفُرس». لكن يغلب على الظن أن «برومثيوس» هذه إنما هي الدراما الهجائية التي عنوانها «برومثيوس حامل النار»، وهي الثالثة من المسرحيات التي خصصها اسخولوس لموضوع برومثيوس.

ذلك ان مسرحية «برومثيوس مغلولاً» هي واحدة من ثلاثية تدور حول

أسطورة برومثيوس: ففي فهرست المسرحيات التي ألفها أسخولوس ووصلنا من العصر يذكر لاسخولوس ثلاث مسرحيات في هذا الموضوع، هي:

١ - «برومثيوس مغلولاً»؛

٢ - «برومثيوس محرراً»؛

٣ - «برومثيوس حامل النار»؛

وبحسب هذا الترتيب كان تاريخ تأليفها.

ويقول أحد الباحثين الأوائل إن كل الشخصيات في المسرحيات الثلاث التي تدور حول برومثيوس «هم إلهيون». ومعنى هذا أن الصراع فيها كلها كان بين آلهة. وكان «الصراع بين الآلهة» موضوعاً مألوفاً في الملاحم اليونانية، وأيضاً في الملاحم التي تتناول تاريخ الكون، كما هي الحال في كتاب «نشأة الآلهة» لهسيود. ذلك أن الآلهة في الأولمب كانت تتصارع فيما بينها على تولي العرش والسيادة على سائرهما. وكان الصراع عنيفاً تستخدم فيه القوة العنيفة: فبالقوة والعنف خلع خرونوس عن العرش أورانوس؛ ونفس الأمر فعله زيوس مع خرونوس. لكن يظهر أنه بعد تولي زيوس على عرش الأولمب لم ينافسه أحد، فظلّ متربعاً على عرش الأولمب دون منازع.

لكن هذا لم يمنع من قيام منازعات ثانوية بين زيوس وبين أشباه الآلهة، لا من أجل الاستيلاء على عرش الآلهة، وإنما لأمر ثانوية. ومن هنا نفسر إمكان قيام تمرد طيطان مثل برومثيوس ضد زيوس. فإن هذا التمرد لم يكن بسبب التنافس على السلطة في الأولمب، بل لأن برومثيوس عطف على بني الإنسان، فمنحهم النار التي يستعينون بها في قضاء حوائجهم وصنع آلاتهم، كما أنه علمهم مختلف العلوم والصناعات.

وبحسب ما بقي لنا من هذه الثلاثية، أي بحسب مسرحية «برومثيوس مغلولاً» يتجلى لنا برومثيوس أنه النموذج الأعلى للمتمرد على الحاكم المستبد؛ خصوصاً وأنه إنما عاقبه زيوس - الطاغية، المستبد القاسي المستكبر المتعجرف - لأنه أحسن إلى بني الإنسان. فهل معنى هذا أن الآلهة أعداء بني الإنسان ولا يريدون للإنسان نعمة ولا تقدماً ولا راحة في الحياة؟!!

لا يريد البعض أن يستنتج هذه النتيجة، ويبرر رأيه هذا بأن ما بقي لنا هو

واحدة من الثلاثية، هي «پرومثيروس مغلولاً»، بينما ضاعت المسرحيات الأخرى: «پرومثيروس محرراً»، و«پرومثيروس حامل النار»؛ ولو بقيا لكانتا غيرتا صورة زيوس.

لكن هذا القول إحالة إلى مجهول. إذ لم يبق لنا شيء من هاتين المسرحيتين؛ والتلميحات الضئيلة التي وصلتنا عن «پرومثيروس محرراً» لا توحى بشيء يؤدي إلى تحسين صورة زيوس في مواجهة فريسته المظلوم: پرومثيروس. وكل ما نعرفه من هذه الإشارات الضئيلة هو أن مسرح الأحداث قد نُقل إلى قمة جبل القوقاز، وأن زيوس أرسل إلى پرومثيروس نرساً متوحشاً يلتمهم كبد پرومثيروس في كل يوم، وفي أثناء الليل يتكون الكبد من جديد ليلتمهم النسر في نهار اليوم التالي وهكذا أبداً. ولم يخلصه زيوس من هذا العذاب الهائل إلا بعد أن أفشى پرومثيروس إليه بالسر الذي من شأنه أن ينجي زيوس من الهزيمة ومن السقوط عن عرشه. فلم يكن فكّ پرومثيروس من قيوده بواسطة هرقلس إحساناً وتفضلاً من زيوس، بل ثمناً دفعه زيوس مقابل كشف پرومثيروس لهذا السر.

لهذا لا نملك إلاّ الاقتصار على الصورة التي تقدمها لنا المسرحية الباقية لنا: «پرومثيروس مغلولاً»، والتوقف عن افتراض الفروض المجانية.

وتصوّر پرومثيروس على أنه نموذج المتمرد الثائر على المقادير والأوضاع التي فرضتها المقادير - هو السبب في الشهرة الهائلة التي نالتها مسرحية اسخولوس هذ في القرن الماضي لدى أصحاب النزعات الثورية المتمردة خصوصاً على السلطان الدينية، والسلطات المستقرة التقليدية بوجه عام.

- (٥) -

موضوع پرومثيروس بعد اسخولوس

حتى العصر الحاضر

موضوع پرومثيروس استلهمه المسرحيون والشعراء منذ الأدب اللاتيني حتى اليوم.

(أ) ففي الأدب اللاتيني نجد لوقيوس أكيوس Lucius Accius (ولد في سنة

١٧٠ ق.م) يؤلف مسرحية بعنوان Prometheus وقد استلهمها من مسرحية اسخولوس مباشرة. بيد أنها فُقدت.

ب) وفي الأدب البيزنطي نجد لوقيانس السميساطي Lucien de Samusate (١٢٥ - ١٨٥ بعد الميلاد) يتناول موضوع پرومثيروس في واحدة من محاوراته الساخرة، وعنوانها «پرومثيروس أو القوقاز». وكما هو واضح من هذا العنوان، فإنه جعل مكان المحاوره في القوقاز. وفيها نرى پرومثيروس، بحضور هرمس وهيفايستوس المكلفين بتنفيذ أمر زيوس، يعرض حججه ضد زيوس، ويتهم على أوامر هذا الأخير، ويسخر من عدالته سخرية لاذعة، ويدافع عما نُسب إليه من أخطاء: خلق بني الإنسان، وسرقة النار. وفي دفاعه استخدم أربع طرق الخطابية. ويتجلى زيوس في هذه المحاوره كائناً ظالماً، خالياً من اللطف، عارياً عن الكرامة والنبالة. ويتجلى لنا پرومثيروس بطلاً شهماً، وفي دفاعه عن قضيته يوجه اتهاماً عنيفاً ضد الآلهة والألوهية بوجه عام.

ج) وفي عصر النهضة الأوروبية حظي موضوع پرومثيروس بنجاح واسع، لكن ليس في الأعمال الأدبية بقدر ما كان ذلك في فن التصوير.

د) وفي القرن السابع عشر نجد المؤلف المسرحي الأسباني العظيم كالدرون دي لباركا (١٦٠٠ - ١٦٨١) يؤلف مسرحية كوميدية بعنوان «تمثال پرومثيروس». وقد ألفها في سنة ١٦٦٩، ونشرت في «الجزء الخامس من الكوميديات» لكالدرون (برشلونة ١٦٧٧). وتعد من أفضل كوميدياته التي تناولت موضوعات من الأساطير اليونانية، وهي عديدة نذكر منها: «الصّدَى و نرجس» وتتناول أسطورة نرجس Narcisse؛ «الحب لا يتحرر من الحب»، ويتناول أسطورة پسوخيس وكيوبيد؛ «الحب السّحر، الحب»، ويتناول موضوع أوليس وكوكه؛ «الوحش، والشعاع، والحجر»، وتتناول قسوة أناخرته والحب الموافق لها؛ «أجولون وكليمناي»؛ وتابعها بكوميديا عنوانها: «ابن الشمس: فائيتون». وفي كوميدياه عن پرومثيروس والتي تعيننا ها هنا بخاصة نجده يحول الموضوع إلى رمزية فلسفية، تكثر فيها الملامح اللاهوتية.

هـ) وهنا نصل إلى أعظم مسرحية عن پرومثيروس في الأدب الأوروبي وهي مسرحية «پرومثيروس» Prometheus تأليف الشاعر الألماني الأكبر فولنجانج جيته

(١٧٤٩ - ١٨٣٢). وقد ألفها في الرابعة والعشرين من عمره (أي في سنة ١٧٧٣) لكنها لم تنشر إلا بعد وفاته، وذلك في سنة ١٨٧٨. وكان جيته قد تناول موضوع برومثيوس في خطبة له ألقاها في الاحتفال بذكرى شكسبير في سنة ١٧٧١، وأبرز فيها شخصية برومثيوس بوصفه خالق بني الإنسان. كذلك تأثر جيته بكتاب فيلند Wieland بعنوان: «حوار في الحُلم مع برومثيوس».

بيد أن المسرحية التي ألفها جيته في سنة ١٧٧٣ بقيت شذرة، ولم يكمل تأليفها، وهذا هو السبب في عدم نشره لها إبان حياته. وتتألف هذه الشذرة من فصلين: في الفصل الأول نشاهد برومثيوس في حوار مع مركور Mercure، ويقول في هذا الحوار إنه لم يَعدُ يخشى الآلهة، ويؤكد أن قوة «المصير» فوق قوة الآلهة، وهي فكرة يونانية أيضاً. كذلك يرفض برومثيوس اقتراح أخيه ايمثيوس الذي يدعوه إلى أن يأخذ مكانه بين الآلهة الخالدين المقيمين على قمة الأولمب، فيرد عليه برومثيوس قائلاً: «إنهم يريدون مشاركتي فيما عندي، ولكني أزعم أنني ليس لدي ما يمكنهم أن يشاركوني فيه. إن ما لدي أنا هم لا يستطيعون أن يأخذوه مني. وما يملكونه هم عليهم هم أن يدافعوا عنه». فيلومه أخوه على هذا التعنت والكبرياء ويقول له: «أنت تُنحّي نفسك جانباً، ولا ترى ما هي السعادة التي يمكن أن تحظى بها لو أن الآلهة، وأنت، وأهلك وكل السماء شعروا أنهم جميعاً متماسكون في كُلم واحد». بيد أن برومثيوس لا يشعر بأي نعيم آخر غير النعيم الذي توحى إليه قوته بوصفه خالق بني الإنسان وما يجلبه ذلك من حُبهم له وامتنانهم.

وفي المنظر التالي يتجلى برومثيوس متمرداً يناضل في سبيل الحرية. وإزاء شجاعته وكبريائه هذه كافاتة الإلاهة مينرفا بالكشف له عن سرّ ينبوع الحياة، هذا السرّ الذي لا يعرفه إلا الآلهة.

وفي الفصل الثاني من المسرحية أنبأ مركور (رسول الآلهة) بهذا النبأ جوپتر ليحثه على معاقبة برومثيوس، وقال إن بني الإنسان قد أخذوا في الشغب والتمرّد والقدح. فأجابه جوپتر قائلاً: لا بد من وجود بني الإنسان، لأن وجودهم يزيد في عدد من يعبدونني ويخدمونني؛ ولهم الحق في السعادة طالما كانوا يطيعون القوانين، ولكنهم سيصيبهم الشقاء إذا لم يشاءوا الطاعة لقدرتي وسلطاني. فلما

أراد مركور الإسراع في الذهاب كي يعلن هذه الأخبار السارة لبني الإنسان، قال له جويتر وهو يبتسم: «لم يحن الوقتُ بعد. إنهم وهم في ريعان شبابهم الآن يحسبون أنهم يعادلون الآلهة، ولهذا لن يصغوا إلى كلامك، إلا في اليوم الذي يحتاجون فيه إليك. فدعهم في حياتهم».

ويبدو أن جيته، بهذا التصوير لجويتر (زيوس عند اليونان)، قد شعر بأنه خاطر بتحسين الفكرة عن زيوس، وهو ما يتناقض مع الصورة التي صورتها الأسطورة له وعرضها اسخولوس. ولهذا أضرب عن الاستمرار في كتابة المسرحية وهذا هو السرّ في عدم إتمامه لها، فبقيت مبتورة ومجرد شذرة لم يشأ أن ينشرها إبان حياته.

ومن بين الشذرات شذرة تظهر لنا مجيء الموت على الأرض، وأولى ضحاياه هي ميلا Mira التي ستلفظ أنفاسها بمرأى من پاندورا Pandora أمها. لكن بفضل پروميثوس، فإن الموت سيلوح كأنه التفتح الأسمى للحياة.

ومن بين هذه الشذرات المتعلقة بپروميثوس قصيدة تصوّر پروميثوس كما تصوره جيته في شبابه: فهو ليس پروميثوس الذي تحالف مع زيوس ضد أعدائه من الطيطان، بل زيوس المتمرد على الآلهة، الذي يعلن أن وجود الآلهة باطل وعبث، ويشيد بجرأة الانسان ويطولته وقدرته. يقول پروميثوس مخاطباً ومتحدياً زيوس: «أي زيوس! غطّ سماءك بالضباب والغيوم. - ومثل الطفل الذي يتلهى بقطع رؤوس شجيرات الشوك، جرّب قوتك في أشجار السنديان وقمم الجبال - أما أرضي فاتركها لي أنا، وكذلك كوخني الذي لم تقم أنت ببنائه، وكذلك بيتي والشعلة التي تحسدني أنت عليها! إنني لا أرى تحت الشمس من هم أكثر بؤساً منكم يا أيها الآلهة! إنكم تعيشون عيشة البؤس والفقر: لأنكم تعيشون من القرايين المقدمة إلى المذابح، ومن أنفاس الصلوات لتغدّوا جلالتم؛ وستموتون من الجوع لو لم يكن الأطفال والشخّاذون مجانيين منفوخين بالأمل... وتريدني أن أمجدك؟ بأيّ حق وبأية صفة؟ هل خفت من آلام من يرزحون تحت نير الشقاء؟ وهل جفت دموع الباكين والشاكين؟ من الذي صنع هذا الانسان الذي هو أنا، إن لم يكن الزمان القدير، والمصير السرمدّي، اللذين هما السيدان عليّ وعليك أنت أيضاً؟ إنني أقيم ها هنا وأصنع بني الانسان على صورتي، جنساً شبيهاً بي: من أجل أن يتألّموا، وأن يبكووا، وأن

يتذوقوا اللذات والمسرات، ومن أجل أن يزوروك مثلي أنا».

كذلك عالج جيته في سنة ١٧٩٥ موضوعاً بعنوان: «تحرير پرومثيروس» لكن لم يبق لنا منه إلا شذرات قصيرة، تتألف في مجموعها من ثلاثة وعشرين بيتاً من الشعر. وقد نشر أهمها في سنة ١٨٨٨.

(و) وبنفس هذه الصورة، صورة پرومثيروس المتمرد الثائر الكافر بالآلهة ألف الشاعر الرومانيكي الانجليزي برسي بيش شلي Percy Bysshe Shelley (١٧٩٢ - ١٨٢٢) مسرحية شعرية تقع في أربعة فصول، ونشرها في سنة ١٨٢٠. وفيها جعل من زيوس رمزاً للشر، ومن پرومثيروس المنقذ للإنسانية، الذي استخدم العلم سلاحاً للتغلب على الشر، وعلم بني الإنسان الحكمة والفضيلة. لكن زيوس، عقاباً له على ما أسدى للإنسانية من نِعَم، عاقبه بأن قيده إلى صخرة ناتئة فوق قمة جبل القوقاز، حيث كانت رخصة تتولى التهام كبده باستمرار. لكن پرومثيروس تحمّل كل هذا العذاب بشجاعة وصبر، لأنه كان ينتظر الساعة التي سيُغزل فيها زيوس عن عرش السماء، والتي فيها ستنتصر روح الخير. وكان پرومثيروس يملك سراً خطيراً، حاولت الآلهة أن تأخذه منه، لكنه أبى على الرغم من أنهم أغروه بفك قيوده إن هو باح لهم بهذا السر. لكنه أبى ولم يحفل بهم، منتظراً الساعة التي ينفذ فيها المصير قراره بإزاحة زيوس عن عرشه. . وجاءت هذه الساعة، وهوى زيوس عن عرشه بفعل ديموجورجون Demogorgon، الذي هو القوة الأصيلة في العالم؛ وقام هرقلس بفك أغلال پرومثيروس. وفي نفس الوقت استردت آسيا Asia (وهي «إيو» في مسرحية اسخولوس) - إحدى الأوقيانوسيات، وفيها تجسدت «الطبيعة» - نقول: استردت آسيا شكلها الأصلي، واقرنت بپرومثيروس. وبهذا بدأ ملكوت الحب والخير.

وفي هذه المسرحية عبّر شلي عن فلسفته، التي تتلخص فيما يلي: الشر ليس مغروراً في طبيعة الانسان، بل هو أمرٌ عارض، ولهذا يمكن استئصاله، ولهذا يدعو شلي إلى أن يعمل كل انسان على تهذيب نفسه وتقوية ذاته بالفضائل. هنالك سيشرق عصر الحب على الإنسانية الذي فيه تختفي كل قسوة واضطهاد. يقول شلي: «ويبقى الانسان بغير سلطان يقهره، يبقى حرّاً، غير مقيد بحدود، يبقى مساوياً لغيره، غير مصنف في طبقة، غير مرتبط بقبيلة» وغير منتسب إلى أمة؛ يبقى خالياً من الهم، ومن العبادة، ومن الدرجة، ملكاً على نفسه».

وهكذا حوّل شلي قصة برومثيوس اليونانية الأصلية الى بيان سياسي ودستور
لثورة يقوم بها الانسان الحديث.

باريس في ٢٣ مارس ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

« بروميثيوس مغلولاً » شخصيات المسرحية

القدرة

القوة

هيفايستوس : ابن زيوس وهيرا، إله النار

بروميثيوس : طيطان، ابن ثميس

كورس من الأوقيانوسيات

أوقيانوس : طيطان

إيو : ابنة ايناخوس

هرمس : ابن زيوس، رسول الآلهة

(عمق الأوركسترا يمثل كتلة صخرية .

تدخل القدرة والقوة وهما تقتادان پرومثيروس،

هيفايستوس يتبعهما وهو يعرج، حاملاً أدواته بوصفه حداداً)

القدرة: ها نحن أولاء على تربة أرض بعيدة، ونحن نسير في بلاد الأشقوثيين^(١) خلال ببداء ليس فيها إنسان. أي هيفايستوس! عليك أن تفكر في الأوامر التي أملاها عليك أبوك، وأن تقيد هذا اللص في أغلال صلبة من الحديد المتين، فوق هذه الصخور الوعرة. ذلك لأنه من امتيازك: من النار المشتعلة التي منها تتولد كل الفنون - قد سرق شعله ليهديها إلى الناس الفانين . ومثل هذه الخطيئة يجب أن يدفع جزاؤها إلى الآلهة. ولتعلّم أن يستسلم لملكوت زيوس، وأن يتوقف عن أداء هذا الدور: دور المُحسِن إلى بني الإنسان.

هيفايستوس: أيتها القدرة وأيتها القوة، إن مهمة زيوس بالنسبة إليكما قد أنجزت: لم يعد ثم ما يحتجزكما بعد. أما أنا، فإن الشجاعة تُغوزني من أجل أن أقيّد إلهاً، هو أخي، في هذه الصخرة التي تضربها العواصف. ومع ذلك فلا بد لي من أن أجد الشجاعة على ذلك، لأن إهمال أمر أصدره الأب هو غلطة يعاقب عليها أشد العقاب. (مخاطباً پرومثيروس): أيها الابن ذو الأفكار الجريئة لثيميس Themis الحكيم، على الرغم مني، وعلى الرغم منك أيضاً سأربطك بهذه الصخرة الموحشة في عُقد من الحديد لا يمكن فكّها. . وهناك لن تعرف بعد صوتاً ولا

(١) لاحظ أحد النحويين القدماء أن مسرح الأحداث ليس هو إقليم القوقاز بل أقصى شمال أوروبا.

وجهاً إنسانيين، بل ستحترق في نار الشمس، وتشعر بأن لألاء بَشْرَتِكَ سينطفئىء؛ ودواماً بسرور ستشاهد الليل يسرق النور تحت معطفه المنسوج من النجوم، وترى الشمس بدورها تذيب أنداء الفجر، دون أن يتوقف عن تعذيبه، الألم الناجم عن داءٍ حاضر أبداً، لأنه لم يولد بعدُ من يحزرك ويفك أغلالك. وهذا هو ما كسبته من لعبك دور المحسن إلى بني الإنسان. أيها الإلاه الذي لا تخيفه غضبة الآلهة، إنك قد انتهكت القانون، بتسليمك امتيازاتهم إلى بني الإنسان: وجزاء ذلك ستقوم على هذه الصخرة بحراسة أليمة، وأنت واقف باستمرار، دون أن تعرف طعم النوم. ودون أن تشي ركبتك. وفي وسعك أن تطلق صرخات الشكوى دون انقطاع، وزفرات النوح الذي لا فائدة فيه: إن قلب زيوس لا يلين، والسيد الجديد هو دائماً قاسٍ.

القدرة: هيا! فيم التأخير، والنوح عبثاً؟ ألا تكره الإلاه الملعون من الآلهة، والذي تجاسر على أن يُسَلِّم إلى بني الإنسان ما هو امتياز خاص بك؟

هيفايستوس: إن روابط الدم ذوات قوة هائلة، حينما تنضاف إليها الصداقة.

القدرة: أنا موافق على هذا! ولكن عصيان أمر أبيك: هل هو أمر ممكن، وأقل فظاعة في نظرك؟

هيفايستوس: إن السخرية عندك مكافئة دائماً لقسوتك!

القدرة: إن النوح عليه لن يشفيه؛ فلا تتعب نفسك في النوح عبثاً.

هيفايستوس: آه! يا لها من مهنة كريهة ألف مرة!

القدرة: لماذا تلعنها؟ إن فَنُّكَ ليس هو السبب في كل هذه الشرور.

هيفايستوس: ليتها كانت من نصيب كائن آخر.

القدرة: كل كائن قد تحدّد نصيبه مقدماً^(١) - باستثناء مَلِكِ

الآلهة: فلا موجود حر إلا زيوس!

القدرة: أسرع إذن في تكبيله بالأغلال، حتى لا يشاهد زيوس أنك تتباطأ في تنفيذ الأمر.

(١) تقاسم الآلهة شؤون العالم فيما بينهم، ولا يستطيع أي واحد منهم أن يخرج عن الميدان الذي اختص به منذ الأزل. فقط زيوس هو الذي لم يتحدّد نصيبه، ولهذا فإنه هو وحده الحرّ.

هيفايستوس: إن في وسعه أن يرى أنني أحمل الحلقات في يدي.
القدرة: ضع هذا الغلّ في ذراعه! وبكل ما فيك من قوة اضرب بالمطرقة
وسمّره في الصخرة.

هيفايستوس: لقد أنجزَ المطلوب، ودون أية خسارة.
القدرة: اطرق بمزيد من القوة، وسدّ، ولا تترك أية ثغرة: فإنه قادر على أن
يجد مخرجاً حتى مما لا يمكن فكّه.

هيفايستوس: ها هي ذي، ذا ذراعه قد سُمرت ولن يستطيع تخليصها.
القدرة: وهذه الأخرى، شدّها بقوة، حتى يعرف أن مكره أقل تأثيراً من مكر
زيوس.

هيفايستوس: زيوس هو وحده الذي يحق له أن يعيب عملي.
القدرة: والآن، تجزّأ، واغرز في صدره هذه السنّ العنيدة التي لهذا المسمار
الصلب.

هيفايستوس: آه! يا پرومثيروس، إنني أنوح بصوت خفيض على الآلمك.
القدرة: لا تزال تتردد، وتنوح على عدوّ زيوس! أخشى اذن أن تنوح ذات
يومٍ على نفسك!

هيفايستوس: أنت ترى ما كان ينبغي ألاّ تراه العيون أبداً!
القدرة: أنا أرى أنه لقي المصير الذي يستحقه. هيّا! ضع حول جنبه الحزا،
البرونزي.

هيفايستوس: أنا مُرغم على هذا: إن أوامرك تجاوزت الحد.
القدرة: أما أنا فإني أريد أن أصدر إليك الأوامر، بل وأن أرهقك بها. انزل
وقيد رجليه.

هيفايستوس: ها هوذا قد تم هذا، وبدون مجهودات طويلة.
القدرة: والآن، بكل قوتك اطرق، حتى ينغرس القيد في اللحم. من هو
مكلّف بالإشراف على العمل ينبغي أن يكون قاسياً.

هيفايستوس: آه! لهجتك تتفق مع شكل وجهك.

القدرة: كُن ضعيفاً كما تشاء، لكن دون أن توجه إليّ أي لوم، إن كان طبعي عنيداً وقاسياً.

هيفايستوس: هيّا لنرحل، فإن أعضائه قد سوّيت تماماً.

القدرة: والآن توقّع هنا ما شئت التوقّع، واسزِقْ من الآلهة امتيازاتهم لتسليمها إلى الفانين العابرين. ماذا يستطيع بنو الإنسان أن يفعلوه لتخفيف عذابك؟ من الخطأ أن يدعوك الآلهة باسم: «پرومثيروس». ابحث في مكان آخر عمّن يعذك^(١) بالتخلص من هذه العُقْد المحكمة!

(بخرجان - صمت طويل جداً)

پرومثيروس: أيها الأثير الإلهي، أيتها الرياح ذات الجناح السريع، يا مياه الأنهار يا مَنْ أنت بَسْمَة لا حصر لها للأمواج البحرية، وأنت أيتها الأرض، يا أم الكائنات، وأنت أيتها الشمس يا أيتها العين التي تبصر كل شيء، أنا أهيب بك هنا: انظروا إلى ما يعانیه إله بواسطة الآلهة.

تأملي الإهانات التي تمزقني، والتي سأتحملها طوال أيام لا حصر لها. هذه إذن هي أغلال العار التي تصوّرها لي الرئيس الشاب للسُعداء! أوها! أوها! والشّر الذي يرهقني، والشّر الذي ينتظرني ينتزعان منّي الزفريات: بعد كم من المِحْن سيضيء الخلاص في النهاية؟

لكن ماذا أقول؟ ألسْتُ أعلم المستقبل كلّه مقدّماً؟ لن تصيبني مصيبة لم أتوقعها مقدّماً. لا بد من احتمال المصير بقلب خفيف، المصير المقدّر لك، ولا بد من إدراك أنه لا محلّ للصراع ضد قوة «المصير». - ومع ذلك فإن السكوت عن هذه المصائب مستحيل مثلما هو مستحيل عدم السكوت عنها. أجل، إنه لأجل أنني أعطيت هبةً لبني الإنسان الفانين فإنني أنحني تحت هذا النير من العذاب، أنا البائس! ذات يوم، في تجويف شجرة نارثكس^(٢) حملت غنيمتي: أعني القبس

(١) المعنى اللغوي للإسم: «پرومثيروس» هو: «مَنْ يفهم مقدّماً» - ويقابله: «پرومثيروس»، أي: «مَنْ يفهم متأخراً» أي بعد فوات الأوان.

(٢) النارثكس شجرة جذعها يشتمل على نخاع خيطي يشتعل بسهولة ويمكن إذن أن يستهلك داخل الجذع، دون أن يحرق اللحاء.

الذي سرقته والذي صار عند الناس سيد كل الفنون والصناعات، إنه كنز لا تصاب له قيمة. تلك هي الخطيئة التي أدفع عنها الجزاء للآلهة، بهذه الأغلال التي تقيدني ها هنا في وجه السماء!

آه! آه! أية ضوضاء، وأيّ عطر خفيّ قد طار حتى وصل إليّ؟ هل هو آتٍ من إله؟ أو من إنسان؟ أو من كائن يجمع بين كليهما؟ هل سيأتي الناس إلى هذه الصخرة، التي هي حدّ العالم، ليتأملوا مصائبِي؟ أو ماذا يُراد بي؟ آه! انظروا إلى إله بائس مغلول!

إنه عدوّ زيوس، إنه هو الذي جلب على نفسه كراهية كل الآلهة الذين يخشون قصر زيوس، والسبب في عذابه هو أنه أحبّ بني الإنسان حبّاً زائداً - آه! آه! آه! أيّ أزيز طيور أسمعها بالقرب مني؟ والأثير يجيب بالصفير على رفرقة أجنحة خفيفة! كل اقتراب مني يملؤني بالخوف!

(عربة مجنحة تهبط على أقرب قمة من القمم التي قيد إليها برومئوس، وهي تحمل الأوقيانوسيات)

لا تخش شيئاً إنها جماعة صديقة قد أتت بها أجنحة مسرعة إلى هذه الصخرة. . إن أقوالي قد تغلبت على إرادة أب، والرياح حملتني. ذلك لأن المصادمات الصاخبة للحديد وقد نفذت إلى أعماق كهفي، قد طردت مني الحياء ذا العين الخفيرة، وبقدمين عاريتين طرّت على هذه العربة المجنحة.

برومئوس: وا أسفاه! وا أسفاه! يا بنات تيثوس^(١) Tethys الاسود، يا بنات الأوقيانوس الذي يدور حول الأرض الهائلة دون أن ينام أبداً، تأملن الأغلال التي تقيدني إلى قمة هذه الهاوية الصخرية، حيث فُرض عليّ أن أقوم بحراسة لن يحسدني أحدٌ عليها.

الكورس: إني أشاهد برومئوس، وضبابٌ هَيّاب يصاعد على عينيّ المليئتين بالدموع حينما أتأمل على هذه الصخرة جسمك وهو يتجفف في عار هذه الأغلال التي من الحديد الصلب. إن سادة جُدداً يتربعون على الأولمب؛ وباسم قوانين جديدة يمارس زيوس سلطة لا قواعد لها، ويدمر اليوم جبابرة الأمس.

(١) Tethys. زوجة اوقيانوس، هي أمّ الأنهار وأمّ الأوقيانوسات معاً (هسيود: «نشأة الآلهة» الأبيات ٣٣٧ - ٣٧٠).

پرومٹیوس: آہ! ألا لیتہ ألقى بی تحت الأرض، أسفل من «هادس» المضیافة للأموات، وحتى الطرطار الذي لا یمكن النفوذ فیہ، ویا لیتہ جعلنی فی تماس مع أغلال لا یمكن فكُّها، حتی لا یجد أي إله ولا أي كائن ما یدعو فیها إلى السرور - بینما أنا الآن ألعوبة فی أيدي الریاح، باتس، أتألم ابتغاء جلب السرور لأعدائي!

الكورس: مَنْ هو الإله الذي یكون قلبه قاسياً إلى درجة أن یجد فی هذا مصدرأ للسرور؟ مَنْ ذا الذي لا یسخط مثلنا من رؤية مصائبك - باستثناء زیوس؟ إن زیوس فی غضبه قد تصلبت روحه، فهو یریغ إلى أن یقرع جنس أورانوس^(١)، ولن یتوقف عن هذا قبل ان یُشیع قلبه، أو إلا إذا استوى على هذا العرش الصعب المنال إله آخر غیره بضربة مواتیة.

پرومٹیوس: إذن اسمعن قَسَمي: سیأتي یوم فیہ - مهما اصابني من إهانات فی هذه الأغلال الوحشية - سیكون فی حاجة إلى ملك «السعداء»^(٢) هذا، إن شاء أن یعلم ما هی الخطة الجریئة التي لا بد أن تجرّده من صولجانہ ومن تشریفاتہ؛ وحينئذ فإنني أقسم بأنه لا ألعيب الفصاحة ذات الكلمات المعسولة بقادرة على أن تسحرني، ولا التخويف من التهديدات الأشدّ وطأة ستجعلني اكشف عن هذا السرّ^(٣)، إلا إذا فك هذه الأغلال الوحشية ووافق على أن یدفع العوض عن هذه الإهانة.

الكورس: أنت جَسُور، وبدلاً من الاستسلام للمصائب الألیمة. فإنك تتكلم بحریة. أما أنا فأشعر بخوفٍ نافذٍ یشیع الاضطراب فی قلبي. إنني أخشى من المصير الذي یتظرك: أتى لك أن تعرف المرفأ الذي فیہ ستنتهي عذاباتك؟ إن قلب ابن خرونوس لا یمكن الوصول إلیه، وروحه صلبة لا تلین.

پرومٹیوس: أنا أعلم أنه قاسٍ وأنه یتصرف فی «الحق» كما یشاء. ومع ذلك فإنني أتصور أنه سیتتهي بأن یلین قلبه فی الیوم الذي ستصیبه الضربة التي أتحدث أنا عنها. هنالك سیهدىء من سَوْرَة غضبه، وسیُهرع جَزَعه أمام جَزَعي ابتغاء أن یعقد معي محالفة وصدافة.

(١) أي خرونوس (الزمان) والیططان. وپرومٹیوس هو أحد الطیطان.

(٢) السعداء: وصف خاص بالآلهة، أي: الآلهة.

(٣) راجع تفاصيل هذا السرّ فی مقدمة هذه المسرحیة.

رئيسة الكورس: اكشِفْ اذن عن كل شيء، لكن اجِبْ أولاً عن هذا السؤال: ما هو السبب في قبض زيوس عليك وفي ايقاع هذه الالهانة المخزية والمريرة بك؟ خبّرنا بهذا، إن كانت رواية هذا الأمر لا تكلفك كثيراً.

پرومئوس: إن مجرد الكلام عنها يؤلمني؛ لكن السكوت عنها يؤلمني أيضاً: ففي كل ناحية ليس هناك إلا المتاعب.

منذ اليوم الذي دخل فيه الغضب قلب الآلهة، بينما النزاع^(١) قام بينهم: إذ أراد بعضهم طرد خرونوس عن عرشه، من أجل أن يصبح زيوس سيداً عليهم؛ وأراد البعض الآخر ألا يكون زيوس رئيساً عليهم أبداً - فإنني حاولت عبثاً أن أسدي النصائح الحكيمة وسعيت إلى إقناع الطيطان - أبناء أورانوس والأرض - ولكنني لم أفليح. ذلك لأن الطيطان احتقروا أن يستخدموا وسائل الحيلة والخداع، وحسبوا - في توحشهم المتغطرس - أنهم لن يصعب عليهم التغلب بواسطة القوة. في أكثر من مرة تنبأت لي أمي: ثميس أو جايا، وهي واحدة^(٢)، بالكيفية التي سيتحقق بها المستقبل: لمن سيتحقق النصر، بالحيلة، لا بالقوة والعنف. وشرحت لهم ذلك مستنداً إلى عدة براهين: لكنهم لم يتنازلوا للإلقاء نظرة على شرحي هذا. وفي مثل هذه الظروف بدا لي أن الأفضل أن أكون في جانب أمي^(٣) بأن أضع نفسي في صف زيوس الذي رغب بي. وبفضل خططي فإن مأوى الطرطار العميق الأسود صار اليوم يخبئ خرونوس وحلفاءه. تلك هي الخدمات التي حصل عليها مني ملك الآلهة، ثم جازاني عنها بهذا الجزاء القاسي! إنه داء ملازم للسلطة العليا: هذا الظن السيئ بالأصدقاء! - أما فيما يتعلق بموضوع سؤالك: لأي سبب

(١) يبدو أن الرواية التالية تشير إلى ملحمة موضوعها هو النزاع بين زيوس وبين الطيطان، وهي ملحمة لم تصل إلينا. ولهذا فإن الكثير من تفاصيلها تظل غامضة علينا. فنحن نجعل خصوصاً الأصل في هذا «النزاع» الذي قام بين الآلهة، وهسيود في «نشأة الآلهة» يروي الحكاية بشكل مختلف عما هو وارد هنا.

(٢) راجع في مقدمتنا لهذه المسرحية الأسباب التي دعت اسخولوس إلى اعتبار هاتين الإلهتين إلهة واحدة، بينما سائر الشعراء اليونانيين يميزون بينهما، وهو نفسه يميز بينهما في مسرحية أخرى.

(٣) يقصد پرومئوس أنه، في عدم يقينه بما سيحدث في المستقبل، فقد لاح له أن الأوكد هو أن يرتب سلوكه بالنسبة إلى تنبؤات أمه. فإنه لما كان الطيطان لا يريدون إلا استخدام القوة فإنه من الواجب أن يهزموا؛ ولهذا فإن پرومئوس سينضم إلى صف زيوس فلعله أن يزوده بالحيلة التي تؤمن له الانتصار. بيد أننا لا نعرف تفاصيل الوقائع.

يهينني كل هذه الإهانات؟ - فإني سأوضحه لك: إن زيوس لما أن ارتقى على عرش الآلهة فإنه بادر بتوزيع مختلف الامتيازات بين مختلف الآلهة، وبدأ بأن حدد المراتب في مملكته^(١). لكنه لم يفكر لحظة واحدة في بني الإنسان المساكين. بل على العكس، أراد أن يُبيد الجنس البشري، من أجل أن يخلق جنساً جديداً آخر. ولم يعترض على هذا المشروع أحدٌ - إلا أنا. فأنا وحدي كانت لديّ الجرأة، فَعَرَّرت بني الإنسان وعملت على ألا ينزلوا إلى هادس محطمين مسحوقين وهذا هو السبب في كوني أزرع اليوم تحت هذا العذاب القاسي في معاناته، المثير للشفقة لدى رؤيته. فلأنني أشفقت على بني الإنسان حُرِمْتُ أنا من الشفقة، وهأنذا أعامَلُ بكل هذه القسوة، ومنظري نَحْسٌ على سُمعة زيوس.

رئيسة الكورس: أي زيوس! مَنْ لا يغضب معك على عذابك هذا لا بد أن يكون قد قُدَّ قلبه من الصخر أو من الحديد. وفيما يتعلق بي أنا، فإني لم أتمن أن أشاهد منظراً كهذا، فلما شاهدته جزع قلبي أشدَّ الجزع.

پروميثيوس: أجل، إن منظري أمام أصدقائي يثير الشفقة.

رئيسة الكورس: لا شك في أنك ذهبت إلى أبعد من هذا أيضاً؟

پروميثيوس: نعم لقد خلّصت الناس من وسواس الموت.

رئيسة الكورس: أيّ علاج كشفته لهذا الداء؟

پروميثيوس: وصنعتُ فيهم آمالاً عمياء.

رئيسة الكورس: يا له من عزاء قويّ هذا الذي زوّدت به بني الإنسان!

پروميثيوس: وفعلت أكثر من هذا: أهديتهم بهدية النار.

رئيسة الكورس: ماذا! النار المشتعلة هي اليوم في أيدي الفانين العابرين؟

پروميثيوس: ومنها سيتعلمون فنوناً وصناعات لا حصر لها.

رئيسة الكورس: أهذه هي التُّهم التي من أجلها زيوس...

پروميثيوس: فرض عليّ هذه الاهانات، ولم يضع حداً لآلامي!

رئيسة الكورس: ولم يتقرر حدٌ لمحتتك هذه؟

(١) راجع التعليق رقم ٢ في هذه المقدمة.

پرومٹیوس: لا حدَّ إلاً مزاجه هو.

رئيسة الكورس: وهذا المزاج، من أين سيتولد؟ وكيف يُؤمّل فيه؟ ألا ترى أنك ارتكبت خطأ؟ وأين الخطأ؟ لن يسزني أن أخبرك به، وسيكون من الصعب عليك سماعه. فلندع هذا، وابحث كيف يمكنك ان تتخلص من هذه المحنة.

پرومٹیوس: من السهل على مَنْ ليس قدمه في حميم الشقاء أن ينصح وأن ينحى على البائس باللائمة! بيد أنني أعرف هذا كله؛ لقد أردت خطئي هذا، نعم أردته عن قصد - ولا أجادل في هذا القول. إنني، من أجل أن أساعد الناس، سعيت بنفسي الى الآلام. لكنني لم أحسب أن مثل هذه الآلام تستحق أن أُجفّف بسببها إلى الأبد على القمم الصخرية وأن يكون نصيبي هو هذه القمة الموحشة المتوحدة. ولهذا، فبدلاً من أن تتوجعن لآلامي الحاضرة، الأولى بكن أن تضعن أقدامكن على الأرض لتعلموا آلامي القادمة: هنالك تعلمن كل شيء من البداية الى النهاية. استجبين لرجائي، وتعاطفن مع من يتألم الآن في هذه الساعة. إن البؤس لا يميز، وفي مجراه الشارد يتوقف اليوم عند الواحد، ويتوقف غداً عند الآخر.

رئيسة الكورس: إنك تُرهق جماعة مستعدة لإطاعتك، يا پرومٹیوس. بقدّم خفيفة، سأغادر هذه العربة ذات القفزة السريعة وأغادر الأثير: الطريق المقدس للطير لأهبط على هذه الأرض الوعرة: إني أريد أن أعرف آلامك كلها.

(بينما تهبط الأوقيانوسيات على الأرض، تظهر عربة اوقيانوس يجزّها عفريت)

أوقيانوس: للمجيء إليك، يا پرومٹیوس، قمت بمشوار طويل على هذا الطائر السريع الأجنحة، وبدون لجام كابح، لا توجهني إلاً إرادتي. ذلك أنني أشفق على مصائبك، وعليك أن تعلم هذا. وأعتقد أن صلة الدم^(١) ترغمني على هذا، وحتى لو لم يكن للدم دخل في هذا، فلا أحد يحتل مكاناً في قلبي أوسع من مكانك. وعمّا قليل ستقِرُّ بأن ما أقوله هو الصدق وأنني لا أعرف استخدام الملقّ الزائف. هيا، بين لي ما هي المساعدة التي ينبغي عليّ أن أقدمها إليك. إنك

(١) هسيودس، في «نشأة الآلهة» يقول إن أبا أوقيانوس هو أورانس، وإن أمه هي جيه (الأرض)؛ وأن أبا پرومٹیوس هو يافت، أخو أوقيانوس، وابن أورانوس وجيه. وعند اسخولوس أن أم كلا الإلهين هي جيه، وهما طيطانان. واسخولوس يتجنب ذكر اسم والد پرومٹیوس.

لن تستطيع أبداً أن تقول إن لك صديقاً أصدق من أوقيانوس .

پرومثيروس : ماذا؟ وأنت أيضاً جئت لتشاهد عذابى؟ كيف تجاسرت على أن تغادر النهر الذي يدين لك باسمه وكهوفك في سقف الصخرة والتي هيأتها الطبيعة للبلد الذي يلد الحديد؟ لعلك أتيت لتتأمل المصير الذي قُدر لي، ابتغاء أن تغضب معي على مصائبى؟ تطلع إلى هذا المنظر : أنا، صديق زيوس، أنا الذي ساعدته في تثبيت سلطانه - انظر تحت أية آلام يضعني اليوم .

أوقيانوس : أنا أرى، يا پرومثيروس، وأريد أن أسدي إليك النصيحة الوحيدة اللائقة في هذا المقام، مهما يكن من فطنتك، اعرف نفسك بنفسك، وكيف نفسك مع الوقائع، واتخذ أحوالاً جديدة، لأن سيّداً جديداً هو الأمر عند الآلهة. إنك لو أخذت في اطلاق كلمات قاسية وحادة على هذا النحو، فإن من الممكن أن يسمعك زيوس، مهما يكن عرشه بعيداً وعالياً، وحينئذ فإن المعضلة التي تشكو منها في هذه الساعة لن تبدو لك ذات يوم، إلا مجرد لعبة أطفال. هيا، أيها البائس، ودع عنك القضية واسع إلى التخلص من عذاباتك. ربما يلوح لك أنني لا أقول هنا إلا أقوال العجائز. ومع ذلك فإنك ها هنا، يا پرومثيروس، تتلقى أجر لعنة إنسانية جداً. إنك لست متواضعاً بعد، وأنت لا تتنازل للعذاب، وتريد أن تضيف إلى مصائبك الحاضرة مصائب أخرى. إنك إذا قبلت دروسي، فإنك ستكف عن التمرد ضد المهماز. إننا أمام سلطان مشؤوم، سلطته لا تقدم حساباً لأحد. ولهذا فبينما أعدو لمحاولة تخليصك - إن استطعت - من هذه الآلام، ابق أنت هادئاً، ولا تتفوه بعبارات عنيفة. أولاً تعرف إذن، وروحك عاقلة فطنة، أن العقاب ينزل بالألسنة الطائشة.

پرومثيروس : إنني أحسدك على كونك خارج القضية، بعد أن شاركت في كل شيء وتجاسرت مثلي أنا^(١). ولهذا، تخل عن هذا المشروع ولا تفكر فيه. فمهما فعلت، فإنك لن تقنعه: إنه أصم السمع عن إقناعك. وأحرى بك ألا تضرب بنفسك

(١) لسنا نعلم بالدقة ما هي هذه الوقائع التي يتكلم عنها اسخولوس. وعلى كل حال فلا شك أن اسخولوس يستعير هنا من ملحمة في «معركة الطيطان» مفقودة؛ وينبغي أن نستنتج من هذا الموضع هنا أن نموذج الذي استعار منه يمثل أوقيانوس وهو يساعد پرومثيروس في المحاولات التي قام بها وعوقب عليها وهذا الدور في هذه الملحمة المفقودة هو الذي يفسر الدور الذي ينسبه اسخولوس لأوقيانوس في مسرحيتنا هذه.

من جراء مثل هذا المسعى^(١).

الأوقيانوس: أنت تحسن إلقاء الدروس على الآخرين خيراً من ان تلقيها على نفسك؛ وحُكْمِي هذا صادر عن وقائع، لا عن مجرد كلمات! أنا ذاهب لعمل ذلك: ولا تَسْعَ إلى منعي. سأبذل غاية جهدي في الحصول من زيوس على العفو عنك وتخليصك من هذا العذاب.

پرومئوس: أشكر لك هذا الفضل، ولن أنساه عَوْض؛ إن حماسك لا تعرف الكلل. لكن لا تعذب نفسك: إن تعبك في خدمتي سيكون بلا نتيجة - إذا كان هذا التعب ضمن مشروعاتك. ابق مستريحاً واحرص على البقاء خارج هذه القضية. إنني لا أريد - بسبب أنني في محنة، أن أشاهد المصائب تصيب غيري بالجملة. كلا، إنني أتألم كثيراً لمصير أخي «أطلس» الذي يحمل، وهو واقف في المغرب، على كتفيه العمود الذي يفصل بين السماء والأرض، وهو حمل عسير على الذراعين اللتين تحمله. كذلك شعرت بالشفقة في اليوم الذي فيه شاهدت ابن الأرض^(٢)، الذي كان فيما مضى يسكن في كهوف قليقية^(٣)، وهو وحش رهيب له مائة رأس، وأعني به توفيه المنذع وقد قرعته القوة. لقد تمرد على كل الآلهة، وكان يثير الرعب بفكّه الرهيب، ومن عيونه كان ينطلق شعاع مروع على شكل بروق، يعتبر عن رغبته في أن يدمر بالقوة سلطان زيوس. لكن أصابه السهم اليقظ الذي أطلقه زيوس، أعني الصاعقة التي انقضت في لفحة من النار: فأسقطته من علياء ادعائه المتطرسة. لقد أصيب في صميم قلبه، ورأى قوته وقد تناثرت شراً مذر، قد أبادها الرعد. والآن هو يرقد جسداً هامداً، بالقرب من مضيق بحري، محصور بين جذور الاتنا Etna، بينما هيفايستوس وقد قرّ في أعلى قممه، يطرُق الحديد المنصهر. ومن هناك ستنبثق - ذات يوم - سيول من النار ستلتهم بأسنانها

(١) پرومئوس يسخر هنا مَز السخرية من أوقيانوس.

(٢) ولد توفيه Typhée من الأرض. بعد أن طرد زيوس الطيطان من السماء، (هسيود: «نشأة الآلهة» البيت رقم ٨٢٠).

(٣) كان المسكن الأول لتوفيه في بلاد الأريم Arimes، التي يعتقد انها هي المنطقة البركانية في إقليم قليقية (في جنوب غرب آسيا الصغرى). - وكل البند التالي يذكره بوصف مشابه ورد عند بندار (الفوتية، رقم (١) الأبيات ١٥ - ٢٩). فإن كانت هنا محاكاة فلا شك أن اسخولوس هو الذي حاكى بندار. ومن الممكن ايضاً أن يكون كلاهما قد حاكى نموذجاً يونانياً مشتركاً بينهما.

الوحشية المروج الخصبة في سهول صقلية - وستكون قوية الغضبة ذات الغليان التي سيزفرها «توفيه» في الأسهم المشتعلة لعاصفة من النار حامية، وقد تفتح من جراء الصاعقة التي أصابه بها زيوس. لكنك لست مبتدئاً، ولست في حاجة إلى دروسي. . ضع نفسك في أمان - حسبما تقدر على ذلك! وفيما يتعلق بي، فإني أريغ إلى أن استنفد المصير الذي هو الآن مصيري، حتى اليوم الذي فيه سيتحرر من غضبه.

أوقيانوس: ألا تدرك يا پرومثيروس أنه توجد كلمات لعلاج مرض الغضب؟

پرومثيروس: بشرط العثور على اللحظة التي فيها يمكن ترقيق القلب - بدلاً من ادعاء تهدئة الانفعال الذي يكون الدمل باستعمال القوة.

أوقيانوس: لكن، هل ترى أن الحماسة الهوجاء يرتبط بها عقاب؟ أفدني.

پرومثيروس: عار تعب لا فائدة منه، وعار سذاجة ضالة.

أوقيانوس: دعني إذن أمرض بهذا الداء: هذا أفضل من الظهور بمظهر المجنون بسبب الإفراط في الطيبة.

پرومثيروس: هذه الغلطة ستبدو بالأحرى غلطتي أنا^(١).

أوقيانوس: لهجتك تدعوني بوضوح إلى تركك^(٢).

پرومثيروس: خوفاً من أنك ببيكائك عليّ تجعل من نفسك عدواً.

أوقيانوس: لمن تولى العرش القديم منذ قليل؟

پرومثيروس: نعم، منه هو: حذار من أن تثير قلبه.

أوقيانوس: إن محنتك، يا پرومثيروس، دزس واعظ.

پرومثيروس: اذهب، ابعداً احتفظ بهذه الاستعدادات.

(١) پرومثيروس يقصد: «كُن هادئاً، ربما سيقال ذات يوم أنني كنت مجنوناً بسبب افراطي في الإحسان؛ ولكن لن يقال ذلك عنك أنت».

(٢) لهجة السخرية التي اعتمدها پرومثيروس طوال كل هذا الحوار أفهمت أخيراً، أوقيانوس أنه ليس أمامه إلا أن يذهب لسبيله ويترك پرومثيروس في مأساته.

أوقيانوس: سأرحل: إن نصيحتك ترهقني بلا فائدة. إن طائري ذا الأربع
أقدام يرفرف بجناحيه في هدوء وهو يشق طريقه في الأثير. وكم سيكون مسروراً
حين يثني ركبته في الاسطبل المألوف!

(عربة أوقيانوس تتعد - صمت. ثم تبدأ الأوقيانوسيات في الغناء وقد تجمعت على سطح ضيق
فوق صخرة)

الكورس: إني أنوح على المصير الذي يجعل منك ملعوناً؛ يا پرومثيروس؛
دموعي المنحدرة من عيوني الرحيمة تفيض على خدي بأواجها المتدفقة. على هذا
النحو إذن زيوس - بقراراته المحزنة - وهو يترجم أهواءه إلى قوانين - يُشعر آلهة
الماضي بسلطانه المتعجرف!

إن هذه البلاد ترفع صيحات النواح: شعوبها تنوح على العظمة والمكانة
الرفيعة القديمة اللتين انتزعتا من ألوهية پرومثيروس وإخوته. كل الذين يعيشون على
الأرض المجاورة لآسيا المقدسة^(١) يتألمون معك أمام الجزع النائح، وهم، هم من
بني الإنسان.

ومعهم عذارى كولخيد^(٢) المحاربات الجسورات؛ وجحافل اسقوثيا الذين
يحتلون حدود العالم حول ميوتيس الراكدة^(٣) والزهرة الحربية لبلاد العرب^(٤)، وهم
شعوب يسكنون في قلعتهن المشيدة بالصخور الوعرة، عند مشارف القوقاز، وهم
قبايل محاربة تحرك القشعريرة رماحهم الحادة^(٥).

أمواج البحر تتلاطم بنواح أصم؛ والهاوية تنوح؛ والأحشاء السوداء لهادس

(١) الصخرة التي قيد عليها پرومثيروس تقع في أوروبا، لكن آسيا قريبة جداً، وشعوب القارتين يتحدثون
للنواح على مصير هذا المحسن إلى الإنسانية.

(٢) أي: الأمازونات.

(٣) بحر أزوف.

(٤) اسخولوس يتصور أن بلاد العرب تقع في جبال أرمينيا (!) التي هي بمثابة «قلعة مشيدة بالصخور
الوعرة» (وهذا الوصف نجده لدى الرحالة الأوروبيين في العصر الحديث). وهذه التخليطات
الجغرافية شائعة في بلاد اليونان خصوصاً، كما يقول اسطرابيون «حينما يتعلق الأمر بأسماء غريبة».
وبعد اسخولوس بثلاثة قرون ونصف سنجد بوسيدونيوس يؤكد أن الأرمن والآراميين والعرب
أصلهم مشترك، بسبب اشتراكهم في المقطع الأول من أسمائهم (اسطرابيون: ٧٨٤).

(٥) في المخطوطات هنا أبيات مقحمة يبدو أنها مستلهمة من مواضع أخرى في المسرحية.

السفلية تجيب عليها بالجلجلة؛ وأمواج الأنهار ذوات المجرى المقدس تنوح نواحيها الشاكي.

(صمت طويل)

پرومئوس: لا تظنوا أن صمتي تكلف أو عناد؛ لكن فكرة تلتهم قلبي، حينما أراني مهاناً على هذا النحو: من هو الآخر الذي أمن للآلهة الجديدين كل امتيازاتهم؟ - لكنني ألتزم الصمت فيما يتعلق بهذه النقطة فأنتم تعلمون ماذا أستطيع أن أقول. وبدلاً من ذلك اسمعوا بلايا بني الإنسان، وكيف أنني جعلت منهم وهم أطفال كائنات عاقلة مزودين بالفكر. أودّ أن أروي هذا هنا، لا من أجل تحقير بني الإنسان وإنما لأبين لكم ما بذلته مواهبي لهم من إحسان. في البداية كانوا يرون دون أن يروا، وكانوا يسمعون دون أن يُصغوا، ومثلهم كمثّل الرؤى في الأحلام كانوا يحيون حياتهم الطويلة في الاضطراب والتشويش. لقد كانوا يجهلون البيوت المشيدة بالطوب الشمسي، وكانوا يجهلون تجارة الخشب؛ وكانوا يعيشون تحت الأرض مثل النمل السريع المشي، في أعماق كهوف محرومة من ضوء الشمس. ولم تكن لديهم علامات أكيدة على الشتاء، ولا على الربيع المُزهر ولا على الصيف الخصب؛ وكانوا يفعلون كل شيء دون رجوع إلى العقل - حتى اللحظة التي علمتهم فيها علم طلوع وغروب النجوم، هذا العلم الشاق^(١). وبعد ذلك كان الدور على علم العدّد^(٢)، وهو أول العلوم كلها، إذ اخترعته لهم، وكذلك علم الحروف المجتمعة، وهي مرآة لكل شيء، وعمل يولد الفنون. وكنت أنا الأول أيضاً في ربط الدواب الخاضعة تحت النير إما بالسرج، وإما بالفارس، كيما تقوم مقام بني الإنسان في القيام بالأعمال الكبرى، وربطت بالعربة الأفراس المستسلمة للجسم، وبها يتفاخر الأثرياء. ولا أحد غيري قد اخترع المراكب ذوات الأجنحة من التيل التي تمكن الملاح من اجتياز البحار. - والبائس، الذي أوجد مثل هذه الاختراعات لبني الإنسان، لا يملك اليوم السر الذي يمكن أن يخلّصه هو من بؤسه الحاضر!

(١) هذه الفقرة تروي أن پرومئوس هو الذي اخترع كل الفنون والصناعات. ومع ذلك فإنه لا ينسب إليه في كتب اليونانيين أنه اخترع أي واحد من هذه الاختراعات لهذا افتراض البعض أن اسخولوس ها هنا قد نقل عن مصدر مفقود الآن. وزعم بعضهم أن هذا المصدر هو هرقليلس نظراً إلى كونه قد جعل مبدأ الأشياء هو النار، لكن لا دليل على هذا الفرض.

(٢) الإشادة بعلم العدد وجعله: أول العلوم يدل على تأثير المدرسة الفيثاغورية هنا.

رئيسة الكورس: إنك تعاني بهذا بؤساً مهيناً؛ إن عقلك المهان يهذي،
ومثلك مثل الطبيب الذي يمرض بدوره فإنك تيأس ولا تستطيع أن تجد لنفسك
الدواء الذي يشفيك.

پرومثيروس: وستزيد دهشتك لو استمعت الى البقية، أعني الوسائل والفنون
التي تخيلتها. وخصوصاً الآتي: إن الذين مرضوا لم يجدوا دواءً للأكل، ولا
للعمل، ولا للشرب؛ فلما حرموا من الأدوية فإنهم هزلوا، حتى اليوم الذي كشفت
لهم فيه ان يمزجوا البلاسم المهدئة التي تطرد كل الأمراض. كذلك صنتف لهم
ألف شكل من أشكال فن التنبؤ بالغيب وكنت أول من ميز الأحلام التي ستتحقق،
وأوضحت لهم الأصوات المشحونة بالإرهاصات^(١) الغامضة ومايلقاه المرء في
الطريق. وحددت بالدقة معنى طيران الطيور الجوارح: ما هو منها ميمون وما هو
منها منحوس، وطباع كل واحد، وما بينها بعضها وبعض من كراهية، وتعاطفها
وتقاربها على نفس الغصون، وكذلك^(٢) أحوال الأحشاء، واللون الذي تتخذه كي
تكون مرضية عند الآلهة، والأشكال المختلفة لحويصلة المرارة وفص الكبد. وقد
أحرقت الأعضاء المغطاة بالدهن، والسلسلة المستطيلة، من أجل إرشاد بني الإنسان
في فن علامات التنبؤ الغامض، وأوضحت لهم علامات الاشتعال، وكانت حتى
ذلك الحين محاطة بالغموض. ذلك هو عملي. وكذلك الكنوز التي تخفيها الأرض
عن بني الإنسان: البرونز، الحديد، الذهب، الفضة. وإلا فمن هو الذي اكتشفها
قبلي أنا؟ لا أحد، أنا أعلم هذا - اللهم إلا إذا أراد المرء الخوض في ادعاءات
حمقاء. وبالجملة، وفي كلمة واحدة فيها كل شيء: إن كل الفنون التي يعرفها بنو
الإنسان قد أتى بها پرومثيروس.

رئيسة الكورس: لا تذهب - من أجل المنّ على الناس بأكثر مما يليق - إلى
حد أن تزدرى شفاءك أنت. إن لديّ أملاً وطيداً في أنه ذات يوم حين تتخلص من
أغلالك، ستستطيع أن تعامل زيوس معاملة الند للند.

(١) الكلمات التي لا يفهم معناها من ينطقون بها، ولكنها بالنسبة الى من تعينهم هي إنذارات السماء.
(٢) بعد التنبؤ بحسب طيران الطيور، وهو أقدم أنواع التنبؤ، ينتقل پرومثيروس إلى التنبؤ بواسطة أحشاء
الأضاحي، وخصوصاً فحوص الكبد، ومنه خصوصاً فص الكبد أو رأسه كما كان يسميه العزافون.
ذلك أن هذا الرأس يمكن أن يبدو بأشكال شاذة عديدة: فيكون مزدوجاً، أو فيه شقوق، أو غير
موجود ولكل حالة من هذه الأحوال مدلول خاص.

پرومٹیوس : لا، فیما یتعلق بهذا فإن الساعة التي حددتها «البارك» لانتهاء كل شيء لم تحنْ بعد؛ فإنني لن أفلت من أغلالي إلا بعد أن أعاني آلاف الآلام، وآلاف الكوارث. إن المهارة هي أضعف شيء أمام «الضرورة».

رئيسة الكورس: ومن الذي يتحكم في «الضرورة»؟
پرومٹیوس: «الباركات» الثلاث و«الأرنيات» ذوات الذاكرة التي لا ترحم.

رئيسة الكورس: إذن سلطانها يفوق سلطان زيوس؟
پرومٹیوس: إن زيوس لا يستطيع أن يُفَلت من مصيره.
رئيسة الكورس: وما هو مصير زيوس، إن لم يكن الحُكْم إلى الأبد؟
پرومٹیوس: لا تسأليني عن هذه النقطة، لا تُلجّحي.

رئيسة الكورس: لا بد أن هذا سرّ بالغ ما دمت تُخفيه هكذا^(١).

پرومٹیوس: تكلمي عن شيء آخر. هذا السرّ لم يأت بعدُ الوقت للكشف عنه؛ بل يجب إخفاؤه في ظلام تام: وبالمحافظة عليه سأفلت ذات يوم من هذه الأغلال ومن هذا العذاب المهين.

الكورس: كلا، لا يدخلن سيد العالم زيوس سلطة في هذا الصراع ضد إرادتي.

ويا ليتني لا أتأخر في دعوة الآلهة إلى المآدب المقدسة ذات الأضاحي، بالقرب من المجرى الأبوي للأوقيانوس الذي لا يجف أبداً!
ويا ليت لساني لا يخطيء أبداً ويا ليت هذا المبدأ يبقى دائماً في نفسي دون أن ينمحي أبداً.

حلّو أن يمضي المرء عمراً طويلاً وسط آمال وثيقة والنفس مفتوحة في لذات وضاعة. لكنني أرتجف، حينما أنظر إليك ها هنا وآلاف المصائب تمزّك.

إن إرادتك الصلبة، دون أن تخشى زيوس، تهتم أيما الاهتمام ببني الإنسان، يا پرومٹیوس!

(١) السرّ الذي اشرنا إليه في تعليق سابق ص ١٧٨ تعليق رقم ٣.

(٢) الآلهة الثانوية ملزمون، مثل بني الإنسان بتقديم القرابين للآلهة الكبار في الأولمب.

هيا، لننظر، أيها الصديق: أي إحسان يساوي إحسانك! أين العون، أين النجدة التي يقدمها إليك بنو الانسان؟ ألا تشاهد العجز الخوار، الشبيه بعجز الأحلام، والذي يعوق خطوات الجنس البشري^(١)، لن تستطيع الارادة الفانية أن تنتهك النظام الذي قرره زيوس.

هذا أمرٌ علمته من تأمل بؤسك، يا پروميثيوس، ومع هذا النشيد نشيد آخر مختلف تماماً، يعود للطيران الآن نحوي أنا، نشيد الزفاف الذي أنشدته في الماضي حول حوض وسرير زفافك^(٢)، في اليوم الذي فيه، اقتدت أنت هسيون إلى فراش الزوجية وكانت قد تأثرت بهداياك.

(إيو Io تدخل. وعلى جبينها قرنا بقرة)

إيو: ما هذا البلد؟ وما هذا الجنس؟ ومن هو المائل أمامي، وقد حطمه العذاب تحت بردة من الصخر؟ أية غلطة تكفر عنها وأنت تموت هنا؟ خبرني إذن إلى أية نقطة من العالم حملتني أخطائي.

(تقفز فزعاً)

آه! إن نُعرة تعذبني من جديد، أنا السيئة البخت^(٣)! هذا شبح أرجوس، ابن الأرض أواه! أيتها الأرض، أبعديه! إنني أفزع وأنا أشاهد راعي البقر ذا العيون العديدة. ها هوذا يتقدم، بنظرته الغادرة! وحتى لو كان ميتاً فإن الأرض لا تخفيه؛ إنه يخرج من العالم السفلي ليطارد السيئة الحظ، ويجعلها تتشرد، جائعة في الرمل المتاخم للبحار!

(تبدأ في الجري في كل اتجاه كما لو كانت تهرب من عدو خف)

وعلى وقع خطواتي: الشبابة الرنانة، ذات القراب الذي من الشمع، تُسمع أغنيتهما الجالبة للنوم. وا أسفاه! وا أسفاه! إلى أين تقودني هذه الأخطاء البعيدة؟ ما هي إذن الغلطة التي فاجأتها، حتى تربطني، يا ابن خرونوس، بمثل هذه

(١) يريد اسخولوس أن يقول إن عجز بني الإنسان يشبه عجز النائم الذي يود في الحلم أن يجري، لكنه يشعر بأن ساقيه لا تواتيانه.

(٢) يقول مؤرخ أرجوس القديم: اكوسيلالوس إن هسيون كانت زوجة پروميثيوس ومن هذا الزواج ولد دوكاليون. وهسيون كانت بنت أوقيانوس.

(٣) كانت إيو تطاردها نُعرة؛ لكن هذه النعرة هنا هي تأنيب الضمير الذي يطاردها منذ قتل هرمس لأرجوس.

المصائب^(١)، وحتى تغرق فتاة مسكينة في فزع يطاردها مثل الثعرة؟ أحرقتني بشعلتك، أخفني تحت الأرض، ارميني غذاءً للوحوش البحرية. لا تحرمني، يا سيدي، مما أسألك إياه! إن أخطاء طويلة قد حطمتني بما فيه الكفاية، ولا أدري كيف أفلت من مصائبي. هل تعير سمعك لنبرات العذراء ذات قرون بقرة؟

پرومثيروس: وكيف لا أعير سمعي إلى فتاة تدور تحت طيران الثعرة ابنة ايناخوس Inachos، التي دفأت بالحب قلب زيوس، ولكنها اليوم، بواسطة بُغض هيرا لها، مضطرة إلى المشاوير الطويلة، التي تحطمها؟

إيو: أين إذن عرفت الاسم الذي تنطق به، اسم أبي؟ أجب البائسة: مَنْ أنت إذن، أيها البائس، كي تجبني، أنا البائسة، بعبارات صادقة، ولاعطاء اسم للداء الناشء عن الآلهة، الداء الذي يستهلكني ويعدّني بحمة جنون شاردا! وأسفاه! في عار الوثبات الجائعة التي يحملني اندفاعها قد أتيت، فريسةً لإرادات هيرا الحاقدة. مَنْ إذن، مَنْ من البائسين، يعاني مصائب مماثلة، مماثلة ويا للأسف لمصائبي أنا؟ هيّا بيّن لي بوضوح ما هي الآلام التي تنتظرنني. وهل هناك مخرج أو علاج لمصائبي؟ بيّنه لي، إن كنت تعرفه. تكلم واخبر العذراء الشاردة الحزينة.

پرومثيروس: سأقول لك بوضوح ما ترغبين في معرفته، وبدون ألغاز معقدة، بل بلغة صريحة، كما يليق عند فتح ألفم في حضور أصدقاء. أنت تشاهدين أمامك هذا الذي أعطى النار لبني الإنسان، أنا پرومثيروس.

إيو: إيه أيها المُحسين الذي ظهر لكل الناس، أي پرومثيروس البائس، عمّاذًا تُكفّر ها هنا؟

پرومثيروس: لقد أغلقت إلى الأبد شكواي من مصائبي^(٢).

إيو: إذن امنحني الفضل الذي أنتظره.

پرومثيروس: خبّرني ماذا تريد، وستستطيعين أن تعرفي مني كل شيء.

(١) كان هرمس قد أنام أرجوس بغناء شبّابته ثم ضربه فقتله أثناء نومه. وتأنيب ضمير إيو لها يجعلها تعيش في كل لحظة منظر هذا القتل.

(٢) إنه يرفض إذن أن يكرر الرواية التي انتهى من إيرادها. وإنما سيراهن فقط - فيما بعد - على أن يقول لإيو اسم من أصابه بهذه البلايا. وهذا الاسم يجب أن يكفي إيو، لأنها تعرف خيراً من غيرها أن ضحايا زيوس هم أبرياء.

إيو: خبّرني من قبّلك بهذه الصخرة الوعرة.
پرومئوس: إرادة زيوس، لكن بواسطة ساعد هيفايستوس.
إيو: وعن أية أخطاء تكفّر هكذا؟
پرومئوس: قلتُ لك ما يكفي لإفهامك.
إيو: صحيح! اذكر لي أيضاً متى يوضع حدٌ لأخطائي؛ متى تأتي الساعة التي تنتهي فيها أخطائي أنا التعيسة؟

پرومئوس: عدم معرفة ذلك أفضل لك من معرفته.
إيو: لا تُخفِ عني ما ينبغي عليّ أنا أيضاً أن أعانيه من آلام.
پرومئوس: هيا، إني لا أبخل بهذا العطاء.
إيو: إذن، لماذا تتأخر في إعلامي بكل شيء؟
پرومئوس: ليس هذا رفضاً صادراً عن الغيرة؛ كل ما هنالك هو أنني أخشى أن أشيع الاضطراب في نفسك.

إيو: لا تهتم بي أكثر من ذلك.. فإن هذا سيسرّني.
پرومئوس: ما دمت تريدني، فينبغي عليّ أن أتكلّم: استمعي.
رئيسة الكورس: لا، لم يَجِن الوقت بعد: وامنحني أنا أيضاً نصيباً من الإرضاء. ولنعلم أولاً ما هو حَظُّبها؛ ولتخبرنا هي أولاً ما هي مصائبها الشاردة. وبعد ذلك فلنعلم منك ماذا ينتظرها من مَحَن.

پرومئوس: وعليك أنت يا إيو أن تبدلي لهن طاعة راضية، خصوصاً وأنهن أخوات أبيك. إن بكاء المرء على مصائبه حينما يكون عليه أن يحصل على دموع من يستمع إليه، أمرٌ يستحق الوقت الذي يُمضيه في ذلك.

إيو: لا أدري كيف أستطيع أن أرفض لكنّ طلبكُن: سأروي رواية دقيقة منها ستعرفن كل ما تُردن. ومع ذلك، فإنني أتردد، وأنا أشعر بالخجل، في أن أخبركن فقط من أين جاء العذاب الإلهي الذي قضى على شكلي الأول^(١) لما أن انقضّ عليّ، أنا البائسة! بغير انقطاع كانت الرؤى الليلية تزور مخدعي وأنا عزباء، وبكلمات معسولة

(١) هنا بعض الاختلافات فيما بين مسرحيتي «المستجيرات» و«پرومئوس». ففي مسرحية «المستجيرات» هيرا هي التي حوّلت إيو إلى بقرة حتى لا يشتهيها زيوس؛ أما هنا فالأمر بالعكس: زيوس هو نفسه هو الذي حوّلتها ليمنعها من هيرا.

كانت تنصحنني قائلة: «أيتها السعيدة، يا فتاة، لماذا تبقين عذراء مدة طويلة هكذا، بينما أنت تستطيعين أن تحصلي على أعظم زوج؟ أنت أصبتِ زيوس بسهم الشهوة؛ إنه يريد منك أن يستمتع بمواهب كوبريس Cypris: فحذار يا بنيتي، من رفض الزواج بزيوس؛ لكن اذهبي، وتوجهي نحو ليرنا Lerne ومروجها المعشبة، نحو حظائر الضأن والثيران الخاصة بأبيك، حتى تتحرر عين زيوس من شهوتها!» تلك كانت الأحلام التي ترهقني في كل ليلة، أنا المسكينة! حتى اليوم الذي تجاسرت فيه على أن أروي لأبي ما هي الأحلام التي تطوف بي في النوم. فقام حينئذ ببعث الرسل إلى فوثنو ودودونه مراراً وهم مكلفون بالاستفهام من السماء لمعرفة ما يجب عليه أن يقوله أو أن يفعله ابتغاء ارضاء الآلهة. لكنهم عادوا بالأوان من الوحي غامضة وبصيغ مبهمة يصعب حل رموزها. وأخيراً وصل جواب واضح الى ايناخوس يقول بلغة جلية إنَّ عليه أن يلقي بي خارج البيت، وخارج البلاد، باعتباري دابةً مكرسة^(١) للآلهة، حرّة في الشرود حتى آخر حدود العالم - إن شاء الأيرى الصاعقة المشتعلة المرسلّة من زيوس تبيد سلالته. وكان أبي يذعن لمثل هذه الألوان من الوحي الصادرة عن لوكسياس؛ ولهذا نفاني وأغلق بيته دوني إلى الأبد، رغماً عنه ورغماً عني معاً: لكن كايح زيوس أرغمه على أن يفعل ضد إرادته. وفي الحال تغيّر شكلي وعقلي معاً في نفس الوقت: فنبئت لي قرون، كما ترون، وطاردتني بعوضة ذات لسعة حادة، فصرت أففز بجنون نحو الماء العذب في نبع كرخنه^(٢)، ونحو نبع ليرنا^(٣). وكان يصحمني راعي بقر، هو ابن الأرض، وكان خشن الطباع، وصار يصوّب عيونه العديدة نحو كل خطوة من خطواتي. وفجأة حرمه الموت من الحياة، بينما أنا، كنت أجري باستمرار - تلسعني الثعرة - تحت تأثير لاذع إلهي، مطرودة من بلد إلى آخر. وأنت تعلم ما هي مغامراتي: فإن كنت تستطيع أن تخبرني بما بقي عليّ أن أعانيه من آلام، فأخبرني به ولا تحاول - على سبيل الشفقة - أن تواسيني بالكلمات الكاذبة: فلا يوجد شرّ أشدّ هولاً من اللغة الخداعة.

(١) إيو تستعمل هنا اللفظ الدال على الدواب المكرسة إلى أحد الآلهة، والتي كانت تترك طليقة في الحمى الخاص بالمعابد.

(٢) ينبوع يقع على الطريق المؤدي من أرجوس إلى تيجيا Tegée.

(٣) إيو - عن قصد - تخلط بين الوقائع. ذلك لأن زيوس دعاها في أحلامها الى الذهاب إلى ليرنا، وقد انطلقت إلى ليرنا بسرعة، كما أنها تحوّلت إلى بقرة تهدي، تاركة بيت أبيها ايناخوس. فأشبع زيوس إذن شهوته. وحملت منه إيو بئله. لكنها لن تنهض إلا في مصر، لما أن وضع زيوس يده على جبينها فأعاد إليها عقلها وشكلها الأصلي، وساعدها في ولادة ايناخوس.

الكورس: أواه! أواه! بعيداً عني! كفى! لم أجرؤ مطلقاً أن أعتقد أن مثل هذه الروايات الغربية يمكن أن تصل إلى أذني. مصائب، فظائع، تهاويل، أمور من القسوة أن تُرى وأن تُعاني. حُمة مزدوجة التلداغ تجمّد منها قلبي. واحسرتها! إنه المصير، المصير! إنني أقشعر من مصير إيو!

پرومئوس: أنت تُسرع في النواح وفي الاستسلام للفرع. انتظر حتى تعرف بقية مصائبها.

رئيسة الكورس: تكلم، أتم إخبارها. يطيب للمريض أن يعرف مقدماً وبوضوح ما بقي له أن يعاينه بعد.

پرومئوس: ما طلبتموه مني أولاً، أنتم حصلتم عليه بغير صعوبة؛ لقد رغبتن أولاً في أن تسمعوا أخبار مِحنه نفسها؛ فاستمعن الآن إلى الباقي، وإلى ما لا بد له أن تعانيه من آلام، بأمر من هيرا، هذه الشابة الفانية: إيو. وأنت، أيتها المتحررة من دم إيناخوس، نُبّتي كلماتي في نفسك جيداً، إن كنت تريدين أن تعرفي نهاية طريقك. حين ترحلين من هنا ولّي وجهك أولاً شطر الشمس المشرقة وسيري في السهول الخالية من الحرث، حتى اللحظة التي تصلين فيها إلى الاشقوثيين الرُّحّل الذين يسكنون في مساكن مصنوعة من اليراع المضفور الموضوع على عربات ذوات عجلات جيّدة، ويعلقون في اكتافهم قسيّاً طويلة المدى. تتجنّبهم واقتربي من صخور مائية ينوح عندها البحر، من أجل أن تخترقي كل هذه البلاد. عن يسار يوجد بنو خالوب^(١) الذين يشتغلون بصناعة الحديد. عليك أن تتجنّبهم، فإنهم خلائق متوحشة لا ينبغي للأجنبي أن يغشاهم. وعلى هذا النحو تصلين إلى نهر اسمه لا يكذب، وهو نهر هوبرستس^(٢) Hybristes؛ لا تعبريه، فليس من السهل عبوره، بل سيري قُدماً إلى القوقاز الذي هو أعلى جبل بين الجبال: إنه من جبينه يطلق هذا النهرُ غضبة مياحه. واجتازي منه قِممه المجاورة للنجوم من أجل أن تسلكي طريق الجنوب. وهناك ستجدين جيش الأمازونات^(٣) المتمردات على بني

(١) بنو خالوب Chalybes مساكنهم في آسيا الصغرى. لكن اسخولوس ينقلهم إلى شمال القوقاز. فربما كانت هناك رواية قديمة تتعلق بمناجم الأورال وتجعل مساكن بني خالوب في القوقاز.

(٢) هذا الاسم مكوّن من اللفظ: هوبريس Hybns أي: تجاوز الحد.

(٣) يحاول اسخولوس التوفيق بين روايتين تضعان إحداهما الأمازونات في شمال البحر الأسود، والأخرى، وهي الأشهر، تضعهن في جنوبه.

الإنسان، واللواتي سيشتدّن مدينة ثمسكورة^(١) على نهر ثرمودون، عند الشواطئ التي فيها يفتح سلمودس Salmydesse فكّه الغليظ على البحر، وهو تارة قاس على البحارة، وغدار على المراكب^(٢). إنها سترشدك وبقلب حنون. وهكذا تصلين إلى الأبواب الضيقة لبحيرته، وهي خليج كمر: وبقلب جسور عليك - من أجل أن تغادريه - أن تجتازي مضيق ميوتيس Méotis؛ وبين بني الإنسان ستحيا دائماً الرواية المجيدة لعبورك: وهذا المضيق سيدين لك باسم: البوسفور؛ وبعد ذلك ستضعين قدميك على قارة آسيا^(٣)، تاركة أرض أوروبا. لكن، ألا يبدو لك أن سيد الآلهة يُبدي في كل مكان عنفاً متساوياً. إنه، وهو إله، قد صبّ، على هذه الإنسانية الفانية التي انتهت فراشها، هذا المصير الشارد. آه إنك قد لاقيت، أيتها الفتاة، عاشقاً قاسياً، لأن ما سمعته الآن ليس إلا مجرد مقدمة.

إيو: واحسرتاه! وارحمتاه! وارحمتاه!

پرومئوس: مرّة أخرى أنت تصرخين، وتخورين: فماذا ستفعلين حين تعلمين بقية مصائبك؟

رئيسة الكورس: هل بقيت مصائب أخرى ترويهما لها؟

پرومئوس: بل قولني بعبارة أدق: بحرّ عاصف بآلام رهيبة.

إيو: أي مكسب لي إذن في أن أحيأ؟ ولماذا أتأخر إذن عن الإلقاء بنفسني من فوق هذه الصخرة الوعرة؟ لو سقطت على الأرض لتخلصت من كل آلامي. إن الموت دفعة واحدة أفضل من معاناة الآلام والبؤس في كل يوم.

پرومئوس: ستتعبين إذن كثيراً إذا تحملت محنتي: إن المصير لا يسمح لي بالموت. والموت وحده هو الذي يستطيع أن يخلصني من مصائبي لكن لا تتجلى لي أية نهاية لنفسني، قبل أن يسقط زيوس من سلطانه المطلق.

إيو: وهل يمكن أن يسقط زيوس من سلطانه ذات يوم؟

پرومئوس: أعتقد أن سرورك سيكون عظيماً عند رؤية هذا الحدث.

(١) ثمسكورة: مدينة تقع في سهل يحمل نفس الاسم، بين سينوب وطرازون على شواطئ نهر ثرميون (ويسمى اليوم ثرميه Thèrme).

(٢) سلمودس تقع في إقليم تراقيا، وهي بعيدة جداً عن ثمسكورة.

(٣) عند اليونانيين تبدأ آسيا من البوسفور، أي بعد شبه جزيرة القرم مباشرة.

إيو: مؤكّد، إن كانت معاناتي لهذه البلايا هي من فعل زيوس .
 پرومثيوس: إذن اعلمي أن هذا هو الذي سيحدث .
 إيو: ومن ذا الذي سيتزع منه هذا الصولجان القدير؟
 پرومثيوس: هو نفسه ونزواته العابثة .
 إيو: كيف؟ خبّرني، إن أمكن دون متاعب .
 پرومثيوس: سيعقد زواجاً سيندم منه ذات يوم .
 إيو: زواج إلهي، أو إنسيّ إن جاز التصريح بهذا، فأجبني .
 پرومثيوس: ماذا يهم أن يكون إلهياً أو إنسياً! ليس من المسموح به
 الإفصاح عنه .
 إيو: هل زوجته هي التي ستطرده من عرشه؟
 پرومثيوس: بأن تنجب له ابناً أقوى من أبيه .
 إيو: ألا توجد وسيلة لصرف هذا القدر؟
 پرومثيوس: كلا، لا توجد، إلا بأن يُفكّ پرومثيوس من أغلاله .
 إيو: ومنّ ذا الذي يستطيع أن يفكّ عنك الأغلال على الرغم من زيوس؟
 پرومثيوس: أحد أحفادك سيكون قادراً على ذلك .
 إيو: ماذا تقول؟ ابن صادر عنيّ سيحرّرك من مصائبك؟
 پرومثيوس: نعم، في الجيل الثالث بعد العشرة أجيال الأولى .
 إيو: هذا الوحي لم يُعدّ من السهل فهمه .
 پرومثيوس: لا تجهدني نفسك أكثر من هذا في معرفة خفايا بلاياك .
 إيو: لا تبين مكسباً، كيما تسلبني منه بعد ذلك .
 پرومثيوس: من هديتين سأعطيك الواحدة أو الأخرى .
 إيو: أي هدايا؟ ضعها تحت نظري واعرض عليّ أن اختار .
 پرومثيوس: ها أنذا أعرض عليك، فاخترني: هل ينبغي عليّ أن أخبرك
 بالدقة عن بقية مصائبك، أو عمّن سيكون مُنقذي؟
 رئيسة الكورس: من هاتين النعمتين امنحها واحدة، أما الأخرى فامنحني

إياها: ولا تزدرِ أمانينا لإيو اكشف عن بقية تشرذاتها؛ وإليّ أنا اكشف من سيكون مُنقذك، لأن هذا هو ما أشتاق إليه.

پرومثيروس: إذا كانت هذه هي رغبتك الحازة، فلن أرفض الكشف لك عن كل ما تسأليني عنه. ولك أولاً يا إيو سأذكر شوارد مشوارك المضطرب: سجلها على ألواح ذاكرتك الصادقة. حين تجتازين المجرى الذي يفصل بين القارتين، سيرى نحو الشرق، حيث تشتعل خطوات الشمس^(١). . . وأنت تخترقين ضوضاء البحر، حتى اللحظة التي تصلين فيها إلى الحقول الجورجونية في كستينا^(٢) Kisthene، حيث تقيم الفوركيد Phorkides، وهن عذارى قديمات، لكل واحدة منهن جسم كجسم البلشون، وليس لها غير عين واحدة، وسنّ واحدة، ولا يحصلن أبداً على نظرة من الشمس المشعة، ولا من الهلال في الليالي. وبالقرب منهن أخوات مُجنّحات ذوات ضفائر من الأفاعي، وهنّ الجورجونيات، مصدر فزع بني الإنسان، ولا يستطيع أحدٌ أن ينظر إليهن دون أن يموت في الحال. هذا هو التحذير الذي أوجهك إليه أولاً. لكن اعلمي خطر منظر آخر: احذري من كلاب زيوس، ذوات المناكير الحادة، وهي لا تنبح أبداً، إنها الجريفون^(٣) واحذري أيضاً من الأريماسب Arimaspes الوحيدة العين، وهي تسكن على شواطئ نهر پلوتون Pluton. وحينئذ ستصلين إلى بلد قِصيّ، يسكنه شعب أسود، استقرّ بالقرب من مياه الشمس، في بلاد نهر اثيوپس^(٤) Aithiops. سيرى على شاطئه حتى الساعة التي فيها تصلين إلى «الزول»، وهي النقطة التي فيها نهر النيل - من أعلى جبال ببلوس^(٥) Biblos - يصبّ مياهه المقدسة والصحيّة. وهو الذي سيقودك إلى البلد المثلث الذي فيه احتفظ «المصير» لإيو وذريتها بإنشاء مستعمرتها البعيدة. - فإن كان

(١) هنا خرم في المخطوطات اليونانية. وربما كان معنى النقص هو: «حذار من تعريض نفسك للأمواج

العادرة» - أي لا تجازي البحر الأسود.

(٢) يبدو أنها بلاد خرافية تقع عند نهاية العالم.

(٣) الجريفون هم «حراس الذهب» ضد الأريماسب الذين يحاولون دائماً انتزاعه منهم (هيرودوت ٤ : ١٣ وما يليه). وكل هذه الأساطير تنسب إلى اسطورة برسيسوس، التي عالجه اسخولوس في ثلاثية خاصة.

(٤) هذا هو اسم نهر النيل في القسم الأول من مجراه حتى الشلالات.

(٥) كان النقاد القدماء يرون ان اسخولوس تخيل هذا الاسم استناداً إلى البردي (ببلوس) الذي يكثر في هذه المنطقة.

في كلامي هذا نقطة غامضة معقدة، فاذكريها لي، بدقة، فإن لديّ متسعاً من الوقت هنا، أكثر مما أتمنى.

رئيسة الكورس: إن كانت لديك واقعة أخرى جديدة تكشفها لها، أو نسيتها، فيما يتعلق بتشرداتها، فاذكريها. وإذا كنت فرغت من روايتك، فامنحننا نحن بدورنا الفضل الذي نطلبه منك. ولا شك أنك تذكر هذا.

پرومثيوس: لقد عرفت الآن كل ما يتعلق بختام أسفارها. وهى تعرف الآن أنها لا تسمع مني كلمات زائفة فأني أريد أن أذكر لها ما هي المتاعب التي تتحملها قبل أن تصل إلى هنا: وبهذا أقدم لها ضماناً يؤكد صدق كلامي.

(مخاطباً إيوا): سأدع جانباً الكتلة الضخمة من الوقائع، ابتغاء الوصول فوراً إلى تشرداتها الأخيرة: إنك لما وصلت إلى سهول مولوسس Molosses وإلى رابية دودونه Dodone - حيث وحي ومقرّ زيوس ثسپروت^(١)، ومعجزة السنديانات الناطقات التي - بوضوح وبدون ألغاز - حَيّت فيك تلك التي ستكون الزوجة المجيدة لزيوس - ألا يسرُّ شيء من هذا ذاكرتك؟ - وَنَبَتِ أَنْتِ وقد لسعتك الثعرة، على الطريق الساحلي المؤدي إلى خليج ريا Rhéa الهائل، ومنه أتى بك إلى هنا العذاب المتوكل بك في مشوارك الشارد. لكن فيما يتعلق بالأزمة المقبلة اعلمي تماماً أن هذا الخليج البحري سيكون الخليج الأيوني، واسمه سيذكر جميع الناس بمرورك.. أقول هذا لأثبت لك أن عقلي يدرك أكثر مما تراه العين.

(مخاطباً الكورس): والبقية أنا سأكشفها لَكُنْ ولها، بالرجوع الآن إلى أثر رواياتي السابقة. إنه توجد مدينة في الطرف الأقصى للبلاد، هي كانوب، تقع عند مصبّ النيل وعلى رواسبه.. هناك سيرة إليك زيوس عقلك بأن يلمسك بيده المهدّئة، وبمجرد مسك. للتذكير بالكيفية التي بها زيوس أتى به إلى العالم فوق مَنْ ستنجبينه سيكون هو «إپافوس» الأسود، الذي يزرع كل الأرض التي يرويها المجرى الواسع لنهر النيل. وبعده بخمسة أجيال ستعود خمسون عذراء، هنّ من

(١) كان معبد دودوني يقع على مؤخر جبل طوماروس، في بلاد يذكر أحياناً أنها تنتسب إلى الثسپروت، وفي أحيان أخرى تنسب إلى المولوس. وكان زيوس يجيب على من يأتي لاستشارته بواسطة أوراق سنديانة عتيقة، يقوم الكهنة بتأويل حفيفها.

(٢) البحر الأدرياتي.

ذريته، إلى أرجوس على الرغم منهن، من أجل ان ينجين من الزواج بأقاربهم: ابناء عمهن: وهم بدورهم سيصلون - مدفوعين بالشهوة، مثلهم مثل البواشق التي تطارد حمائم، وصيادين انطلقوا لصيد زواج ممنوع^(١). لكن السماء ستحرمهم من اللواتي يرغبون في الزواج بهن، وأرض يبلاج ستدفعهن، بعد أن يهزمهم «القتل» في مواجهة امرأة جسارتها ساهرة في الليل. ذلك ان كل زوجة ستنتزع الحياة من زوجها وتغمس في دمه سيفاً ذا شفرة مزدوجة. ولتذهب كل هذه الألوان من الغرام إلى أعدائي! لكن واحدة منهن^(٢)، وقد أسكرتها الرغبة في أن تكون أمّاً، امتنعت عن قتل رفيق فراشها وقد تمت إرادتها. وبين شرّين اختارت أن تُوصف بالجبن على أن توصف بأنها قاتلة. وهي التي ستنجب، في أرجوس، سلالة ملكيّة.

ولا بدّ لي من حكاية طويلة لأقول هذا كله بوضوح. لكن اعلمي على الأقل أنه من هذه السلالة سيولد الشجاع^(٣) ذو القوس المجيدة، الذي سيخلصني أنا من هذه البلايا. ذلك هو الوحي الذي كشفته لي أمّي: ثيميس Themis، أخت الطيطان. لكن كيف وبأي الطرق سيتحقق؟ عرّض هذا سيحتاج إلى وقت طويل، وأنتِ لن تكسبي شيئاً من معرفة كل شيء.

(إيو تشعر بالقشعريرة)

إيو: أواه! أواه! تشنج مفاجيء، ونوبة من الهذيان يستوليان عليّ. إن حمة النعرة تلسعني كأنها حديد محمّي. وقلبي الفزع يمزق أحشائي. وعيناوي تدوران في محجريّ بشدة. إن ثورة من الغضب تعصف بنفسي، فلا أستطيع أن أضبط لساني وأفكاري المشوّشة ترتطم في اضطراب الموجة الصاعدة من داء قبيح.

(تهرب شاردة)

الكورس: نعم، لقد كان حكيماً، حكيماً حقاً أول كائن وزن عقله وصاغ لسانه^(٤) إن «التحالف بحسب المرتبة» هو أول الخيرات؛ وتبعاً لذلك ألا يطلب

(١) ممنوع: ليس من أجل أن الزواج سيكون بين أبناء عم، وإنما لأن والد بنات العم هؤلاء، وهن أنفسهن يرفضن هذا الزواج.

(٢) اسمها هو بير مسترا، وزوجها هو لوثقيا.

(٣) هو هرقل الذي ينحدر من إيو في الجيل الثالث.

(٤) المقصود هو بتاكوس - راجع «أهاجي» كليماخوس، رقم (١).

المرء، حينما لا يكون إلا مجرد صانع، محالفة مع قوم منتفخين بشرائهم أو سُكاري بنسبهم.

آه! ليتكن لا تريني أبداً، أبداً، أيتها الباركات Parques أنتن يا من بدونكن لا يتم شيء، أتخذ مكاناً في فراش زيوس بوصفي زوجة له!

يا ليتني لا أعرف أبداً عناقات زوج ساكن في السماء. إنني أرتعد حينما أشاهد إيوا، العذراء المتمردة على الحب، تستهلك نفسها - بفعل هيرا - في تشرد قاس حافل بالألم.

وفيما يتعلق بي أنا الذي أتطلب زواجاً على قدر حالي، لا يخيفني أن أبقى وحيدة. يا ليت حب أحد الآلهة الكبار لا يلقي عليّ واحدة من تلك النظرات التي لا يتجنبها المرء!

تلك حرب قاسية، لا تترك أملاً إلا في اليأس، وفيها لا أرى ما هي المهارة التي أستطيع استخدامها: إنني لا أعرف وسيلة للإفلات من إرادة زيوس!

(صمت طويل)

پرومثيوس: سيأتي يوم - فأنا المسؤول عن هذا - سيكون فيه زيوس ذليلاً، مهما يكن قلبه عنيداً، لأن الزواج الذي يستعد له سيلقي به إلى أسفل سلطانه وعرشه معدوماً. وحينئذ ستتحقق بكل جزئياتها اللعنة التي لعنه بها خرونوس أبوه، في اليوم الذي سقط فيه من عرشه القديم. والوسيلة لدرء هذه البلية لا يستطيع أي إله - اللهم إلا أنا - أن يكشفها له بوضوح. أنا وحدي أعرف المستقبل وكيف يمكن منعه من الحدوث. وبعد ذلك فليتولّ على العرش دون خوف، واثقاً بالضوضاء التي يحدثها ويملاً بها الهواء، وهو يهزّ في يديه السهم المشتعل: ولن تستطيع أية نجدة أن تمنعه من السقوط سقوطاً لا يحتمل مسربلاً بالعار - لأن الخصم الذي يستعد الآن لمواجهة قوتي جداً، أقوى من صاعقة، ذات جلبة هائلة تغطي على الرعد؛ وبه الجبار البحري الذي يزلزل الأرض، السلاح المثلث الأسنان، سلاح فوسيدون، لا بد أن يتطاير شظايا. وفي اليوم الذي يصطدم فيه بهذه المصيبة فإنه سيتعلم ما هي المسافة التي تفصل بين «أن يحكي» و«أن يتخدم».

رئيسة الكورس: أنت تجعل من أمانيك وحيّاً لزيوس.

پرومٹیوس: إني أخبر بما سيكون، وهو أيضاً ما أتمنى.
رئيسة الكورس: هل ينبغي علينا أن ننتظر أن نشاهد زيوس تحت إمرة سيد؟
پرومٹیوس: ويحمل على أكتافه آلاماً أشدّ هولاً من أهوالي أنا هذه.
رئيسة الكورس: ألا تخاف من إطلاق مثل هذه الكلمات؟
پرومٹیوس: ماذا يمكن أن يخاف منه من لا يمكن أن يموت؟
رئيسة الكورس: في وسعه أن يصبّ عليك محنة أشدّ قسوة.
پرومٹیوس: ليفعل ما يشاء! إني أتوقع كل شيء.
رئيسة الكورس: إنهم حكماء أولئك الذين يركعون أمام أدراستيه^(١).
پرومٹیوس: اعبد، توسّل، تملّق سيّد اليوم. أما أنا فلا يهمني زيوس في شيء. فليفعل وليحكّم كما يشاء إبان هذه المهلة القصيرة: فإنه لن يستمر طويلاً سيّداً على الآلهة - لكنني أشاهد أمامي ساعي بريد زيوس، خادم الطاغية الشاب. ثم شيء مؤكد: إنه سيعلن لنا شيئاً جديداً.

(هرمس، محمولاً على أخفاف مجتحة، جاء طائراً حتى وصل إلى پرومٹیوس)
هرمس: أنت، - نعم أنت، أيها الماكر، الحقوق بين الحاقدين، شاتم الآلهة، يا مَنْ أسلمت إلى الفانين (بني الإنسان) امتيازاتهم، يا سارق النار - اسمع! أبي يأمرك بأن تتكلم: ما هو هذا الزواج الذي تخوّف به؟ ومَنْ هو الذي سيلقي به إلى أسفل من سلطانه؟ الآن، لا محلّ للألغاز! سمّ كل شيء باسمه. ولا تفرض عليّ سفرة ثانية، يا پرومٹیوس! أنت تعرف أنه ليس بهذه الطريقة يمكن استرضاء زيوس.

پرومٹیوس: هذه كلمات كبيرة ولهجة مليئة بالغرسة. - وهذا يناسب خادم الآلهة! أيها الشباب، أنتم تمارسون سلطة شابة، وتحسبون أنكم تسكنون في قصر لا يصل إليه الألم. لكن، أو لم أشاهد أنا بنفسني حاكمين يطردان منه؟ والثالث، سيّد اليوم، ستشاهده هاتان العينان مطروداً بشكل أشنع وأشدّ دفعاً وبعداً هل أبدو أمامك خائفاً ومملوءاً بالفزع أمام الآلهة الشباب؟ هيهات، هيهات، بل الأمر على

(١) ادراستيه Adrastée إلهة مناظرة لنيمسيس Nemesis. والركوع أمام أدراستيه هو استجداؤها لإبعاد غضب الآلهة.

العكس تماماً. اذهب إذن، وأسرع، وعُدْ أدراجك في الطريق الذي أدى بك إلى هنا إنك لا تعرف شيئاً عما جئت من أجله إليّ ها هنا.

هرمس: ومع ذلك فإن هذه الألوان من العناد في الماضي هي التي أدت بك إلى هذا المزيج من الآلام التي تعانيها الآن.

پرومثيروس: لن أستبدل بمحتني هذه عبودية مماثلة لعبوديتك: اعلم هذا جيداً. إنني أفضل أن أكون مغلولاً إلى هذه الصخرة على أن أعمل ساعي بريد لزيوس: أبي الآلهة! هكذا يليق بالمتكبرين أن يظهروا كبرياءهم!

هرمس: يبدو أنك فخور بالمصير الذي هُييء لك!

پرومثيروس: فخور! ليتني أرى أعدائي فخورين على هذا النحو - وأنا أحسبك من بينهم.

هرمس: هل أنت تحسبني أنا أيضاً مسؤولاً عن بلاياك؟

پرومثيروس: أنا صريح: أنا أكره كل الآلهة؛ إنهم مدينون لي، ومع ذلك فإنهم يعاملونني معاملة ظالمة.

هرمس: أنا فاهم: أنت تهذي. ومرضك خطير.

پرومثيروس: مَرَضِي؟ ليكن. إن كان لا بد للمرء أن يكون مريضاً ليكره أعداءه.

پرومثيروس: وا أسفاه!

هرمس: هذه كلمة لا يعرفها زيوس.

پرومثيروس: لا يوجد شيء لا نعلمنا الزمان إياه حين نشيخ.

هرمس: ومع ذلك فإنك لم تستطع حتى الآن أن تُظهر أقل تعقل.

پرومثيروس: هذا صحيح! وإلا لما كنت سمحت لنفسني بالتكلم مع خادم.

هرمس: أظن أنك لا تريد أن تقول شيئاً فيما يتعلق بما يطلبه أبي؟

پرومثيروس: آه! لا شك أنني أدين له بالكثير كي أجازيه بعرفاني بالجميل!

هرمس: أنت هنا تسخر حقاً، مثل طفل.

پرومثيروس: وأنت لست طفلاً، بل وأبسط من طفل، إن كنت تأمل أن تتعلم

مَنِي أَي شَيْءٍ؟ لا توجد أية شجاعة ولا أية حيلة يستطيع بها زيوس أن يحملني على الإقرار بما يريد، قبل أن يبدأ أولاً فيفكّ مني هذه الأغلال الشائنة. وليلقَ عليّ إذن بشواظ من نار مهلكة! وليقلب زيوس الكون تحت الثلج ذي الجناح الأبيض، وعلى وقع هزيم الرعد السفلي^(١)! فلا شيء سيرغمني على أن أكشف له عن اسم من سيطرده من سلطانه.

هرمس: انظر هل مثل هذه اللهجة تفيدك في قضيتك.

پرومثيروس: كل شيء قد شوهد - منذ زمن طويل - وتقرّر.

هرمس: تنازل إذن، أيها المجنون المسكين، تنازل أخيراً وفكّر تفكيراً أسلم في مواجهة هذه المصائب.

پرومثيروس: أنت تتعبني وتتعب نفسك عبثاً، ومثلك مثل من يلقي دروساً على الأمواج. لا تتصوّر أنه ذات يوم، وأنا فزع من قرار زيوس، سأجعل من نفسي قلباً من النار، وأذهب - محاكياً النساء - لأنضرع - ويدي مقلوبتان^(٢) - إلى مَنْ أكرهه أشد الكراهية كي يفكّني من أغلالي! هذا مستحيل تماماً.

هرمس: أعتقد أن الاقتصار على الكلام سيكون استطالة في الكلام لا جدوى منها. إنك لم تتأثر ولم تَلِنَ من توسلاتي إليك إنك - على العكس - تعلقك لجامك مثل مُهر حديث العهد بالنير: تقاوم وتنفر من اللجام. لكن ثورتك تستند إلى حيلة عاجزة. إن العناد، عند من يسيء التفكير، لا يستطيع وحده أن يفعل شيئاً. وتأمل إذن، إذا لم تستطع حُجَجِي إقناعك، أي إعصار وأي موجة مثلثة من المصائب ستحلُّ بك - وهذا أمرٌ لا مفرّ منه^(٣). أولاً هذه القمة الوعرة: إن أبي سيجعلها تتطاير شَدَر هذر، وجسمك المدفون لن يكون له فراش غير معانقة الصخر، وذلك بواسطة رَعْدَة وشعلة صاعقة. وستمر أيام طويلة، قبل أن تعود إلى النور. لكن هناك سيأتي كلب زيوس ذو الجناح: النسر المتوحش، ويمزق جسدك إرباً إرباً بقسوة ولن يجعل منه إلا كومة من فدرات اللحم - إنه ضيف هُرْع دون دعوة،

(١) الفرقة السفلية التي تصحب غالباً الزلازل.

(٢) أي: وراحتا اليدين موجّهتان نحو السماء، كما يفعل كل المستجيرين بالإله.

(٣) الفقرة التالية يقصد بها أن تعلن مقدماً عن ختام هذه المسرحية وعن موضوع المسرحية التالية لها وهي: «پرومثيروس طليقا».

ويتمهل في الطعام طوال النهار - وسيستمتع بأسود شبيهه بكبدك . ولا تؤملن في أية نهاية لهذا العذاب، اللهم إلا إذا تجلى إله وأبدى استعداداه لأن يحلّ محلّك في العذاب، ويتطوع للنزول في هادس المغلق على النور، في القلب العميق لطرطاروس الأسود^(١). فشاور نفسك إذن. إن الأمر هنا ليس مجرد تخويف باطل، بل هي كلمات صادقة رقيقة. إن فم زيوس لا يعرف الكذب: إنه ينفذ كل ما ينطق به. انظر حوالبك، فكّر، ولا تحسبنّ أبداً أن العناد يساوي التفكير العاقل.

رئيسة الكورس: بالنسبة إلينا، هرمس يتكلم بلغة لا تخلو من اللياقة. إنه يدعوك إلى أن تدع جانباً كل عناد، وأن تلجأ إلى التفكير العاقل.. فعليك إذن أن تصدّقه. إن الخطأ عارٌ في نظر الحكيم.

پرومثيروس: كنت أعرف الرسالة التي جاء يرهقني بها. لكن أن يُعامل المرء كعدو من جانب الأعداء، هذا أمرٌ لا عار فيه. هيا! ولتُطلق عليّ ضفيرة النار ذات الحدين^(٢)، وليهتز الأثير بفعل الصاعقة، وغضبة الرياح الوحشية؛ ولتهز الرياح الأرض ولتنتزعها بجذورها من أساسها؛ ولتذهب أمواج البحر بمدّ صارخ عنيف، لتمحو في السماء الطرق التي تتقاطع عندها النجوم. ولينهى الأمر بأن يقترن بي في طرطاروس المظلم^(٣) بين الزوابع ذات القهر الذي لا يرحم! لكن هناك شيء أكيد، وهو أنه لا يستطيع أن يفرض الموت عليّ.

هرمس: هذه هي الأفكار واللغة المألوف سماعها من المجانين. أيّ عَرَض من أعراض الهذيان ينقص مثل هذه التمنيات؟ هل سيخفف من هذه النوبات؟. لكن احذروا، أنتم يا مَنْ تتعاطفون مع مصائبه، ابتعدن عن هذه الأماكن، وبسرعة، إن شئتن ألا تغمركن الدهشة فجأة عند أزيز الرعد الرهيب.

رئيسة الكورس: تكلم بلهجة أخرى، وقدم نصائح تستطيع إقناعي. في موجة كلامك وردت كلمة لا أستطيع احتمالها. ماذا أنت تدعوني إذن إلى ممارسة الغدر

(١) يعني: إن عذابك سيكون أبدياً.. لكن بالنسبة إلى المشاهدين الذين يعرفون الاسطورة فإن في هذا إشارة إلى دور خيرون، الذي سيوافق على أن يحل محل پرومثيروس.

(٢) الصواعق التي يرسلها زيوس، وتمثل غالباً منطلقاً من يد زيوس، وتشبه «ضفيرة ذات طرفين»، في وسطها قبضة.

(٣) كان ذلك هو مصير خرونوس وسائر الطيطان.

والسفالة؟ كلا، إني أريد أن أشاركه في الآلام. لقد تعلمت أن أكره الخونة: إني لا أبغض رذيلة أكثر من بغضي للخيانة.

هرمس: لكن احذرن، وتذكرن تنبؤاتي، وحين تصبحن فرائس «للبؤس»، فلا تشتكين من مصيركن، ولا تدعين أن زيوس قد ألقى بكن في كارثة غير متوقعة. كلا، لا تتهمن إلا أنفسكن، هذا تنبيه لكن: لن يكون، بطريق المفاجأة، أن تجدن أنفسكن مصيدات في شبكة لا مخرج منها، مصيدة «البؤس»، فرائس لحماقتكن.

(هرمس يخرج. يسمع هزيم تحت الأرض)

پرومثيروس: لكن ها هي ذي وقائع، لا كلمات: إن الأرض تترنح؛ وفي أعماقها، في نفس الوقت، يتردد صوت الرعد؛ والصاعقة تتفجر في خطوط ملتوية؛ وإعصارٌ يحيل التراب إلى دوامات؛ وكل هبات الهواء تنطلق ليهاجم بعضها بعضاً؛ لقد أعلنت الحرب بين الرياح، والأثير يختلط بالبحار. وها هي العواصف تأتي إلي لتخيفني. باسم زيوس. يا جلالة أمي، وأنت أيها الأثير، يا من تريد حول العالم النور المقدم إلى الجميع، ألا تشاهدون المظالم التي أتحملمها؟

(تحت ضربة من الرعد جديدة، تنهار الصخور وتدفن پرومثيروس).

ختام مسرحية

«پرومثيروس مغلولاً»

مَسْرُحِيَّةُ «أَجَامِمُنُونَ»

مُقدِّمة «أجاممنون»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

من هو أجاممنون؟

أجاممنون هو ابن أتريوس، أو بحسب رواية أخرى: ابن پلستين Plisthene الذي هو ابن أتريوس، وأمه تدعى انكسبيا Ankxibié. وأخوه يدعى منلاس. فلما قتل تويست Thyeste وايجيست Egesthe أتريوس، فإن أجاممنون وأخاه منلاس Menelas استعانا بتوندار Tyndare ملك اسبرطة، وطردهما القاتلين: تويست وايجيست، واستولى أجاممنون على عرش موقانس Mycenes. بيد أن هناك رواية أخرى تقول إن الأخوين: أجاممنون ومنلاس كانا طفلين لما قُتل أتريوس، وإن مربيتهما قد أنقذتهما وأخذتهما إلى مدينة سقيون.

وكان لتوندار - ملك اسبرطة ابنتان هما: قلوطنسترا وهيلانه. فتزوج أجاممنون: قلوطنسترا، وتزوج منلاس: هيلانه. وكانت قلوطنسترا قبل ذلك زوجة لطنطالس بن تويست. لكن أجاممنون قتل طنطالس وانتزع ابنه من بطن أمه قلوطنسترا للتخلص منه ثم تزوج منها. ومن هذا الزواج وُلد لهما ثلاث بنات

هن: ايفجنيا (وتسمى أيضاً: افيانسام، وإلكترا) وتدعى أيضاً: لاوديقا)،
وخروسوتيميس Chrysotemis، كما ولد ذكر هو: أورست.

ويذكر هوميروس في «الإلياذة» أن أجاممنون كان يقرّ له بالرياسة والولاء سائر
الملوك اليونانيين. وهو الذي قاد الحملة على طروادة، وكانت جيشاً عرمرمياً حملته
مائة سفينة. وكان يحمل صولجان القيادة الذي صنعه هيفايستوس من أجل زيوس،
رب الأرباب اليونانيين. فأعطاه زيوس إلى هرمس، ثم إن هرمس أهدها إلى
پيلوپس Pelyps جد أجاممنون.

أما هيلانه فقد تزاحم عليها الخطاب. لكن أجاممنون استطاع إقناع أبيها
توندار بأن يزوجهها لمنلاس، أخي أجاممنون. وكان سائر الخطاب قد أقسموا على
أن يدافعوا عمّن يحظى بالزواج من هيلانه.

لكن باريس، ابن فريام Priam ملك طروادة، جاء إلى اسبرطة وأحسن
منلاس ضيافته؛ لكن زوجته هيلانه هامت به حباً. وبعد ذلك بتسعة أيام سافر
منلاس إلى كريت لحضور جنازة جدّه أتريوس. فانتهاز باريس فرصة غياب منلاس
وهرب مع هيلانه، حاملاً معه خزان منلاس التي كانت تحتوي على كنوز فاخرة.

وبعد ذلك بعدة سنوات، لما تبين استحالة تسوية هذه المشكلة بالطرق
الدبلوماسية، أجمع أجاممنون وسائر ملوك اليونان على إرسال حملة، بقيادة
أجاممنون، لإخضاع طروادة واستخلاص هيلانه.

ولما وصل العاشقان إلى طروادة بعد ثلاثة أيام من السفر بالبحر، عُقد الزواج
بينهما رسمياً، على الرغم من معارضة العديد من الرؤساء في طروادة، ومنهم
هكتور؛ وعاشا معاً حتى مصرع باريس. بعد ذلك بتسع سنوات، بواسطة سهم
أطلقه فيلوكتيت. وحينئذ تزوجت هيلانه بأخيه دايفوب Deiphobe.

ونعود إلى أجاممنون فنقول انه لما حشد الجيش والأسطول في أوليس
(بإقليم بوثيا)، هبت رياح معاكسة منعت من الإبحار. فلما سُئل العزاف كلخاس
عما ينبغي فعله لتهدئة البحر أعلن أن الإلهة أرتميس هي التي فعلت ذلك لغضبها
على أجاممنون لأنه كان قد أهانها أو لأنه كان قد أهمل القيام بتقديم الأضاحي
لها. وهنا تختلف الروايات اختلافاً شديداً حول السبب في غضب الإلهة أرتميس
على أجاممنون: فالبعض يقول إن السبب في هذا الغضب هو أن أجاممنون تفاخر

بأنه أكبر مهارة في الصيد من أرتميس إلهة الصيد هي نفسها. ورواية ثانية، تقول إن أجامنون كان قد أقسم بأن يضحي لأرتميس بأجمل نتاج السنة، وكان أجمل نتاج السنة هو ابنته ايفجنيا، ولكنه لم يف بوعده هذا. ورواية ثالثة تقول إن أرتميس عاقبته على جريمة ارتكبها أبوه أتريوس وهذه الجريمة هي أنه أهمل في أن يضحي بأحسن خروف في قطيعه من الضأن. أما اسخولوس فقد رأى أن السبب في غضب أرتميس على أجامنون يرجع إلى الإشارة التي أرسلها زيوس ليؤكد لأجامنون نجاح الحملة الموجهة ضد طروادة: وهذه الإشارة هي: نشران يرمزان إلى أجامنون ومنلاس وهما يمزقان أرنبة حبل، على مرأى من كل الجيش اليوناني. ولما كانت أرتميس تحمي الحيوان البري، فقد غضبت غضباً شديداً بسبب التضحية بحيوان بري، ولهذا منعت الأسطول اليوناني من الإبحار. وطالبت أرتميس بأن يضحي أجامنون بابنته ايفجنيا، حتى تسمح للأسطول بالإبحار! وكانت ايفجنيا تعيش في موقانس. فبعث أجامنون رسولاً إلى قلوطنسترا يطلب منها أن ترسل إليه ايفجنيا ليزوجها بأخيلوس! وانخدعت قلوطنسترا وأرسلت ايفجنيا إلى أبيها أجامنون الذي اقتادها إلى المذبح، حيث ذبحها الكهنة أمام أبيها. ولهذا السبب فإن قلوطنسترا امتلأت حقداً شديداً على زوجها أجامنون لخداعه إياها وارتكابه هذه الجريمة النكراء. وسنرى في مسرحيتنا هذه أن تضحية أجامنون بابنته ايفجنيا كانت أقوى سبب عند قلوطنسترا لقتل زوجها والانتقام منه، لما أن عاد من الحملة ضد طروادة.

وهنا يلاحظ أن هوميروس، في «الإلياذة» لا يعرف شيئاً عن هذه التضحية بإيفجنيا، بل على العكس من ذلك يقول إن أجامنون عرض بناته الثلاث (ومنهن ايفجنيا إذن) على أخيلوس كي يقنعه بالانضمام إلى الحملة المذكورة. أما يوريفيدس فإنه في مسرحية: «إيفجنيا في بلاد التوريين» فقد اعتمد الرواية التي تقول إن ايفجنيا لم تمت حين قُدمت للذبح، لأن أرتميس وضعت بدلاً منها غزالة في آخر لحظة، ونقلت إيفجنيا إلى إقليم توريكا (في شبه جزيرة القرم التي تتبع الآن أوكرانيا).

وبعد سقوط طروادة اتخذ أجامنون من كسندرا خليفة له. وكسندرا (وتسمى أيضاً: الكسندرا) هي ابنة فريام ملك طروادة، وأمها هي هيكوبا Hecube. وهوميروس يقول إنها كانت أجمل بناتها. وقد تحالف أوثرونية Othryonée الذي

من كبسوس Cablesos مع فريام حين قامت حرب طروادة لما أن وعده فريام بأن يزوجه كسندرا عند نهاية القتال. كذلك جاء إلى طروادة كوروبس Corobos على أمل الزواج منها. لكن هذين الرجلين قُتلا في المعركة.

وتروي الروايات أن كسندرا كانت ذات قدرة عظيمة على التنبؤ بالمستقبل. ولما كانت شابة وقع الإله أبولون في غرامها، وراح يغازلها، وعلمها فن التنبؤ بالغيب ابتغاء نيل وصالها. لكن كسندرا رفضت محاولاته لكسب رضاها. وهنالك فرض عليها أبولون أن تتنبأ دون أن يصدق أحد تنبؤاتها؛ رغم أنها تنبؤات صادقة ستتحقق فعلاً.

وكانت كسندرا حين تتنبأ تبدأ فتدخل في حالة هذيان؛ ولهذا كانت أسرتها تظن أنها مجنونة. ومن تنبؤاتها أنه حين جاء باريس إلى طروادة لأول مرة، فإنها تنبأت بأنه وهو طفل كان قد ترك معروضاً على جبل إيدا Ida، ولم يعرفه أهله. وتنبأت بكل البلاء الذي سينتج من سفرته إلى اسبرطة. كذلك تنبأت بالخطر الذي سينجم عن إدخال فرس من الخشب في داخل طروادة، مملوء بالرجال الذين استطاعوا أن يخرجوا منه ويفتحوا أبواب طروادة من الداخل مما سيمكن اليونانيين المحاصرين لها من اقتحامها ثم الاستيلاء عليها. - لكن أهل طروادة أصموا عن تصديق تحذيرات كسندرا.

وفي لحظة الاستيلاء على طروادة وإحراقها، أمسك بها أياس، ابن اويليه، وكانت قد التجأت إلى معبد الإلهة أثينا وتمسكت بالتمثال المقدس لهذه الإلهة فجرها، وقلب التمثال، وفسق بكسندرا في نفس المكان، بينما أشاح التمثال بوجهه عن هذه الفعلة الفاحشة. ولأن اليونانيين لم يعاقبوا أياس، فإن أثينا عاقبت اليونانيين بأن جعلت الكثيرين منهم يهلكون إبان عودتهم. وفرضت جزية على شعب أياس Ayas وهم اللوكريون، فاضطروا إلى دفع هذه الجزية طوال ألف سنة.

وفي توزيع الغنائم من الأسرى، كانت كسندرا من نصيب أجاممنون، الذي اتخذها خليلاً له. فأنجبت له ولدين هما: تلداموس وبيلوپس. ثم جاء بها إلى موقانس. فقتلتها قلوطنسترا كما قتلت أجاممنون. وقبل قتلها كانت قد تنبأت بمصيرها ومصير أولادها، وبالمصير المأساوي لأسرة أجاممنون. وسترى تفصيل ذلك في كلامها في نهاية هذه المسرحية.

أما عن مقتل أجاممنون فإن هوميروس يقول إن ايجيست دعا أجاممنون إلى مأدبة، ثم هاجمه هو ومجموعة من الرجال المسلّحين؛ وقتله. وهذه الرواية تختلف اختلافاً تاماً عن الرواية التي اعتمدها اسخولوس في مسرحيتنا هذه.

- (٢) -

خلاصة المسرحية

وأما مسرحيتنا هذه - وتدور حول أجاممنون - فتتلخص فيما يلي:

الحارس الساهر يلمح إلى أن القصر ينطوي على سرّ رهيب. أما هو فينتظر وصول إشارة ضوئية من المشاعل التي تنقل الأنباء ابتداءً من طروادة (في آسيا الصغرى) حتى مكان للمراقبة وهو على سطح القصر الملكي في مدينة أرجوس التي يتربع على عرشها أجاممنون.

وهو يوجه الكلام إلى كورس مؤلف من شيوخ مدينة أرجوس. وهم لا يزالون يجهلون نتيجة حصار اليونانيين لمدينة طروادة. وكان أسطول ضخم يقوده أجاممنون قد ذهب إلى طروادة لاستخلاص هيلانه - زوجة منلاس، أخي أجاممنون - لما ان هربت مع باريس، أمير طروادة؛ لكنهم، أعني هؤلاء الشيوخ، قد أحسوا بأن ثمة استعدادات لاحتفال، لا بدّ أنه من أجل اعلان انتصار اليونانيين. ثم تذكروا نبوءة كانت قد أعلنت لهم أن الانتصار ستعقبه مصائب رهيبة. وقد تمثلت هذه النبوءة على شكل نسور تلتهم أرنبه بريّة عشراء. وقد فسّر العرّاف كولخاس هذه الرؤيا بأنها تحذير من الإلهة أرتميس - وأرتميس تحمي الضعفاء والحيوان، لكن أجاممنون يريد أن يدمّر طروادة ويهلك كل أهلها. وهم أبرياء من الجريمة التي ارتكبتها باريس بخطفه لهيلانه.

وبدأت أرتميس انتقامها بأن منعت من قيام الأسطول اليوناني الحامل للجيش اليوناني الذهاب إلى طروادة، بأن سلطت على الميناء ريحاً عاتية. ولم ترضَ بتهدئة الريح إلاّ لقاء أن يضحّي أجاممنون بأعزّ ما لديه من إنتاج في هذا العام، وهو ابنته ايفجنيا. فاضطر أجاممنون صاغراً إلى دفع هذا الثمن، وقدم ابنته ليذبحها كهنة أرتميس. فكانت هذه هي أولى مصائب هذه الحملة.

لكن ما ذنب هذه البنت الحديثة الولادة؟ هذه جريمة أخرى على أجاممنون أن يكفر عنها. وهذا ما عبّر عنه العزّاف كولخاس فقال: «إن هذا البيت تحرسه قهرمانه غدّارة هي «الغضب» الذي لا ينسى، ويريد أن ينتقم لذبح هذه الطفلة».

وهذه الطفلة هي ابنة قلوطنسترا، التي حزنت حزناً شديداً على مصرع ابنتها. . وأداها هذا إلى التدبير للانتقام من أجاممنون، زوجها ووالد إيفجنيا.

وجاء رسول أخبرها بأن اليونانيين انتصروا على أهل طروادة واستنقذوا هيلانه، وأن زوجها أجاممنون بسبيل العودة إلى وطنه. وذكر الرسول في تقريره أمامها وأمام جمع الشيوخ من أهل أرجوس أن اليونانيين قد دمروا كل معابد الآلهة في طروادة، وأهلكوا شعب طروادة. إن باريس قد قُتِلَ في القتال. ولقي بهذا جزاءه عن فعلته: أي الهرب بهيلانه. ففيم إذن كل هذه الفظائع: من تدمير معابد الآلهة في طروادة، والتضحية بالآلاف من اليونانيين من أجل استنقاذ «فاجرة» هربت مع عشيقها باريس؟!

إن «العدالة» لا بد أن تنتقم من أجاممنون. وتصوّرت زوجته قلوطنسترا أنها هي يد هذه العدالة.

وعاد أجاممنون إلى بلدة أرجوس وقصره فيها. وراح يتبجح بهذا الانتصار، ويبالغ في ذلك بوقاحة منقطعة النظير، أثارت حفيظة هؤلاء الشيوخ العقلاء الذين توقعوا من هذه الوقاحة (الهويريس) أن تنقلب عليه، لأن الآلهة تبغض تجاوز الحد - وقد عاد أجاممنون مصحوباً بأسيرة طروادية هي كسندرا.

وكانت كسندرا رمزاً حياً متجسداً لطروادة المدمّرة، ولكل الأبرياء الذين قُتِلوا انتقاماً لأمر تافه لا يستحق كل هذه الفظائع. وهي أيضاً مُنبئة صادقة التنبؤ، لكن أحداً لا يصدقها لا من أهلها ولا من هؤلاء الشيوخ الغرباء، الذين من أرجوس. فهي تتنبأ بمصرع أجاممنون، لأن آلهات الانتقام تتربص به وبكل سلالة آل أتريوس - ومنهم انحدر أجاممنون - بسبب ما ارتكبه جدهم أتريوس من جرائم. فهي تتنبأ باغتيال أجاممنون على يد زوجته قلوطنسترا، كما تتوقع اغتيالها هي نفسها على يد قلوطنسترا وخليلها ايجيست؛ وتتوقع أيضاً اغتيال قلوطنسترا وخليها هذا. لكنها تتعزى عن مصرعها المقبل بمصرع أجاممنون مدمر وطنها، وبمصرع قلوطنسترا قاتلتها المقبلة.

وبعد أن اغتالت قلوطنسترا زوجها بأن لفتته في شبكة وهو في الحمام لم يستطع أن يفك نفسه منها، ظهرت أمام شيوخ أرجوس، وراحت بكل حقد ووقاحة تتباهى بجريمتها، مدّعية أنها كانت مجرد أداة في يد «العدالة» الإلهية للانتقام من جرائم أجاممنون؛ وأولها في نظرها تقديم ابنتهما ايفجنيا للذبح استجلاباً لرضا أرتميس. ولما هددها هؤلاء الشيوخ، بادلتهم بالتهديد بما سيفعله خليلها ايجيست بهم الآن وقد خلا له الميدان بعد مصرع أجاممنون. لكن مَنْ ايجيست هذا حتى يجرؤ على تهديدهم؟ إنهم يعتبرونه أنه بقي في أرجوس جباناً حقيراً فاسقاً غداراً: جبان لأنه لم يشترك في الحملة، وغدار لأنه خان الأمانة بأن زنا وفسق بقلوطنسترا زوجة الملك. وهو حقير لأنه اشترك في قتل أجاممنون، واستولى على خزائنه بعد قتله.

- (٣) -

خصائص شخصيات المسرحية

والآن وقد ذكرنا خصائص ايجيست، فلنذكر خصائص باقي شخصيات المسرحية:

أما أجاممنون فيبدو ملكاً يستحق التعاطف. صحيح أنه تبجح بتدمير طروادة وقتل باريس الذي كان السبب الأول في قيام هذه الحرب، لكنه مع ذلك نسب الفضل في هذا النصر الى الآلهة، لا إلى نفسه ورفاقه. ورفض ان تعامله زوجته كإله، لما أن فرشت الأرض أمامه بالأبسطة الثمينة.. وهو يبدو رقيق المشاعر لو قورن بزوجته التي تبدو متوحشة حقوداً مملوءة شذوذاً وغيظاً. إنها نموذج الحقد والغيرة والمطامع الشهوانية والفجور الوقح. ولا نعرف في المسرح شخصية امرأة تثير النفور والكراهية والازدراء مثل قلوطنسترا. إن حقدتها على زوجها قد دفعها أولاً إلى خيانتها والزنا مع ايجيست هذا العُتُلُ الزنيم. ودفعها ثانياً إلى التدبير ثم التنفيذ لقتل زوجها أجاممنون. وهي تنتحل أعذاراً واهية لتبرير جرائمها الوحشية. وتتباهى بمسؤوليتها عن الجريمة وهي ممسكة بالسيف - أو بالبلطة - في يدها، مما يدل على أقصى درجات الفجور. وهي تلقي بالمسؤولية على روح - أوجتى - السلالة، سلالة آل أتريوس.

هاتان هما الشخصيتان الرئيسيتان في المسرحية .

ويتلوهما في الأهمية شيوخ مدينة أرجوس الذين يؤلفون الكورس . وهم يمثلون الصفوة من شعب هذا البلد . وهم يتحلّون بالنزاهة في الحكم ، والشجاعة في التنفيذ بأعمال الحُكّام إن كانت تتسم بالظلم والاستبداد : فهم يأخذون على أجاممنون ذبحه لإبنته ايفجنيا في سبيل استرضاء أرتميس كي تؤاتي الأسطول بريح مؤاتية للإبحار ، ويأخذون عليه أنه حشد كل هؤلاء الجنود وأبحر بالأسطول من أجل إرجاع عاهرة فاجرة - هي هيلانه - إلى حضن زوجها الذي هربت منه طوعاً للحاق بحبيبها الذي أغرمت به : باريس - وهو إرجاع كلف اليونانيين الآلاف من الضحايا وأدى إلى اهلاك سكان مدينة طروادة وتدمير معبد الآلهة فيها وتخريب بيوتها . لكنهم ، أي هؤلاء الشيوخ - لا يملكون إلا اللسان ، ولا يستطيعون أن يغيروا شيئاً بأيديهم ، ولهذا قنعوا بالكلام واستسلموا للقوة ، فلم يتمردوا بل بقوا على احترامهم لأجاممنون ملكهم . و فقط حين تعلق الأمر بايجيست فإنهم امتشقوا سيوفهم واستعدوا لقتاله إن هاجمهم . ثم إنهم لما سمعوا صراخ أجاممنون لما أن انهالت عليه قلوطنسترا بالسيف - أو بالبلطة - فإنهم لم يحركوا ساكناً ولم يهرعوا لإنقاذ هذا المستصرخ ، بل راحوا يتشاورون ويتجادلون ، وانقسموا في الرأي ، تاركين الجريمة تتم فصولها دون أن يحركوا ساكناً - وكان موقفهم هذا شائناً حقاً ، لأنهم لا يستطيعون تبرير سلوكهم بأنهم شيوخ عاجزون ، بدليل أنهم حينما واجهوا ايجيست امتشقوا - او امتشق رئيسهم - سيفه لمواجهة عدوان هذا الرجل . . . وتتجلى وضاعة سلوكهم في قول هذا الرئيس : «ما أريده هو السعادة التي لا تثير الحسد . ليتني لا أكون مخزباً لمدن ، ولا أميراً يصبح مستعبداً لنزوات منتصراً! » - وهم متحفظون شكاكون ، وهذا أمرٌ يليق بأعمارهم ، ولهذا شكوا في النبأ الوارد بانتصار اليونانيين ، خصوصاً وأن الذي أبلغهم هو امرأة وقالوا : «إن من شيمة المرأة التي تحكم وتأمّر أن تهنيء نفسها بالسعادة قبل ان تحصل ، إن المرأة ساذجة الاعتقاد في تمنياتها إلى درجة أنها تسارع في تصديق الأوهام ؛ لكن الأنباء التي تعلنها سرعان ما تذهب أدراج الرياح» .

تاريخها ومكانتها

ومسرحية «أجاممنون» هي المسرحية الأولى في ثلاثية تدعى «الأورستيات» تتألف من: «أجاممنون» و«حاملات القرابين» و«المحسنات». وقد مثلت في سنة ٤٥٨ ق.م في عهد أرخونية فيلوكلس Philocles وقد حصلت حينئذ على الجائزة الأولى.

والمسرحيات الثلاث المذكورة يواصل بعضها بعضاً: والأولى موضوعها هو اغتيال أجاممنون بواسطة زوجته قلوطنسترا المتواطئة مع خليلها ايجيست، والمسرحية الثانية: «حاملات القرابين» موضوعها هو انتقام أورست من هذين القاتلين لأبيه؛ والمسرحية الثالثة: «المحسنات» موضوعها هو محاكمة أورست، الذي طارده آلهة الانتقام، لكن برأته المحكمة (الأريوفاغ).

باريس في ١٧ ابريل ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

«أجاممنون» شخصيات المسرحية

الديديبان الساهر

كورس من شيوخ مدينة أرجوس

قلوطمسترا: ابنة توندار وليدا، وزوجة أجاممنون

أجاممنون: ابن أتريوس، وملك أرجوس وموقانس

منادي

كسندرا: ابنة فريام وهيكوبا؛ وأسيرة عند أجاممنون

ايجيست: ابن تويست، وابن عم أجاممون، وعاشق لقلوطمسترا

(في أعماق الأوركسترا يقوم قصر آل أتريوس . على السطح يتمدد الديدبان الساهر).

الساهر: إنني أتوسل إلى الآلهة أن تُنهي متاعبي . فمنذ سنوات طويلة أنا أسهر على هذا السرير، في قصر آل أتريوس، دون انقطاع، كأنني كلب . . فتعلمت معرفة جماعة النجوم الليلية، وخصوصاً تلك الكواكب التي تأتي لبني الإنسان بالشتاء والصيف، وهي أمراء مضيئون بنيران الأثير، وأعلم عنها شروقها وغروبها. وهأنذا لا أزال أترصد إشارة الشعلة، ذلك الضوء المشتعل الذي يأتينا من طروادة بالنبا، نبأ النصر فبهذا أمر القلب الجزع لامرأة ذات مقاصد رجولية. لكن حينما أكون هاهنا، على هذا المرقد المُبلل بالندى، والذي يحتجزي إبان الليل بعيداً عن بيتي، مرقدي الذي لا يعرف زيارة الأحلام - لأنه، بدلاً من النوم لا يقترب منه إلا الخوف الذي يمنعني من إغلاق جفوني للحصول على نوم هادئ - أقول: إنني حين أريد أن أغني أو أن أزمزم، وأن أستخدم الأغاني علاجاً ضد الغفلة، فإنني انخرط في الزفرات، ناعياً حظّ هذا البيت الذي لم يعد يسود فيه النظام الجميل الذي ساد في الماضي! ألا ليت النهاية السعيدة لمتاعبي تشرق اليوم، بأن تضيء النار - رسولة السرور - ما يحيط بي من ظلمات.

(نور يظهر على البحر. الساهر ينهض نصف نهوض، وبانفعالٍ يقول:)

السلام عليك، أيتها الشعلة، التي تولد الضياء في وسط الليل، فتتكوّن جوقات عديدة في مدينة أرجوس ابتغاء الاحتفال بالفوز!

(ينهض باندفاع ويصرخ بكامل صوته صرخة متواصلة).

يوا! يوا! إني أنبّه بصيحات عالية، زوجة أجامنون، كي تنهض بسرعة من مرقدها. وأن تأمر بأن يرتفع من هذا القصر صيحة طويلة من الفرح، جواباً عن هذه الشعلة: صيحة تخبر أن إليون قد تم الاستيلاء عليها، وها هي ذي إشارة النار تعلن ذلك. وأنا أول من يفتح الاحتفال، بأن أرقص. الضربات الجيدة التي قام بها سادتي سأضيفها أنا إلى حسابي^(١): بهذا الفانوس أنا أحسب ستة ثلاث مرات. وعلى كل حال فإنه في اليوم الذي سيعود فيه مولاي سأستطيع أن أرفع بيدي يده العزيزة. ولا أقول أكثر من هذا: إن ثوراً هائلاً يقف على لساني^(٢). وهذا القصر، لو أوتي ملكة النطق لقال الحقيقة كلها. وأنا، إن كنت أخاطب أولئك الذين يعلمون، فإني أتعهد أن أتناسى كل شيء.

(يخفي في القصر وعن يمين يدخل اثنا عشر عجوزاً ببطء في الأوركسترا).

رئيس الكورس: منذ عشرة أعوام شاهد فريام Priam عدواً رهيباً لهم: منلاس Menelas وأجامنون، ابنا أتريوس، وهما قوتيان، وقد شرفهما زيوس بعرش مزدوج، وسلطان مزدوج؛ وقد جتدا من هذا البلد أسطولاً أرجوسياً مؤلفاً من ألف سفينة، كي يسندا قضيتهما بقوة السلاح.

ومن أعماق قلوبهما الغاضبين أعلننا الحرب، مَثَلُهُما مَثَل الرخم التي أذهلها ما أصاب صغارها فراحت تدور في الهواء فوق المنطقة، ضاربة المكان برفرقة أجنتها، وقد ضاع تعبها في صيانة صغارها في الوكر.

ومن فوقها إله - هل هو أبولون، أو بان Pan، أو زيوس؟ - يسمع بلغة الطير، الشكوى الحادة لضيوف السماء^(٣) هؤلاء، وعاجلاً أو آجلاً سيرسل إلى الجُناة إلهة الانتقام.

(١) تتم اللعبة بوضع القشطات بحسب عدد النقط التي جاء بها النهر. وستة ثلاث مرات هي أحسن ضربة ممكنة. وأجامنون هو الذي ضرب هذه الضربة؛ لكن الديدبان الساهر يريد أن يكسب منها: بمعنى أن هذا الخبر سيكفل له مكافأة.

(٢) هذا مثل، ومعناه: لساني ليس حرّاً.

(٣) حرفياً: لهؤلاء المستأمنين (أو: الغرباء، فهو يشبه الطيور بالغرباء المقيمين في الأثير الذي هو مجال الآلهة ويجب إذن أن يكون لها آلهة لحمايتها وتكون هذه الطيور في ذمتها.

وهكذا يرسل زيوس المضيف^(١) إلى الاسكندر ابني أتريوس؛ وبعد ذلك، ومن أجل امرأة كانت لأكثر من رَجُل، ستخوض السواعد في قتال لا يهدأ، وتمسّ الرُكْب التراب، وتتكسّر الرماح منذ بداية القتال، وفقاً للنصيب الذي قرره زيوس للطرواديين والدانائيين معاً.

وأياً كان الطريق الذي يسير فيه المستقبل في تلك الساعة، فإن هدفه قد حدّده المصير^(٢). غَدُّ نارك بالخشب من أسفل وبالزيت من أعلى^(٣). فلا شيء سيهدىء الغضبة الصارمة للقرايين التي لا تريدها الشعلة.

وفيما يتصل بنا نحن الذين لا نستطيع أجسامنا أن تدفع ما عليها من دين، والذين تركهم الجيش الراحل للدفاع عن حقوقنا، نحن باقون ها هنا، مستندين إلى عِصِيٍّ بها نستمد قوة شبيهة بقوة الأطفال. أما العصاراة التي تتصاعد في صدور فتية فإنها تماثل تماماً تلك التي عند الشيوخ: لكن آرس Ares ليس هنا في مكانه! ثم من هو الرجل العجوز جداً، حينما تصوّح أوراقه؟ إنه يمشي على ثلاث أرجل، وقوّته لا تزيد عن قوة الطفل، وهكذا يسير مثل حلم يظهر في رابعة النهار.

عليك أن تتكلمي يا بنت تندار، يا أيتها الملكة قلوطنسترا^(٤): ماذا هناك؟ ماذا عرفت؟ استناداً إلى أية رسالة تدعو أوامرك إلى تقديم قرايين؟

كل آلهة المدينة، إلهة السماء والعالم السفلي، آلهة البيت^(٥) والميدان العام - تشاهد مذابحها محمّلة بهداياك.

ومن كل النواحي تتصاعد حتى السماء، بفضل زيتٍ مقدّس طبيعته ليست

(١) أي: زيوس حامي الضيوف.

(٢) الكورس يتكلم عن الطرواديين، لكنه يفكر أيضاً في اليونانيين عبثاً سيصلي الطرواديون، لأنهم لن يفلتوا من المصير المقدر لهم، لأن الآلهة قد أدانتهم. لكن اليونانيين سيلقون أيضاً بلايا كبيرة وسيفقدون العديد من المحاربين.

(٣) حينما لا تشتعل القرايين فإن معنى هذا أن الآلهة غير راضية عنها، فتغضب لذلك غضبة لا سبيل لهدئتها. أما الشعلة التي تتصاعد عالياً من المذبح فهي على عكس ذلك علامة فال حسن.

(٤) هؤلاء الشيوخ لا يشاهدون الملكة؛ لكنهم قابلوا خدمها وهم يحملون القرايين إلى كل المعابد. والبخور يدخن أمام القصر.

(٥) حرفياً: آلهة الأبواب. وقد جرت العادة بأنه في الاحتفالات العامة، وخصوصاً عند إعلان نبأ سعيد، أن يحرق كل مواطن بخوراً أمام بيته.

خداعة^(١) - شعلة القرايين الملكية المأخوذة من أعماق القصر.

عن كل هذا خبريني بما يمكن وما يجوز العلم به، واشفي نفسي القلقة التي تتعذب أحياناً، لكنها في أحيان أخرى - أمام الأضاحي التي تستنبطين منها الأضواء - تشاهد الأمل يطرد عن نفسه الهمُّ الذي لا يشبع من الآمي.

الكورس: أستطيع أن أقول على الأقل ما هو الفأل القدير الذي حيّا رحيل رجالنا وهم في تمام القوة - إن الآلهة لا تزال تُبقي على القوة في عُمرنا، وهي الايمان الذي توحى به أناشيده -

وكيف أن الملكين القويين للأخاويين، واللذين تتآمر إرادتهما المتحدة على الشباب اليوناني، والرمح والذراع مستعدان للانتقام - قد رحلا إلى بلاد الطرواديين، مصحوبين بفأل حربي: مَلِكَاَن من ملوك الطيور ظهرا لملوك السفن، أحدهما أسود فاحم، والآخر ظهره أبيض. لقد ظهرا بالقرب من القصر، من جانب الذراع التي تلوّح بالرمح، وقد حلّقا بوضوح وهما بسبيل التهام أرنبه عشراء لم تظفر بحظ الشوط^(٢) الأخير.

أنشد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظرن الحظ السعيدا.

ولدى هذا المنظر تعرّف عرّاف الجيش الحكيم في هذين الملتهمين الحربيين للأرنبه ابني أتريوس الأثنين المتماثلين في الإرادة، ورئيسي الحملة. وقال مفسراً هذه الأعجوبة.

«نعم، بمرور الزمن سيستولي على طروادة أولئك الراحلون في هذه الساعة؛ والكنوز التي جمعها الشعب وراء هذه التحصينات سيعرضها «المصير» القاسي للنهب. لكن احذروا من أن يأتي غضب إلهي ويسبق ويضرب ويغطي بظله اللجام الذي يجب أن يستلم طروادة - الجيش الجاهز هنا. ذلك لأن أرتميس الطاهرة، وقد شعرت بالشفقة سخطت على الكلاب المجنحة التي لأبيها، والتي ذبحت الأرنبه البائسة مع حَمَلها قبل أن تلد: إن أرتميس تكره مأدبة النسور.

أنشد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظرن الحظ السعيدا

(١) كانت مهمة الزيت إهاجة النار؛ وهو بطبيعته يوقظ النار، ولا يخمدها.

(٢) هذه التعبيرات مأخوذة من رطانة القناصين الذين يميزون بين عدة مراحل في مطاردة القنص.

وهأنذا أتوقف: فهذا هو كل ما دعيتني إلى تفسيره «الجميلة»^(١) - جداً» من العلامات التي أتتنا بها هذه الطيور، إن هذه «الجميلة جداً» تولي عطفها للشمار الضعيفة التي تنتجها الأسود، وللمواليد الرقيقة التي تنتجها دواب الحقول. وتلك العلامات هي علامات أمل وخوف معاً!

آه! أستغيث ببيان Paen، الإله الذي يتوسل إليه بالصيحات الحادة، من أجل ألا ترسل أرتيميس إلى سفن الدانائين رياحاً معاكسة توقفها في الميناء زماناً طويلاً، مطالبة بدورها بتضحية هائلة تبقي أصحابها لها كاملة، وتولد النزاع في وسط الأسر ولا تحترم أي زوج. ذلك لأن وصيفة غدارة تحرس البيت، وهي مستعدة للتمرد ذات يوم رهيب، وهذه الوصيفة هي الغضب الذي لا ينسى، ويريد الانتقام لابنة صغيرة. تلك كانت المصائر المنحوسة، مضافة إلى خيرات لا ثمن لها، التي أعلنها كلخاس Calchas، في مواجهة علائم الرحيل، فيما يختص ببيت امرأتنا.

وبالاتفاق مع هذه العلائم، أنشد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظرنُ الحظَّ السعيد!

زيوس مهما يكن اسمه الحقيقي، إن كان هذا الاسم يرضيه، فإني أدعوه بهذا الاسم. لقد وزنت كل شيء: إني لا أقر إلاً بزيوس قادرٍ على أن يخلصني حقاً من ثقل جزعي العقيم.

كان في الماضي إله^(٢) عظيم» ذو جسارة متأهبة لكل المعارك: وذات يوم لم يعد أحد يذكر انه وجد، مجرد وجود. ثم جاء بعده آخر^(٣) وَجَدَ مَنْ يتغلب عليه وينهي وجوده. لكن الإنسان الذي يمجد - بكل روحه - الاسم الظافر لزيوس سيحظى بالحكمة العليا.

لقد فتح لبني الإنسان سُبُلَ الفطنة، بأن سنُّ لهم هذا القانون: «معاناة الألم من أجل الفهم». في النوم العميق، وتحت نظر القلب، حينما ينزُّ تأنيب^(٤) الضمير

(١) أي أرتيميس. وإليها ترجع الأرانب، ولهذه الصفة لا يتعرض لها الصيادون. ولهذا فإن النسور بالتهامها صغار الأرانب قد أهانت أرتيميس.

(٢) المقصود هو: أورانوس.

(٣) المقصود هو: خرونوس. وقد تغلب عليه زيوس.

(٤) يشبه تأنيب الضمير بجرح يفتح من جديد وتسيل منه الجدة، بينما كان يظن أنه التام وشفي.

المؤلم، فإن الحكمة تنفذ فيهم - على الرغم منهم - وأعتقد أن في هذا عنفاً^(١)
مُخسناً تسديه الآلهة الجالسون عند الدفة السماوية!

وهكذا، في تلك الأيام، أكبر رؤساء الأسطول الأخاوي تواطأ مع المصير
ذي الأهواء، أولى من أن ينتقد العرّاف. والأشرع مطوية، والبطن خاوية انفع
الأخاويون، وتوقفوا على مرأى من خلقيس Chalcis، وسط أمواج أوليس.

هبت الريح من تلقاء استرومون، حاملة معها تأخرات منحوسة، هي:
المجاعة، الإنزال المحفوف بالأخطار على الشواطئ، تشتت البحارة، العطب في
المراكب وفي الجبال، وبالابطاء المتجددة باستمرار تمزقت قلوب الأرجوسيين.
وحيثما جاء العرّاف - محتمياً باسم أرتيميس - وأعلن عن دواء^(٢) أشد مرارة على
قلوب الزعماء من العاصفة المرّة، فإن أتریوس ضربوا الأرض بعصيتهم ولم
يستطيعوا أن يحبسوا دموعهم.

وتكلم أكبر الملوك سناً فقال: «مصيري قاس، إذا أنا عصيت وتمردت؛ وهو
قاس أيضاً أن يفرض عليّ أن أضحي بابنتي، التي هي جوهرة بيتي، وأن أنجس
يديّ الأبويتين بالدم المنبجس من عذراء مذبوحة. أفلا يوجد حلّ لا يكون مصيبة؟
وهل أستطيع أن أفّر من أسطولي، وأتخلّى عن حلفائي؟ إذا كانت هذه التضحية،
وهذا الدم العذراوي، يحبس الرياح فمن الممكن أن أقوم بهذه التضحية بحمية
وحماسة، دون أن أكون قد ارتكبت جريمة.. وليكن في ذلك خلاصنا!»

ولما غدا جيشه تحت نير المصير، حدث في نفسه انقلاب نجس فاسق
كافر: لقد أصبح مستعداً للمخاطرة بكل شيء، واتخذ قراره النهائي: ذلك لأنه عند
ينبوع كل الشرور يوجد الجنون القاتل ذو الخطط الشائنة، والذي ينفخ الجراة في
بني الإنسان. لقد تجاسر على أن يضحي بابنته، من أجل أن يساعد جيشاً على

(١) تأنيب الضمير هو عنف ينتج لما هو خير، لأنه يفتح عيون بني الإنسان.

(٢) هذا الدواء هو التضحية بإنسان، وكان كلكاس قد أعلن ذلك بلغة مستترة وألفاظ غامضة، حينما
فسر علائم النسور، وهي تضحية رهيبة فيها بقايا الأضاحي لن تقسم من أجل المأدبة ولا بد أن
تؤدي إلى انتقام الأم. وهذه التضحية ليست مفروضة على أجاممنون، وإنما جعلت منها الإلهة
شرطاً لوقف عصف الرياح، فإن كان يريد تدمير طروادة، فإن عليه أن يدفع الثمن الباهظ لهذا.
والحكمة تقتضي ألا يقوم بهذا العمل؛ لكن الحكمة لا تعلم إلا بالتألم، بيد أن أجاممنون سيتدرع
بحجج واهية لتبرير تضحيته بابنته افيجنيا.

استنقاذ امرأة، ويفتح البحر أمام السفن^(١)!

توسلاتها وتضرعاتها إلى أبيها - وحتى سِنها، سنّ العذارى، كان لا شيء في نظر الزعماء المتعطشين للحرب! . والأب، بعد أن دعا الآلهة، أعطى الإشارة إلى الخدم، كي يرفعوها فوق المذبح - وكأنها معزة - وكانت مغطاة بالأقنعة وتمسكة بالأرض في يأس بالغ، فأمسكوا بها، ورفعوها، بينما أُغلقَ فمها بخرقة، منعها من الصراخ باللعنة على أهلها - .

وكل هذا تمّ بالقوة القاهرة والوحشية التي لا ضابط لها! وكان ثوبها المصبوغ بالزعفران ينجّر على الأرض، وسهم نظراتها ينطلق ليخرج بالشفقة كل واحد من جلاذيتها. وقد بدت كأنها صورة، عاجزة عن النطق، وهي التي كانت، في مرات عديدة، في قائمة المآذب التي كان يقيمها أبوها، تغني، وبصوتها الصافي، صوت العذراء المحبوبة - تنشُد لدى الرشة الثالثة، الأنشودة السعيدة لأبيها المحبوب^(٢).

وما تلا ذلك أنا لم أشاهده، ولا أستطيع أن أخبر به. لكن فنّ كلخاس ليس عبثاً، والعدالة لا تمنح الفهم إلا لمن عانى الآلام. أما المستقبل فسيعرف حين يحدث: وحتى ذلك الحين، فليمض في طريقه! وإلا لكان معنى ذلك أن يريد المرء أن ينوح مقدماً! إنه سيتجلى بوضوح في الشمس التي ستري ميلادي. والآن، على الأقل، يا ليت يشرق النجاح الذي تتمناه تلك^(٣) التي تقيم أقرب ما تكون إلى السيد وتظل هنا التحصين الوحيد الذي يحمي أرض أيس^(٤).

(تظهر قلوطنسترا عند أحد أبواب القصر).

رئيس الكورس: جئت لأقدم فروض الولاء لعظمتك، يا قلوطنسترا: فمن العدل توقير الزوجة الملكية، حينما يكون العرش خالياً من الزوج لكن، هل لديك نبأ سعيد؟ أو «الأمل» هو الرسول الحلو الذي يدعوك إلى تقديم الأضحى؟ سأصغي إليك بسرور، لكن إن اعتصمت بالصمت، فإني لن أغضب منك.

(١) من المحتمل أن يكون المقصود هنا هو أن أجاممنون هو نفسه أمسك بالسكين ليذبح ابنته افيجنيا.

(٢) أعني اللحظة التي فيها ينتهي تناول الطعام ويبدأ الحديث. حينئذ كانت تجري ثلاث رشات طقوسية، والثالثة منها توجه إلى زيوس المنجّي وتلوه أحياناً نشيد.

(٣) أي: قلوطنسترا.

(٤) أي: بلاد الپلپونيز في جنوب بلاد اليونان.

قلوطينسترا: ليت الفجر، بنبئه السعيد، يشابه - كما يقول المثل، الليل الذي هو ابن له! سرورك سيفوق أمك حينما تسمع النبأ: ذلك أن الأرجوسيين قد فتحوا مدينة فريام.

الكورس: ماذا تقولين؟ أنا لا أفهم، لأنه يعسر عليّ تصديقه.

قلوطينسترا: طروادة سقطت في أيدي اليونانيين: هل كلامي واضح؟

رئيس الكورس: إن السرور يملأ أرجاء نفسي ويستدر الدموع من عيوني.

قلوطينسترا: نعم، إن عيونك تفصح تماماً عن مشاعرك المخلصة.

رئيس الكورس: لكن هل لديك دليل أكيد على ما تقولين؟

قلوطينسترا: نعم عندي، اللهم إلا إذا كان أحد الآلهة قد أراد العبث بي.

رئيس الكورس: ألا تؤثر فيك ثققت الساذجة بالأحلام؟

قلوطينسترا: أنا لا أثق كثيراً برؤى النفس التافهة.

رئيس الكورس: هل شائعة مفاجئة تملوك بالأوهام؟

قلوطينسترا: هل تحسبني طفلة حتى تسخر مني هكذا!

رئيس الكورس: منذ متى فُتحت إذن إيون (= طروادة)؟

قلوطينسترا: منذ الليلة التي وهبتنا هذا النهار.

رئيس الكورس: أي رسول سريع اجتاز المكان؟

قلوطينسترا: هيفايستوس من الايدا Ida أطلق هذه الشعلة الواضحة! وبعد

هذا، أخذ كل فانوس يرسل إلينا فانوساً، كأنها سعاة بريد من النار. فالايدا أرسل

إلى صخرة هرمس في لمنوس، والاشارة الساطعة الواردة من جزيرة لمنوس

استقبلت في جبل آتوس حيث يحكم زيوس، وهذه هي المحطة الثالثة. وبوثبة قوية

تجتاز ظهر البحر انطلقت الشعلة القوية المسافرة وقد ملأها الفرخ^(١)

وأسرعت الشعلة في نقل لألائها الذهبي، كشمس الليل، إلى مرصد ماكستوس^(٢).

ولم يتأخر الجبل: إنه لم يكن رسولاً ذاهلاً وقع في التُّعاس وغفل عن دوره،

فارتحل ضوء فانوسه بعيداً نحو يوريب Euripe حاملاً النبأ إلى حُرّاس

(١) ها هنا خرم في المخطوطات. ومن المحتمل أن يكون قد ذكرت فيه محطة أخرى.

(٢) جبل في يوبيا - بحسب ما يقوله واضح الحاشية.

مِسَاطِيس^(١). وفي الحال أشعل هؤلاء جوابهم، وأرسلوا الرسالة إلى مكان أبعد، مشعلين النار في كومة من الخلنج الجاف. والشعلة استمرت دون توقف، وبوثبة واحدة اجتازت سهل اسوبوس^(٢)، مَثَلَهَا مَثَل القمر المضيء وعلى صخرة قيثرون أيقظت ساعي النار المكلف بالمواصلة. وهرع الحارس لتقديم نورٍ كفيل بمسافة طويلة، مشتعلًا أكثر مما أمر بإشعاله، فاندفعت الشعلة فوق بحيرة جورجويس^(٣) حتى بلغت اجيبلانكت^(٤)، داعية النار المفروضة إلى عدم تضييع الوقت. واشعلت نار شديدة اللهب، وأُزِيل قَبَس من النار قويّ حتى يذهب اللمعان بعيداً ويجتاز الرأس الذي يراقب مضيق سارونيك^(٥). وها هي الشعلة تندفع حتى تصل إلى جبل أرخنيه Arachné، وهو مرصد قريب من أرجوس، وأخيراً سقطت على سقف بيت آل أتريوس كنورٍ منبثق في خط مستقيم من شعلة الايدا^(٦)، تلك كانت القوانين المفروضة على حَمَلَة المشاعل. ولتنفيذها تناقلوا الشعلة كلُّ بدوره، والنصر هو للأول منهم كما هو للأخير^(٧). . وهذا هو «الدليل» - صَدَّقْنِي - والاشارة التي ارسلها إليّ زوجي من طروادة.

رئيس الكورس: يا أيتها السيِّدة، سأقوم عما قليل بتقديم آيات الشكر إلى الآلهة. لكن ماذا تقولين؟ أود أن أسمع هذا النبأ من جديد وأن أتمتع بالرضا والاعجاب على هواي.

قلو طمنسترا: في هذه الساعة اليونانيون استولوا على طروادة. ويخيّل إليّ أنني أسمع المدينة تتردد فيها صيحتان لا تتحدان معاً. صُبِّي الخل والزيت في نفس

(١) في بؤيتا، بالقرب من أنيدون.

(٢) نهر في بؤيتا.

(٣) في منطقة كوزثوس - بحسب ما يقوله هسوخويس.

(٤) لا يعرف عنها شيء في المصادر الأخرى.

(٥) لا بد أن أسخولوس يعني الجون الضيق الذي يكوّن الطرف الشمالي الغربي لخليج سارونيك.

(٦) الايدا: جبل عالي في جزيرة كريت.

(٧) انتهى البيان. فنفس النار انتقلت من الواحد إلى الآخر، بدءاً من طروادة. فالنبأ نقلته الفوانيس المتتابعة الواحد بعد الآخر، وهي في هذا تشبه حملة المشاعل الذين يتناقلون الشعلة الواحد بعد الآخر. وكما كان يحدث لحملة المشاعل في أتیکا، فإن النصر ينسب إلى كل العدائين الذين ينتسبون إلى نفس الفريق - وإلى نفس القبيلة التي ينتسبون إليها - وهنا أيضاً النصر يعود إلى كل الفوانيس من الأول حتى الأخير.

الإناء - فسينفصل كل واحد منهما عن الآخر، كما لو كانا عدوين . وبالمثل : المهزومون والمنتصرون لا تختلط أصواتهما ولا مصائرها . فالبعض سقطوا على الأرض معانقين جثث إخوة أو أبناء لشيوخ كانوا في الماضي آباء سُعداء ؛ ومن أعماق شعب صار عبداً ينوحون على مصير كل مَنْ أحببهم . والبعض الآخر قد جمعهم التشرذم المرهق الناجم عن المعارك الليلية وهم جوعى حول ما تستطيع المدينة ان تقدمه لطعامهم في الصباح . لكن ليس ثمة إشارة لتجميعهم : بل بحسب القرعة التي سحبها كل واحد بيده من إجانة النحت يقيم كل واحد منهم في المنازل التي استولوا عليها من أهل طروادة، وقد تخلصوا أخيراً من الثلوج والبرد . وينامون نوماً هنيئاً طوال الليل دونما حاجة إلى حراسة؛ وما عليهم إلا أن يحترموا الآلهة المحلّيين ومعابدهم، فهناك ليس لهم ان يخشوا الهزيمة بعد الانتصار . لكن ينبغي ألا تنقض الشهوة الإجرامية على جنودنا؛ ولا ينبغي أن ينصرفوا إلى السلب والنهب مدفوعين بحب المكاسب! إن عليهم أن يعودوا سالمين إلى بيوتهم، وأن يسلكوا نفس الطريق في اتجاه عكسي . وعلى الجيش أن يرحل دون إهانة الآلهة، وإلا فقد يستيقظ الشر^(١) الذي ارتكب نحو الموتى، وإن لم يكن قد تجلّى بضربات مباشرة تلك هي آراء امرأة بسيطة . لكن، ليت السعادة تنقلب دون منازع! إن نجاحنا عظيم : وأنا لا أطلب إلا الحق في الاستمتاع به .

رئيس الكورس : كلامك معقول، يا امرأة كما لو كان صادراً عن رجل حكيم . وأنا أصدق أدلتك الأكيدة وأتهماً لتمجيد الآلهة . . لقد أتيح لنا أيضاً سرور جدير بمتابعتنا .
(قلوطمسترا تدخل في القصر).

أي زيوس الملك، أيها الليل الصديق الذي أتاح لنا هذه العظيمة! لقد القيّمتما على أسوار طروادة شبكة صائدة، ولم يستطع طفل ولا رجل أن يهرب من شبكة العبودية التي أسرهم فيها الشقاء .
نعم، إنه زيوس المضياف، الإله الموهوب، هو الذي أعبدته : إنه وحده فعل كل شيء، ولم يحتفظ بالقوس مشدودة وقتاً طويلاً ضد الاسكندر إلا من أجل أن

(١) الكورس يقصد الموتى من اليونانيين الذين سقطوا أمام طروادة . لكن قلوطمسترا لا تفكر إلا في ايفجينيا . ومن هنا العبارة التالية؛ ومعنى هذا ان بقاء أجاممنون بدون عقاب مدة طويلة لا يدل على أن جريمته قد نسيت .

يوقر على سهمه انطلاقة لا فائدة منها خلال الفضاء بسقوطها أقرب من الهدف أو بانطلاقها وراء الكواكب.

الكورس: في وسعهم أن يقولوا إن الضربة جاءت من زيوس؛ ومن السهل الصعود إلى الأصل: إن مصيرهم هو ذلك الذي أراده زيوس. إن السماء لا تفضل بالاهتمام ببني الإنسان الذين يدوسون على توقيع الأمور المقدسة. فتلك لهجة فاسقة.

إن «الخراب» هو ابن الجرة المحرمة، الموجودة عند أولئك الذين يستروحون العجرفة الآثمة، منذ اليوم الذي فيه يزخر بيتهم بالثراء الفاحش.

إن الاعتدال هو الخير الأسمى^(١): فلنتمنَّ الحظ العاري عن الخطر الذي يكفي النفس العاقلة.

ما من حصن ينقذ من أسكره الثراء، فقلب «مذبح» العدالة العظيم، إنه سيهلك.

إنه سيعاني العنف الصادر عن «إقناع» منحوس^(٢)، هو الابن البغيض للضلال الذي يسرقه؛ ومن ثم فإن كل علاج لا فائدة فيه. والضرر لن يظل مستوراً: بل سيظهر لكل العيون بوضوح محزن. إن مثله مَثَلُ العُملة الرديئة التي سؤدتها كثرة الاستعمال والمصادمات. إنه يعاني الألم الذي يستحقه من أصاب مدينته بمحنة رهيبة، وشأنه في هذا شأن الطفل الذي يتعقب طائراً يطير^(٣). فلا إله يصغي إلى أذعيتيه؛ والجاني إذا استمرأ مثل هذه الجرائم فإنه يُقضى عليه.

وهكذا الشأن في باريس Paris: لقد دخل تحت سقف آل أتريوس، ونَجَس مائدة مضيفه باقتطاف زان.

لقد تركت لوطنها تسليح السفن، واشتباك التروس والرماح في المعارك،

(١) النص هنا غامض.

(٢) إن الفعل الذي يحدثه في نفس الإنسان إفراط الثراء فعل عنيف وحشي لا يقهر: إنه «إقناع» من نوع جديد: يستخدم العنف بدلاً من الاغراء. ذلك لأن أمه هي آتة Até: الجنون ذو النيات المخزية، وقد أرسلته السماء إلى من تريد القضاء عليهم. ومنذ اليوم الذي فيه يصير هذا الجنون متحكماً في القلب، فلا علاج له: ذلك لأن الإفراط يولّد الجريمة، والجريمة تؤدي إلى العقاب.

(٣) إشارة إلى المثل الذي يقول: يجري وراء ما يطير.

مقدمة إلى إيون (طروادة) الموت كبائنة، وبخفة اجتازت الأبواب، متجاسرة على ما لم يتجاسر عليه أبداً. إن العرافين في القصر ينوحون بعمق قائلين: «الويل! الويل! للقصور والأمراء! الويل! الويل! إن الزوجة رحلت في إثر عاشقها.

ها نحن نشاهد الصمت المهان، المزدري للشتائم، صمت إنسانٍ جالس بلا حراكٍ متتحياً بعيداً^(١).

الحب يريد ذلك: وحده شبح تلك التي صارت وراء البحار سيبدو من الآن فصاعداً الأمر في هذا البيت.

إن لطافة التماثيل الجميلة صارت بغیضة لدى الزوج: لم تعد لها نظرات، وكل سحرها الحبيب قد ولى.

وفي أحلامه لا تأتيه الرؤى الأليمة إلا بمسزات باطلة؛ إذ من الباطل أن ينزلق بسرعة بين ذراعيك المشهد الذي يعتقد المرء أنه يشاهده، هارباً على إثر النوم».

تلك كانت الأحزان التي يحتوي عليها هذا المنزل، وأفظع منها أيضاً.

في كل البيوت التي رحل منها المحاربون بعيداً عن بلاد اليونان يسود هدوء صابر. ومع ذلك فإنَّ همماً ملحاً يقلق القلوب.

نحن نتذكر كيف كانت حال وجوه أولئك الذين شاهدناهم يرحلون؛ إنهم لم يكونوا أناساً، بل إجانات ورماداً قد عادت إلى كل بيت.

وأرس Ares، صرّاف الموت^(٢)، في المعركة الحربية قد أقام الموازين، ومن إيون (طروادة) أرجع إلى الأقارب - عند مخرج الشعلة - تراباً مثقلاً بالدموع القاسية: وبدلاً من الرجال أعاد رماداً كدسه في الأواني.

والناس ينوحون وهم يمجدون محارباً بارعاً في القتال، أو محارباً سقط

(١) النص هنا غامض غير مفهوم جيداً.

(٢) هنا يشبه إله الحرب - أرس - بصرّاف: صرّاف من نوع غريب: فهو لا يجلس في السوق أمام الموازين التي يزن بها العملات، بل نصب منضدته في ساحة المعركة؛ وهو يأخذ رجلاً وفي مقابلها يعطي رماداً مكدساً في أوان، هو رماد القتلى الذين سقطوا في المعارك وأحرقت جثثهم وصارت رماداً.

مجيداً في الصراع الدامي - من أجل امرأة لا شأن لها بها؛ لكن هذا يتم بصوت خفيض، والألم يسير أصم، ممزوجاً بالكراهية لأبناء أترىوس: أبطال الانتقام! وآخرون، حول نفس الأسوار التي شاهدتهم يتقاتلون، يرقدون أجساماً سليمة في أرض طروادة^(١): إن الأرض المعادية قد خبأت المتصرين عليها. ما أثقل الشهرة التي تبديها لك غضبة شعب بأكمله؛ إنه لا بد له أن يدفع الدين إلى لعنة الشعب عليه.

إن قلقي يستشعر حدوث ضربة رهيبية: إن مَنْ أسأل أمواجاً من الدم يجتذب إليه نظر الآلهة؛ وستنتهي آلهات الانتقام - مع مرور السنوات المتغيرة - بالقضاء على الإنسان الذي أهانت سعادته العدالة، ولا تبقى أية قوة فيمن تدمره. إن المجد المفرط في العظمة مصدر خطر: ذلك لأن صاعقة زيوس تصيب العيون. أريد أن سعادتني لا تثير الحسد: ليتني لا أكون مدمراً للمدن، ولا عبداً خاضعاً لنزوات الآخرين!

إن خبر النبأ السعيد الذي أتت به الشعلة ينتشر بسرعة خلال المدينة؛ لكن مَنْ يدري هل هو نبأ صحيح أو ليس إلا كذباً من جانب الآلهة؟ هل يوجد رجل له عقلية طفل أو يميل إلى المبالغة بحيث يفعل لأنباء منقولة بواسطة الشعلة ثم يسقط بعد ذلك في اليأس حينما تتغير الأنباء؟ إنه لشأن جدير بامرأة تأمر بالسرور بسعادتنا قبل أن نتحقق فعلاً. إن المرأة ساذجة الاعتقاد في تمنياتها، ولهذا فإنها تبادر إلى الاستمتاع بالأوهام لكن الأنباء التي تعلنها تفتى بسرعة.

(رئيس الكورس يتطلع ناحية اليمين).

رئيس الكورس: عما قليل سنعرف هل الاشارات الضوئية المنقولة بواسطة الفوانيس وهذا التوالي للسعادات قد أخبرت بالحقيقة، أو إنما جاء هذا الضوء الجميل كرؤيا في الحلم تخدع النفوس. إنني أشاهد قادماً من الشاطئ منادياً يتظلل

(١) المحاربون الذين دفنوا يتعارضون مع أولئك الذين أحرقوا في المحارق. فالأولون قد بقيت أجسادهم سليمة، لكنهم أخفوا في باطن أرض طروادة. وأقاربهم لن يشاهدوا وجوههم إلا إذا عادوا هم أيضاً بعد ان يصبحوا رماداً في داخل إجانات.

بأغصان الزيتون. والضمان عندي على هذا هو التراب، أخو الطين، وقد تغيّر وقد تطاير؛ إنه لن يعلن الرسالة التي يحملها بواسطة لغة صامتة، هي الدخان المشتعل لشعلة نار تتجلى على قمة؛ بل صوته، بلهجة واضحة هو الذي سيدعونا إما إلى المزيد من الفرح، أو على العكس - آه! إن هذه الفكرة تفزعني!.. كم من النجاح سيضاف إلى النجاح الذي يضيء لنا! إذا كان أحد يتمنى أمني لأخرى للمدينة، فليقتطف ثمرة جريمة قلبه!

(يدخل المنادي)

المنادي: إيه يا أرض آبائي، يا بلاد أرجوس، بعد عشر سنوات أشرقت الساعة التي أراك فيها. من بين العديد من الآمال التي تحطمت تحقق أمل واحد. لم يكن يداعبني بعد الأمل اللذيذ في الحصول، عند موتي، على قبر في أرض أرجوس. فالسلام عليك إذن يا وطني؛ والسلام عليك يا نور الشمس، وعليك يا زيوس، يا من تسهر من أعلى على هذه الأرض، وعليك أنت يا سيد فوثنو Pytho أيها النبال الذي أرجو ألا توجه نباله بعد إلينا؛ طوال زمان طويل أصبتنا بالبلاء، بالقرب من اسكامندر Scamandre؛ أما اليوم فكُن لنا سلاماً وشفاءً، أيها المولى أبولون! وأدعوكم أنتم جميعاً يا آلهة المدينة، وأنت يا أيها الرئيس الإلهي هرمس أيها المنادي، وفخر المنادين؛ وأنتم يا أنصاف الآلهة، يا من حَمَيْتُم رحيل الجيش، تقبلوا الآن بحماسة من أبقت عليهم الحرب منهم. آه! يا قصر ملوكنا، ابقْ عزيزاً، والكراسي الجليلة والصُور المُشمسة لآلهتنا! احتفظي - أكثر مما كانت عليه الحال في الماضي - بهذا الوجه الوضيء للترحيب، كما ينبغي، بالملك الغائب منذ زمان طويل. إنه آتٍ كي يضيء النهار في منتصف الليل، من أجلكم، من أجل كل هؤلاء: الملك أجاممنون.. احتفظوا به أنتم كلكم: فهو يستحق هذا بكل جدارة، هذا الذي دَمَّر طروادة، وقد أعاده زيوس بسماته العادلة لقلب الأرض، وتدمير المذابح، ومعابد الآلهة، وإبادة أهل البلاد. وهكذا وضع النير في رقبة اليون (طروادة) الملك العائد إلينا، الابن الأكبر لأثريوس، والبطل الذي واتاه الحظ، وأحق الأحياء بالعبادة. باريس ومدينته التي دُمِّرت معه لن يستطيعا أن يقولوا إن التعب قد بقي أقل من الجريمة. لقد ارتكب باريس جريمتي الخطف والسرقة، وشاهد كيف أفلنت منه غنيمته، وكيف جرّ تحت البلطة المدثرة بيت أبيه ووطنه كله: إن آل فريام Priam قد دفعوا ثمن أخطائهم مضاعفة.

رئيس الكورس: كُنْ سعيداً، أيها المنادي العزيز في جيش الأخوين .
المنادي: أنا سعيد؛ وأسلم حياتي للآلهة .

رئيس الكورس: هل الاشتياق إلى وطنك قد أثر في نفسك؟
المنادي: تشهد على هذا دموع الفرح التي تملأ عيني .

رئيس الكورس: أنت تعلم إذن البلاء المعذب لقلوبنا .
المنادي: ماذا تقول؟ خبّرني، حتى أفهم جيداً .

رئيس الكورس: كنت تتحرق شوقاً إلى من يشتاق إليك .

المنادي: هل هذه الأرض كانت تبكي على أبنائها الذين بكوا عليها؟
رئيس الكورس: ومن قلبي الحزين كانت تنبثق الزفرات .

المنادي: ما هي الآلام المرّة التي كانت تشغل قلوبكم حينئذ؟

رئيس الكورس: طوال زمان طويل بقي الصمت هو دوائي الوحيد .
المنادي: هل كنت تخاف من أحد، لما كان ملوكك غائبين؟

رئيس الكورس: كان الموت نفسه نعمة بالنسبة إليّ، كما كان بالنسبة إليك .

المنادي: ذلك لأن أمانيّ قد تحققت الآن . . لكن في الوسع أن تقول إن ما يستمر طويلاً يحتمل بعض النكبات إلى جانب الحظوظ السعيدة: والآلهة وحدهم هم الذين يشاهدون حياتهم الأبدية تمضي دون آلام . لو أخبرتك بما عانينا من متاعب، وبالأحوال الأليمة التي كُدّسنا فيها، وبالممرّات الضيقة التي رقدنا فيها على الأخشاب الصلبة! وما هي الساعة التي لم ترنا نوح ونشكو؟ وعلى البرّ كانت الحال أسوأ: لقد عسكرنا تحت أسوار العدو، ومن السماء ومن الأرض وندى المروج أمطرنا بالضارّ المستمرة وملأ بالحشرات جلدّ معافنا . ثم الشتاء، وما أدراك ما الشتاء: قاتل الطيور، والشتاء غير المحتمل الذي كانت تفعله لنا ثلوج الإيدا Ida! ثم الصيف وما أدراك بهمود الصيف، حينما لا تهب أية نسمة لتحريك أمواج البحر في ساعة الظهيرة، فيرقد في مرقده وينام! لكن فيم المزيد من الأحزان؟ لقد انقضى البؤس، انقضى تماماً والموتى لا يفكرون بعد في الانبعاث من القبور؛ وفيم تعداد الهالكين، لتعذيب الأحياء بذكر المصير الأليم؟ إن رأيي، في هذه الحالة، هو أن أقول للماضي: وداعاً وإلى غير رجعة! بالنسبة إلينا، نحن الباقين أحياء من بين جنود جيش أرجوس، المكسب أكبر من الخسارة ويعوّض

عنها. ولهذا فإن في وسعنا أن نفتخر، بحضرة هذه الشمس التي تشرق على الأرض والبحار، قائلين: «إن جيش أرجوس قد فتح طروادة، وسَمّر في معابدها هذه الغنائم المخصصة لآلهة اليونان كأنفال قديمة رائعة». ولدى سماع هذه الشائعة ينبغي أن نحتفل بأرجوس وقوادها؛ وفي نفس الوقت نشكر نعمة زيوس الذي به كان النصر كاملاً. هذا هو كل ما أردت أن أقوله.

رئيس الكورس: أسلم بما قلت، أعترف بهذا: مهما امتد العُمر بالإنسان فخليق به أن يذهب إلى مدرسة الحقيقة. لكن هذه الأنباء تهّم خصوصاً هذا البيت، وتهّم قلوطنسترا؛ وليس لي حق إلا في جزء من الكنز الذي هو نصيبها هي.
(قلوطنسترا تظهر على عتبة القصر).

قلوطنسترا: مضى زمن طويل منذ أن أطلقت صيحة فرح طويلة، لما جاء في الليل رسول النار يعلن لأول مرة فتح طروادة وتدميرها. حينئذ قال لي الناس لائمين: «أمن أجل إشارات ضوئية صرّت متأكدة أن طروادة قد دُمّرت الآن؟ إن هذا من شيم النساء أن تستطير فرحاً هكذا!» ومثل هذه الأقوال قد جعلتني أظهر أمام الناس بمظهر المجنونة. لكن على الرغم من كل شيء، فإنني أمرت بإهداء الأضاحي إلى الآلهة، والصيحة الطقوسية الخاصة بالنساء صواحيبي المنتشرات خلال المدينة انطلقت بنبرات مسرورة، في أعماق المعابد الإلهية، حيث راحت تهديء حمية الشعلات المعطرة. فأية حاجة في أن تقول المزيد عن هذا الأمر الآن؟ سأعرف كل شيء من فم الملك نفسه. ولا أريد بعد أن أفكر إلا في أن استقبل على خير نحو ممكن زوجي المحترم العائد إلى بيته. أيّ شمس تشرق على امرأة أجمل من السرور بفتح الأبواب على مصاريعها للزوج الذي أنجته الآلهة من الحرب! أخبز زوجي بما يلي: «فليسرع بالاستجابة لرغبات مدينته! وليأت ليجد في بيته زوجته المخلصة كما ترسمها، حارسة مخلصه له ولم تُمزق - أثناء غيبته الطويلة - أيّ خاتم ختمت به الودائع التي أودعها إياها. إن اللذة بل والشائعة الكاذبة، هي أمور أجهلها بقدر ما أجهل فن صياغة البرونز»^(١). وإذا كان هذا المدح يتسم بالغطرسة فإنه مملوء بالحقيقة إلى درجة أنه لا يصدم شفاه امرأة نبيلة.

(١) كان فن صباغة البرونز يعدّ من سِرّ المهنة.

(تدخل في القصر).

رئيس الكورس: لقد سمعتها، فافهمها جيداً: بالنسبة إلى مترجم حصيف، هذه لغة ثمينة! - لكن خبّرني أيها المنادي: ومنلاس Menelas؟ هل أستطيع أن أعرف هل هو نجا وسيعود معكم وهو الملك العزيز عند هذا البلد.

المنادي: أنا لا أستطيع ان أخترع أكاذيب جذابة، تدوم منفعتها لكم يا أصحابي.

رئيس الكورس: آه! ليت فرحتنا تكون هي أيضاً حقيقة! إن الفرحة التي لا تكون حقيقية هي خداع.

المنادي: إن الملك منلاس وسفينته قد اختفيا من جيش أرجوس: هذه هي الحقيقة.

رئيس الكورس: هل رحل عن إليون (طروادة) قبلكم؟ أو فصلت بينكم وبينه عاصفة؟

المنادي: لقد أصبت المرمى مثل رام ماهر، ولخصت في كلمة كارثة هائلة.

رئيس الكورس: بين رفاقكم في أسطول اليونانيين، هل كان يُعتقد أنه حيٌّ أو أنه هَلَك؟

المنادي: ليس عند أحدٍ أنباء أكيدة عنه، اللهم إلا الشمس التي تغذي الأرض.

رئيس الكورس: خبّرني إذن عن العاصفة التي أطلقها غضب الآلهة على الأسطول، وماذا كانت نتيجتها.

المنادي: لا يليق أبداً تنجيس يوم سرور بكلام محزن: إن كل إله يريد أن يمجد في ساعته. . حينما يأتي الرسول، والحزن مرتسم على جبينه، ليخبر مدينته بالخبر الأليم بأن جيشها قد أيد؛ وحين يذكر لها أن جرحاً بليغاً اشترك فيه الجميع قد فتح في جوانب البلد، وأن بيوتاً عديدة لمحاربين لا حصر لهم قد أصابها الموت - وكل هذا بطعنة أثيرة عند آرس Ares هذا الكارثة الإلاهية ذات

الحدّين^(١) - فحينئذ يخلق بالرسول المكلف بتبليغ مثل هذه المصائب أن ينشد - كما تطلب أنت - نشيد آلهة الانتقام. لكني أنا، وقد دخلت مدينة مملوءة بالابتهاج بالنصر، هل يحق لي أن أمزج السعادة بالحزن بأن أروي لكم خبر عاصفة لن تكشف لكم إلا عن غضب الآلهة عليكم. لقد شاهدنا حتى الآن عدوين لا يمكن المصالحة بينهما وهما: البحر والنار وهما يتآمران ويتحالفان من أجل تدمير جيش أهل أرجوس المسكين. إنه إبان الليل قد باغتتنا المصيبة بأموج قاسية. ذلك أن ربح تراقيا قد جعلت سفننا يصدّم بعضها بعضاً. لقد اصطدمت بعنف وجهاً لوجه تحت انطلاق العاصفة، وتحت سوط البرد الذي صبّه الإعصار، راعي الشقاء^(٢)، فدارت السفن ثم اختفت وقد دُمّرت تدميراً تاماً. ولما شُع نور الصباح، كان بحر ايجه يعجّ بجثث اليونانيين وبقايا السفن المحطّمة. وفيما يتعلق بنا نحن، فإن سفينتنا احتفظت بهيكلها سليماً. مَنْ ذا الذي أنقذها من الموت؟ مَنْ الذي حصل لها على النجاة؟ لا بد أنه إله هو الذي أمسك بسُكّانها: لقد طاب للحظّ المحرر أن يجلس على مقعد الرُّبان، ويفضله لم نحسّ، ونحن نرسي، بالهجوم الغاضب للأموج، ولا - إبان الإبحار - بالاصطدام بكتلة من الصخر. لقد أفلتنا من الموت على الماء، لكننا بقينا مترددين في الاستمتاع بسعادتنا لما بزغ النهار، لأن قلوبنا صارت تعاني ألماً شديداً: ذلك أن جيشنا أصيب إصابة بالغة! وفي هذه الساعة عينها، إن بقي على البرّ أحد الأحياء الناجين، فإنه بلا شك يتحدث عنّا كأننا في عداد الموتى، بينما نحن ها هنا نحسب أنه هو الذي لقي هذا المصير - أعني الموت أصلح القدر أمورنا! أما منلاس Menelas، أولاً وخصوصاً، فتوقّع أن تراه يظهر ها هنا أو على الأقل، إذا كان شعاع من أشعة الشمس يعرف أنه حيٌّ في مكان ما وعيونه منفتحتان للنور، بفعل من زيوس، الذي يأبى أن يهلك سلالة أتريوس، فقد بقي لدينا الأمل في أن يعود إلى قصره ذات يوم: إن ما سمعته منّي الآن هو الحقيقة كلها.

(١) آرس - إله الحرب - يطعن طعنة مزدوجة تصيب البلد وكل بيت فيه.

(٢) يشبه الإعصار براعي قطع من الدواب ذوات القرون والتي جُنّ جنونها تحت ضربات سوط هذا الراعي.

(يدخل في القصر).

الكورس: مَنْ إذن الذي أطلق هذا الاسم - الصادق جداً - على الزوجة التي أحيطت بالنزاع والحرب، على هيلانه، إن لم يكن أحد الكائنات الخفية الذي يُنطق على شفاهنا، بعلمه السابق، لغة «المصير»؟ لقد وُلِدَت هيلانه^(١) من أجل تضييع السفن والرجال والمدن ورفعت ستائر سريرها الفاخرة وهربت على البحر والنسيم يهْبُ بقوة، بينما انطلق ما لا يحصى من المطاردين الغربيين المسلّحين بالدروع في إثر سفينتها الممحو، ليرسوا على السواحل المخضرة لسيموئيس Simois، كأدوات للنزاع الدامي؟

إن غضبة ذات نيات معصومة تسوق نحو إليون (طروادة) تلك التي كانت المصاهرة معها مصاهرة مع الموت^(٢). إن إزدراء مائدة زيوس المضيفة، وزيوس هو الذي يحميها، سيكلّف - عاجلاً أو آجلاً - غالباً أولئك الذين ترنموا بصوت عال بترنيمة الزواج، التي ترنم بها في ذلك اليوم أصهارها بعد ترنيمة الفرح ستعرف ترنيمة الحداد مدينة فريام العتيقة، ستعرفها وهي تعاني الآلام، وتلعن «باريس صاحب الغراميات المنحوسة». إنها ستبكي على حياتها المكرّسة للآلام ولأناشيد الحداد منذ أن قدر لها أن تشاهد مواطنيها يهلكون في مذبحه قاسية.

وهكذا ربّى إنسانٌ في بيته شِبلاً حُرِمَ وهو فتى من التغذي بلبن أمه، وشاهده في مطلع حياته مليئاً بالعدو، يلاطف الأطفال، ويُسَلِّي الشيوخ. وفي كثير من المرات بقي بين ذراعيه، كأنه وليدٌ وُلِدَ حديثاً، مسروراً وشاكراً اليد التي حملها الجوع على إطاعته.

لكن مع مرور الزمن، كشف عن النفس التي يدين بها لميلاده. فلندفع ثمن العناية التي أسداها إليه أولئك الذين ربّوه، دعا نفسه بنفسه إلى مأدبة من النعاج المذبوحة. والمسكن كان مضرّجاً بالدم، وبالنسبة إلى من يسكنونه كانت ثم كارثة ومذبحة مدمرة. إن من غذى المنزل كان أحد كهنة أتيه Ate، وقد أرسلته السماء.

إن أول ما دخل إليون (طروادة) كان - إن جاز القول - سلام صحو لم تعكره

(١) يتلاعب اسخولوس باسم «هيلانه» فيجعله مأخوذاً من الفعل Helein ومعناه: يأخذ، ويدمر.

(٢) اللفظ اليوناني Kedos يعني: المصاهرة، ويعني: الحداد.

أية ربح، جوهرة جميلة تزيّن كنزاً. لمحة رقيقة منبثقة من العيون، وزهرة شهوة تُسكّر القلوب. لكن، بغتة، تغير كل شيء؛ كانت خاتمة الزفاف مرّة: لقد أضاعت مَنْ تلقاها، وأضاعت من اقترب منها، وجاءت لتضيع آل فريام؛ إن زيوس المضيف هو الذي اختار إلهة الانتقام هذه المزودة بالدمع!

منذ وقت طويل والناس يكررون هذا المثل القديم: السعادة الإنسانية إذا ارتفعت عالياً لم تُمت عقيمة: فمن النعيم يتبعث شقاء لا يشبع.

بعيداً عن الآخرين أنا أبقى وحدي وأفكر: كلا، بل العمل الفاسق هو الذي يولد أعمالاً فاسقة أخرى، ومثلها مثل الأب الذي أنجبها؛ لأنه في مساكن العدالة النعيم لا يلد إلاً أولاداً ذوي جمال دائماً.

وفي مقابل ذلك كان الإسراف القديم، عند الأشرار، يلد إسرافاً جديداً، عاجلاً أو آجلاً، حينما يأتي اليوم المحدد لميلاد جديد، ومعه إله لا يُقهر، فاسق، هو آتية Até، قاس على البيوت، فيه كل ملامح أمه.

أما العدالة فتتلاً تحت السقوف ذوات الدخان، وتشرف الحيوات الطاهرة. لكنها تشيح بنظراتها عن القصور المطلية بالذهب والتي تسيطر عليها يد دنسة، وتنصرف عنها لتتعلق بالبراءة دون احتفال بسلطة الذهب وبالمجد المزيّف؛ إنها هي التي تفقد كل شيء إلى غايته.

(أجاممنون يدخل من الناحية اليمنى. وهو واقف على عربته. - وعلى عربة أخرى تقف كاسندرا بلا حراك وعيناها ثابتتان).

رئيس الكورس: آه! أيها الملك، يا ابن أتريوس، يا مدّمّر طروادة، كيف أُحييك؟ كيف أُعتبر لك عن احترامي دون أن أبالغ أو أن أقصر فيما تستحقه من الشاء؟ إن كثيراً من الناس يتجاوزون الحدّ العادل، مهتمين خصوصاً بالمظاهر.

إن الإنسان البائس يجد كل واحد مستعداً للنواح عليه، دون أن ينفذ أيّ حزن في القلوب ويعرض عليها؛ ومن أجل الظهور بمظهر من يشعر بتلك المسرّات، أكثر من إنسان يضطر إلى الابتسام وجهاً لا يريد أن يتسم.

بيد أن الرجل الحصيف الذي يعرف قطيعه لا ينخدع بالنظرات التي يلوح أنها تكشف عن قلب شديد الإخلاص، لطفه يكشف عن صداقة ليست صافية.

في الماضي، لما أن جيّشت جيشاً من أجل هيلانه، لا أخفي عليك أنني حسبتك مُسرفاً وعاجزاً عن التحكم في بيتك: وإلاً فهل يضحي الإنسان بمقاتلين من أجل استرداد فاجرة رحلت من تلقاء نفسها؟!

أما اليوم فمن أعماق قلبي، وكصديق صدوق، فإنني أقدم إخلاصي إلى أولئك الذين قاموا بمهمتهم خير قيام. وستعرف فيما بعد، إن اردت الاستعلام، مَنْ سلك سلوكاً مخلصاً أميناً، ومن سلك سلوكاً شائناً، من بين المواطنين الذين بقوا ها هنا.

أجامنون: ينبغي عليّ أن أحيي أولاً مدينة أرجوس وآلهتها: فقد ساعدوا في عودتي، كما ساعدوا في إنزال العقاب بمدينة فريام. إن الآلهة لم يحتاجوا إلى إقناع بعدالة قضيتنا، بل ألقوا في الإجانة الرامية بأصواتهم المؤيدة لتدمير طروادة وإهلاك جنودها. واليد التي اقتربت من الإجانة الأخرى - إجانة الرحمة - لم تحمل إلاّ الأمل وتركت الإجانة فارغة^(١). . والدخان يحدّد الآن موقع المدينة المهزومة. ولم يبق إلاّ إعصار آتية Até وحده، بينما إليون (طروادة) انطقت في الرماد الميت الذي تتصاعد منه أبخرة حافلة بثرواتها. . فللآلهة إذن نحن ندين بعرفان الجميل إذا كنا قد استخلصنا من عملية الاختطاف انتقاماً لا حدّ له، وإذا كانت مدينة قد دُمّرت - من أجل امرأة - وسقطت في أيدي الوحش الأرجوسي الذي انقض في الأيام التي تغيب فيها الثريا^(٢)، وتسلق الأسوار المحصنة مثل ليث قاس غضوب، والشرب، ملأ فمه، من الدم الملكي. ولهذا فإنني أطيل هنا في تحياتي الموجهة إلى الآلهة.

أما المشاعر التي عبرت عنها فإنني أتقبلها وأشاركك فيها وأعلن، معك، ما يلي: قليل من الناس يميلون إلى الإشادة بنجاح صديق، دون أن تبدر منهم علائم الحسد. وحينما يصيب القلب سُم الكراهية فإن هذا يؤدي إلى آلام مضاعفة في نفس من له هذا القلب: فهو يستشعر آلامه الخاصة ويغتاز من سعادة الآخرين. وأنا أعرف جيداً ما أقوله: إنما أعرف مرآة الصداقة: لقد تكشفت عن شبح ظلّ محبة أولئك الذين اعتقدت أنهم أصدقاء حقيقيون! وأودسيوس هو وحده الذي بقي إلى جانبي بشجاعة طوال الحملة، على الرغم من أنه في البداية قد رحل على

(١) يفهم من هذا أنه كانت توجد اجاننان: احدهما للموافقين، والأخرى للمعترضين.

(٢) أي: في بداية الخريف.

الرغم منه - وسواء أكان لا يزال حياً، أم مات، فإنني أشهد له بالجميل . أما فيما يخص المدينة والآلهة، فإننا سنفتتح الندوة بمناقشات عامة وستشاور في الأمور التي تهمنا . وسنبحث في كيفية جعل الخير دائماً ومستمراً . وحيث تدعو الحاجة إلى أدوية ناجعة لخير الجميع فإننا سنحاول إبعاد كارثة العدوى . أما الآن فإنني سأدخل في القصر، وعند مذبح بيتي سأحيي الآلهة الذين أعادوني إلى هنا بعد أن صاحبوني إلى هناك بعيداً، ولما كان «النصر» قد صاحب خطواتي في النهاية، فيا ليته يبقى مخلصاً لي دائماً.

(قلو طمنسترا تخرج من القصر، تتبعها إماء يحملن أقمشة ومنسوجات ثمينة).

قلو طمنسترا: أيها المواطنون المحترمون بين الأرجوسيين! سأعبر أمامكم، دون خجل، عن سبحاتي الغرامية. إن الزمن يخنق الحياء في القلوب. ولا أتلو درساً محفوظاً؛ بل سأروي لكم حياتي أنا، وآلامي الشديدة طوال المدة التي كان فيها هذا الرجل تحت أسوار إليون (طروادة). بالنسبة إلى الزوجة البقاء في البيت بدون الزوج، مهجورة - هذا في حد ذاته بلاء مثير للجنون. وحينما يأتي - في تلك الأثناء - رسول بعد رسول، حاملاً دائماً أسوأ الأنباء، وكلها تعلن المصائب للبيت... ولو كان هذا الرجل قد أصيب بهذا القدر من الجروح التي حملتها الشائعات إلى هذا البيت، فإن جسمه كان سيكون به من الثقوب بقدر ما في شبكة الصيد! وإذا كان قد مات بمقدار ما روته الروايات، لكان من حقه أن يتباهى - وكأنه جريون⁽¹⁾ جديد - بأن له ثلاثة أجسام، وأنه دفن في القبر ثلاث مرات ولبس الأكفان ثلاث مرات! تلك كانت الشائعات التي جعلتني في مرات عديدة أعلق رقبتني في احبولة حبل لم ينتزعوني منها إلا باستعمال العنف. وهذا هو السبب أيضاً في أن ابنك غير موجود ها هنا كما كان ينبغي، ابنك أورشست الضامن لما بيننا من ثقة. لا تدهش من هذا ذلك أن ضيفاً صديقاً يقوم بتربيته هو استرفيوس

(1) ابن خروساور Chrysaar وكليروهوه Callirhoé التي هي إحدى الأوقيانوسيات؛ وكان يسكن في جزيرة اروتيا (قادس). وكان جسمه مكوناً من ثلاثة أجسام انسانية متجمعة على زوج واحد من السيقان. وكان يملك قطعاً من الثيران الشقراء، يقوم برعيها الراعي يورتيون ويحرسها كلب ذو رأسين اسمه أورنوس. فلما تحدى يوروشيه هرقليس أن يحضر له ثيران جريون Jeryon، فإنه ضرب اورنوس بعصاه فأرداه قتيلاً، وقتل الراعي، ولما هرع جريون لنجدتها أصابه هرقلس بسهم وقتله هو الآخر.

Straphis الذي من اقليم فوقيا. وقد تذرع لهذا بالأخطار المقلقة، وبالموت تحت أسوار إليون، وبالتمرّد الشعبي هنا الذي قد يقلب المجلس، لأن صرع الإنسان على الأرض حاجة فطرية في بني الإنسان! والحيلة الماكرة لا محل لها في هذه الأسباب والمبررات. أما عن نفسي فقد شاهدت الأمواج المتدفقة من دموعي: تجفّ؛ ولم تبق عندي أية دَمعة وقد احترقت جفوني من السهر الطويل حيث كنت أبكي عليك إبان الصمت العنيد للإشارات الضوئية. وفي أحلامي كان الطيران الخفيف اللحوح للذباب يوقظني وعيوني لا تزال مملوءة بالمصائب التي شاهدتها تنصبّ عليك وكانت أكثر من الدقائق التي استغرقها حلمي. وبعد كل هذه الآلام، وقد تحررت أخيراً من القلق، فإنني أستطيع أن أسمي هذا الرجل كلب الاسطبل. والحبل المنقذ للسفينة، والعمود الساند للسقف العالي، والابن الوحيد لأبيه، والأرض غير المؤمل فيها للتجار^(١)، والضوء العذب بعد العاصفة، والينبوع الحي الذي يروي المسافرين. إن من يتغلب على المصير يتذوق سروراً، صافياً لا يكذّره شيء: فهذه الأوصاف هي اللائقة. وليخرس الحسد ها هنا: فقد تحملنا، للحصول على هذا السرور، الكفاية من الآلام.

والآن يا رأسي العزيز، أنزل من هذه العربة، إلى الأرض، يا مولاي، هذه القدم التي دمّرت طروادة. لماذا تتمهلني؟ أيتها الأسيرات اللواتي كلّفتهن بفرش البلاط على الأرض التي سيطأوها. وليتولد على أثر خطواته طريق من الفورفير، عليه تقوده «العدالة» الى مقام يفوق كل^(٢) ما يتوقّعه!. والباقي ستدبره كما يجب فكرة لن يقرعها النوم، بمساندة الآلهة، بحسب الاتجاه الذي تريده الآلهة.

أجاممنون: يا بنت ليدا Leda، يا حارسة بيتي، كلامك قد قيس على حسب غيبتني: وأنت قد أطلت فيها كثيراً. إن كنا نستحق المديح، فلا تنسي أن الثناء ينبغي أن يأتينا من الآخرين. ثم لا تحيطيني على طريقة النساء، بالاحتفال الداعي إلى التراخي، ولا تستقبليني، كما يفعل الأجانب والركب محنية، والفم صائح؛ ولا تفرشي الأرض بالأقمشة لتهيئي لي طريقاً يثير شائعة الحسد. بل الآلهة هم

(١) السلسلة الأولى من التشبيهات تشير إلى كل ما كان يمثله أجاممنون في نظر أهله؛ والسلسلة الثانية تشير إلى كل ما يمثله عودته من أمور غير مؤمل فيها بالنسبة إليهم.

(٢) عبارة مزدوجة المعنى: القصر والعالم السفلي.

الذين ينبغي تكريمهم على هذا النحو^(١). إنني إنسان فإن، فلا أستطيع دون خوف أن أمشي على هذه العجائب المطرزة. أريد أن أكرّم بوصفي إنساناً، لا بوصفي إلهاً. إن «الأقمشة المطرزة» و«ماسحات الأقدام» هي أشياء ممتازة جداً - وأسمائها وحدها تكفي للدلالة على ذلك - والفتنة هي أعظم مواهب السماء.. من تنتهي حياته في النعيم العذب هو وحده الذي ينبغي أن يُعدّ سعيداً. وأكرر القول وأقول إن ما تريدينه انت لا أستطيع أنا أن أفعله دون تخوف.

قلو طمنسترا: أجب عليّ إذن هنا بكل صراحة.

أجاممنون: ستحصلين منّي على الصراحة دائماً.

قلو طمنسترا: هل نذرت بهذا النذر للآلهة في ساعة الخطر؟

أجاممنون: لو كان أمرني بذلك صوتٌ مخوّل له ذلك.

قلو طمنسترا: لو أن فريام هو الذي انتصر، فماذا تظن أنه كان سيفعل؟

أجاممنون: أعتقد أنه كان سيمشي على أقمشة مطرزة.

قلو طمنسترا: ممّ تخاف إذن؟ من توبّخ الفانين (من بني الإنسان)؟

أجاممنون: من صوت شعبي: فإن قوّته كبيرة.

قلو طمنسترا: مَنْ لا يُحسد فليس جديراً بأن يُحسد.

أجاممنون: ينبغي للمرأة ألا ترغب في القتال.

قلو طمنسترا: حتى السُّعداء يليق بهم أحياناً أن يعانون الهزيمة.

أجاممنون: هل تصرّين أنت أيضاً على ان تنتصري في هذه المناقشة؟

قلو طمنسترا: صدّقني ودعني أنتصر عن طيب خاطر.

أجاممنون: إذن ما دمت تريدين هذا، فلتُحلّ نعالي بسرعة. وهي خادمة

قدمي التي تلبسها، ولا تقع نظرة حاسدة من بعيد عليّ في اللحظة التي فيها قدمي

على الأقمشة الفورفورية! إنه لعازّ كبير أن يخزّب المرء بيته بإتلاف هذا المقدار من

(١) كان من الأفكار الشائعة عند اليونان أن أقدام الآلهة يجب أن لا تمسّ الأرض. ولهذا كانوا يفرشون

بالأقمشة الفاخرة الطريق الذي يمرّ به تمثال الإله. ولما كان أجاممنون إنساناً وليس إلهاً فينبغي ألا

يفرش طريقه بالأقمشة الفاخرة كما حلا لقلو طمنسترا أن تفعل عند عودة زوجها أجاممنون.

الأقمشة المشتراة بالذهب، تحت قدمه. لكن كفى الكلام في هذا الموضوع. أترين هذه الأجنبية؟ استقبلها بإحسان. إن مَنْ يأمر برقة تنظر إليه الآلهة من بعيد بنظرات راضية. لا يسهل على المرء أن يحمل نير العبودية، وهذه جوهرة مختارة من بين كنوز عديدة - وهي هدية من جيشي - وقد تعلقت بي - هيا! ما دمت قد تركت كلماتك تنتصر عليّ، فإنني سأدخل إذن في أعماق قصري ماشياً على الفورفير.

(يدخل في القصر ببطء، بينما قلوطنسترا تجاوب بلهجة مفتحة).

قلوطنسترا: هناك البحر، فمن ذا الذي سيستفده؟ - البحر الذي يغذي ويجدد دائماً العصاراة الثمينة لفورفير لا نهاية له من أجل صباغة أقمشتنا. بفضل الآلهة، يا مولاي، البيت قادرٌ على أن يحصل على كل هذا؛ وبيتنا لا يعرف الفقر. وفي نذري كنت سأقدم أقمشة أخرى للمشي عليها، لو اقترح عليّ هذا في المعابد هذا الاقتراح حينما كنت أبدأ وسعي في البحث عن كيفية فداء حياة عزيزة جداً كهذه. طالما وجدت الجذور فستعود الأوراق دائماً إلى البيت لتمد الظل الحامي من القيط؛ وبالمثل، فإن عودتك هي بالنسبة إلينا كعودة الصيف في الشتاء؛ وفي الأيام التي فيها زيوس يصنع لنا الخمر من العنب الحامض، فإنه إذا كان الانتعاش يسود بغتة في البيت، فذلك لأن رب البيت، الرجل الكامل، موجود بين جدرانها. إن زيوس، زيوس الذي به يتم كل شيء، ينجز كل تمنياتي ويفكر جيداً في العمل الذي يجب عليك أن تنجزه.

(تدخل في القصر. الباب يبقى مفتوحاً).

الكورس: لماذا هذا الفزع الذي يتجلى هكذا أمام قلبي المتنبيء ويطير بعناد حواليه؟ لماذا نشيدي يلعب دور العراف، بغير أمرٍ ولا أجرٍ؟

ولماذا - أخيراً - لا أستطيع أن أبصق، كما يفعل الناس عند رؤيا حلم غامض، والشعور بتوكيد مُقنع يستقر في قلبي؟

مضى زمن بعيد منذ أن تطاير الرمل، تحت إعادة المراسي إلى ظهر السفن، بينما انطلق بحارتنا وهم مسلحون.

وقد علمت من عيني أنهم عادوا، وأنا بنفسني شاهد على ذلك؛ ومع ذلك فإن قلبي في أعماقه ينشد نشيد الرثاء على الموتى، الذي لم يعلمه أحدٌ إياه، نشيد الرثاء الخاص بالآلهة الانتقام!

إنه لم يُعد يشعر بثقة الأمل المليئة الحلوة. وأعماق وجودنا لا يخدعنا أبداً، والقلب الذي يرقص رقصة دائرية، مجنونة على الحجاب الحاجز الذي يؤمن بالعدالة يعلن دائماً الحقيقة. لكن ليت هذا كله لا يكون إلا كذباً سيضيع خارج العالم الحقيقي، بعيداً عن فكري القلق!

أجل، إن الصحة المفرطة تثير القلق، لأن المرض - وهو جارها - يتهياً للقضاء عليها.

والنعيم المنتصر يصطدم بغتة بعقبة مستورة. ولو عرف الخوف العاقل، وهو يعالج الكرّاة بحذر ولباقة، كيف يخفف من جمل الثروات المكتسبة، فإن البيت لا يفرق كله، رغم ما حُمّل من وفرة في الشراء: إن البحر يعفُّ عن الزورق؛ وزيوس والحقول المزروعة في كل عام تستطيع أن تبعد المجاعة بفضل الهبات العديدة الواسعة.

لكن الدم الأسود لكائن إنساني متى ما سفك على الأرض فلن يستطيع أي ساحر أن يردّه إلى العروق التي خرج منها. وحتى ذلك الذي تعلّم كيف يسترّد الموتى من مملكة الظلمات^(١) - ألم يوقفه زيوس - من أجل مصلحتنا وخيرنا؟

آه! لو كان الآلهة لم يضيّقوا على نصيب كل واحد^(٢)، لكان قلبي قد حذر لساني وانطلق، بدلاً من أن ينوح في الظلام والآلام، دون أن يستطيع أن يؤتمل في أن رأياً نافعاً يخرج من صدري كالنار.

(تعود قلوطنسترا للظهور على عتبة القصر).

قلوطنسترا: ادخلي أنت أيضاً يا كساندرا - ألا تسمعين؟ ما دام زيوس الرحيم قد أراد أن يكون لك نصيب معنا في الماء الطقوسي، وأنت واقفة وسط

(١) هو اسقلابيوس - راجع بندار: الفوثية الثالثة، ٣: ٥٤ وما يليه: «إن الذهب الذي يلعب في اليد أغراه هو أيضاً، لقاء أجر فخم، كي يتشغل من الموت رجلاً قد جعلت منه فريسة لها. لكن زيوس بيده أطلق عليهما سهمه وانتزع منهما نفس الصدر؛ والصاعقة المتعددة نزلت لتقدم اليهما مصيرهما».

(٢) النص غامض. ويبدو أن المعنى المقصود هو أن «المصير» لم يصنع من الكورس عزافاً؛ ولهذا لا يستطيع الكورس أن يتحرر من مخاوفه بأن يحولها إلى وحي نافع: إن لسانه يرفض أن يسدي هذه الخدمة إلى قلبه.

العبيد العديدين، بالقرب من المذبح الذي يحمي أموالنا، فهيا انزلي من هذه العربة ولا تتظاهري بالكبرياء. إن ابن ألقمين Alcmena هو نفسه قد بيع^(١) - حسبما قيل - واضطر الى الاذعان الى ان يعيش من خبز العبيد. ومن أرغم على مثل هذا المصير فسيكون حظاً عظيماً له ان يكون سادته أثرياء منذ عهد بعيد وأولئك الذين حصدوا حصاداً جميلاً دون أن يتوقعوا ذلك هم قساة على عبيدهم دائماً ومتعسفون، أما منّا نحن ففي وسعك أن تتوقعي الرعاية المعتادة.

رئيس الكورس (مخاطباً كساندرا): إنها كانت تخاطبك أنت وبعبارة واضحة. لقد وقعت في شبكة المصير: أطيعي، إن كان عليك ان تطيعي - أو هل تريدان عدم الإطاعة؟

قلوطمسترا: إن لم تكن لها لغة مجهولة، لغة أجانب مثل السنونو^(٢) فسأحاول أن أدخل في قلبها ما ينصح به العقل.

رئيس الكورس (مخاطباً كساندرا): اتبعيها، فالنصيحة التي تسديها إليك هي الأفضل وأنت في هذه الحال.

(صمت من جديد).

قلوطمسترا: ليس عندي وقت لأضيّعه هنا عند الباب في داخل البيت، أمام المذبح - الأضاحي جاهزة، وتنتظر السكين. فإن شئت أن تصغي إليّ، فلا تضيعي الوقت. أما إن كنت مغلقة دون لغتنا ولا تدركين الأسباب التي أسوقها، فبدلاً من الصوت تكلمي بإشارات اجنبية.

رئيس الكورس: إن هذه الأجنبية في حاجة إلى ترجمان لودعي. إن لها هيئة دابة قد أمسك بها.

قلوطمسترا: من المؤكد أنها مجنونة، وأنها مستسلمة إلى نوبة هذيان، إن

(١) إلى أومفاله، ملكة لوديا.

(٢) بالنسبة إلى اليونانيين كانت كل لغة اجنبية هي زقزقة طيور وارسوتوفان في هزلية «الضفادع» (البيت رقم ٦٨٢) يقول عن سياسي ديماجوجي اتهمه بأنه اجنبي إنه «ليس إلا سنونو من تراقيا واقف على شفّته».

كانت لا تعرف حمل اللجام، بعد أن انتزعت بالأمس من المدينة المهزومة، دون أن تنفس عن سورتها برغوة دامية. لن أتحمل بعد اهانة تبديد المزيد من الكلمات.
(تدخل في القصر. الباب يبقى مفتوحاً).

رئيس الكورس: عندي من الشفقة ما يحملني على الغضب! أيتها البائسة، اتركي عربتك، واستسلمي للقدر، وادخلي في تجربة النير.

(كساندرا بقيت لا تتحرك، وعيناها تحدقان في صورة أبولون، إله الطرق، الموضوع عند باب القصر. وفجأة، وبدون إشارة، بقيت كساندرا، بلا حراك فوق عربتها).

كساندرا: واحسرتاه! آه! الأرض والسماء! أبولون! أبولون!

رئيس الكورس: لماذا تنوحين هكذا باسم لوكسياس؟ إن عبادته لا تريد مرائي جنازية.

كساندرا: واحسرتاه! آه! الأرض والسماء! أبولون! أبولون!

رئيس الكورس: إن صراخها الحزين يدعو الإله الذي ليس مكانه في أناشيد الآلام.

كساندرا: أبولون! أبولون! يا إله الطرق! أبولون أنت يا مَنْ تضيّعتني^(١)! أنت تضيّعتني - وبدون ألم! - لثاني مرة.

رئيس الكورس: أهي تريد أن تتنبأ بمصيرها؟ إن نفس الإله يحيا في نفسها، نفس العبد.

كساندرا: أبولون! أبولون، يا إله الطرق! أبولون أنت يا مَنْ تضيّعتني! إلى أين أوصلني طريقك. آه! إلى أي بيت؟

رئيس الكورس: إلى بيت أتريوس، أقول لك هذا إن كنتِ تجهلين؛ وفي وسعك أن تكرري هذا دون أن تخشي من الكذب.

كساندرا: آه! أحرى بك أن تقول: البيت المكروه من الآلهة، المشارك في

(١) انها تربط اسم ابولون بالفعل Apollonai: يُهلك، كما أنها ستربط كنيته Agviates بالفعل agein: إله الطرق.

جرائم لا تُحصى، واغتيالات سفكت دم أخ، ورؤوس مقطوعة... إنه سلخانة إنسانية على أرض رطبة بالدماء!

رئيس الكورس: أعتقد أن هذه الأجنبية لها أنف كَلْبَة: إنها تستاف الأثر وتعثر على الدم.

كساندرا: آه! إنني أصدق بهذه الشهادات: هؤلاء الأولاد الذين أشاهدهم سيكون تحت السكين، وهذه الأعضاء المشوية التي يلتهمها الأب!

رئيس الكورس: هيا، نحن نعرف جميعاً شهرتك بالتنبؤ؛ لكننا هنا لسنا في حاجة إلى تنبؤ.

كساندرا: أيتها الآلهة! ماذا يُهَيَّا هنا؟ أي ألم رهيب يعدونه في هذا القصر؟ نعم، رهيب وقاس، ولا يحتمله الأقارب، ولا علاج له - والنجدة بعيدة!

رئيس الكورس: ما تتنبأ به أنا لا أستطيع أن أدركه؛ والباقي أنا أعرفه: فكل البلد يصبح به.

كساندرا: آه! أيها البائس، أنتجاسر على كل هذا، أنت تحمّمين الزوج الذي يشارك في نفس الفرائش - كيف أذكر الخاتمة؟... إن الساعة قريبة، من سيرها - ذراعان الواحد بعد الآخر يُمدّان بحميّة ليضربا!

رئيس الكورس: ازداد الغموض: فبعد الألباز جاءت ألوان الوحي، الغامضة، وأنا في حيرة تامة.

كساندرا: آه! يا للفظاعة! يا للفظاعة! ماذا أرى؟ أليست هذه شبكة جحيم^(١)؟ كلا، إن الشبكة الحقيقية هي رقيقة الفرائش وقد صارت شريكته في القتل، هيا! على الجماعة المرتبطة بالجنس^(٢) أن تحيي إذن بصرخة شعائرية^(٣)... تضحية العار!

رئيس الكورس: لماذا استثارة صرخة إلهة الانتقام على هذا القصر؟ إن صوتك في هذه المرّة يفزعني.

(١) الخمار الذي خنقت قلوطنسترا به زوجها أجامنون.

(٢) جنس آلهة الانتقام Erinyes.

(٣) هي الصرخة التي تطلقها النساء عند سقوط الأضاحي في عملية تقديم الأضاحي.

الكورس: نحو قلبي تندفع موجة ذات صبغة مصفاة، شبيهة بتلك التي -
لدى المحاربين المصريين - تصحب اللمعات الأخيرة للحياة، في الساعة التي يأتي
فيها الموت بخطوات سريعة.

كساندرا: انتبه! انتبه! احذر من البقرة! في أحبولة خمار أوقعت الثور ذا
القرون السوداء؛ إنها تضربه، وهو يسقط في حوض الحمام الممتلئ. اعلم قصة
الحوض الغدار الدامي.

رئيس الكورس: من المؤكد أنني لست خبيراً كبيراً بألوان الوحي؛ لكني، من
كلمات كهذه، أتنبأ بوقوع مصيبة.

الكورس: بالنسبة إلى بني الإنسان هل تأتي نبأ سعيد من وحي؟ إن الفن
الكلامي للمتنبئين يُسمع - بالمصائب - المعنى الحقيقي للخوف الذي يوحى به.

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! يا لي من تعيسة الحظ! ما هو مصيري
البائس؟ إن نصيبي أنا من الآلام هو الذي أصبته، بدوره، على فوهة أناشيدي. إلى
أين اقتدتني إذن حين جئت^(١) بي إلى هنا أنا التعيسة الحظ؟ إلى أين - إن لم يكن
إلى الموت - أنا أيضاً؟.

الكورس: أنت تهذين؛ أنت ألعوبة إله، بحيث تنشدين على نفسك أنشودة
مثل هذه خالية من اللطف! إن مَثَلك مَثَل البلبل الوحشي الذي لا يتعب أبداً من
الصياح هكذا: «أتوس^(٢) أتوس» تنوح في قلبها المتألم، على حياة حافلة جداً
بالآلام.

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! لا تذكر نصيب البلبل الصداح! إن الآلهة
زودته بجسم مُجَنِّح؛ ولولا نواحه لكانت حياته حلوة ناعمة: أما أنا فمقيضة
للحديد الذي يشقُّ الجِباه^(٣).

الكورس: مَنْ يكشف لك إذن عن الكوارث العمياء التي كدستها الآلهة

(١) هذه الكلمات موجهة إلى الإله أبولون.

(٢) أتوس Atys هو ابن بروكنية Procné؛ وقد قتلت أمه، فتحوّلت إلى بلبل ينوح عليه باستمرار.

(٣) في رأي اسخولوس أن السلاح الذي به قتلت قلوطنسترا زوجها أجامنون ليس البلطة، بل هو السيف.

هكذا، ويجعلك تصدرين التنبؤات المروعة في نداءات حزينة وفي أناشيد حادة جداً؟ مَنْ يكشف لك الكلمات المنحوسة التي يمتلىء بها طريق تنبؤاتك؟

كساندرا: زواج، زواج باريس Pariss الذي ضَيَع كل أهله! يا اسكاماندر، الذي شرب منك كل وطني! لقد كَبُرَت على شواطئك، ونموت بفضل عنايتك. لكن عمّا قليل كوكوت Cocyte، شواطئ الأشيدون ستسمعني هي وحدها أتنبأ.

الكورس: ما هذا الوحي الواضح جداً؟ هذه المرة حتى الطفل يفهم المقصود! إني أستشعر - كعضة دامية - فكرة مصيرك الأليم حينما أسمع هذه الآلام الشاكية التي تمزق قلبي.

كساندرا: يا ويل مدينتي التي زالت إلى الأبد! والمذابح التي ذبح فيها أبي آلاف الثيران الراحية في مراعيها، من أجل إنقاذ حصوننا! ولم يفلح أي علاج! لقد عانت مدينة فريام مصيرها؛ وسألقي بنفسي على الأرض وروحي مشتعلة بالنار!

الكورس: هذا الوحي الجديد يرتبط بألوان الوحي السابقة. لا بد أن إلهاماً كارهاً قد انقضّ بكل ثقله على رأسك، وجعلك تُشدين هذه المناحات والآلام القاتمة. وعسيرٌ عليّ أن أتنبأ بالنهاية.

(كساندرا تنزل من عربتها)

كساندرا: إن الوحي الآن لن يتجلّى بعد خلال نقاب^(١)، كأنه عروسة. بل سيقفز - بوثة رائعة - أمام الشمس التي تصعد وسيطلق نحو نورها موجة الشقاء الأشد هولاً. سأخبرك بدون ألغاز. وإلى أن يحدث هذا فعليك أن تشهد بأنني تتبعت دون انحراف أثر الجرائم الماضية وأنفي مسلط على الأثر. ذلك أن هذا البيت لن يهجره المسمى كورس، وأصواته لن تكون أعذب في السمع، لأنها لن تزفّ مدائح! أه! لقد شربت من دم إنسان هذه العضبة المرححة التي تتلبث في هذا القصر، وليس من السهل إخراجها منه^(٢) عصابة الانتقام من هذه السلالة! إنها

(١) إنها تتوقع نوبة هذيان تنبؤي ثانية ستتكلم فيها بعبارات أوضح، وجرى هذا ثلاث مرات. وقد شبه اسخولوس هذه السلسلة من التنبؤات بسلسلة من ثلاث موجات متتالية، كل واحدة منها أقوى من السابقة عليها لكنها لم تواصلها كلها، بل توقفت عند الموجة الثانية التي تحمل موت أجامنون.

(٢) فرقة الاحتفال تنشد مدائح، وتشرب الخمر، وتنتقل بين البيوت؛ أما هذه الفرقة فهي على عكس ذلك: تسبّ من تنغى بهم، وتشرب الدم، وتلتبث في البيت الذي اختارته.

مرتبطة بهذا البيت، وتغني النشيد الذي يتكلم عن الجريمة الأولى^(١)، ثم تسبّ الفراش الأخوي بقسوة على من دنّسه^(٢). هل أصبت الهدف بسهمي؟ أو أخطأته؟ وهل أنا ثرثرة تقرع البيوت الواحد بعد الآخر بتنبؤات كاذبة؟ قبل أن تدعي هذا، ابدأ بأن تُقسِم بأنك لم تسمع أبداً عن أخطاء قديمة لهذا القصر.

رئيس الكورس: آه! هل تؤكد القَسَم الشديد التوكيد سيكون علاجاً؟ لكن أعجب بالكيفية التي بها أنت تلاقين الحقيقة في كل مكان، وقد نُشِئتِ على شواطئ بعيدة، كما لو كانت عيونك قد شاهدتها.

كساندرا: إن أبولون المنبئ قد كلّفني بهذه المهمة.

رئيس الكورس: هل جرحه الحب، رغم أن الحب إله.

كساندرا: كنت سأخجل في الماضي لو أنني تكلمت عن هذه الأمور.

رئيس الكورس: في أيام السعادة يكون المرء حياً.

كساندرا: لقد ناضل من أجل أن يظفر بحبي، وكان مولها بي.

رئيس الكورس: ومثل سائر الناس جرى بينكما جماع!

كساندرا: لقد وعدت لو كسياس Loxias، وخنثُ قَسَمي.

رئيس الكورس: هل كنت آنذاك تملكين الفن الذي يلهمك هنا؟

كساندرا: تنبأت بما سيقع لوطني من كوارث.

رئيس الكورس: ماذا؟ هل غضبة الإله لم تعاقبك إذن؟

كساندرا: منذ أن خُنّته، لم يصدّقني أحد.

رئيس الكورس: أما تنبؤاتك بالنسبة إلينا فإنها مصدّقة جداً!

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! آه! آه! الويلات! من جديد العمل التنبؤي، وهو رهيب، يجعلني أنقلب على نفسي ويُجنّني بترديدته الرهيبة. انظر إلى هؤلاء الشباب الجالسين بالقرب من القصر، كأنهم أشكال أحلام: كما لو كانوا أولاداً

(١) قتل أبناء توست.

(٢) الغراميات الفاسقة بين توست وأيروبيه، وقد انتقم منها أتريو انتقاماً قاسياً،

قتلهم أبائهم؛ أيديهم مملوءة باللحم - وأجسامهم مقدمة للذبح - هم يحملون حملاً محزوناً من الأحشاء قربها والد من فمها! وإني أعلن لكم ان هذا هو ما يفكر شخص في الانتقال منه؛ وأسد - لكنه أسد جبان باقٍ في البيت وجالس على السرير ينتظر فيه عودة السيد، سيدي، ما دام يجب عليّ أن أحمل نير عبدة. ورئيس الأسطول، مُدمر طروادة، لا يعلم ماذا تهيؤه له هذه الكلبة البغيضة، التي صوتها يقول ويعيد مراراً السرور، والقوة الخبيثة للموت، ما تهيؤه له من مصيبة! لكن هذه هي وقاحتها! امرأة قاتلة لرجل، إني أرى فيها... من أين أستعيد اسم وحش كرهه: يتّين ذي رأسين، اسقولا رابضة في الصخور، هي كارثة على البحارة - اسماً أطلقه على هذه الأم المخبولة، الخارجة من العالم السفلي، ولا تتنفس إلا الحرب التي لا هوادة فيها ضد كل أهلها. آه! إن صيحة الانتصار التي أطلقتها هذه الوغدة: صيحة المحارب أمام هزيمة العدو! ويتخيل الناس أنها بهذا تعبر عن سرورها بعودة سعيدة! لكن - سواء صدقتُموني أو لم تصدقوني، وهذا لا يهمني - ما يجب أن يكون سيكون، وأنت يا مَنْ ستشهد هذا عمّا قليل - ستمتلىء بالشفقة وستقول إنني كنت متنبئة صادقة جداً في تنبؤاتي.

رئيس الكورس: أنت تكلمتِ عن المأدبة المُعدّة لتوئست Thyeste من لحوم أبنائه: وأنا فهمتُ، وارتعدت، والخوف يستولي عليّ، لدى سماع الحقيقة العارية والتي لا تزويق فيها لكن عقلي الشارد قد خرج عن طوره فيما يتعلق بباقي أقوالك.

كساندرا: أقول لك إنك ستشهد موت أجامنون.

رئيس الكورس: آه! اسكتي أيتها الشقية! أنيمي صوتك!

كساندرا: لا يستطيع أحد أن يعالج المصائب التي أتنبأ بها.

رئيس الكورس: لو قدر لها أن تحدث؛ لكن الآلهة ستحفظنا منها!

كساندرا: لك ان تعبر عن تمنياتك: لكنهم هم يحضرون لعملية الاغتيال.

رئيس الكورس: مَنْ هو إذن الذي يحضر لهذه الجريمة النكراء؟

كساندرا: إنك تفضلُ بعيداً عن معنى تنبؤاتي.

رئيس الكورس: إني لا أرى كيف يهتّب القاتل لهذه الجريمة.

كساندرا: ومع ذلك فإنني أعرف التكلم بلغة بلاد اليونان.

رئيس الكورس: ولوكسياس هو الآخر، ومع ذلك فإن تنبؤاته غامضة.

كساندرا: آه! ما هذه النار؟ آه! وهو يمشي نحوي، أي أبولون لوكايوس Lykeios، اشفق عليّ! إنها هي: النبوءة ذات القدمين، التي كانت تنام مع الذئب في غياب الأسد النبيل، إنها هي التي ستقتلني! في الكأس التي تُعدّ فيها السُّمّ، هي تريد أيضاً أن تمزج انتقامها بأجرتي^(١)! إنها تزعم، وهي تُزهف الخنجر ضد زوجها، إنها تعاقبه بالموت لأنه أتى بي إلى هنا! لماذا إذن هذه المسخرة، هذه العصا، هذه الأربطة الرهيبة التي تحيط برقبتي؟ آه! سأقضي عليك قبل أن أهلك أنا! (تحطّم العصا؛ ثم تنتزع من رأسها الأربطة وترميها على الأرض). عليك اللعنة: هذا هو انتقامي أن أراك هكذا مرمية على الأرض. اذهبي إذن وزودي بالشقاء شخصاً آخر غيري! انظروا: إن أبولون هو نفسه الذي ينتزع مِنِّي معطف المتنبئين، لكن بعد أن طاب له ان يشاهدني وقد استهزىء بي كثيراً وأنا لابسة هذه الزينة سواء من جانب أصدقائي ومن جانب أعدائي جميعاً، ومن أجل لا شيء! لقد كان عليّ أن أدعى: «المتشردة!» كما لو كنت عرّافة بالبخت وشحّاذة جائعة! واليوم ها هوذا النبيّ الذي جعلني نبيّة قد اقتادني إلى الموت: فبدلاً من المذبح في قصر والد، فإن وضماً ينتظرني مضرّجاً بالدم الحار المتدفق من ذبحي! - لكن الآلهة - على الأقل - لن يتركوا قتلي يذهب دون عقاب، بل سيأتي شخص آخر، يأخذ بثأري، هو ابن وُلِد من أجل قتل أمّه والانتقام لقتل أبيه. منفيّاً، متشرداً، مطروداً من هذه البلاد، سيعود ليضع هذا التاج على مبنى المصائب المشيّد لأهله. فلماذا إذن أنوح على نفسي؟ ما دمت، بعد أن شاهدت مدينة اليون (طروادة) وقد عوملت هذه المعاملة - أرى المنتصرين عليها ينتهون على هذا النحو بقرار من السماء! كلا بل سأكون قويّة، وسأعاني الموت - أقسم بقسم الآلهة على هذا قسماً مُعَلِّظاً؟ إنني أحيي في الأبواب أبواب العالم السفلي، ولا أتمنى إلا ضربة قاضية تغلق عينيّ، في أمواج من الدم الذي يقتل برقة ودون تشنّجات.

رئيس الكورس: إيه أيتها المرأة الشديدة الشقاء والوفيرة العلم معاً، لقد أخبرتنا بما فيه الكفاية! لكن إن كنت تعلمين حقاً أين ينتظرك الموت، فلماذا

(١) الزوجة التي خانها زوجها تريد أن تتقم في نفس الوقت الذي هي فيه الأمّ.

تسيرين هكذا بجرأة إلى المذبح، مثل بقرة تسوقها الآلهة؟

كساندرا: لا شيء يستطيع أن ينقذني؛ فلماذا أكسب ساعة؟

رئيس الكورس: لكن الساعة الأخيرة ذات ثمن لا نهاية له.

كساندرا: كلا، لقد جاء اليوم: فماذا أكسب من الهرب؟

رئيس الكورس: اعلمي أن مثل هذه الشجاعة تكشف عن نفس كريمة.

كساندرا: هذا قول لا يقال لسعداء هذا العالم.

رئيس الكورس: الموت المجيد نعمة من الآلهة.

كساندرا: آه! الرحمة عليك أيها الوالد، وعلى أبنائك النبلاء!

(تغطي رأسها، وتتوجه نحو القصر، وفجأة تراجع).

رئيس الكورس: ماذا حدث؟ أيّ خوف أرجعك؟

كساندرا (بفزع): آه! آه!

رئيس الكورس: لماذا هذه الصرخة؟ أيّ وحش تخيلته نفسك؟

كساندرا: إن هذا القصر يفوح منه القتل والدم المسفوح.

رئيس الكورس: بل قولني إنه يفوح منه القرايين المُحرقة على المذبح.

كساندرا: بل الأبخرة الصادرة عن قبر.

رئيس الكورس: أنت تنسين إليه عطراً ليس من البخور في شيء!

كساندرا: هيا! سأذهب اذن لأنوح حتى عند الأشباح، لأفرج عن نفسي وعلى أجاممنون. كفى هذا القدر من الحياة! (تتوجه من جديد نحو القصر، لكنها تتوقف من جديد وترجع إلى الكورس)، آه! أجانب. لا تروا فيّ عصفوراً يزقزق فزعاً أمام خميلة. إنني أريد فقط أنه بعد موتي تشهدون على هذا كله من أجلي، في اليوم الذي فيه، ككفارة عن دمي فإن دم امرأة، ستسفنك امرأة دمها هي أيضاً، وحيث سيسقط رجل ثمناً لرجل أطاحت به زوجته. تلك هي الهدية التي أنشدها من ضيوفي في ساعة الموت.

رئيس الكورس: أيتها البائسة، إنني أشفق على المصير الذي تتبأين به.

كساندرا: إنني لا أريد أن أنشد رثاء نفسي. إنني أوجه دعائي إلى الشمس،
في مواجهة نورها السامي. ليت الآخذين بثأري ومن يقتلونني يدفعون معاً دين^(١)
العبد التي ماتت هنا، والتي كانت فريسة سهلة:

(تدخل في القصر، والباب يغلق وراءها).

رئيس الكورس: آه! ما أبأس حظ بني الإنسان! إن سعادتهم تشبه رسماً
خفيفاً؛ ثم يأتي البؤس: ثلاث ضربات بأسفنجة رطبة، وتقضي على الرسم!
وهذا^(٢) هو ما يملؤني بالشفقة أكثر من ذلك. إن بني الإنسان لا يشبعون أبداً. ولا
واحد منهم يتخلى عن الحياة، والاصبع المرفوع لإبعاده عن مسكنه لا يقول له:
«لا تدخل!».

وهكذا قُدر لهذا الرجل أن تهبه الآلهة السُعداء غزو مدينة فريام؛ وها هوذا
يعود إلى وطنه مملوءاً بِنَمِّ السماء. لكن إذا كان عليه الآن أن يدفع ثمن الدم الذي
سفكه أباه، وأن يستدعي صوت آخرين، وهو يموت، عقاباً عن موته هو - فَمَنْ
إذن من بين الناس سيستطيع، حين يعلم هذا، أن يتباهى بأنه وُلِدَ لكي ينال حظاً
خالياً من الشرور؟

(يسمع بقتة وراء الباب نداء أجاممنون).

أجاممنون: واحسرتاه! إن ضربة قاتلة مَزَّقت لحمي!

رئيس الكورس: اسمعوا! من يصرخ هناك وقد أصابته ضربة قاتلة؟

أجاممنون: واحسرتاه! واحسرتاه مرتين! ضربة أخرى!

رئيس الكورس: الجريمة تَمَّتْ: إنها صرخات الملك! هيا، يا أصدقائي،
لنجمع هنا مجالس موثوق بها.

عضو ثان في الكورس: رأيي هو أن ننادي المواطنين فنقول: النجدة، تعالوا
هنا جميعاً، إلى القصر!»

عضو ثالث في الكورس: ورأيي أنا هو أن نهرع نحن بأسرع ما يمكن وأن

(١) النص هنا غير واضح.

(٢) هذا: أي الهاشاشة العامة للسعادة الانسانية. ذاك: أي مصير كساندرا بخاصته.

نفاجىء الجريمة والسيف لا يزال يقطر منه الدماء .

عضو رابع: نعم، أنا أوافق على كل رأي من هذا القبيل: فلنفعل أولاً،
فليس الوقت وقت تردّد.

عضو خامس: يمكن أن ننتظر ونرى: فليست هذه إلاّ البداية، والإيدان
بالطغيان الذي يحضّرون له في المدينة.

عضو سادس: لأننا نتردد ونوازن! أما هم فيطأون بأقدامهم مجد التردد، ولا
ينيمون سواعدهم.

عضو سابع: أنا لا أعرف أيّ رأي أبديه؛ فحتى من يريد العمل ينبغي عليه
أن يشاور أولاً.

عضو ثامن: وهذا هو رأيي أنا أيضاً: لأنني لا أعتقد أن الكلمات يمكن أن
تبعث الميّت حيّاً.

عضو تاسع: ماذا إذن! هل نركع أمام سادة يدنسون هذا القصر، فقط من
أجل أن نطيل في عُمرنا؟!

عضو عاشر: هذا عار لا يحتمل. الموت أفضل من هذا؛ إن الموت خير
من الطغيان.

عضو حادي عشر: أجل! لكن لماذا نريد أن نفترض موت ملكنا، وليس
لدينا دليل إلاّ صرخة!

عضو ثاني عشر: لا ينبغي الغضب إلاّ حين نعلم علم اليقين. أما الافتراض
فليس علماً.

رئيس الكورس: صوتي يؤيد هذا الرأي: وهو أن نعرف بالدقّة ماذا جرى
للأتريوسي (= أجاممنون).

(الباب الرئيسي يُفتح. يُشاهد أجاممنون عارياً وقد مُدّد في نقاب واسع مضرّج بالدم. كساندرا
راقدة إلى جانبه. وبالقرب من الجثتين تقف قلوطنسترا وفي يدها سيف).

قلوطنسترا: إن الضرورة أملت عليّ كلمات: ولن أخجل من تكذيبها.
حينما يتأهب المرء ليشفي كراهيته لأولئك الذين يكرههم وهو يتظاهر بأنه يجبههم -

فهل هناك وسيلة أخرى لرفع أعلام «الشقاء» كيما تتحدى كل وثبة تريد أن تتجاوزها؟ هذا اللقاء أنا فكرتُ فيه طويلاً: وجاء اللقاء، جاء الانتقام أخيراً: - وأنا باقية حيث ضُربتُ ضربتي: هذه المرة قد قُضي الأمر! - لقد فعلتُ أنا كل شيء، ولا أنكر هذا، حتى لا يستطيع أن يهرب ولا أن يُفَلت من الموت. إنها شبكة لا مخرج منها، شبكة لصيد السمك حقيقية لفتتها حوله، ثوب غدار. وضربته مرتين؛ وبدون بادرة منه، بنوحتين أسلم أعضاءه؛ وحينما صُرع أهويت عليه بضربة ثالثة كانت قرباناً^(١) نذرته لزيوس منجّي الموتى الذي يحكم تحت الأرض. فرقد، وبصق رُوحه، والدم الذي انطلق منه بعنف تحت تأثير السيف الذي نفذ^(٢) فيه غمرني بقطراته السوداء، التي كانت رقيقة على قلبي مثل ندى^(٣) زيوس على البرعم. - تلك هي الوقائع، أيها المواطنون المحترمون في مدينة أرجوس. وسواء رضيتم أو لم ترضوا، فإنني أفتخر بها وأراها مدعاة للمجد! ولو كان من المسموح به صبُّ رَشَات على جثة، لكان ذلك مما تقتضيه العدالة، وأكثر من العدالة: فإن هذا الرجل قد لُدَّ له، في هذا القصر، أن يملأ باللعنات الفوّهة التي كان عليه هو بدوره أن يفرغها دفعة واحدة!

رئيس الكورس: تعجبني لهجة فمك الوقح: أن تفخري هكذا على حساب زوجك!

قلوطمسترا: أنت تحيرني، وتعتقد أنني إمراة حمقاء! وأنا أقول لك، بقلب لا يهتز، وأنت تعرف هذا جيداً: وسواء لُمتني أو مدحتني فالأمر عندي سواء. هذا هو أجاممنون زوجي؛ ويدي قد أحالته إلى جثة هامدة، وعملي هو عمل عاملة ماهرة طيبة. هذا هو الأمر.

الكورس: أية أعشاب مسمومة تغذت من عصارات أرضية، وأي شراب تدفق من بين الأمواج البحرية - شربت، بحيث اعتقدت أنك تستطيعين - بواسطة مثل هذا

(١) هي الرشة الثالثة المخصصة لزيوس المنجّي. وهي هذه المرة لزيوس الموتى: هادس.

(٢) في رأي اسخولوس أن الآلة التي ضربت قلوطمسترا بها زوجها أجاممنون ليست البلطة، بل السيف.

(٣) راجع «الألياذة» النشيد رقم ٢٣، الأبيات ٥٩٧ وما يليها: «إن منلاس يريد أن يشرح قلبه، مثل القمع تحت الندى، في الأيام التي فيها ينمو المحصول، وتتفطر الحقول بالسنابل».

القتل - أن تقضي على لعنات شعب بأكمله؟ كلا! من الآن فصاعداً أنت ليس لك وطن، والكراهية الشديدة من جانب مدينتك قد حَلَّت عليك .

قلوطينسترا: أنت إذن تحكم عليّ اليوم بالنفي، وبكراهية مدينة أرجوس، وبلعنات الشعب - بينما أنت لم تثر أبداً ضدهُ هو، لما ان ضحى بابنته، الإبنة العزيزة التي حملتها في أحشائي، كما لو كانت نعجة من بين نعاج قطعان ذوات صوف، وذبح ابنتي هذه من أجل أن يسحر رياح تراقيا! ألم يكن هو الأولى بأن يلقى به خارج هذه المدينة، كيما يكفر عن نجاساتها؟ أما فيما يتعلق بي، فقد كفاك سماع ما فعلته أنا كي تجعل من نفسك حَكماً لا يرحم. لكن وما هو التهديد الوحيد الذي أسمح لك به - لأنني مستعدة أن أردّه عليك أنت - وهو أن أحتكم إلى القوّة: فإن انتصرت أنت، فأنت سيّدي؛ لكن إذا قررت السماء عكس ذلك فإن دروساً متأخرة ستعلّم الحكمة .

الكورس: إن نفسك متغطّسة، ولهجتك حمقاء. ولهذا فإن قلبك - بعد القتل الذي دَنّسه - يعتقد في هذيانه أن فعلته الدامية هي زينة على جبينه! لقد صرّت هدفاً للاحتقار، ومحرومة من الأصدقاء، وعليك أن تدفعي الضربة بضربة مثلها .

قلوطينسترا: وأنت، هل تريد أن تسمع قرار أقسامي أنا؟ كلا، بحق العدالة التي انتقمت لابنتي، وبحق أتيه Até، وبحق إلهة الانتقام، التي ذبحت لها هذا الرجل، كلاً، إن القلق المجرد لن يدخل هذا القصر، طالما سيكون ايجيست Egisthe موجوداً لإشعال نار منزلي، ويؤمن لي زعمّة^(١). إنه الثُرس الواسع الذي أضع فيه ثقتي. - إنه مطروح أرضاً هذا الرجل الذي أهانني، وملذات الخسيس تحت إيون! وكذلك أيضاً هذه الأسيرة، العزّافة، الفاجرة التي وضعها على سريرها، ها هي ذي إذن، المخلصة التي تشاركه الآن في مرقده، كما شاركته مقعده في البحر! كلاهما لقي المصير الذي استحقه. أما هو فقد سقط صريعاً دون أن ينطق بكلمة؛ أما هي فهي على العكس، كانت أشبه ببلشون راحت تنشُد نشيد الموت قبل أن تتمدّد، في حالة عاشقة، إلى جانبه؛ وزوجي هو نفسه هو الذي أتى بها لتزيد من نشوة انتصاري!

(١) معنى هذا أنها تعترف صراحة بأن ايجيست هو زوجها وسيّد القصر.

الكورس: أواه! أي موت سيأتي سريعاً، ودون آلام حادة، ودون سرير لسكرات الموت، ويقدم لقلوبنا النوم الذي لا يقطعه شيء ولا يُنهيه شيء، ما دام قد سقط سريعاً ذلك الذي كان إحسانه يسهر علينا، والذي تألم كثيراً من أجل امرأة^(١)، والآن فقد الحياة بواسطة امرأة^(٢).

رئيس الكورس: آه هيلانه، هيلانه المجنونة، التي أهلكت وحدها تحت أسوار طروادة المئات بل الآلاف من الأحياء.

الكورس: لقد أعطيت لعملك تتويجاً عالياً لا يُنسى، بإراقتك دمماً يستحيل غسله. نعم، كان نزاع^(٣) هو الذي يسكن في البيت في ذلك الزمان، نزاع عمل على هلاك زوج.

قلوطينسترا: لا تنادِ الموت، لأن هذه الضربة ترهقك. لا تصرف غضبك إلى هيلانه، متصوّراً أنها هي وحدها القاتلة والمهلكة لآلاف اليونانيين، وأنها هي التي فتحت في جنوبنا جرحاً لا يندمل.

الكورس: أيها الجني الذي ينقض على البيت وعلى رأسي حفيدتي طنطالوس، إنك تستخدم النساء ذوات الأنفس المتشابهة من أجل الانتصار ممزقاً قلوبنا. انظر إليها وقد وقفت عند الجثة، مثل غراب الشقاء، متفاخرة بالإنشاد نشيد النصر!

رئيس الكورس: آه هيلانه، هيلانه المجنونة التي أهلكت، وحدها، تحت أسوار طروادة المئات بل الآلاف من الأحياء.

الكورس: لقد أعطيت لعملك تتويجاً عالياً لا يُنسى، بإراقتك دمماً يستحيل غسله. نعم، كان نزاع هو الذي يسكن في البيت في ذلك الزمان، نزاع أدى إلى هلاك زوج.

قلوطينسترا: فمك - في هذه المرة - يصحح خطأك، بذكر الجني الذي يسمن على حساب هذه السلالة. إنه هو الذي يُغذي في أحشائنا هذا التعطش

(١) هي هيلانه.

(٢) هي قلوطينسترا.

(٣) النص هنا غامض.

للدماء . وحتى قبل أن ينتهي الداء القديم، فإن دُملاً جديداً قد ظهر .

الكورس : نعم، إنه رهيب، رهيب لهذا البيت وقاس في أحقاده هذا الجِنِّي الذي ذكرته . . آه! يا له من ذكر أليم لمصير لا يشبع من الفظائع! واحسرتاه! وكل هذا بواسطة زيوس الذي يريد كل شيء وينجز كل شيء هو وحده! وهل يحدث لبني الإنسان شيء بدون زيوس؟ وهل يوجد شيء ها هنا ليس من فعل الآلهة؟

رئيس الكورس : آه! يا ملكي، يا ملكي! كيف أبكي عليك؟ وبأية كلمات صادرة عن أعماق قلبي أتوجه إليك؟ ها هوذا جسمك، مطروحاً على الأرض في خيوط العنكبوت هذه، وروحك تخرج تحت ضربة كافرة!
الكورس : واحسرتاه! ها أنت ذا مطروح على فراش لا يليق بك، وقد قضى عليك موت غدار، بسلاح ذي حدّين امتشقتة زوجتك!

قلوطمنسترا : أنت تدعي أن هذا من عملي: لا تصدق هذا. ولا تصدق أنني زوجة أجامنون وإنما على شكل زوجة هذا الميت قام الجِنِّي المنتقم من آل أتريوس ومن أمفثريون القاسي فدفع^(١) ثمن هذه الضحية، بأن ذبح محارباً من أجل الانتقام لأولاد.

الكورس : أأنت إذن بريئة من هذا القتل؟ مَنْ تجددين ليشهد على ذلك؟ وكيف؟ كيف؟ لكنّ الجِنِّي المنتقم لهذه السلالة لا يمكن أن يكون شريكاً لك في هذا القتل. وإذا كان آرس Arès المتوحش الأسود قد سفك أمواجاً من دم الأسرة، فذلك لأن الساعة قد جاءت عنده ليحقق للأولاد المقتولين العدالة التي يطالب بها دمهم المتجمد على الأرض.

رئيس الكورس : آه! يا ملكي! يا ملكي! كيف أبكي عليك، وبأية كلمات صادرة من أعماق قلبي أتوجه إليك؟
ها هوذا جسمك، مطروحاً على الأرض في خيوط العنكبوت هذه، وروحك تخرج تحت ضربة كافرة!

الكورس : واحسرتاه! ها أنت ذا مطروح على فراش لا يليق بك، وقد قضى عليك موت غدار، بسلاح ذي حدّين امتشقتة زوجتك!

(١) الجِنِّي هو السلالة. وقد ارتكب هذه الجريمة، وهو يدفع ثمنها على حساب هذه السلالة.

قلو طمنسترا: «لا يليق بك» - لا! وموته أيضاً لم يكن غير لائق به. إن الموت الغدار هو ذلك الذي أدخله هو في بيته. إن المصير الذي جلبه هو على الثمرة الجميلة التي حصلت عليها منه: أعني أفيجنيا التي طالما بكينا عليها، يستحق المصير الذي عاناه هو الآن. فلا يظهرنّ إذن غطرسة زائدة في العالم السفلي: إن موته بالحديد الحاذّ لم يدفع إلاّ عن الجرائم التي كان هو البادئ بارتكابها.

الكورس: لست أدري أين أنا؛ وكل رأي سديد يفلت من جزعي: أين أتوجه، بينما البيت ينهار؟ إنني أرتعد من أزيز المطر الدامي الذي ينهار القصر تحت هطوله. وها هو ذا قد صار طوفاناً! إن «المصير» يجدّ سيف عدالة من أجل عقاب جديد، يحده على حجارة جديدة.

رئيس الكورس: أيتها الأرض، أيتها الأرض، لماذا لم تستقبليني أنا في حضنك، قبل أن أشاهد هذا الجسم الممدّد في أعماق حوض استحمام من الفضة؟ من ذا الذي سيدفنه؟ ومن ذا الذي سينشد عليه نشيد الموتى؟ هل تتجاسرين أنت على هذا بعد أن قتلت زوجك، وأن تشيعيه بنواحك، وأن تقدمي إلى روحه - فداءً عن جريمة نكراء - تكريماً لن يكون إلاّ إهانة بالغة؟

الكورس: والرّياء، مَنْ ذا الذي سيقوم به ذارفاً الدموع على قبر هذا البطل، بقلب لا يكذب؟

قلو طمنسترا: ليس هذا من شأنك أنت: لقد سقط صريعاً بواسطتي أنا ومات، وسأتولى أنا دفنه - بدون النواح عليه من أهله. وحدها أفيجنيا المليئة بالرقّة، أفيجنيا ابنته، ستذهب كما ينبغي للقاء أبيها على شاطئ النهر المندفّع بالآلام^(١)، وتلف عنقه بذراعيها، وتستقبله بقلبتّها!

الكورس: الإهانة تجاوب الإهانة. والنطق بها مهمة عسيرة. من يدعي الأخذ يُؤخذ؛ ومن قتل يدفع الثمن. لا بد من سيادة القانون ما دام زيوس يحكم: القانون الذي يقول: «الجاني يعاقب» هذا أمرٌ إلهي. أه! من ذا الذي يستطيع أن يستأصل من هذا القصر جرثومة اللعنة؟ إن السلالة موكولة بالشقاء.

(١) هي تلاعب باسم Acheron فنشقه من اللفظ اليوناني achos أي: الألم.

رئيس الكورس: أيتها الأرض، أيتها الأرض! لماذا لم تستقبليني أنا في
حضانك، قبل أن أشاهد هذا الجسم الممدد في أعماق حوض استحمام من الفضة؟

من ذا الذي سيدفنه؟ ومن ذا الذي سينشد عليه نشيد الموتى؟ هل تتجاسرين
أنتِ على هذا بعد ان قتلت زوجك، وأن تشيعيه بنواحك، وأن تقدمي إلى روحه -
فداءً عن جريمة نكراء - تكريماً لن يكون إلا إهانة بالغة؟

الكورس: والرثاء، من ذا الذي سيقوم به، ذارفاً الدموع على قبر هذا البطل،
بقلب لا يكذب؟

قلو طمنسترا: أنت الآن أعلنت الحقيقة. على الأقل أنا أريد أن أتبادل الأقسام
مع جنّي البلاستينيد^(١) Plisthénides وأن أستسلم الآن، مهما يكن ذلك قاسياً، بشرط
أنه من الآن فصاعداً سيخرج من هذا البيت ليستهلك سلالة أخرى بواسطة هذه
الاغتيالات العائلية. إن أقل نصيب من أموال هذا البيت سيكفيني، إذا استطعت أن
أطرد من هذا القصر هذا الجنون بالاغتيالات المتبادلة.

(ترمي بالسيف بعيداً عنها. - يدخل ايجيست في الأوركسترا تتبعه فرقة مسلحة. يتوقف في
مواجهة جثة أجاممنون)

ايجيست: آه! ضوء الشمس الطيب القاضي العادل! من الآن فصاعداً في
وسعي أن أقول إنه يوجد - للانتقام لبني الإنسان - آلهات يتبصرون - من أعلى -
الجرائم التي ترتكب على سطح الأرض، لأنني شاهدت اليوم، في نُقب نسجتها
آلهات الانتقام، هذا الرجل الممدد وقد دفع أخيراً العنف الغدار الذي ارتكبه والد،
وهذا سرتني سروراً عميقاً. ذلك أن أتريوس، مَلِك هذا القصر ووالد هذا الرجل،
لما شاهد توثست - والدي أنا، وأخوه هو - ينازعه العرش، فإنه طرده من مدينته
ومن بيته. ولما عاد مستجيراً بأسرة أخيه، وجد الأمان بمعنى أنه لم يقتل في الحال
ولم يسفح الدم على أرض آبائه؛ لكن الأب الفاسق لهذا الرجل، أتريوس،
متحمساً أكثر منه متعطفاً، تظاهر بأنه يحتفل بعيد بواسطة تضحية فَرِحَة، وقدم إلى

(١) أدخل بلستين متأخراً في نسب آل بيلويس، لكن مكانته ظلت دائماً قلقه. . و«أثبات» هسيود تقول
إنه ابن أتريوس ووالد أجاممنون. لكن اسخولوس - الذي يرى أن أجاممنون هو ابن أتريوس -
وليس حفيده - يعتقد أنه ابن بيلويس.

أبيه، كهدية ضيافة، طعاماً مكوّناً من لحم أبنائه. وجلس وحده على رأس المائدة، وأخذ يكسّر الأقدام وأطراف أصابع الأيدي^(١). . . وانخدع ثوئست وأسرع في تناول هذا الطعام الذي لا يتميز عن سائر الطعام. والتهم هذا الطعام المنحوس لكل سلالة. ثم لما تبين له هذا الفعل الكريه راح ينوح وسقط على وجهه وهو يستفرغ هذا اللحم المذبوح. وهناك دعا على بيلوپس أن يصيبهم مصير رهيب، ومع هذا الذي قاله، قلب المائدة بضربة من قدمه وقال: «وليهلك هكذا كل سلالة پلستين!» وهذا هو السبب في أنك تشاهد هذا الرجل مطروحاً على الأرض وقد قُتض لي أن أدبّر أنا هذا الاغتيال. لقد كنت الابن الثالث عشر لوالدي السيء الحظ، فنفاني أتريوس معه وأنا صغير جداً لا أزال في المهد. لكنني كبرت، واقتادتني العدالة إلى وطني، ودون أن أجتاز الباب عرفت كيف أنتظر الرجل وأن أعقد كل عُقد المؤامرة التي أودت به. ولهذا فإن الموت يبدو لي أمراً حلواً، الآن وقد شاهدت هذا الرجل محصوراً في شبكة العدالة.

رئيس الكورس: يا ايجيست، إن الوقاحة في الجريمة أمرٌ يستفزني: أنت تقول إنك - عن عمد وتصميم - قد قتلت هذا الرجل وأنت وحدك الذي دبّرت هذا الاغتيال البشع. أنا أقول لك إن رأسك لن ينجو من انتقام الشعب انتقاماً عادلاً مزوداً بالحجارة واللعنات.

ايجيست: أنت الذي تجرؤ على أن ترفع صوتك وأنت تجلس على آخر مقعد بين الجادفين بالمجاديف. من يأمر على السفينة إن لم يكن أولئك الموجودون عند مقدمها؟ وعلى الرغم من سنك العالية فسترى كم هو عسير على شيخ عجوز أن يتولّى التأديب، بينما هو مأمور بأن يكون عاقلاً. لتأديب الشيخوخة يلاحظ أن الحديد والعذاب بالتجويع هما ساحران لا يضارعهما أحد. هل عينك لا تنفتحان كي تبصر ما ترى؟ لا تقاوم المنخاس: فإنك لو قاومت فسيكلفك هذا كثيراً.

رئيس الكورس: أهو أنت - وأنت امرأة! لأنك بقيت في البيت بينما كان الرجال يعودون من القتال - إنك أنت الذي تُدّس فراش بطل وتدبر موت رئيس جيش!

(١) هنا خرم في المخطوطات اليونانية.

ايجيست: وهذه أيضاً كلمات ستولد الدموع. إن صوتك هو الضدّ من صوت أورفيوس: إن أورفيوس بنغماته قد اجتذب الطبيعة المسحورة بصوته؛ أما أنت - بكلماتك التي تتحدانا بصراخها - فإنك ستصدّق في الأغلال، وستتولى القوة تهديبك.

رئيس الكورس: ماذا؟ هل سارك ملكاً على أرجوس، وأنت الذي دبّرت مقتل هذا الرجل، دون أن تجرؤ على أن تضربه بضربة من ذراعك!

ايجيست: إن الحيلة كانت من شأن المرأة. أما أنا، عدوّ القديم، فقد كنت سأكون مشكوكاً فيه. لكنني أريد أن أتأمر الآن على المواطنين بواسطة أموال هذا الرجل.. والعاصبي سأربطه تحت نير ثقيل؛ ولا يحسبنّ أنه سيعلف بالشعير مثل المهر الأصيل. بل الجوع القاسي المقرون بالظلمات سيجعله ألين عريكة.

رئيس الكورس: ولماذا، في جينك، لم تضرب أنت بنفسك هذا البطل؟ لماذا كان القاتل له هو امرأة هي نجاسة البلد والآلهة؟ - لكن أليس أورست Oreste حياً دائماً، كيما يعود مقوداً بحظ سعيد ليقتلكما كليكما بذراعه الظافرة؟

ايجيست: أهكذا تدعي العمل والكلام؟ إذن سترى... هيا، أيها الحرّاس، اعملوا.

رئيس الكورس: هيا! امتشقوا سيوفكم أنتم جميعاً!

ايجيست: ليكن! أنا مستعد للموت وأنا ممتشق سيفي.

رئيس الكورس: أنت تتكلم عن الموت؛ أما أنا فأريد أن أجزّب حظي!

قلو طمنسترا: توقف، يا أعزّ الناس، ولا تضيفن المزيد من المصائب الحالية. لقد ربطنا الكفاية من ربطات الآلام. وحسبنا هذه البلايا، لا تفعل بعد شيئاً: إننا لا نزال ندمي. ولتعودوا إلى بيوتكم أنت وهؤلاء الشيوخ، ليعذّ كل واحد إلى المسكن الذي وهبه المصير إياه، دون أن يصاب أحد أو يصيب غيره بسوء. إن الأمور هي كما ينبغي أن تكون.. فإن كانت هذه المصائب كافية، فلن نشكو منها: إن الجئيّ ذا المخالب الثقيلة قد حطّمتنا بما فيه الكفاية. وبقسوة. هذا هو رأي امرأة، إن اعتقد أحد أن عليه أن يصدّقها.

ايجيست: ماذا! هؤلاء الناس يظهرون مثل هذه الوقاحة ضديّ أنا! إنهم

يتحدون المصير باطلاق هذه العبارات! لقد فقدوا الصواب إلى حد أنهم أهانوا
سادتهم!

رئيس الكورس: لا، لا، أرجوس لن تتملق جباناً أبداً!

ايجيست: اذهب، سأعرف كيف انتظرك في الأيام القادمة!

رئيس الكورس: اللهم إلاً إذا أرشد الإله أورست فيجيء إلينا!

ايجيست: من المعلوم أن هذا المنفي يتغذى بالآمال.

رئيس الكورس: هيا! فالوقت ملائم؛ هيا أشبع نفسك من الجرائم!

ايجيست: آه! ستدفع ثمناً غالياً عن حماقتك التي أبديتها اليوم.

رئيس الكورس: تجاسر إذن! وتبأ بنفسك مثل الديك أمام دجاجتك!

قلو طمنسترا: احتقر هذا النباح. أنت وأنا سادة هذا القصر، وسنعرف كيف
نعيد النظام.

(تدخل القصر مع ايجيست، والكورس ينسحب ببطء).

انتهت مسرحية

«أجاممنون»

مَسْرُحِيَّةُ «حَامَلَاتُ الْقَرَابِئِنِ»

مَقْدَمَةٌ «حَامَلَاتُ الْقَرَابِئِنِ»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

أورست

بطل هذه المسرحية هو أورست.

وأورست هو ابن أجاممنون، وأمه هي قلوطنسترا. وقد صار ملكاً على موقانس، وأرجوس، واسبرطة.

وكان لا يزال طفلاً حينما قتلت أمه وخليتها ايجيست، أباه أجاممنون. ولصونه عن الخطر أخذته أخته إلكترا - أو مربيته، بحسب رواية أخرى - إلى إقليم فوقيس الذي كان يتولى الملك فيه الملك اسطروفوس الذي كان صديقاً لأجاممنون. فتولى اسطروفوس تربيته مع ابنه پولاد Pylade. وصار هذان صديقين حميمين.

فلما بلغ أورست أشده ذهب إلى معبد دلف ليسأل أبولون ماذا ينبغي عليه أن يفعل للانتقام لمقتل أبيه: فأمره الوحي بأن يقتل أمه وخليتها ايجيست.

فذهب أورست وبصحبته پولاد إلى موقانس حيث كانت أخته الكترا تقيم،

وعرّفها بنفسه وشاورها في الأمر، فوافقت الكترا على خطته للانتقام لأبيها.
فقام أورست ومعه بولاد بتنفيذ هذه الخطة على النحو الذي سنذكره بعد قليل
في تلخيص المسرحية. فقتل أمّه وخليتها ايجيست.

لكن أرواح الإنتقام - الارينيس Erinys - كانت له بالمرصاد لأنه قتل أمّه،
وهي تنتقم دائماً ممن يقتل أباه أو أمّه أو إخوته أو حتى أقاربه. فبدأت أولاً بأن
أصابت أورست بالجنون؛ ثم طاردته خلال كل بلاد اليونان.

وبحسب بعض الروايات، فإن أورست حوكم أولاً أمام محكمة في موقانس،
وقد رفع الدعوى عليه توندار، أبو قلوطنسترا. وطلب أواكس Oeax، وقد كان
يكره أجاممنون لأنه سمح برجم أخيه پلامين، بأن يحكم على أورست بالنفي.
وبحسب يوريفيدس فإن أورست والكترا حُكِم عليهما بالإعدام. لكن منلاس،
وكان قد رفض مساعدتهما، تلقى أمراً من الإله أبولون بأن يطلب من أهل موقانس
بالاكتفاء بنفي أورست والكترا لمدة سنة واحدة، وربما يكون أورست قد ضغط
على منلاس بأن خطف زوجته هيلانه وابنتهما هرميون. بيد أن زيوس أنقذ هيلانه
وأخذها معه إلى السماء، أما هرميون فقد احتفظ بها لبعض الوقت كرهينة.

أما اسخولوس فيقول: إن أورست ذهب إلى دلف طلباً للمساعدة من
أبولون، لأن أبولون هو الذي حرّضه على قتل أمّه، فأمره وحي أبولون بالذهاب
إلى مدينة أثينا تحت حماية هرمس ليُحاكَم أمام «الأريوفاغ»: محكمة أثينا التي
نصبتها الآلهة لما أن قام آرس Ares بقتل هلرهوتيس Halirrhotos.

وحضرت الإلاهة أثنا وأبولون والارنيات محاكمة أورست أمام «الأريوفاغ»:
وتولى أبولون الدفاع عن أورست، وتولى الاتهام الارنيات. لكن أصوات القضاة
جاءت متساوية. وكانت الإلاهة أثنا ترأس هيئة المحلفين، فحكمت لصالح أورست
بحجة أن للأب أفضلية على الأم.

بيد أن الارنيات لم تتوقف عن مطاردة أورست: فأوحى إليه أبولون أن
يتخلص منها بالسفر إلى توريكا (شبه جزيرة القرم في جنوب روسيا) والاتيان من
هناك بتمثال أرتيميس. وهذا الحادث هو موضوع مسرحية يوريفيدس التي عنوانها
«ايفجنيا في توريكا». فلما وصل أورست، ومعه بولاد، إلى توريكا، قُبِض عليهما
للتضحية بهما لأرتيميس - وهذا هو المصير المقرر للأجانب الوافدين إلى هناك.

لكنهما، في اللحظة الأخيرة قبل الذبح، تعرّفا في كاهنة أرتميس أنها ايفجنيا، أخت أورست، المفقودة منذ زمان طويل. فركبت سفينة أورست، وعاد الثلاثة إلى بلاد اليونان.

فلما عادوا إلى بلاد اليونان تزوج پولاد من الكترا؛ أما ايفجنيا فقد صارت كاهنة لأرتميس وأما أورست فاعتلى عرش موقانس وعرش أرجوس. ولما مات توندار صار أيضاً ملكاً على اسبرطة. وزاد في رقعة ملكه بأن غزا قسماً كبيراً من مقاطعة أركاديا. وتزوج من هرميون، وكانت خطيبة له أثناء حرب طروادة، لكن نيوبوليم، في جنونه، كان قد خطفها منه. . وثم رواية تقول إن أورست قتل نيوبوليم في محاولته لخطف خطيبته هرميون، إذ قتله أمام مذبح أبولون في دلف، أو دفع سكان دلف إلى قتله بدعوى أن نيوبوليم كان ينوي نهب المعبد. وقد أنجبت هرميون لأورست ولداً هو تسمينوس Tisamenos الذي صار وريثاً له.

وقد مات أورست لما أن لدغته أفعى، ودفن في تيجيا Tégee بمقاطعة أركاديا (في اقليم الپلپونيز، جنوب غربي بلاد اليونان).

- (٢) -

تلخيص المسرحية

إن مسرحية «أجاممنون» تنتهي بهذا التهديد، وهو: «اللهم إلا إذا قاد أحد الآلهة إلينا أورست!».

ومسرحيتنا هذه تبدأ بدخول أورست ومعه پولاد. ثم يصعد أورست على الرابية التي تضم قبر أبيه أجاممنون، حيث يدعو هرمس العالم السفلي وأباه الميت، ناشداً إياهما أن يساعدها على الانتقام من القاتلين.

وهنا يدخل الكورس، وهو مؤلف من أسيرات فيجين بما يبعث الأمل في نفس أورست. إذ يذكرن ما تقضي به العدالة من أن الدم لا يمحوه إلا الدم، وقطرة دم القتل لا تمحى أبداً، ولا بد أن تنال العقاب مهما تأخر مواعده.

ثم تدخل الكترا، وقد بعثتها أمها قلوطنسترا حاملة قرابين لقبر أجاممنون. ذلك لأن قلوطنسترا بدأت تحسّ بفضاعة جريمتها حين قتلت زوجها أجاممنون -

بالتواطؤ مع خليلها ايجيست - وأدركت أن أرواح الانتقام تطاردها، فأرادت الاستعاذة منها بهذه الرشات (أو الصّبات) على قبر مَنْ قتلته غدرًا وظلمًا. وقد أطاعت إكترا أمرها، لكنها لما وصلت إلى القبر ترددت وراح ضميرها يعذبها: كيف تقوم بهذه المهمة لصالح أمها القاتلة لأبيها؟

هنالك نصحتها الكورس - وهو يشاركها مشاعرها - بالاحتيال في هذا الأمر: بأن تصبّ الصّبات التي أمرت بها الملكة - أمها قلوطنسترا - بشرط أن تتلوها بدعاء، وبلعنات: أما الدعاء فلصالح أصدقاء أبيها، أما اللعنات فتوجهها ضد قاتلي أبيها؛ ثم تنشّد أناشيد الحداد التي تمحو ما نشدته أمها من تخفيف عنها.

وشاهدت الكترا على القبر دليلاً على قرب مجيء من سيتولى الانتقام من أمها وخليتها: إذ شاهدت خصلة من الشعر سرعان ما فطنت إلى أنها مقصوفة من شعر رأس أخيها أورست الذي يشبه شعرها، وهذه الخصلة الموضوعية على القبر تشبه شعرها، فلا بد أن يكون أورست أخوها هو الذي وضع بنفسه أو أرسل من يضع هذه الخصلة على قبر أبيه، تكريماً للميت. إذن لا بد أن يكون أورست في أرجوس أو قريباً منها: وتأيّد هذا الدليل بدليل آخر وهو آثار أقدام عند القبر تشبه آثار أقدام الكترا، فلا بد أن تكون آثار أقدام أخيها أورست لأنها تشبه آثار أقدامها هي. ثم ظهر شخص لا بد أنه أورست بشخصه لسببين: الأول أن في رأسه موضعاً شاغراً كان لا بد هو موضع هذه الخصلة؛ والثاني أنه يلبس معطفاً عليه تطريز كانت الكترا قد طرّزته على هذا المعطف. فتصيح قائلة: «هل حقاً أورست هو الذي يتكلم بصوتك؟» فيجيبها بالإيجاب، فتقول: أنت الهم الأثير عند مسكن أبيك، وأنت الأمل المنشود للانقاذ، فاعتمد على شجاعتك واستردّ قصر أبيك. وبالقوة وبالحق سيعينك أيضاً زيوس العظيم.

لكن أورست يتردد: لا فيما يتعلق بقتل ايجيست، فإنه فاجر حقير، ارتكب جريمة بشعة، وإنما فيما يتعلق بقتل أمه. لكن الكورس يشجعه على أن يخطو هذه الخطوة الرهيبة، مؤكداً له أن قانون «النفس بالنفس» صارم لا يرحم: إن الدم لا يدفع ثمنه إلا بالدم. ثم إن الميت سيساعد الأخذيين بالثأر. ولا بد من تهيئة هذه العملية مقدماً بتقديم التشريفات الجنائزية إلى الميت، وذلك بانشاد أناشيد التابئين والحداد، التي حرّمها منه القاتلان. وبدأت الأسيرات اللواتي يكوّن الكورس في تقديم النموذج المشجع لأورست ولأخته، بأن رحن يمزقن خدودهن، ويلطمن،

وينحن نواح الباقيات على الموتى. فتشجع أورست وأخته الكترا وأجابا على الكورس، متبادلين معهن البكاء على مصير أجاممنون، ومستغيثين بالآلهة؛ واتحد الجميع في النواح على مصير هذا البيت: سلاله آل أتريوس.

وهكذا رضيت آلهة العالم السفلي، واستراحت روح أجاممنون في قبره.

لكن بقي على أورست أن يحمي غضبته لينقض على أمه. فصعد هو وأخته على رابية القبر، وراحا يضربان الأرض بأيديهم، ويُذكران بفضاعة الجريمة التي ارتكبت ضد أجاممنون.

وليملاً نفسه ثقة بضرورة أداء واجبه تذكر حلم قلوطنسترا حين رأت - فيما يرى النائم - أن أفعى تعلقت بصدرها وراحت تمتص دمها، وهذه الحية هي ابنتها أورست. فعليه هو الآن أن يحقق هذا الحلم في الواقع. والكورس يهيج من عزمه، وينعت جريمة أمه بأنها من نوع «جرائم لمنوس»، وهي أشنع أنواع الجرائم لأنها كانت عبارة عن قتل الزوجات لأزواجهن الرجال فوراً.

وتقتع أورست بزّي مسافر، وقرع باب القصر، وقال إنه كُلف بإبلاغ نبأ موت أورست إلى أهله. وتلقت قلوطنسترا هذا النبأ بحزن زائف، ورخت بهذا المسافر وأدخلته القصر، بينما الكورس - وهو متواطئ مع أورست - يقنع المريئة بأن تدعو ايجيست للمجيء وحده بدون حُرّاس ثم تدعو كل الآلهة المهممين بالانتقام: زيوس، وأبولون، وهرمس، وأولئك الذين يسهرون على كنوز القصر.

وهرع ايجيست إلى القصر. وسقط صريعاً لضربات سيف أورست.

وبعد ذلك بلحظات جاء خادم وأعلن مصرع ايجيست، فهرعت قلوطنسترا وخرجت من الحريم، وإذا بها تجد نفسها وجهاً لوجه أمام ابنتها. فأرادت أولاً المقاومة، وطالبت بأن يأتوها بسلاح. لكنها لما شاهدت جثة ايجيست استولى عليها الفزع، وبدلاً من المقاومة راحت تتوسل إلى ابنتها وتتضرع إليه بأحرّ العبارات كي يبقى عليها بوصفها أمه التي أرضعته على صدرها وهو نائم؛ وتهذده في الوقت نفسه بانتقام أرواح الانتقام الموكلة بأمه، فيقول لها: «وأرواح الانتقام الموكلة بأبي - أين أفرّ منها، إذا أنا تردّدت؟» ويؤكد لها أن «المصير الذي أصيب به أبي يقضي بإعدامك». فتقول له: «إذن أنا انجبت وغذيت ثعباناً!» فيقول إن الفزع الذي أحدثه الحلم كان بمثابة عزّاف صادق أنت قتلت زوجك، فموتي إذن بسيف ابنك». ثم

قتل أمه، وراح الكورس ينشد نشيد خلاص القصر.

ويبرز أورست قتله لأمه، ويدعو أهل أرجوس إلى الشهادة لصالحه. لكن يستولي عليه الهذيان، ويخيل إليه أنه يشاهد «كلبات الانتقام» الخاصة بأمه وقد اهتاجت للانتقام منه، فيهرب وهو في ذهول تام.

ومن هذا التلخيص ندرك أن موضوع هذه المسرحية هو الانتقام، بل أشد أنواع الانتقام ترويعاً، وهو: انتقام الإبن من أمه بسبب قتلها لأبيه. وحجته هنا أقوى بكثير من حجة أمه لما أن قتلت زوجها لأن هذه الأم إنما تذرت لمقتله بأنه ضحى بابتئها ايفجنيا في سبيل قضية عامة هي أن تسمح الإلهة أرتميس للأسطول اليوناني بالإبحار لمحاربة طروادة التي اختطف أميرها باريس زوجة عديله منلاس. فهل كانت هذه التضحية بالإبنة مبرراً كافياً لقتل الوالد؟! ثم إن سلوك قلوطنسترا أثناء غيبة زوجها في تلك الحرب التي أريد منها انقاذ شرف بلاد اليونان كان سلوكاً شائناً إلى أقصى درجة: لقد خانت زوجها الغائب في مهمة وطنية واتخذت خليلاً لها زنا بها وزنت به: إنساناً عديم الشرف والمروءة، جباناً قعد عن القيام بواجبه والمشاركة في الحملة الذاهبة إلى طروادة، وهو ايجيست. فكانت حجة أورست للانتقام من أمه أقوى بكثير جداً من حجة أمه لقتل أجاممنون الذي خانتته هي خيانة تسربلها بالعار الذي لا يمحي. لهذا فإن أخته الكترا قد شاركتته في هذا الانتقام، بل وشدت عليه حينما أحست بأنه تردّد. فقالت له وهي تحرضه: «إن قلبي ذئب متوحش جعلته أمراً صلباً لا يثنى». ولها الحق في هذا الشعور نحو أمها: فقد عانت مُرُّ الهوان كل يوم في منزل أبيها الغائب لما أن سيطرت عليه أمها وخليتها الزاني الفاجر. فانضاف هذا العامل إلى العامل القوي الأساس وهو أن أمها - بمساعدة خليلها - قد قتلت أباه.

- (٣) -

سائر شخصيات المسرحية

وقد قلنا ما فيه الكفاية فيما يتعلق ببطل المسرحية الرئيسي وهو أورست. كما ألمحنا إلى موقف أخته المسكينة الكترا: لقد كانت تأمل في مجيء أخيها للانتقام من مصرع أبيها. ولما استدلت على مجيئه بالخصلة من شعره التي وضعها على قبر

أبيهما، وبآثار أقدامه المشابهة لآثار أقدامها؛ ثم لما صار أمامها تعرّفته من تطريز المعطف الذي كان يلبسه، لأنها هي التي قامت بهذا التطريز - فقد امتلأت فرحاً بأن ساعة الانتقام من قاتلي أبيها قد حانت. وها هي ذي تحرّض أخاها على قتل أمها لما ان أخذ يتردّد بتأثير استعطف أمّه وتضرعها إليه كي يصفح عنها. وقد زاد في كراهيتها لأمّها أن هذه أساءت معاملتها، وكان تصرفها مع خليلها مدعاة اهانة متواصلة تحزّ في نفس هذه الفتاة البريئة الضعيفة.

ويتلو هاتين الشخصيتين في الأهمية في مسرحيتنا هذه: الكورس. إنه مؤلف من أسيرات من طروادة جاء بهن إلى أرجوس أجاممنون لما أن عاد ظافراً من حملته على طروادة. ماذا كان يتوقع منهن أمام هذا النزاع؟ إنهن لا شك فرحن بمصرع أجاممنون، لأنه هو الذي خرّب بلدهن طروادة وفرض عليهن الأسر والذل والمهانة. فمن الطبيعي إذن أن يفرحن بمصرعه.

لكن الفرخ بمصرعه لا يتناقض مع الفرخ بمصرع مَنْ قتلوه: ايجيست وقلوطمنسترا. صحيح أن قلوطمنسترا عاملتهن - فيما يبدو - بالرفق، لكنها هي الأخرى عدوتهن لأنها يونانية، واليونان أذلوا أهل طروادة ودمروا هذه المدينة التي هي وطنهن. ولهذا فلا بد لهن أن يفرحن أيضاً بمصرع قلوطمنسترا وأعيان اليونان جميعاً. لهذا نجدهن يحرضن أورست ويبررن إقدامه على قتل أمّه. فهذا الانتقام هو الآخر لا بدّ أن يملأهن بالفرح، كما ملأهن بالفرح مصرع مدمّر بلادهن أجاممنون. ولهذا فلسنا مع مَنْ يأخذ عليهن حماستهن في تحريض أورست على قتل أمّه؛ إن لسان حالهن يقول: ليذهب كل زعماء أعدائنا اليونانيين إلى الجحيم!

- (٤) -

بناء المسرحية

ويمكن تقسيم هذه المسرحية إلى ثلاثة أقسام متميزة:

الأول: يتم عند القبر؛

الثاني: يتم أمام القصر؛

الثالث: يتم عند الخاتمة.

وكل واحد من هذه الأقسام يُسْتَهْل ويختتم في كل مرة بنشيد ينشده الكورس، وكل واحد يقوم بذاته وينغلق على ذاته. في القسم الأول تتجلى قوة أجاممنون الميت على نحوين: فهي أولاً تجتذب أورست إلى قبر أجاممنون، وبعد ذلك - وبفضل الحلم الذي رأته قلوطنسترا، تستدعي القوة اللقاء بين أورست من ناحية، وبين الكترا والكورس من ناحية أخرى وقد كلفتها قلوطنسترا بوضع قرابين تكفيرية على قبر أجاممنون. وقلوطنسترا تأمل في تهديته روح الميت الطالبة بالانتقام، لكنها لا تجرؤ على الذهاب بنفسها لأداء هذه الشعائر على قبر زوجها الذي قتله، وتكلف بهذه المهمة الدقيقة عدوتها، أعني ابنتها المتعطشة للانتقام من أمها. وهكذا صار القبر هو مركز الجذب الموجه لأحداث المسرحية.

وتتجلى قوة الميت ثانياً في الرؤيا التي حلمت بها قلوطنسترا: لقد رأت فيما يرى النائم أنها حلمت بثعبان وولده وأرضعته، لكن هذا الثعبان لما كبر راح يلدغ ثدييها. وعرضت هذه الرؤيا على معبّري الرؤيا فلم يفلحوا في تأويلها إلا على أنها من آثار غضب القتيل. ولكننا سنرى في القسم الثالث من المسرحية أن أورست هو الذي سيستطيع ليس فقط تفسير هذه الرؤيا، بل وتحقيقها في الواقع. فالثعبان هو أورست نفسه الذي أنجبته أمه قلوطنسترا وأرضعته بثدييها، وها هو الذي سيلدغها لدغة قاتلة، أي سيقتلها انتقاماً لأبيه. وإذن فالقتيل هو الذي أوحى - بل أمر - أورست بالانتقام له من زوجته التي قتلتها، ومن شأن هذا أن يزيح المسؤولية عن أورست، ويعفيه من جريمة قتل الوالدين.

ولم يكن اسخولوس أول من استخدم الرؤيا على هذا النحو، بل كانت شائعة في الأدب اليوناني قبله. إذ استعملها استاستيخور في قصيدة ملحمية، بعنوان: «الأورستيا»، بقيت لنا منها شذرات، وفي إحدى هذه الشذرات يرد ما يلي: لقد حلمت بأن ثعباناً هاجمها برأسه الدامي. وهناك ظهر لها الملك المنحدر من سلالة فليستينس Plisthenes - أي أجاممنون.

كذلك نجد عند هوميروس استخدام الأحلام. ففي ملحمة «الأوديسا» (النشيد رقم ١٩، الأبيات ٥٤٥ وما يليها) نجد رؤيا يظهر فيها نسر متردد بصوت إنساني، يخاطب فنلوقا بهذه العبارة: «أنا زوجك، العائد إليك».

والانتقال من القسم الأول - وهو قسم اللقاء بين أورست وأخته الكترا - إلى القسم الثاني - وهو عملية الانتقام - يتم بحادثة صغيرة عَرَضِيَّة ومفاجأة هي انفتاح

باب الحريم في القصر؛ بطريقة عَرَضِيَّة غير مقصودة. ولهذه الحيلة عند اسخولوس سابقة ايضاً عند هوميروس في النشيد الثاني والعشرين من «الأوديسا»: إذ نجد انتقام أوديسيوس يُفسر بغتة بواسطة باب مستور في الميجارون Megaron كان كليماخوس (تلماك) قد أهمل في إغلاقه.

وموضوع مسرحيتنا هذه قد تناوله بعد اسخولوس: سوفقليس في مسرحية «الكترا»، ويوريفيدس في مسرحية: «الفينيقيات». وقد حاول كلاهما التقليل من دور القضاء والقدر، وخفف من جِدَّة الكترا وأورست.

باريس في أول مايو ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

«حَامَلَاتُ الْقَرَابِئِنِ» شَخْصِيَّاتُ الْمَسْرُوحِيَّةِ

أورست: ابن أجاممنون وقلوطمنسترا

كورس من الأسيرات

الكترا: أخت أورست

عَبْد

قلوطمنسترا: أرملة أجاممنون، وخليلة إيجيست

المرية

إيجيست: ابن تؤست، وابن عم أجاممنون وخليل قلوطمنسترا

خادم

بولاد: ابن اسطروفويس، ملك بلاد فوقيس، وأمه هي أنكسبيا: أخت

أجاممنون.

حاملات القرابين^(١)

(في أعماق الأوركسترا يوجد قصر آل أتريوس وله ثلاثة أبواب: الباب الجانبي يفتح على الحریم . - في الأوركسترا: رابية تحتوي على قبر أجاممنون .

- أورست وپولاد يدخلان معاً من الناحية اليسرى)

أورست: يا هرمس العالم السفلي، سلط نظرتك على أبي الصريع، وكُنْ المُنْقِذ والحليف الذي أتوجه إليه بالدعاء. إني عائد إلى هذه البلاد، قادماً من المنفى^(٢) . . .

(يصعد على الرابية)

على رابية هذا القبر أنا أهيب بأبي أن يعيرني سَمْعَه وأن يسمع . . .

(يقص خصلة من شعره ويضعها على القبر)

قَدِمْتُ إلى أناخوس^(٣) خصلة من شعري لأنه غَدَّاني في شبابي: وأنا أقدم خصلة أخرى قرباناً في الجِداد . . .

(١) بعد وقت قصير من ابتداء تمثيل المسرحية، يحمل الكورس القرابين (المرشآت) إلى قبر أجاممنون، ومن هنا جاء اسم المسرحية: «حاملات القرابين».

(٢) ليس لدينا غير مخطوط واحد لمسرحية «حاملات القرابين»، وهو مخطوط مدتشي (في فيرنسسه). وفي أوله خرم قبل: «ماذا أرى . . .». ومن هذا الخرم بقيت أربع شذرات: الأولى والثانية منها موجودة في مسرحية «الضفادع» (١٢٦ وما يليها) لأرسطوفانس، والثالثة والرابعة أوردها النحاة اليونانيون.

(٣) اسم نهر في إقليم أرجوس، وإسم إله هذا النهر.

يا ابتاه! لم أكن موجوداً هناك لأبكي على موتك؛ ولم أبسط ذراعي في الساعة التي غادرت فيها الجثة البيت. . .

ماذا أرى؟ أيّ موكب من النساء يسير هكذا وهن مرتديات حُمرًا جنائزية؟ أية مصيبة عليّ أن أفترض وقوعها؟ هل جاء ألمّ جديد ليضرب هذا القصر؟ أم هل الأحرى بي هو أن أتصوّر أن هؤلاء النسوة يحملن إلى أبي القرايين (الرشات) التي تهذيء الموتى؟ نعم، الأمر هكذا، فها هي ذي إلكترا - فيما أظن - تتقدم، إلكترا أختي التي يكشف عنها ألمها المرّ. آه أيّ زيوس، هبني القدرة على الانتقام لأبي، وكُن لي معيناً صريحاً. - لكن، يا بولاد، لنتوقفن في ناحية، حتى أعرف بالدقة ماذا تريد هؤلاء النسوة السائرات في موكب رهيب مستجيرات.

(يستتر بالقرب من المدخل الأيسر هو وبولاد. الكورس يدخل بصحبة إلكترا)

الكورس: صدر الأمر لي بالخروج من القصر لمصاحبة القرايين الجنائزية بتصفيق بالأذرع سريع. انظروا: على خذي ذي القطوع الدامية رسم الأظفر شقوفاً حديثة - لأن قلبي يتغذى كلّ يوم بالزفرات - وألمي - وهو يجعل تيل الأقمشة يصبح - قد مرّق الحُمر التي تكسو صدري: لقد هرب مني السرور إلى الأبد تحت وطأة المصائب التي أصابتنني.

بلهجة واضحة جداً ترتعد منها الفرائص - تكلم المتنبئ، في هذا المسكن، بصوت الأحلام، داعياً إلى الانتقام، إبان النوم في وسط الليل، في داخل القصر، معلناً عن وحيه بصرخة مروّعة، وانقضت تفتيلاً على غرف النساء. فقام رجال - صوتهم تضمنه الآلهة - بتفسير هذه الأحلام فأعلنوا أنه تحت الأرض الموتى يشكون مرّ الشكوى ويثرون ضد قاتليهم.

ومن أجل رغبتها الحارة في أن يصرف «هذا التكريم» - أو بالأحرى: هذه الإهانة! - الشقاء عنها - آه! أيتها «الأرض» الأم! - فإن هذه المرأة الفاسقة قد أرسلتني. لكنني أخشى صدور هذه الكلمات: هل توجد فدية عن الدم المسفوح على الأرض؟ آه! مسكنّ حافل بالمصائب! قصر مخزّب! إن البيوت التي هلك

(١) «المتنبئ» هنا هو ضمير قلوطنسترا المليء بالقلق والجزع. والصرخة التي أطلقها هذا الضمير في الليل، على لسان قلوطنسترا، هو «وحي» من الميت ضرب القصر بنداء الانتقام.

أهلها مغلقة دون الشمس، وبغيضة عند الأحياء، والظلام يغمرها.

إن الاحترام القديم، الذي لا يُقهر، ولا يُدمر، ولا يجادل فيه، والذي نفذ في القلوب كما نفذ في أسماع الشعب، - إن هذا الاحترام قد زال الآن: وساد الخوف وحده. النجاح: هذا هو ما يتخذه بنو الانسان القانون إلهاً لهم، بل أكبر من إله. لكن «العدالة» الساهرة تصيب البعض بسرعة في رائحة نهارهم؛ وبالنسبة إلى البعض الثاني يشاهد أن الساعة الفاصلة للظلام هي التي تدخر لهم الآلام في وقت متأخر؛ وبالنسبة إلى البعض الثالث والأخير الليل لا يقدم العقاب^(١).

لكن، متى ما شربت الأرض القطرات المسفوحة عليها، فإن الدم المطالب بالانتقام يجمد ولا يسيل بعد، والخراب القاسي هو الفدية عن الإمهال ويستطيع أن يجلب الكثير من الشرور.

من ثقب غرفة عذراء لا يجد علاجاً للشر الذي ارتكبه؛ ولتطهير إنسان يده ملطختان بالدماء لا تكفي كل الأنهار معاً، وإن مزجت كل مجاريها، كي تغسل نجاسته.

وبالنسبة إليّ أنا، أنا الذي غمرته الآلهة في مصائب مدينتي وأدت به إلى العبودية بعيداً عن منزل أبي - ينبغي عليّ أن أذعن لأوامر الأقوياء وأن أكظم كراهيتي المرّة، على الرغم منّي، سواء أكانت هذه الأوامر عادلة أم ظالمة. وتحت نقابي أنا أبكي من ضربات المصير العمياء التي أصابت سادتي، وقلبي متجمد من الجداد الذي أخفيه.

(١) هذه العبارة قد تثير اللبس. ولهذا فإن بول مازون Paul Mazon يفسرها كما يلي: «ينبغي عدم إساءة فهم هذه المجازات، وينبغي ربطها بالعبارات التالية لها. فليس المقصود من «الليل»: الموت، ولا يريد اسخولوس أن يقول إن كثيراً من المجرمين يموتون قبل أن ينالوا العقاب. بل على العكس من هذا هو يقرّ أنه في هذه الحياة نفسها فإن كل قاتل سينال عقابه. ومحصل المراد هنا هو: «إن من يحكمون الآن في أرجوس مجرمون؛ والناس يذعنون لهم خوفاً منهم، وليس عن احترام لهم كما كانت الحال في أيام أجاممنون. بيد أن المجرمين قد ينسون الإله، ولا يرون إلا النجاح: غير أن «العدالة» ساهرة وتستطيع دائماً أن تنتقم منهم. إن بعض المجرمين يصيبهم العقاب في الحال؛ والبعض الثاني يمهلون؛ والبعض الثالث، الذين قد يظنون ان جرائمهم قد نسيت تماماً، بيد أنهم لن يفلتوا أبداً من العقاب الذي ينادي به الدم المسفوح على الأرض، وسيكون هذا العقاب أشدّ هولاً بقدر ما أمهل طويلاً في وقوعه.

(صمت. إلكترا توفقت أمام القبر؛ ويبدو عليها التردد؛ ثم تتوجه نحو الكورس).

إلكترا: أيتها الأسيرات! يا من بواسطتكن يسود النظام في هذا القصر، لما كنتن صواحيبي في هذا الموكب الجنائزي المستجير، فكُنَّ أيضاً مستشاراتي. ماذا يقال أثناء تكرار هذه الرِّشَّات^(١) الجنائزية؟ وأين نجد الكلمات المناسبة؟ وبأية عبارات ندعو أبي؟ هل أقول إنني أحضرت إلى الزوج العزيز الهدايا المقدمة من زوجته التي تحبّه - هدايا أمي؟

قلبي لا يقوى على النطق بهذا القول، ولا أدري ماذا أقول، وأنا أصبّ هذا القربان على قبر أبي. - اللهم إلا أن أستخدم العبارات التقليدية المقرّرة، وأن أرجوه أن يمنح مَنْ يبعث إليه بهذا التكريم «مكافأة سعيدة»، مكافأة تليق بجرائمه! أو هل أصبّ - في صمت وإهانة، ما دام أبي قد هلك على هذا النحو - أصبّ في مرة واحدة هذه الرِّشَّات على الأرض التي ستشربها ولا ترجع إليّ - شأنها شأن شيء شعائري يرمي به بعد الاستعمال^(٢) - بعد رمي هذه الإجانة بعيداً دون أن أشيح بوجهي؟ أيّ قرار إذن أتخذ؟ عاونئي يا صديقاتي؛ ما دمنا نحن جميعاً في هذا القصر نحمل نفس الكراهية. ولا تخفين عني ما تشعرن به في أعماق قلوبكن: فماذا تخشين؟ نفس المصير مقدر على الإنسان - حرّاً كان أو عبداً، ما دام تحت سلطان سيّد. تكلمن، من فضلكن، إن كان لديكن ما تقلنه خيراً من هذا.

رئيسة الكورس: إن قبر أبيك هو بالنسبة إليّ مذبح: فأمامه، وأنا ممثلة بالاحترام، أقول لك ما دمت تأمرين بهذا، ما يمليه عليّ قلبي هنا.

إلكترا: تكلمي حسبما يوحى به إليك ما يليق بالقبر من احترام.

رئيسة الكورس: صُبيّ وصلّي بصوت مرتفع من أجل من يحب ذلك.

(١) هذه الرِّشَّات تكون برش الخمر، أو العسل، أو اللبن، أو الزيت. ويقوم الداعي بالدعاء وهو واقف، ورأسه مكشوف، ويداه مرفوعتان إلى السماء حينما يكون الدعاء موجهاً إلى آلهة السماء، ومخفوضتان حين يكون الدعاء موجهاً إلى آلهة العالم السفلي.

(٢) كل الأشياء التي تستعمل في مراسم التطهير الديني تعدّ حاملة للنجاسات التي قامت بالتطهير منها، ولهذا تكون نجسة، ويجب إذن التخلص منها بعد إجراء هذه المراسم: إن بإحراقها، أو دفنها في التراب، أو بأن يلقيها المرء وراء ظهره دون أن يشيح بعينه.

الكترا: وَمَنْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ اسْتَطِيعَ هُنَا أَنْ أذْكَرَ؟
 رئيسة الكورس: أنت نفسك أولاً، وبعد ذلك مَنْ يكره إيجيست.
 الكترا: إذن سأصلي من أجلك أنت ومن أجل نفسي؟
 رئيسة الكورس: فَكُري: وعليك أن تسمعي فكري.
 الكترا: وَمَنْ اسْتَطِيعَ أَنْ أَضْمَهُ إِلَيْنَا هُنَا؟
 رئيسة الكورس: تذكّري أورست، وإن يكن منفيًا.
 إلكترا: آه! أحسنت! هذه المرة أنت فتحت عيني.
 رئيسة الكورس: الآن، تذكّري، وضد الجناة...
 إلكترا: ماذا ينبغي عليّ أن أطلب؟ خبريني فأنا جاهزة.
 رئيسة الكورس: اطلبي أن يظهر أخيراً إله أو إنسان فإن...
 الكترا: وماذا أضيف؟ قاضٍ أو منتقم؟
 رئيسة الكورس: آه! قولي دون لف ودوران: قاتل مثلهما.
 الكترا: ألا تكون هذه الأمنية أمنية فاسقة، في نظر الآلهة؟
 رئيسة الكورس: إن من التقوى مجازاة الجريمة بالجريمة.

(إلكترا تأخذ الكأس التي تقدمها إليها إحدى الأسيرات، ويصّب منها الماء الشعائري وتبدأ هي في صب الرشاش على القبر)

إلكترا: يا هرمس العالم السفلي، يا رسول الأحياء، والأموات القديم،
 استمع إليّ، وكلف نفسك بتبليغ رسالتي، وليت آلهة العالم السفلي، وهم شهود
 منتقمون لقتل أبي، يعيرون أسماعهم إلى صوتي وكذلك «الأرض» التي تلد وحدها
 كل الكائنات وتغذيهم، ثم تتلقى منهم البذرة الخصبة من جديد - بينما أنا أوجه
 هذا النداء إلى أبي وأنا أصب هذا الماء الشعائري، وأقول:

«ارحمني أنا وأورست ابنك، ولنصبح سادة في بيتنا في هذه الساعة نحن
 شريان، باعتنا تلك التي أنجبتنا، وفي مقابل ذلك اتخذت عاشقاً هو إيجيست،
 شريكها في الجريمة وقاتلك. أما أنا فأعامل معاملة العبيد. أما أورست فقد نُفي
 وجُرد من أمواله، بينما هما يتباهيان بالانتصار، بوقاحة، محوطين بالفخخة التي
 حصلتها أنت بتعبك. ألا ليت الحظ السعيد يعيد إلينا هنا أورست! ذلك هو

دعائي، يا أبي، فاستمع إليه؛ وامنح ابنتك قلباً أعف من قلب أمها، وأيدياً أظهر من أيديها. تلك هي تمنياتي لنا. أما لأعدائي فليظهر مَنْ ينتقم لك، يا أبي، وليقتل القاتلان هما بدورهما: سيكون هذا عين العدل! وأنا أتوكل على من تعهدوا بالانتقام. ولتكن لعنة الموت على المذنبين وحدهم. وأرسل إلينا السرور من أعماق الظلام، بعون الآلهة، و«الأرض»، و«العدالة» الظاهرة.

الكورس: ارفعن أصواتكن بالنواح الصاخب، نواح الموت اللائق بالمولى الميت، أمام هذا الاستحكام^(١)، بين الألم والسرور! إن قدرة النواح على الكفارة ستقضي على تأثير الرشوات البغيضة التي صُبَّت منذ قليل وأنت، يا صاحب الجلالة، اسمع، أيها السيد، نداء قلبي الحزين! أواه، أواه! وا أسفاه!

آه! أي محرر سيأتي إذن إلى هذا البيت، محارب قوي، ممتشقاً السلاح الاشقوتي الذي تلويه الأيدي في المعركة، والسيف الذي حده ومقبضه شيء واحد، للقتال عن قُرب؟

إلكترا: الأرض شربت رشاتنا، وأبي تلقاها. لكن شاركني الآن في دهشتي.

رئيسة الكورس: آه! تكلمي إذن؛ قلبي ينبض بالخوف.

إلكترا: إنني أرى على هذا القبر هذه الخصلة من الشعر المقصوص.

رئيسة الكورس: أهي لرجل أو لعذراء عميقة النطاق؟

إلكترا: من السهل حَزُرُ هذا.

رئيسة الكورس: على الأكثر شباباً أن يخبرن من هن أكبر منهن.

إلكترا: ألا يمكن أن يكون شخص غيري هو الذي قَدَمها؟

رئيسة الكورس: ليس إلا الكراهية عند أولئك الذين قدموا هذا القربان.

إلكترا: نعم، نعم، من حيث اللون هذه الخصلة تشبه . . .

رئيسة الكورس: شَعْر مَنْ؟ هذا هو ما أريد أن أعرفه.

إلكترا: شعري أنا: إن لونها يذكر بلون شعري أنا!

رئيسة الكورس: أيكون هذا إذن قرباناً سرّياً قدمه أورست؟

(١) يبدو أن المقصود به هو: القبر.

الكترا: نعم! هذا الشعر يشبه شعر أورست .

رئيسة الكورس: وكيف تجاسر على المجيء إلى القبر؟

الكترا: من الممكن أن يكون قد أرسل هذا الشعر ليقدم قرباناً .

رئيسة الكورس: آه! ماذا قلت؟ إن الدموع تتدفق من عيني، إذا كان مفروضاً عليه ألا تطأ قدمه بعد هذه الأرض .

الكترا: وأنا أيضاً: سيل من المرارة الصفراء يصدم قلبي، كما لو كان ضربة في صدري؛ ومن عيني تنهمر الدموع الحارّة كأنها فيض من العاصفة الجامحة، لدى رؤية هذه الخصلة. هل أستطيع أن أُصدّق حقاً أن هذا الشعر هو شعر شخص أرجوسي آخر؟

كذلك لا يمكن أن تكون القاتلة - أمّي - هي التي قصّتها، وهي وإن كانت أمّي فإنها فاسقة، بسبب ما تحمله من مشاعر نحو أولادها: ومن ناحية أخرى، فإن قبول هذه الفكرة دون تحقّظ، فكرة أن هذا القربان قد وصل إلى هنا مرسلًا من أعزّ بني الإنسان . . . على الرغم من كل شيء، فإن الأمل يداعبني في أن يكون الأمر كذلك. ليت هذه الخصلة تكون الصوت العذب لرسول، حتى لا أترجّح بين فكرتين فأستطيع عن ثقة أن أرفضها بفرع إن كانت مقصوفة من جبين عدوّ، أو إن كانت جاءت من أخي فأضمّمها حيثند إلى جدادي من أجل تزيين هذا القبر وتكريم أبي! لكن الآلهة الذين ندعوهم يعلمون ما هي العواصف التي تعصف بنا في دوامتها كأننا ببحارة في محنة، فإن أرادت الآلهة أن نفلت من الحزن، فيمكن أن تصدر عن أقل بذرة شجرة النجاة الباسقة! (تعيد وضع الخصلة على القبر بعناية، وقد لاحظت وهي تنحني آثار أقدام). لكن ثمّ علامة ثانية: آثار أقدام! تشبه آثار أقدامي أنا! نعم، هذه الآثار تكشف عن شخصين: هو قطعاً وصاحب يصحبه! الكعب، محيط عضلات القدم، إذا ما قورنت، تبين أنها تشبه آثارني أنا. القلق يستبد بي، وعقلي ينهار.

(أورست يتقدّم. بولاد يبقى خلفه بيضع خطوات)

أورست: اطلبي من السماء أن تحتفظني دائماً بحظّ التعبير عن تمنيات تتحقق .

الكترا: أيّ فضل وهبتي السماء؟

أورست: ها أنت ذي أمام أولئك الذين التمسهم تمنياتك .

الكترا: من هو إذن الشخص الذي نشدته نفسي؟
أورست: إنه أورست - أنا أعلم هذا - هو الذي نشدته تمنياتك الحارة.
الكترا: فيمن تحققت إذن تمنياتي؟
أورست: فيّ أنا: لا تبحّثي عن إنسان أعزّ مني.
إلكترا: أيها الغريب، هل تدبّر مكيدة ضدي؟
أورست: سأكون حينئذ صانع هذه المكيدة ضد نفسي أنا!
إلكترا: لا شك في أنك تريد أن تسخر من مصائبي؟
أورست: ومن مصائبي أنا الآخر، إن كنت سخرت من مصائبك أنت.
إلكترا: أهو حقاً أورست هو الذي يتكلم بصوتك؟

أورست: أنت إذن حينما ترينني فإنك ترفضين أن تتعرّفيني، ومنذ قليل لما أن شاهدتِ خصلة الشعر المقصوصة رمزاً للحداد، فإن قلبك استطار من الفرح، واعتقدتِ حينئذ أنك ترينني - وكذلك حين فحّصتِ آثار أقدامي . . تأمّلي: اقتربي من المكان الذي فيه قُصّت هذه الخصلة المأخوذة من شعر أخيك والشبيهة جداً بشعرك أنت. وانظري إلى هذا القماش الذي نسجته يداك؛ وتأمّلي صُور الصيد التي رسمتها في الماضي ضربات المضرب^(١).

(إلكترا تلقي بنفسها بين ذراعيه. وهو يكتم الصرخة التي ستطلق منها).

اضبطي نفسك؛ لا تدعي السرور يُضِلّك، لأنني أعلم أن من ينبغي عليه أن يحبنا هو الذي يكرهنا هنا.

إلكترا: أوه، أيها الهمّ العزيز لبيت أبيك، أيها الأمل المبكى عليه لفرع مُنقذ، هيا، أهب بشجاعتك وستسترد قصر أيبنا. أيها الكائن الحلو، الذي يحتفظ بأربعة أجزاءٍ مِنْ حناني! إن المصير يريد أن أُحيي فيك أبي، وإني أخصُّك أنت بالحب الذي أدين به لأُمّي - أُمّي التي أكرهها بكل نفسي، ولأختي التي ضحّي بها

(١) في نول النسيج المضرب يحمل المشط، والمشط هو الذي يتولى العمل في الواقع، لكن اسخولوس ينسب العمل الى المضرب. لكن لما كان المضرب بحركته المنتظمة هو الذي يضم الخيوط بعضها إلى بعض فإنه يمكن أن يعدّ هو الجزء الرئيسي في النول، إذ هو الذي ينسج ويرسم في نفس الوقت.

دون شفقة. وهأنذا أجد فيك الأخ المخلص الذي سيعيد إليَّ احترام بني الإنسان!
ألا ليت زيوس العظيم جداً، بالقوة وبالحق، يهبني عونهُ!

أورست: يا زيوس، يا زيوس! تعالْ تأملْ بؤسنا. انظر: إن صغار النسور
فقدت أباهَا؛ لقد مات في تلافيف وعُقَد أفعى خسيسة، والجوع المهلك يضغظ
على أيتامها، لأنهم ليسوا في السنّ التي تمكنهم من أن يجلبوا إلى العُش صيد
الوالد. نفس المصير هو مصيرنا كلينا: أنا وإلكترا. فينا تستطيع أن تشاهد أولاداً
بغير أب، وكلاهما مطرود من بيتهما. فإن تركت صغار هذا الأب يموتون، هذا
الأب الذي كان في الماضي كاهناً لك وأفاض في إقامة الصلوات لك، فأين ستجد
إذن يداً فسيحة كهذه تقدم إليك المآذب الحافلة؟ وإذا تركت جنس النسور يجهلك،
فلن تستطيع أن تبعث إلى الأرض شارات تتلقاها بإيمان، وإذا تركت هذه السلالة
الملكية تجفُّ حتى الجذور، فمن ذا الذي سيخدم مذابحك في أيام المجازر؟
احفظنا: إن بيتنا واطىء، وفي وسعك أن تسمو به، مهما كان آيلاً للسقوط اليوم.

رئيسة الكورس: اسكتوا أيها الأولاد الذين تستمتعون ببيت الوالد! خافوا أن
يسمعكم أحد، يا أولاد، ولا تكشفوا كل شيء بشأننا لمجرد اللذة في الكلام: يا
ليتي أراهم يحترقون في حريقة مشتعلة يعطر منها الصمغ.

أورست: كلا، لن يخونني وحيُّ لوكسياس القدير الذي أمرني باجتياز هذا
الخطر ورفع صوته المُلح وأنذرني بآلام يجمد منها دم قلبي إن أنا لم أطارد قتلة
أبي بنفس الطريقة التي اتخذها، ولم أطع أمره: أقتل مَنْ قُتِل، مستبعداً الآلام التي
لا تحرم إلا من النقود. وإلا فإنني سأدفع ثمن حياتي أنا وسط آلام شديدة عديدة.
لقد كشف لبني الإنسان ما سيقوم به العالم السفلي المغتاز من ألوان الانتقام،
وعرّفنا تلك الأمراض المخيفة التي تهاجم الأجساد، وأنواع البرص ذوات الأنياب
الحادة التي ستلتهم ما كان بالأمس جسماً سليماً، بينما شعره الأبيض ينمو على
هذه الجروح. ثم إن صوته يعلن لنا عن هجمات آلهة الانتقام التي أثارها قتل
أب، ورؤى الخوف التي تأتي في الليل لتواجه النبا يجيل في الظلام عيناً من
نار^(١). إن السلاح المظلم في العالم السفلي، حينما يدعو موته من أقاربه -
الفرع، الهذيان، الخوف الناجم عن الليالي - هذا السلاح يهزّ الإنسان ويشيع فيه

(١) في النص هنا خرم، ولهذا فإن المعنى ليس مؤكداً.

الاضطراب إلى درجة أن يطرده من المدينة، ولحمه قد أهين وتحطم تحت هذا المنخاس البرونزي^(١). بالنسبة إلى هذا، لا تصيب له في الفوهات، وفي أمواج الرشّات: إن الغضبة غير المرئية للأب تبعده عن المذابح؛ ولا يستطيع أحد أن يستقبله ولا أن يشركه في المأوى؛ إنه منبوذ من الجميع، وليس له صديق، وفي النهاية يسقط صريعاً لموت يقضي عليه قضاءً تاماً، بعد أن يكون قد جفّ جفافاً لا يرحم. فهل يمكن عصيان مثل هذه الأنواع من الوحي؟ كلا، ولا بد للعمل من أن يُنجز، حتى لو لم يكن ثم عصيان. إن كثيراً من الرغبات في نفسي متفقة في هذا الأمر: فالإلهي جانب أوامر الإله، فإن الحداد العميق على أبي ناهيك عن الحرمان الذي يرهقني - فإن هناك خصوصاً الرغبة في عدم ترك مواطني، الذين انتصروا على طروادة بنفوسهم القوية - تركهم عبيداً لامرأتين، لأن قلبه هو قلب امرأة: وإذا كان هو لا يعلم ذلك فسيعلمه عما قليل.

(الجميع يتوجهون نحو القبر)

رئيسة الكورس: يا آلهات الانتقام القديرة، ليتّم - بحق زيوس - كل شيء في الاتجاه الذي يتوجه إليه «الحق» اليوم.

«ليكن الرد على كل كلمة كراهية بكلمة كراهية» - هذا هو ما تنادي به «العدالة» بصوت عالٍ مطالبة كل واحد بأداء ما عليه.

«ولتعاقب كل ضربة قاتلة بضربة مثلها قاتلة: وعلى الجاني يقع العقاب» - هذا مَثَلٌ عريق في القِدَم.

أورست: يا ابتاه، يا أبي المسكين! بأيّ كلمات، وبأيّ قرابين أستطيع أن أصل إليك حتى المرقد الذي ترقد فيه؟ إن الظلام والنور يقدّمان حظوظاً متساوية أما نصيبنا نحن فهو النواح بوصفه التكريم الوحيد المقبول، النواح الذي يطلقه آل أتريوس الواقفين أمام أبواب قصرهم المغلق^(٢).

(١) هذا الخوف الجنوني الذي يطرد من وطنه المنتقم غير المخلص لواجهه يشبه هنا بمنخاس مثل ذلك الذي يشاهد في أيدي «المحسنتات في المآسي» (استويوس ١١٧ : ٩) وصورته قد عبر عنها منذ قليل في صورة «السلاح المظلم في العالم السفلي». وهذا «المنخاس» هو من البرونز، لأن للبرونز قيمة دينية خاصة، ويلوح أنه كان مكرّساً خصوصاً لآلهة العالم السفلي.

(٢) إن مصير آل أتريوس الباقيين أحياء يستحق هو الآخر نشيد رثاء مثلما استحق مصير آل أتريوس الموتى.

الكورس: أيها الابن، إن السنّ المتوحشة للنار لا تفرح روح الميت؛ ذات يوم لا بد أنه سيكشف عن غضبه. ابكوا على الضحية، وليظهر المنتقم لها بسرعة. حين يتعلق الأمر بأب، يدين له الابن بحياته، فإن نواح الأقارب يطارده مطاردة واسعة مبكرة لا تقاوم.

إلكترا: اسمع، يا أبي، نواحي الأليم. إن وَلَدَيْكَ ينشدان على قبرك رثاء الموتى. إن قبراً هو الذي يستقبلنا وحده اليوم، ونحن مستجيران ومنفيان. أين نجد السلوى في هذا؟ وأي نصيب لنا غير الآلام؟ وهل يمكن التغلب على «الشقاء»؟
رئيسة الكورس: لكن أحد الآلهة يستطيع - إن شاء - أن يولد ذات يوم من هذه المحنة أصواتاً مسرورة. وبدلاً من إنشاد رثاء على قبر يمكن المديح أن يعيد إلى قصر ملوكتا الفرحة الناجمة عن شراب من الخمر الحديث^(١).

أورست: آه! ألا ليتك يا أبي كنت قد سقطت صريعاً تحت أسوار إليون (طروادة)، ممزقاً برمح لوقياني! إذن لكنت قد تركت في مسكنك اسماً مجيداً، وصنعت لأولادك حياة تجتذب اليهم كل الأنظار في طريقهم، ولَكُنْتَ قد رقدت في بلاد ما وراء البحار، تحت رابية هائلة، تستوجب من أهل بيتك دموعاً أقل.

الكورس: وهناك تحت التراب، ومحبوباً ممن أحبوه، وهم أولئك الذين ماتوا ميتة مجلّلة بالمجد، كان سيحكم بينهم، أميراً محاطاً باحترام مقدس، ووزيراً لسادة العالم السفلي الأقوياء - لأنه كان ملكاً لما كان حياً؛ وكان من أولئك الذين وُكِّل إليهم قرار المصير سلطان السلاح وصولجان المجالس!

الكترا: أو: بدلاً من أن تسقط، يا أبي، أمام أسوار طروادة وسط سائر المحاربين الذين سقطوا تحت الرماح، ووجدوا لهم قبوراً على شاطئ نهر اسكاماندر - أو كان قاتلوك هم الذين هلكوا على هذا النحو حتى لا يُبلّغ هنا إلا نبأ المصير الذي أصابهم من بعيد، دون الشعور بكل هذه المخاوف.

رئيسة الكورس أيها الولد، أنت تريد أكثر من الذهب، وأكثر من السعادة العظمى التي هي نصيب الهوبوبوريين^(٢): فليكن!

(١) رئيس الكورس يستدعي هنا صورة الرشاش المقدمة للشكر، مصحوبة بنشيد المديح، تلك الرشاش التي سينشرها أورست حين ينتصر.

(٢) شعب خرافي يعدّ نموذجاً للسعادة الكاملة.

لكن ألا تسمع صوت سوطِ مزدوج^(١). إن مدافعين يرقدون تحت التراب،
وسادة أيديهم ملطخة بالدماء: إذا كان الحظ قاسياً عليه، فإنه على أولاده أشدّ قسوة.

أورست: هذه الكلمة، مثلها مثل السهم، تنفذ مباشرة في أذني. أي زيوس،
يا مَنْ تخرج - عاجلاً أو آجلاً - من العالم السفلي «الشقاء» لكل إنسان كانت يده
مجرمة غادرة... حتى الأم لا بد لها أن تدفع الثمن!

الكورس: آه! هل أستطيع إذن أخيراً أن أتفوه، ملء صوتي، بالصراخ
المقدس^(٢) على الرجل المقتول. وعلى المرأة المذبوحة! لماذا أخفي فكرتي، وهي
تطير من تلقاء نفسها من داخل نفسي، وأمام وجهي يهب - كريح عاتية - غضب
قلبي وكراهيته المليئة بالأحقاد^(٣)؟

الكترا: لكن متى يضرب زيوس القدير إذن ضربته؟ آه! إن الرؤوس التي
سيطرح بها ستعيد الثقة إلى هذا البلدا! إنني أطلب بالعدالة ضد الظلم: فأصغي إليّ
أيتها الأرض ويا قُوى العالم السفلي!

رئيسة الكورس: لا، لا، إنه لقانون أن القطرات الدموية، متى ما أُريقَت
على الأرض، فإنها تطالب بدم جديد. إن القتل يستدعي إلهة الانتقام كي تجعل
الشقاء يتلو الشقاء، وهذا باسم الضحايا الأولى.

أورست: وا أسفاه! وا أسفاه! يا سادة العالم السفلي، يا لعنات الموتى
القديرات، انظروا ماذا بقي من آل أتريوس، وفي أي بؤس هائل وأي منفى مهين
هم! إلى مَنْ نتوجه إذن، يا زيوس؟

الكورس: قلبي يتوائب من جديد، حينما أسمع أمثال هذه الشكاوى. هنالك
أفقد كل أمل، ونفسي لدى كل كلمة ينتابها الغم. بيد أن نبرات رجولية تصرف
عني الحزن، ويبدو لي كل شيء حينئذ مملوءاً بالأمل^(٣).

(١) «السوط المزدوج» هو نداء الواقع الصارخ: ذلك أن إكترا تمنى لو كان أبوها لم يمُت، مع أنه
الآن «تحت التراب»؛ وعلى العكس أخوها أورست يتمنى لو كان أبوه، قد مات ميتة مجيدة في
القتال حول طروادة بينما هو قد قتل الآن وقتلته لا يزالون يسيطرون على قصره. أفليس عار ولديه
أشدّ قسوة من موته؟

(٢) معنى هذا الموضع ليس مؤكداً تماماً.

(٣) النص اليوناني في هذا الموضع شديد التحريف؛ ولهذا فإن المعنى غير وثيق.

إلكترا: بأية كلمات أنطق؛ هل أقول إن هذه الآلام مصدرها أمنا؟ يمكن محاولة تهدئتها، لكن لا مهدىء لها. أمي صنعت من قلبي ذنباً أكلاً للحوم ولا يستطيع شيء أن يهدئه أبداً.

(صمت. ثم فجأة ينطلق الكورس في النواح ويلطم صدرهن).

الكورس: وأما أنا فسأضرب صدري على إيقاع الرثاء الآري. انظروا إذن: بحسب شعائر الباكيات الكيسيين، يدي الشاردة تتواهب دون انقطاع؛ وتتزايد ضرباتها، ضاربة من أعلى ومن بعيد، وتحت ضرباتها تجعل جبهتي المحطمة تنوح.

إلكترا: آه! يا أمي القاسية الحمقاء، لقد تجاسرت - ويا لها من جنانة رهيبه! - أن تدفني، في صمت - ملكاً بدون مشاركة مدينته في الحداد، وزوجاً بدون ذرف دموع وفتة عليه!

أورست: أنت تذكيرنا بكل مخازي الماضي. لكن هذا المصير المخزي الذي هيأته لأبي - إنها ستدفع ثمنه، بعون الآلهة وبواسطة ذراعي. فلأقتلها - ولأمت!

الكورس: إن شئت أن تعلم كل شيء فأعلم أنها مثلت^(١) به، وبدفنها وهو على هذه الحال فإنها أرادت أن تسربل حياتك أنت بالعار، لقد عاملت أباك بهذه المعاملة المليئة بالاهانة والعار.

إلكترا: أنت تتكلمين عن مصير أبي، أما أنا فقد نحوني جانباً، مهانة منبوذة؛ وأغلقوا عليّ مسكني، كما لو كنت كلباً مسعوراً؛ وتطايرت مني الدموع، فاخبتات لإطلاق الزفرات والعبرات بدون انقطاع. (مخاطبة أورست): اسمع وسجّل في قلبك.

الكورس: سجّل؛ ومن أذنك أنزل رأيي حتى الأعماق الصامتة لفكرك. ذلك هو الماضي! أما ما ينبغي أن تفعله الآن، فعلى غضبك أن يُخبرك به! من ينزل

(١) كانت العادة هي أن القاتل يقطع أطراف جثة القتيل، ويربط هذه الأطراف في عنقه بحبل وتحت ابطيه. وبهذا يؤمن نفسه ضد انتقام أهل القتيل. ومن العقائد المنتشرة عند كثير من الشعوب أنه ليس للقاتل أن يخشى شيئاً من ضحيته لو أنه مثل بها على نحو يجعل الحي غير قادر على الإيذاء!

لساحة المعركة خليق به أن يغضب غضبة هائلة .

أورست: يا أبتاه، إني أناديك أنت: كُنْ في عون أبنائك .

الكترا: وأنا أيضاً أناديك وأنا غارقة في الدموع .

الكورس: وأصواتنا تردد هنا أصواتهم . استمع إلينا: تعالَ إلى النور، وأعزنا عونك ضد أعدائنا .

أورست: ستناضل «القوة» ضد «القوة»، و«الحق» ضد «الحق» .

الكترا: أيتها الآلهة! تنطق عدالتكم وفقاً للعدالة!

الكورس: إني أشعر من هذه الدعوات، أن «المصير» قد تأخر طويلاً: ويمكن أن يظهر تحت تأثير أدميتنا .

آه! كم تمكّن البؤس من هذه السلالة العتيقة! إنها لضربة من «الشقاء» دامية محزنة! واحسرتاه! يا له من جزع نائح لا يُحتمل! واحسرتاه! آلام لا نهاية لها!

لكن العلاج لهذه الأسقام هذا القصر يحتوي عليه . فليس خارجه بل منه سيستخرجه لقاء نزاع وحشي دام . وهذا هو النشيد الذي تريده آلهة العالم السفلي! رئيسة الكورس: هيا، أيتها الآلهة الذين تحكمون تحت الأرض، اسمعوا اللعنة، وبرحمتكم ابعثوا إلي هذين الولدين بعونكم الظافر .

(أورست والكترا يصعدان على الراية المقام عليها القبر، ويركعان ويضربان الأرض بأيديهما)

أورست: يا أبتاه، يا أبتاه الذي مُتَّ ميتة غير جديرة بملك، إني أدعوك، اجعلني أحكم في بيتك .

الكترا: هنالك ستقام المآدب المخصصة على شرفك . وإلاً، فإنك ستُنسى، في يوم المآدب الخاصة المقدّمة في هذا البلد على المذابح التي ينطلق عليها الدخان .

الكترا: وعلى نصيبي الكامل من الميراث، سأقدم إليك رشاتي بوصفي عروساً حديثة الزواج، حينما أغادر بيت أبي . وفوق كل شيء سيكون قبرك مقدساً عندي .

أورست: أيتها الأرض، انشقي: أبي يريد أن يسهر على المعركة .

إلكترا: يا برسفونيه! أرسلني إلينا النصر المبين.
أورست: يا أبي، تذكر الحقام الذي قُتِلت فيه.
إلكترا: تذكر شبكة مكائدهم الجديدة.
أورست: وتذكر السلاسل التي قُيدت فيها.
إلكترا: والأقنعة الغدارة للمؤامرة الخسيسة.
أورست: يا أبتاه، هل تستيقظ أخيراً على هذه الاهانات؟
إلكترا: هل ترفع رأسك الحبيب العزيز؟

أورست: أرسل إذن «العدالة» لتناضل إلى جانب أولادك؛ أو، بالأحرى،
دعهم يستعملون نفس الغنائم، إذا كنت تريد أن تتنصر بعد أن هُزمت في الماضي.
إلكترا: استمع يا أبي إلى دعائي الأسمى: انظر إلى صغارك وهم متعلقون
بهذا القبر: ارحم ابنتك وإبنك؛ لا تمخُ من الأرض آخر البيلوپسيسين Pelopsides:
إنك بهم ستظل حياً وأنت ميت.

أورست: إن أبناء الرجل ينقدون اسمه من الموت، مثل الفلّين الذي يحتفظ
بالشبكة، فينقد شبكة التيل من الغوص في أعماق المياه. استمع إليّ إذن؛ إني من
أجلك أنت أنا أنوح ها هنا: إن استجبت إلى ندائي فإنك تنقد نفسك بنفسك.

(يبتعدان عن رابية القبر)

رئيسة الكورس: صلاتك الطويلة قد أوفت بالشعائر، وعوّضت عن النسيان
الذي أرتكب، نسيان النواح على هذا القبر والآن، ما دامت إرادتك قد همت
بالعمل، فهيا إلى العمل! وحقق تجربة «المصير».

أورست: نعم! ولكن ليس من غير المناسب أن نتساءل أولاً لماذا، ولأي
غرض، أرسلت هي هذه الرشات وحاولت - بعد فوات الأوان - تسكين داءٍ لا
يمكن شفاؤه. إنه تكريم هزيل وجّهته إلى الميت الذي لا يشعر. أنا لا أقصد إلى
تقدير هذه القرابين، لكن أعلم أنها تحت مستوى الخطيئة. من أجل دفع ثمن قطرة
من الدم، في وُسْعك أن تُصبّي كل أموالك مرة واحدة: لكن هذا سيكون تعباً لا
طائل منه. تلك هي الحقيقة. لكنّي أرجوك، خبّرني عن حقيقة الأمر، إن كنت
تعرفين.

رئيسة الكورس: أنا أعرف، يا بُنَيَّة، لأنني كنت حاضرة هناك. إنها أحلام، ومخاوف أفلقت لياليتها هي التي جعلتها تقفز من فراشها لترسل هذه الرشات - هذه المرأة الفاسقة!

أورست: لكن الحُلم الذي حلمته هي، هل تستطيعين أن تروييه لي؟

رئيسة الكورس: إنها قالت إنها شاهدت في الحلم أنها تلد ثعباناً.

أورست: اذكري لي الخاتمة: كيف كانت خاتمة هذا الحلم؟

رئيسة الكورس: إنها لفتته في لفائف كأنه طفل وليد.

أورست: وبم كان يتغذى هذا الوحش الوليد؟

رئيسة الكورس: هي نفسها في الحُلم قدّمت إليه ثديها.

أورست: ولم يُجرح الثدي من وحش كهذا؟

رئيسة الكورس: بلى! اختلطت جلطة دم بلبنها.

أورست: من الممكن ألا يكون هذا حُلماً زائفاً!

رئيسة الكورس: لقد استيقظت وصرخت وصرخة الفزع. والمشاعل التي أغلق عيونها الظلام، ظهرت في البيت في الحال على صراخ سيدة البيت (= قلوطنسترا). وحينئذ أرسلت هذه القرايين، على أمل أن يكون فيها العلاج لمخاوفها.

أورست: إذن! أنا أرجو من «الأرض» التي تحملنا، وأرجو قبر أبي أن يدعني أحقق هذا الحلم. انظري، إنني أفسره على النحو التالي: إذا كان هذا الثعبان، الذي خرج من نفس البطن مثلي أنا كأنه ابن، قد لُفَّ في لفائف، وألقى شفتيه حول الثدي الذي رضعت منه، ومزج باللبن الحلو للأم جلطة من الدم - بينما هي صرخت من الألم فزعاً - فلا بد، ما دامت قد أعطت ثديها للوحش الذي أفزعها - لا بد: من أن تعطيني أنا دَمَهَا، وأنا - الثعبان! - أنا الذي سأقتلها، كما تنبأ بذلك حُلمها الذي حَلَمْتَهُ.

رئيسة الكورس: آه! إنني أقرّ لك اليوم بأنك عَرَّاف: فليكن هذا إذن! والآن، أصدِر أوامرك إلى أصحابك: قُل لبعضهم ماذا يجب عليهم أن يفعلوا، وقُل للآخرين ماذا ينبغي عليهم أن يحترسوا منه.

أورست: حُطّتي بسيطة. (يشير إلى الكترا): سأرجو هذه أن تدخل القصر. أما أنتم فساندوا حُطّتي، من أجل أنه بعد أن أذبح - بالحيلة - بطلاً موقراً، فإنهم بدورهم يسقطون فرائس ويؤخذون ويهلكون في نفس الشبكة، كما أعلن ذلك لوكسياس^(١) بنفسه، وهو مولانا أبولون، الذي لم يكذب حتى الآن. وسأحضر مثل غريب، حاملاً الأمتعة الكاملة لشخص مسافر، إلى أبواب القصر ومعني بولاد هذا - وهو ضيف جديد إلى جانب الضيف القديم^(٢). وسنستخدم كلانا لغة البارناس، بمحاكاة نبرة لهجة اقليم فوقيس. وأنا أتوقع ألا يلقانا أيُّ بواب بانشرح: فإن الكثير من القلق يسود في البيت. لهذا سننتظر إذن دون أن نتحرك، كيما يتساءل المازة قائلين: «لماذا يصرف إيجيست المستجير عن بابه، ما دام هو في أرجوس ولا بد أنه أبلغ بهذا؟» لكن سواء اجتزت أنا عتبة الأبواب للقائه، والعثور عليه جالساً على عرش أبي - أو يريد هو أن يتكلم معي مواجهة ويجيء هو بنفسه ويصبح أمام عيني - فعلى كل حال فإنه قبل أن يقول: «من أي بلد هذا الغريب؟» فإنني أكون أنا قد قتلتته بأن أشمله بالسيف البرونزي المرهف، وإلاهة الانتقام، وهي شبعى بالقتل، ستشرب هذا الدم صافياً لثالث مرة^(٣). فعليك أنت إذن أن تراقب داخل القصر، حتى يسير كل شيء معاً. ولست أطلب منك إلاً لساناً فظاً يعرف كيف يسكت أو ينطق بالكلمات المناسبة. وما تبقى أنا سأطلب منه (يشير إلى القبر) أن يسهر عليه، بتأمين النصر في المعركة التي سأحضرها بسيفي.

(أورست وبولاد يخرجان من اليسار)

الكورس: لا حصر لها البلايا المفزعة والوحوش التي تغذيها الأرض، والحيوانات القاسية على الانسان التي يحتويها جوف البحار.

-
- (١) هذا هو لقب أبولون؛ ومعناه اللغوي: «الملتوي»، لأن كلامه يصعب فهمه ومعناه ملتو.
- (٢) ثالث مرة يقتل فيها فرد من سلالة لايوس: المرة الأولى كانت قتل أبناء توست. والثانية كانت قتل أجامنون، وهذه المرة الثالثة ستكون قتل إيجيست، ويشبهه أسخولوس بالرشة الشعائرية الثالثة، التي توجه إلى زيوس المخلص عند نهاية مادية، وهي دائماً رشة بالنبيذ الخالص، ولكن في حالتنا هذه ستكون بالدم الخالص الموجه إلى آلهة الانتقام.
- (٣) يقصد أن الزواج إنما تقتله الشهوة المسيطرة على المرأة، وهي شهوة عارمة تستبد بالمرأة مثلما تستبد بإنات الحيوان.

بين الأرض والسماء تنبثق شهب من نار. وكل ما يطير أو يمشي يستطيع أن يتحدث عن غضبة الرياح العاتية.

لكن مَنْ ذا الذي يستطيع أن يصف الجرأة التي لا حد لها الصادرة عن المخلوقات الإنسانية، والغراميات الفاجرة للنسوة ذوات القلوب العاهرة؟ الزواج تتغلب عليه الشهوة التي لا كبح لها والتي تسيطر على المرأة، سواء عند بني الإنسان وعند الحيوان.

على أولئك الذين لم تطر من ذاكرتهم الحكايات التي تعلموها - عليهم أن يتذكروا النار الغدارة التي قتلت ابنا وتجرأت في الماضي على اشعال بنت ثستيسوس^(١) مستهلكة في النار الزناد الناري. هذا الرفيق الذي أعطى لأبنها عند أول صرخة صرخها لما خرج من بطن أمه، والذي كان يقيس مروره خلال عمره حتى اليوم الذي حدّه القدر.

والحكايات القديمة ترددت ايضاً باستولا الدموية التي ذبحت أباهاً لأعدائه، وأغرتهها أساور ذهبية كريتية، كانت هدايا من مينوس Minos، بانتزاع الشعرة التي جعلته خالداً، انتزاعها من جبهة نيسوس^(٢) النائم مطمئناً - يا لها من كلبة فاجرة! - فأمسك هرمس^(٣) به.

وما دمّت قد ذُكرت بهذه الأحداث المحزنة، أولم تجيء الساعة لهذا القصر كي يهين الزوجة البغيضة، ويفضحُ صدر قلب امرأة بمحارب ملك كانت غضبته وبالأعلى أعدائه - بينما ظل يحترم البيت الهادئ الذي فيه كانت المرأة تمارس الجلالة الملكية العذبة؟

ومن بين كل الجرائم أفرد التاريخ مكاناً خاصاً للجريمة التي شاهدها

(١) بنت ثستيسوس Thestios ملك پلورون في اقليم ايتوليا هي: ألثايا Althaiia وابن الثايا هو ملياجر. وحياة ملياجر كانت مرتبطة بجذوة كانت أمه تحفظه في صندوق. فلما علمت ذات يوم أن ملياجر قتل اخوه عقب نزاع، فإنها ألقت بهذه الجذوة في النار فمات ملياجر في الحال.

(٢) Nisus: هو ابن پنديون Pandion، ملك ميغارا. وكان في وسط رأسه شعرة حمراء. وقد أعلن الوحي أنه سيموت في اليوم الذي تنتزع منه هذه الشعرة. ومينوس، لما كان يحاصر مدينة ميغارا، وجد وسيلة لإعزا ابنة الملك، واسمها اسقولا، وانتزع الشعرة السحرية، وبهذا أهلك الأب وبلدته.

(٣) هرمس يقود الأرواح إلى العالم السفلي.

لمنوس^(١). إن الصوت العام يلفها بفرع؛ ولا تزال أبشع الجرائم تبعث: «جريمة لمنوسية». والجنس الذي ارتكب هذه الجريمة المكروهة من الآلهة قد هلك محاطاً بازدراء بني الإنسان: إنه لا يوجد إنسانٌ يمتد ما يكرهه الآلهة. فما هي الحقيقة من بين هذه الحقائق التي لا يحق لي أن أذكر بها؟

إن السيف الحادّ ينفذ في القلب ويخترقه - باسم العدالة. إن للعدالة كل الحقوق على كل الذين - ضدّ كل حق - قد داسوا بأقدامهم وأهانوا جلاله زيوس الكاملة.

متى ما طرح مذبح «العدالة» على الأرض فإن «المصير» يمتشق سيفه.

وها هوذا ابن الاغتيالات القديمة دخل البيت بدوره، وقد اقتادته تلك التي لا بد لها أخيراً أن تدفع ثمن هذه النجاسة، إلهة الانتقام الشهيرة بمؤامراتها السوداء.

(أورست وپولاد يدخلان من الناحية اليسرى ويتوجهان نحو القصر. ويتبعهما خادم أو خادمان يحملان متاعيهما)

أورست: يا عبّد، اقرع الأبواب. ألا يوجد أحدٌ في القصر؟ يا عبّد، يا عبّد، اقرع مرة أخرى! أنا أنادي للمرة الثالثة فليخرج إنسان، إن كان هذا البيت، في عهد ايجيست، يمارس الضيافة.

(الباب يفتح)

العبّد: هأنذا! أسمع. من أي بلد هذا الغريب؟ من أين جاء؟

أورست: كرّر هذه الكلمات لأولئك الذين هم أصحاب الأمر هنا والذين جئت إليهم حاملاً أنباءً - لكن أسرع، لأن عربة الليل المظلمة تُسرّع هي الأخرى، وقد جاءت الساعة للمسافر كي يلقي بالمرساة في البيوت المفتوحة للغرباء -: «ليفضل أحد سادة هذا البيت أن يأتي - إن صاحب الأمر هنا امرأة - أو بالأحرى: رجل، إذ في هذه الحالة الثانية لن يكون هناك حرج في الحديث ولا غموض في الأقوال: ذلك لأن الرجل يتكلم مع الرجل دون خوف وبلغة واضحة».

(١) كانت نساء جزيرة لمنوس قد قتلن كل الرجال فيها، ومن هنا جاء المثل: «جريمة لمنوسية» وصفاً للجريمة البالغة الفظاعة.

(قلوطينسترا تخرج من القصر)

قلوطينسترا: أيها الغرباء، قولوا ماذا تريدون. إنكم ستجدون في هذا القصر ما يحق للمرء أن يتوقعه: حماماً ساخناً، سريراً يهدىء متاعبكم، واستقبالاً ذا طابع ملكي. فإن كنتم قد جئتم لأمرٍ جاد، فهذا من شأن الرجال الذين ترجع إليهم.

أورست: أنا غريب، قادم من دوليس Daulis في إقليم فوقيس. لكن لما كنت في طريقي إلى أرجوس، حاملاً حقائبي، على الهيئة التي نزلت فيها هنا - فإن رجلاً لا يعرفني ولا أعرفه جاء إليّ وبعد أن حدثني عن رحلته وسألني عن رحلتي، فقد قال لي استروفوس الفوقيسي هذا - وقد عرفت اسمه أثناء الحديث معه - ما يلي: «ما دمت ذاهباً إلى أرجوس، أيها الغريب، فأخبر أقارب أورست أنه مات؛ وأرجوك ألا تنسى هذا فهل يفضل أقاربه أن يدفن بالقرب منهم؟ أو - على العكس - يفضلون أن يُدفن عندنا، إنه أجنبي قد صار ضيفاً عندنا إلى الأبد؟ أحضر إليّ مما يأمر به. في هذا الوقت رماد جثته محفوظ في إجانة من البرونز، وتمّ البكاء عليه بما يليق». وأنا كررت لك كل ما قاله لي. هل أنا أتكلم مع أقارب مؤهلين لسماع كلامي؟ أنا أجهل هذا. لكن مَنْ أنجبه، لا بد أنه يعرف ذلك^(١).

قلوطينسترا: ويلّ لي! كلماتك تقضي عليّ. ومن الصعب النضال ضدك، إن هذه لعنة صُبت على القصر! إن نظرتك نافذة! إن كان ما ظننت أنه بعيد جداً وفي أمان، قد استطعت أنت أن تصرعه بقوسك التي لا تخطيء الهدف، وجرّدتني أنا البائسة من كل أهلي! اليوم، أورست أورست الذي دعتة الفطنة إلى انتزاع قدمه من الحماة الدموية - هو الأمل الأخير في سرور قادر على أن يشفي هذا القصر، أمل ظهر... ثم اختفى^(٢).

أورست: كان بوذي لو أتيت إلى مثل هؤلاء المضيفين النبلاء بأنباء سعيدة، كي يعرفوني ويستقبلوني، ومن أطيب استعداداً نفسياً من ضيفٍ بالنسبة إلى من يستضيفونه! لكن قلبي كان سيشعر بالقسوة لو أنه لم يؤدّ دوره عند أصدقاء، بعد

(١) المعنى هو: لقد طلبوا مني أن أتوجه إلى والد أورست أو إلى أمه. فهل التي تقف أمامي هي أمه - التي يجب عليّ أن أخبرها بالرسالة التي كلفت بها؟ لست أدري؛ لكنها هي تعرف، وستقول ذلك».

(٢) يشبه الأمل عند اليونان برسم خفيف تكفي لمحوه بعض لمسات من الاسفنجة.

أن وعدهم وتم استقباله استقبالاً حسناً^(١).

قلو طمنسترا: ومع هذا فلن يقلل ذلك من معاملتك كما تستحق واستقبالك في هذا البيت كصديق. وعاجلاً أو آجلاً كان شخص آخر غيرك سيحمل إلينا نفس الرسالة. لكن حانت الساعة، بالنسبة إلى الضيوف في نهاية اليوم، أن يلقوا العناية المتكافئة مع رحلتهم الطويلة. (مخاطبة عبدة): اقتاديه إلى الغرف المخصصة لضيوفنا هو وخدمه ورفاقه^(٢). وليجدوا كل ما يليق ببيتنا. وأسهل: عليك أن تخبرني بما فعلت. (أورست وپولاد تقتادهما العبدة ويدخلون القصر). وفيما يتعلق بنا، فإننا سنبلغ كل شيء إلى سيد القصر، ولما كنا لا يعوزنا الأصدقاء، فإننا سنشاورهم في هذا الأمر.

(تدخل القصر)

رئيسة الكورس: هيا، أي صواحيبي، يا أسيرات القصر! ماذا تنتظرن كي نبذل لصالح أورست القوة الوحيدة التي تملكها: قوة أصواتنا؟

أيتها الأرض الجلييلة، وأنت أيتها الرابية الجلييلة، التي تغطي كتلتها العالية جسد رئيس فرقة ملكية، لقد جاءت الساعة: أعيريني سمعك، أعيرينا نجدتك! لقد جاءت الساعة لإقناع الغدار كي ينزل معهم إلى الحلبة، ولهرمس العالم السفلي، ولهرمس الظلمات أيضاً، كي يواجه صراع السيوف القاتلة.

(تخرج المربية من القصر)

لا شك أن الغريب هو بسبيل القيام بضربة شديدة: إنني أشاهد المربية تبكي، مربية أورست. إلى أين أنت ذاهبة، يا كيلسا^(٣)، خارج القصر؟ يبدو أملك تابعاً لم تطلبه.

المربية: «إن الغرباء يطلبون ايجيست، دون إبطاء» - هذا هو الأمر الذي أصدرته مولاتي - «كي يأتي لسمع رسالتهم رجلاً في مواجهة رجل». ووجهها أمام خدَمها مكتئب، لكن عينيها في الداخل تخفيان ابتسامة، لأن كل شيء بالنسبة إليها انتهى على خير وجه؛ أما بالنسبة إلى هذا القصر فإن الخراب تام، الخراب الذي

(١) الوعد الذي أعطي إلى استروفوس، واستقبال قلو طمنسترا لهم.

(٢) أي ما معه من خدم أو أصدقاء. وقد أدركت أن پولاد ليس خادماً أو عبداً.

يعلنه لنا هؤلاء الغرباء. أما هو فلو سمعهم، فإن قلبه سيكون مسروراً من النبأ الذي سيبلغ به. أما أنا البائسة. آه يا ليت الأحزان القديمة تسقط بكل ثقلها جملة واحدة على مسكن آل أتريوس هذا، والتي أبهظت في الماضي قلبي الذي في صدري. ومع ذلك فإنني لم أتحمّل مثل هذا الألم بعد. أما الآلام الأخرى فإنني قد استنفدتها بصبر. أما أورست، الذي استهلكت حياتي من أجله، وتلقيته لما خرج من بطن أمه وِعْدْبته حتى النهاية... وعذاب صراخه في كل لحظة مما جعلني أجري الليلي بطولها! لقد تحملت هذا كله إذن في غير طائل! مَنْ ليس لديه معرفة ينبغي تربيته مثل جَرُو صغير - أليس كذلك؟ والتعود على تصرفاته. إن الطفل في القمّاط لا ينطق، سواء كان جائعاً أو عطشاناً أو يشعر بالحاجة الملحة: إن بطنه الصغير يتبرّز وحده. ولا بد أن تكون المربية عرّافة إلى حد ما، ولما كنت أخطيء في كثير من الأحيان فإنني كنت أقوم بدور غسالة القمّاطات: إن الغسالة والمربية تجتمعان في شخص واحد. لكنني استطعت أن أوّدي هذه المهمة المزدوجة، لأنني تلقيت أورست^(١) باعتبار أنه أبوه. وقد علمت اليوم أنه مات - فيا ويلتاه لي! لكنني ذاهبة للعثور على الرجل الذي فقد هذا المنزل. إنه سيسمع هذا النبأ دون أن يتألم؛

رئيسة الكورس: لكن بأية حياة هي تريد منه أن يظهر؟

المربية: بأية حياة؟ كرري قولك حتى أفهم أحسن.

رئيسة الكورس: ومعه كل حُرّاسه؟ أو وحده، دون حراسة؟

المربية: هي تريد منه أن يصحب معه كل حرسه مسلّحين.

رئيسة الكورس: لا تنقلي هذا الرأي إلى السيد الذي تكرهينه. وليأت وحده، مسرعاً، وليبق قلبك مسروراً. على الرسول يتوقف نجاح الخطة المخبأة.

المربية: لكن هل تؤملين بعد هذا النبأ؟

رئيسة الكورس: في وسع زيوس أن يحوّل كل مصائبنا إلى مسرات.

المربية: كيف؟ إن أورست مات، وكان هو أمل هذا القصر.

(١) هذه هي العبارة المألوفة عند الدايات؛ وهي تكررهما بللحاح ساذج، إنها تفخر بأنها شهدت مولد ابن هذا البيت؛ وأنها تلقته «باعتباره أباه».

رئيسة الكورس: ليس بعد: ومن يعتقد هذا سيكون عَرفاً رديئاً.
المرية: ماذا تقولين؟ هل تلقيتِ أنباءً أخرى؟
رئيسة الكورس: هيا، صدّقيني، وأذي رسالتك. وعلى الآلهة أن تسهر على ما يجب عليها أن تسهر.

المرية: سأذهب، وسأعمل بنصيحتك. ولتصنع الرعاية الإلهية ما فيه الخير.
(المرية تبتعد عن القصر من ناحية اليمين)

الكورس: والآن، استحلفك، يا زيوس، يا أبا آلهة الأولمب^(١) نعم، يا زيوس! انصر على أعدائه مَنْ هو في هذا القصر فإنك إذا رفعت قدره وجعلته قوياً، فإنه سيرد لك ذلك أضعافاً مضاعفة.
انظر إلى الفارس الشاب، يتيم بطل، كان أثيراً عندك، وهو الآن يجزّ عربة من الآلام

نعم! يا زيوس! انصر على أعدائه مَنْ هو في هذا القصر، فإنك إذا رفعت قدره، وجعلته قوياً، فإنه سيردّ لك ذلك أضعافاً مضاعفة.
وأنتم يا مَنْ تقيمون في أعماق القصر، بين لألاء الذهب المسرور، أيتها الآلهة المُحسنة، أصغي إليّ. هيا! امحي دم الجرائم الماضية بانتقام سريع، لعل الجريمة القديمة لا تلد بعد الآن في هذا القصر!

وأنت يا من تسكن في البناء الفخم المشيّد حول الفم الرهيب^(٢)، اعمل بحيث يستطيع بيت البطل أخيراً أن يرفع رأسه، وأن يشاهد بعيونه المُخلصة الشمس الرائعة للحرية تتلو هذا القناع من الظلمات.

وليت هرمس، ابن مايا، يُسدي إلينا العون الذي يجب عليه، لا أحد يعرف خيراً منه كيف يجعل الرياح المواتية تهبّ بكلمة غامضة يستطيع أن ينشر على العيون ظلمات الليل، التي لن يبددها حتى النهار نفسه.

(١) النص اليوناني في كلام الكورس هنا ضاع معظمه.

(٢) النص هنا غير مفهوم. ويمكن أن يكون المقصود هو أبولون ومعبدته في دلف. وحينئذ يكون «الفم الرهيب» هو الشق الذي فوقه يوضع الكرسي المثلث الأرجل والذي يجلس عليه الكاهن المتلقي لوحي أبولون ومن خلاله تصاعد الأبخرة التي تلهم الوحي.

وأنت يا مَنْ تسكن في البناء الفخم المشيد حول القم الرهيب، اعمل بحيث يستطيع بيت البطل أخيراً أن يرفع رأسه، وأن يشاهد بعيونه المُخْلِصة الشمس الرائعة للحرية تتلو هذا القناع من الظلمات.

وحيثُ، من أجل الاحتفال بالبيت المحرّر، سنغدو صائحين في المدينة الصيحة التي بها النساء تُحيي ظهور الرياح السعيدة..... النصر! المكسب لي، المكسب لي أنا، حينما يكون البلاء بعيداً عن أولئك الذين أحبهم.

وأنت حينما يأتي دورك للعمل بجسارة، إذا هي صاحت نحوك قائلة: «يا بني!» - فاصرخ أنت في وجهها قائلاً إن أباك يصرخ فيك، واقتل قتلة تضع حداً للشقاء.

احمل في صدرك قلب پرسسيوس^(١) الصلب، واحرص على أن تُسرَّ أولاً أهلك: الموتى والأحياء..... وحتى لو كان ذلك نظير حدوث مصيبة دامية، اقضِ على الفاعل المسؤول عن الاغتيال.

وأنت حينما يأتي دورك للعمل بجسارة؛ إذا هي صاحت نحوك قائلة: «يا بُني!» - فاصرخُ أنت في وجهها قائلاً إن أباك يصرخ فيك؛ واقتل قتلة تضع حداً للشقاء.

(ايحيست يأتي من ناحية اليمين)

ايحيست: هأنذا أعود، لا من تلقاء نفسي، ولكن دعنتي رسالة. قيل لي إن غرباء قد جاءوا إلينا بنبأ لم يكن موثقاً، نبأ موت أورست. . إن تحمل مثل هذا الحمل على الأكتاف فيه ما يشيع في البيت من الفزع ما أحدثه موت سابق جعله يدمي ويتحطم^(٢). لكن هل ينبغي علينا أن نعدّ ما يُحكى لنا أمراً صادقاً وواقعياً؟ ألا يمكن أن يكون من نوع هذه الأقوال الجبانة التي تقولها النساء والتي تُطلق

(١) الجورجون كانت بنظرتها تحجر من تتطلع فيه. ولهذا فإن پرسسيوس حينما ضربها فإنه أشاح عنها برأسه. وبالمثل يقول هذا الكلام هنا إن على أورست أن تكون عزمته صارمة مثل عزيمة پرسسيوس، وأن يشيع برأسه حينما يطعن أمه، وإلا فإن شجاعته ستخونه لو تتطلع في أمه. وهذا الكلام يهدد للمحادث المقبل، وهو تردد أورست في مواجهة أن يقتل أمه.

(٢) ها هنا صورة حيوان يحمل الأثقال، وظهره قد تحطم من الأثقال، وهو لهذا يرتعد من ثقل حمل جديد على ظهره المليء بالجروح الحية.

وتطير، ثم تختفي دون أن يكون لها أية حقيقة؟ ماذا تستطيعين أن تسوقي من دليل يفرض نفسه عليّ؟

رئيسة الكورس: لقد سمعنا هذا النبأ. لكن أدخل واستعلم من الغرباء. إن الرسول لا يساوي الذهاب بنفسك لاستجلاء حقيقة الأمر.

ايجيست: أريد أن أذهب بدوري وأن أرى وأسأل الرسول. هل كان هو بنفسه حاضراً بالقرب من الميت؟ أو هو يروي شائعة مهمة؟ وأنا أتحداه أن يخدع بصيرتي.

(يدخل في القصر)

رئيسة الكورس: يا زيوس، يا زيوس، ماذا ينبغي عليّ أن أقول؟ وكيف أبدأ دعائي، وندائي إلى الآلهة؟ وفي حماسة التمنيات، كيف أتمها وأقول ما ينبغي أن يقال؟

ذلك أنه الآن السيوف القتالة ستخضب بالدماء، وسيتم إلى الأبد خراب بيت أجاممنون؛ أو أن بطلنا سيشعل نار الخلاص، ويسترد سعادة آبائه مع القصر وعرش الحاكم الشرعي.

ذلك هو النضال الذي سيخوض فيه الآن أورست الإلهي، كأنه مصارع احتياطي^(١) - هو وحده ضد اثنين: وليكن هذا من أجل الانتصار!

(تُسمع صرخات وراء الباب)

ايجيست: آه! آه!

الكورس: آه! ماذا يحدث؟ كيف انتهى كل شيء في القصر؟

رئيسة الكورس: لنبتعد. المغامرة على وشك الانتهاء؛ لا تبدو مشاركات في القتال؛ ذلك لأن النتيجة قد تقرر، فيما يتعلق بالمعركة.

(١) «المصارع الاحتياطي» يجب عليه أن يصارع ضد المنتصر في الصراع السابق؛ والمنتصر هنا إثنان: ايجيست وقلوتمسترا، ولهذا فالخطر كبير.

(الكورس ينسحب إلى ركن من الأوركسترا - خادم يخرج وهو مذهول، من الباب الرئيسي ويندفع نحو باب الحريم، ويقرعه بشدة).

الخادم: وا أسفاه! أجل، وا أسفاه! مولاي ضُرب حتى مات! وا أسفاه! مرة أخرى وا أسفاه! مرة ثالثة: ايجيست فارق الحياة! - هيا، افتحوا، بسرعة! اسحبوا مزلاج بيت الحريم! - آه! لا بد من رجل قويّ ها هنا - لا من أجل نجدة مَنْ مات، فما الفائدة في هذا؟ هيا! هيا! - إني أصرخ لصمّ. إنهم نائمون: أصرخ بلا فائدة، عبثاً أين قلوطنسترا إذن؟ ماذا تفعل هي؟ ها هي ذي رقبة - حسبما أظن - على حدّ السيف وقد ضربت ضربة قاضية وستسقط الآن على الأرض.

(قلوطنسترا تخرج من بيت الحريم)

قلوطنسترا: ماذا هناك؟ لماذا تملأ البيت بكل هذه الصرخات؟
الخادم: أقول إن الموتى يصرعون الحيّ.

قلوطنسترا: وا مصيبتاه عليّ! إني أفهم كلمة اللُغز. سنهلك بالخيانة، كما قتلنا نحن. لن يُقدّم إليّ أحدٌ بسرعة إذن البلطة القاتلة! لنعلم أخيراً هل نحن منتصرون أو مهزومون - ما دام قد حان مصيري الحزين.

(تتوجه نحو الباب الرئيسي، الذي يُفتح بغتة. أورست يظهر وسيفه في يده. وبولاد خلفه.
الخادم هرب فرعاً)

أورست: بالضبط، أنا أبحث عنك. أما هو فقد نال جزاءه.

قلوطنسترا: وا أسفاه! لقد مُتُ إذن، يا ايجيست الشجاع!

أورست: أنت تحبينه؟ إذن أرقدي الى جواره. حتى وهو ميت، أنت لا تخونينه.

(يقفز رافعاً سيفه. قلوطنسترا تسقط عند ركبتيه، وتمزق ثوبها، وتريه صدرها).

قلوطنسترا: لا تفعل يا بُنيّ! احترم، يا ولدي، هذا الصدر، الذي طالما، وأنت نائم، مصصت بشفتيك لبنه المغذي.

(أورست يدع سيفه يسقط على الأرض)

أورست: يا بولاد - ماذا أفعل؟ هل أستطيع أن أقتل أمي؟

بولاد: وماذا ستصير من الآن فصاعداً، أوحاء ابولون، والآراء التي أوحى بها في بوثو (= دلف)، والأمانة التي هي الضمان للأقسام (جمع: قَسَم)؟ صدَّقني: الأفضل لك أن يكون كل الناس ضدك من أن يكون الآلهة ضدك.

أورست: أنت على حق، إني أعترف بهذا، ونصيحتك عادلة. (مخاطباً أمته قلوطنسترا): اتبعيني، إني أريد أن أذبحك بالقرب منه. لما كان حياً، أنتِ فَضَّلْتِهِ على أبي: فنامي إذن إلى جواره في الموت، لأنه هو مَنْ تحبينه، بينما أنتِ تكرهين مَنْ كان من الواجب عليك أن تحبيه.

قلوطنسترا: إني أنا الذي غَدَّيتك، وأريد أن أشيخ إلى جوارك.

أورست: يا قاتلة أبي، أتريدين أن تعيشي معي؟!

قلوطنسترا: في هذا كله، يا بني، كان للقدر نصيبه.

أورست: والقدر هو الذي أعدَّ موتك.

قلوطنسترا: آه! يا بني، خف أن تلعنك أمك.

أورست: الأم التي أَلقت بابنها في الشقاء!

قلوطنسترا: إني لم أرسلك إلا إلى بيت رجل مضياف.

أورست: لقد تمَّ بيعي مرتين، أنا ابن والدٍ حرٍّ^(١).

قلوطنسترا: وما هو الأجر الذي حصلت عليه أنا من هذا؟

أورست: إني أخجل من ذكره، هذا الأجر المسربل بالعار.

قلوطنسترا: قُل كل شيء، لكن قُل أيضاً أخطاء والدك.

أورست: أنتهمين الجندي، أنتِ الجالسة في البيت!

قلوطنسترا: يا ولدي، كم هو قاس على النساء أن يكنَّ بعيدات عن الزوج!

إن عمل الزوج هو الذي منه تقتات المرأة.

أورست: إن تَعَب الرجل هو الذي يُطْعِم المرأة.

قلوطنسترا: هل تريد حقاً أن تقتل أمك، يا ولدي؟

(١) قلوطنسترا حرمت ابنها أورست من صفتين: إنه أمير، وإنه ابنها. فالمقصود بقوله إنه بيع مرتين، أي: حرم من هاتين الصفتين.

أورست: ليس أنا، بل أنتِ التي ستقتلين نفسك بنفسك.
قلوطمسترا: احذر: فكّر جيداً في الكلبات^(١) المنتقمات لأمك.
أورست: وكلبات أبي - أين أفر منها إذا أنا ترددت؟
قلوطمسترا: أه! أنا موجودة هنا حيّة أدعو القبر!
أورست: إن المصير الذي خَصَصْتِ به أبي يحكم عليك بالموت.
قلوطمسترا: هل أنا إذن الذي ولدت وعَدَّيت هذا الثعبان؟!
أورست: إن مخاوف أحلامك كانت عزافاً صادقاً. أنتِ قتلتِ زوجك،
فموتي بسيف الابن.

(يجرّ أمه إلى داخل القصر)

رئيسة الكورس: إني أبكي على مصير كليهما. لكن ما دام أورست البائس
قد توجّج - في هذه الساعة - سلسلة الاغتيالات، فإني على الأقل أفضل ألا تُطفأ
عين البيت إلى الأبد.

الكورس: العدالة قد جاءت؛ لقد انتهى بها الأمر إلى ضرب آل فريام وإنزال
العقاب الشديد بهم. كذلك جاء إلى قصر أجاممنون الأسد المزدوج^(٢)، القتل
المزدوج. لقد مضى حتى النهاية المنفى الذي تنبأ به وحي فوثر (= دلف) وقد
قادته في وثبته نصائح إله!

(١) أي: الأرنيات Brinys (وعند الرومان: الفوريات Fouries)، وهن أرواح انشوية يهمن العدالة
والانتقام. وقد ولدن من قطرات الدم التي نزلت على الأرض لما أن قام خرونوس (الزمان) بطعن
أورانوس (السماء). وهناك رواية أخرى تقول إن الليل Nyx هو الذي أنجبهن. وعددهن غير محدد
بوجه عام، لكن الشاعر الروماني فرجيل يؤكد أنهن ثلاث، أسماؤهن هي: الكتو (= التي لا
ترحم)، ومينجترا (= السيئة النية) وتيسيفونية (= المنتقمة للقتل). ومهمتهن الأساسية هي مطاردة
الرجال والنساء الذين ينتهكون قوانين «الطبيعة»، وبخاصة: حقوق القرابة بقتل الآباء والأمهات
والإخوة والأخوات والأصهار. فمن يقتل واحداً من هؤلاء فإن الأرنيات كن ينتقمن منه.
وسنراها في مسرحية «المحسّنات» لاسخولوس تطارد أورست لأنه قتل أمه قلوطمسترا، كما طاردت
قلوطمسترا في مسرحيتنا هذه لأنها قتلت أجاممنون.

(٢) بحسب قول صاحب الحاشية اليوناني على هذا الموضع: الاسد المزدوج هو أورست وپولاد.
وبالمثل قال يوريفيدس («أورست»، البيت رقم ١٤٠٠) وهو يتحدث عن أورست وپولاد: «لقد
جاء إلى المنزل: الأسدان اليونانيان».

آه! أطلقن صيحة السرور على قصر سادتكُن، الآن وقد تخلص من مصائبه،
كما تخلص من الجريمتين اللتين اتخذتا سبيل الموت من أجل التهام ثُرواته.

لقد جاء ذلك الذي بالنضال في الخفاء، عرف بالحيلة كيف ينزل العقاب.
وإن ابنة زيوس قد لمست ذراعَه^(١) في النضال - ابنة زيوس التي نسميها نحن، بني
الإنسان، بالاسم اللائق بها، أعني: «العدالة» التي تصبّ على أعدائها الانتقام
والموت.

آه! أطلقني صيحة السرور على قصر سادتكُن، الآن وقد تخلص من مصائبه،
كما تخلص من الجريمتين اللتين اتخذتا سبيل الموت من أجل التهام ثُرواته.

إن الوحي الذي أعلنه في الماضي صوتُ لوكسياس البرناسي القويّ في
أعماق الكهف الرهيب - يهاجم بدوره - بواسطة خيانة بلا خيانة - الغلطة التي ظلت
طويلاً بدون عقاب.

وعندي أن الإرادة الإلهية هي التي انتصرت ها هنا: فمن الممكن إذن ألا
تُخدم الجريمة بعد الآن، وأن تحترم - كما ينبغي - القوة التي تحكم في السماء!

وأخيراً يمكن رؤية النور. لقد شعرت بسقوط الحطام القاسي الذي كان
يتسلط على هذا البيت. هيا، انهض أيها القصر بعد أن بقيت طويلاً مطروحاً على
الأرض!

عما قليل ستجتاز الساعة الحاسمة دهليز هذا البيت. وسيكون ذلك حين يتم
طرده كل نجاسة من هذا المسكن بواسطة شعائر للتكفير تطرد الأخطاء
الجنونية..... والأجنبيات^(٢) المقيمات في هذا المسكن سيُطردون منه
بدورهم.

وأخيراً يمكن رؤية النور. لقد شعرت بسقوط الخُطام القاسي الذي كان
يتحكم في هذا المسكن. هيا! انهض أيها القصر بعد أن بقيت طويلاً مطروحاً على
الأرض.

(١) إن العدالة هي التي وجهت ذراع أورست، وما كان إلا منفذاً لإرادتها.

(٢) أي: الارنيات Erinyes: أرواح الانتقام. لكن النص مشكوك فيه.

(الباب الرئيسي يُفتح . نُشاهد جثتا ايجيست وقلوطمسترا مطروحتين الواحدة إلى جانب الأخرى .
ومن ناحية اليمين الشعب يهرع لمشاهدة هذا المنظر)

أورست : تأملوا طاغيتي هذا الوطن ، قاتلي أبي ، والعابئين بمسكني ! لقد كانا
يتربعان في الماضي على عرشيهما : ولا يزالان حتى الآن مرتبطين معاً . - فإن
مصيرهما يدعونا إلى اعتقاد ذلك - وقَسَمهما باقٍ مخلصاً لما تعهدا به . لقد أقسما
معاً أن يقتلا أبي المسكين ، كما أقسما أن يموتا معاً : وقد صدقا مرة أخرى . -
(مخاطباً الشعب) : تأملوا ، أنتم يا من لم تسمعوا إلا بمصائبنا ، تأملوا أخيراً الشَّرَك
الذي فيه شدّا أبي المسكين ، محيقين لذراعه ، مقيدين لقدميه . انشروه أنتم ؛
اقتربوا ، وعلى شكل دائرة ابسطوا القناع الذي أحاط بالبطل ، من أجل أن توضع
الجرائم الخسيصة التي ارتكبتها أُمِّي - تحت نظر الأب - لا الأب الذي انجبني ، بل
الأب الذي يرى كل شيء ، أعني الشمس . وهكذا تستطيع الشمس أن تشهد أمام
العدالة أنني كنت على حق لما أن قمت بالانتقام إلى حدّ أنني قتلت أُمِّي - وأنا لا
أتكلم عن قتل ايجيست : فهذا الزاني قد تحمل العقاب الذي يفرضه القانون . لكن
تلك التي تصوّرت مثل هذه الفظاعة ضد رجل قد حملت منه في بطنها أولاداً -
وهو حمل حب في الماضي ، وحمل كراهية ، اليوم ، وهو بنفسه قد برهن عليه ! -
كيف تبدو هي لكم؟ مورينا^(١) أو أفعى؟ إنها على كل حال كائن قادر على أن يضرب
دون لدغ ، بمجرد اللمس ، وبتأثير جراته وغطرسته الطبيعيتين . فماذا نسَمِّي هذا
تسمية عادلة ، ومع استعمال أرق الألفاظ؟ شرك وحش؟ كفن نعش يحيط بالميت
حتى قدميه؟ كلا ، بل بالأحرى أداة قاطع طريق يخدع ضيوفه ويعيش من النهب ،
وبواسطة هذه الأداة يزداد سروراً كلما زاد عدد ضحاياه . آه ! لن تذل صاحبة كهذه
في بيتي ! ليت الآلهة تجعلني أموت دون ذُرِّية !

رئيسة الكورس : وا حسرتاه ! وا حسرتاه ! جرائم رهيبه ! لقد وقعت فريسة
لموت قاس^(٢) !

وا حسرتاه ! وا حسرتاه ! إن العقاب الذي كان منتظراً من وقت بعيد سيكون
ذات يوم أشدّ قسوة !

(١) كلمة يونانية تدل على سمكة طويلة نحيلة تتماوج في الماء ، وهي شرهة جداً .

(٢) يخاطب جثة قلوطمسترا .

أورست: هل هي ضَرَبْتِ أو لم تُضْرِبِ؟ هذا هو شاهدي: هذا القناع الذي يعلن أن لونه يرجع إلى سيف ايجيست. ان الدم الذي لطحه يعمل مع الزمن على تدمير ألوانه العديدة. آه! الآن أستطيع بصراحة أن أزكي نفسي، وأن أشكو بصراحة! في اللحظة التي أعلن فيها أن هذا القناع هو قاتل أبي، فإني أنوح على الجريمة وعلى العقاب في وقت واحد، وعلى سُلّاتي كلها؛ لأنني لا احتفظ لنفسي من هذا الانتصار إلا بنجاسة رهيبة^(١).

رئيسة الكورس: لا أحد من بني الإنسان يمضي حياة خلوة من الآلام دون أن يدفع نصيبه منها.

وا أسفاه! وا أسفاه! آلام اليوم، وآلام غداً.

أورست: لكن اعلّموا جيداً، لأنني لا أعلم كيف سينتهي كل شيء. يلوح لي أنني أسوق مركبة خرجت عن الجادة؛ مزاجي المتمرد يقودني وأنا منهزم، بينما الفرع مائل هناك، أمام قلبي، ومتأهب للغناء، والوثوب صاخباً على سماع صوته - لكنني وأنا ضابط لعقلي أصرخ عالياً لكل أهلي: نعم، أنا قتلت أمي وأنا على حق في هذا: لأنها قتلت أبي، وهي لم تكن إلا نجاسة، ملعونة من الآلهة؛ وأؤكد أن الباعث الكبير إلى جرأتي كان تنبؤ فوثو (= دلف)، لوكسياس، الذي تنبأ لي بأنني لو فعلت ما فعلت فلن أتهم بارتكاب الجريمة، أما إذا أنا أهملت أمره فإن مدى أقواسنا لن يصل إلى مثل هذه الآلام، ولن أذكر لكم العقاب. - والآن انظروا كيف أنه بهذا العُصن المزيّن بالصوف سأسلك الطريق إلى المعبد المبني حول سُدّة العالم^(٢)، أرض لوكسياس، حيث يلمع ضوء نار لا تنطفئ، ابتغاء الهرب من دم أمي: فإلى هذا المرضع وحده أمرني لوكسياس بالسير. وفيما بعد، فإني سأطلب من كل الأرجوسيين أن يقولوا هم كيف ولدت هذه المصائب، وان يعيروني

(١) الآن وقد وجد «شاهدا» لا يكذب - وهو الشمس - وبرهن على وقوع جريمة قتل أبيه، فقد صار في وسعه أن يفخر بفعله، لأنه فعل عادل، ولكنه يستطيع أيضاً أن يحزن لأن الجاني هو أمه، وعليه إذن أن ينتقم منها ويقتلها. وحين يقول عن «القناع» إنه القاتل فهذا التعبير كناية عن أمه التي لفت أباه - وهو في الحمام - بقناع - أو ما يشبه الشبكة بحيث لا يستطيع الحراك والدفاع عن نفسه ضد الضربات التي أهوت عليه بها قلوطنسترا. لكن هذا الانتقام هو أيضاً حلقة من حلقات النجاسة التي أصابت سلالة آل لايوس بسبب الجريمة الأولى.

(٢) كانت سُدّة العالم حجراً مخروطي الشكل، مغطى بشبكة من الأربطة.

شهادتهم في اليوم الذي فيه يعود منلاس إلى أرجوس . أما عن نفسي ، أنا الشارد المنفي عن هذه الأرض ، فإني سأهرب في ربوع العالم ، حياً أو ميتاً ، غير تارك إلا هذه الشُّهرة .

رئيسة الكورس : أنت انتصرت ، فلا تضع شفيتك في خدمة لغة مُرّة ؛ ولا تلعن نفسك بنفسك ، في اليوم الذي خَلّصت منه أرض أرجوس بأن أطحت - بضربة موفقة - برأسي هذين الثعبانين .

(أورست الذي توجه ناحية المخرج عن يساره تراجع بغتة وهو فزع)

أورست : آه ! آه ! أيتها الأسيرات . . . أنتن نساء متدثرات بالسواد ، ومحاطات بأفاعٍ لا حصر لها . إني لا أستطيع أن أبقى .

رئيسة الكورس : أمام أية أشباح زائفة تدور أنت هكذا ، أنت يا أعز الناس عند أبيك . تشجّع! ماذا يخشى منتصر مثلك ؟

أورست : كلا ، ليست أشباحاً زائفة هي التي تعذبني هنا . آه ! الأمر واضح جداً : ها هي ذي : الكلبات المهتاجة ، كلبات أمي !

رئيسة الكورس : لا يزال الدم طازجاً على يديك : ومن ثمّ جاء الاضطراب الذي ينقضّ على نفسك .

أورست : مولاي أبولون ! ها هي ذي تتكاثر! ومن عيونها يسيل دم كرية قطرة فقطرة .

رئيسة الكورس : هناك وسيلة تطهيرك : اذهب والمسن لوكسياس ، يُخلّصك من عذابك .

أورست : أنتم لا ترونها ، أما أنا فأراها . إنها تطاردني ، فلا أستطيع أن امكث بعد .

رئيسة الكورس : وداعاً إذن . وليحفظك إله يرعاك بنظرات محسنة ، ليحفظك لأيام أحسن .

(أورست يخرج ، مذهولاً ، من ناحية اليسار)

تلك إذن هي العاصفة الثالثة التي انقضّ هبوبها العنيف على قصر ملوكنا !
إن أبناء الثُّهْموا قد افتتحوا - ويا لبؤس توئست ! - سلسلة بلايانا .

ثم كان المصير الذي أصاب البطل الملكي: رئيس الجيوش اليونانية الذي هلك مذبحاً في حمامه. والآن أيضاً، وللمرة الثالثة، قد جاءنا - ماذا ينبغي أن أقول: الموت؟ أو النجاة؟ أين إذن ستنتهي، وستتوقف، بعد أن يصيبها النوم أخيراً - غضبة آتية Até؟

انتهت مسرحية

«حاملات القرابين»

مَسْرُوحِيَّةُ «المُحْسِنَاتِ»

مُقَدِّمَةٌ «المَحْسِنَات»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

الصراع بين الآلهة

في نهاية مسرحية «حاملات القرابين» تظهر لأورست الارنيات Erinyes، وهن آلهات الانتقام اللواتي يقمن في العالم السفلي وينتقمن من مرتكبي جرائم القتل الظالم، وخصوصاً قتل الأبوين. لكنهن في تلك المسرحية إنما يظهرن كأشباح باطلة، تعبّر عن ثورة الضمير أمام جريمة قتل أورست لأُمّه، وهي مع ذلك جريمة أوعز بها الإله أبولون.

أما في مسرحيتنا هذه: «المحسنات» فإنهن يلعبن الدور الرئيسي طوال المسرحية كلها؛ وهن هنا آلهات حقيقية يطالبن بالانتقام من أورست لأنه قتل أمّه. ولما كان هذا القتل بإيعاز من الإله أبولون إلى أورست كيما ينتقم من أمّه لقتلها أباه، فإن مجرى الأحداث والحوار يدور أساساً بين آلهة الانتقام من ناحية، وبين أبولون وآثنا من ناحية أخرى.

وفي ختام مسرحية «حاملات القرابين» يعلن أورست أنه ذاهب إلى معبد أبولون في مدينة دلف.

ومن هنا نجد في المنظر الأول من مسرحيتنا هذه: «المحسّنات» .

وتبدأ هذه المسرحية بأن نشاهد «الفوثيا» أي الكاهنة المتنبئة في معبد أبولون، تتراجع فزعة حينما دخلت المعبد، لما شاهدت أورست وقد سجد مستجيراً بالإله أبولون، وفي مواجهة نسوة بشعات المنظر كن قد اتبعنه حتى دخل المعبد: وهؤلاء النسوة هن «الارنيات»: آلهات الانتقام اللواتي يطاردنه للانتقام منه بسبب قتله لأمه. لكن أبولون أوقعهن في نوم عميق، وفي الوقت نفسه نصح أورست بأن يهرب.

ثم يظهر شبح قلوطنسترا، أم أورست الذي قتلها انتقاماً منها لقتلها لأبيه أجاممنون. وتوبّخ «الارنيات» لأنهن نِمْنَ وتركن أورست يفلت هارباً. لكنهن يلقين المسؤولية على أبولون لأنه أوقعهن في نوم عميق، مكّن أورست من الفرار؛ ولهذا وجهن اللوم إلى أبولون، الذي حَمَى أورست الذي استجار به. لهذا طردهن أبولون من معبده معلناً لهن أنه سيحمي أورست لأن أورست إنما قتل أمه قلوطنسترا تنفيذاً لأمر صادر منه هو: أي من أبولون نفسه.

وانطلق أورست في فراره حتى بلغ مدينة أثينا. وهنا صعد رايبتها الشهيرة المعروفة باسم: «الأكروبول»، ولجأ إلى معبد منصوب فوق الأكروبول أمامه نُصِبَ تمثال للإلهة أثنا. وسجد عند قاعدة هذا التمثال مستجيراً بهذه الإلهة.

بيد أن «الارنيات» عدون في إثره، وأقسمن على العمل كي ينال العقاب الذي يستحقه جزاءً وفاقاً عن قتله لأمه قلوطنسترا.

وابتهل أورست إلى الإلهة أثنا كي تحميه من العقاب وتشفع لديها بحجة أنه قد تطهر وصار من حقه أن يستجير بها. وبينما كان يتلو إبتهالاته هذه، أحاطت به «الارنيات» ورحن ينشدن نشيد التهديد والوعيد، ويذكرنه بأن هذه هي مهمتهن التي وكلها إليهن القدر (أو: المصير)، ومنذرات بأنه لن يستطيع الإفلات منهن.

وكانت الإلهة أثنا على شاطئ نهر اسكمندر، في أرض منحها ملوك اليونان لأبناء ثيسوس. وسمعت نداء الاستغاثة الذي أطلقه نحوها أورست، فجاءت إلى معبدها القائم كما قلنا على رابية الأكروبول في مدينة أثينا وطلبت من كلا الطرفين المتنازعين: أورست من ناحية، و«الارنيات» من ناحية أخرى - أن يشرح دعواه في هذا النزاع. ففعلوا، وطلبا منها أن تفصل في هذه الدعوى.

لكنها لم تشأ أن تتولى هي الفصل في هذا الأمر، خوفاً من أن يؤدي حكمها لصالح أورست إلى إغضاب «الارنيات»، اللواتي سينتقمن حينئذ بصب الأذى على أهل مدينة أثينا، وهذه المدينة في حمي الإلهة أثينا.

وتجنباً لذلك قررت أثينا أن تشكل محكمة للفصل في هذه القضية وشُكّلت المحكمة من أفضل المواطنين في مدينة أثينا.

وجاءت الإلهة أثينا بصحبة أعيان مدينة أثينا الذين اختارتهم ليكونوا قضاة. وجاء الإله أبولون، من ناحيته، للدفاع عن أورست.

وافتححت جلسة المحاكمة وبدأت الارنيات بالكلام، فسألن أورست: ألم تقتل أمك؟ فيجيب بالإيجاب، وبأنه فعل ذلك تنفيذاً لأمر الإله أبولون. وهنا يتدخل أبولون للدفاع عن أورست: فيصف - تحت تأثير درامي يستدرّ التعاطف - كيف قتلت قلوطنسترا زوجها أجامنون، هذا البطل العظيم العائد من نصر مؤزر ظفر فيه اليونانيون ضد أهل طروادة؛ وقارن بين كلا المقتلين: قتل قلوطنسترا لزوجها أجامنون، وقتل أورست لأمه قلوطنسترا، فقال إن قتل الأب أفضح من قتل الأم، لأن الأم ليست إلا مستودع الجرثومة التي أنتجها الرجل. واستجلب عطف القضاة الذين هم خيرة أهل مدينة أثينا بأن وعدهم بأن أورست سيؤمن دائماً لمدينة أثينا التحالف مع مدينة أورست وهي: أرجوس.

ولما تمت هذه المرافعات أخذ القضاة في الإدلاء بأصواتهم في إجابة (ما يناظر صندوق الاقتراع في انتخابات هذا العصر الحديث). ولما فرزت الأصوات تبين أنها متساوية بين الجانبين.

وهنا جاء الدور على الإلهة أثينا، فأعلنت أنها صاحبة الحق في الإدلاء بآخر صوت. وأعلنت - وهي التي لم يكن لها اسم - أنها في صف الرجل. وأدلت بصوتها لصالح أورست؛ وبفضل هذا الصوت رجحت كفة أورست، فأعلنت براءة أورست.

وعاد أورست إلى بلده أرجوس، معلناً الصداقة الأبدية بين مدينة أثينا ومدينة أرجوس.

أما «الارنيات» فقد ثرن على هذا الحكم، قائلات إنهن جُردن من وظيفتهن، وأعلنن أنهن سينتقمن من أهل مدينة أثينا. لكن الإلهة أثينا أخذت في تهدئتهن

وتطيب خاطرهن بأن وعدتهن بالتكريم وطيب الإقامة إن هن شئن الإقامة في مدينتها: أثينا. وأفلحت فعلاً في استرضائهن. وبهذه المناسبة نظم موكب حافل، صَحِب فيه أعيان مدينة أثينا هؤلاء الارنيات إلى كهف تحت الأرض سيكون من الآن فصاعداً مقاماً للارنيات.

وعلى هذا النحو تم الوفاق بين «البارك» وزيوس، بين الارنيات وبين آلهة الأولمپ، بين صرامة القانون والرحمة.

- (٢) -

شكوك حول معاني المسرحية

وهنا ثور شكوك عديدة حول مقاصد المسرحية

١ - وأولها: لماذا لم تطارد «الارنيات» قلوطنسترا التي قتلت زوجها دون أدنى إساءة أو جريمة ارتكبتها - بينما طاردت أورست الذي لم يفعل إلا أن عاقب أمه التي قتلت أباه غدرًا وسفالة كيما تخلو مع عشيقها؟

لا يمكن تبرير مسلك الارنيات بأن يقال إنه لا يحق للمرء أن يأخذ العدالة بيده، كما يقال في هذه الأيام، لأن العدالة إما أن تطبق على جميع الجرائم، أو لا تطبق أبداً. وفي هذه الحالة الأخيرة يحق لمن وقع عليه الأذى أن يأخذ العدالة بيده فيقابل الشر بالشر دون أن يسرف.

٢ - ثانياً: يبرز بعض النقاد إشادة اسخولوس بالمحكمة والعدالة في مدينة أثينا، فيجعل الإلهة آثنا تحذر المواطنين في أثينا من الحد من سلطة المحكمة الجلييلة، فسيكون لديكم حصن حصين لحماية بلدكم ومدينتكم، حصن لا مثيل له في العالم: لا عند الاسقوثيين، ولا على أرض فيلوفس Pelops، حصن لا يرتشي، حصن موقر لا يرحم، وحارس ساهر على حراسة المدينة الغافية: هو هذه المحكمة التي أنشؤها لكم».

ومع ذلك فإن الحكم كان في يد هذه الإلهة، وبصوتها الواحد قررت مصير أورست. فكأن العدالة قد تقررت بواسطة شخص دخيل على المحكمة، وليس عضواً فيها، فنحن هنا في الواقع بإزاء ما يعرف باسم Deus ex machina (= الإله

المنزل بواسطة آلة على المسرح ليفرض القرار الفاصل الحاسم).

٣ - ثالثاً: ما هي «الفكرة» الموجهة في هذه المسرحية؟

لقد اختلف الباحثون في تحديدها إلى ثلاثة مذاهب:

أ - فقال فريق إنها فكرة تاريخية - قانونية؟

ب - وقال فريق ثان إنها فكرة تاريخية - دينية .

ج - وقال فريق ثالث إنها فكرة أخلاقية سياسية .

والهدف من هذه الاتجاهات المختلفة هو تفسير ما كان لهذه المسرحية من تأثير كبير في عصرها .

ويرى كارل رينهردت أن الفكرة التي لا تزال تبهرنا فيها حتى اليوم هي فكرة: «التقدم»، أي الاعتقاد بأن «الأساس القديم الذي يقوم عليه البناء الجديد لجماعة سياسية يتكون من مخاوف، وألوان من القلق الفطري، ثم التغلب عليها فيما بعد، ونقلت عن مواضعها وحفظ عليها أيضاً» .

وبحسب هذه المذاهب الثلاثة في تفسير المسرحية، فإن التفسير التاريخي - القانوني يرى أن «الفكرة الموجهة» فيها هي تسييس القانون، أي إحلال الاجراءات القضائية المنظمة محل التصرف الحرّ للانتقام والمنازعات العالمية. «فبينما الجماعة تعلن أن السلطة القاهرة تخصها هي، فإن الآلية العمياء للقصاص قد حل محلها ممارسة العدالة الإنسانية التي تتم ممارستها علانية» .

أما بحسب الاتجاه التاريخي - الديني في تفسير المسرحية، فإن مسرحية «المحسّنات» تعلن انتصار آلهة الأولمب على مخاوف العصور الأولى، وانتصار آلهة «جديدين» على آلهة «قدماء»، ويتبع ذلك انتصار الإنسانية، والروح، والشكل، والروح اليونانية الخ على الجني، والمقلق، والغامض، وانتصار النور على الظلمة، والحرية الأولمبية على الضرورة الأرضية . ومن ثم سلسلتان من المعادلات: روجي مذكر - جديد - أولمبي من ناحية، ومن ناحية أخرى: مؤنث - أصلي - غريزي - قديم - جني . قانون الأب ضد قانون الأم: ذلك - بحسب رأي باخوفن Bachofen هو مفتاح النزاع في مسرحية «المحسّنات» .

أما حسب التفسير الثالث، وهو الأخلاقي - السياسي، فإن مسرحية

«المحسّنات» تمثل مجيء «المدينة» Polis، ويقظة الروح في وجود منظم مرتب وفقاً لما هو سياسي، أي خاضعاً لمقتضيات السياسة، وتحرر الإنسان وقد صار مسؤولاً، والانتقال من خضوع أعمى لسحر الشقاء إلى معرفة بالقانون وبالحقيقة التي تدعو إليها روح الإلهة اثنا^(١).

- (٣) -

الإرنيات

قلنا إن الصراع في هذه المسرحية يقوم بين آلهة الأولمب من ناحية، وبين آلهة العالم السفلي أو الإرنيات. فمن هنّ الإرنيات؟

الإرنيات Erinyes - ويناظرهم عند الرومان: الفوريات Furies - هنّ أرواح مؤنثة تتولى العدالة والانتقام، وتمثل تشخيصاً قديماً للعقاب. وقد تولدن من قطرات دم سقطت على الأرض، لما أن طعن خرونوس أباه أورانوس بمنجل واستولى مكانه على العرش. وثم رواية أخرى تقول إن الإرنيات قد أنجبهن الليلة Nyx. أما عددهن فتختلف الروايات بشأنه أيضاً. وقد أخذ الشاعر اللاتيني فرجيل برواية مصدرها علماء مدينة الاسكندرية (في مصر) تقول إن عددهن ثلاث: ألكتو Alecto، وميجيرا Megere، وتيسيفونيه Tisiphone ومعناهن على التوالي: «التي لا ترحم»، «ذات النية الشريرة»، «المنتقمة من القاتل».

وبالجملّة، فإن مهمتهن هي القصاص من القتلة، والسهر على النظام، وصيانة الوضع القائم.

ويرد ذكرهنّ في الملاحم والمآسي اليونانية، وفي الأساطير المتعلقة بالأبطال وبالآلهة، وفي صيغ القَسَم، وفي قانون الأسرة، وفي أعراف ومظاهر مختلفة واليوناني حين يريد أن يسمي قوة لعينة أو شريرة، أو ما يتعلق بالدم المسفوح، أو بنتائج شهادة الزور، فإن كلمة: «أرنياس» هي التي تخطر بباله. وتأثير الإرنياس تأثير وقتي، ويحدث في حالة محددة جزئية. وهنّ لا يهاجمن إلاً فريسة محددة بعينها: فهن أشبه بكلاب الصيد، التي تعدو لمواجهة هدف محدّد بعينه، دون التلفت يمنة أو يسرة.

(١) كارل راينهوت: «اسخولوس ويوريفيدس»، ترجمة فرنسية ص ١٥٤ - ١٥٥. باريس، سنة ١٩٧٢.

ويقول هيرقليطس، الفيلسوف اليوناني السابق على سقراط، إنه لو قررت الشمس أن تغير مسارها المرسوم لها كل يوم، لما استطاعت ذلك، لأن الارنيات ستمنعها من ذلك. ومهمتهن الأساسية هي اضطهاد ومطاردة الرجال والنساء الذين ينتهكون قوانين الطبيعة، وعلى وجه التخصيص: قوانين القرابة: بقتل الأب أو الأم أو الأخ أو الصهر. . وهنّ يسهرن على الانتقام من القتالين، وخصوصاً قاتلي هؤلاء الأقارب الذين ذكرناهم. ولا يتوقفن عن مطاردتهم حتى يتم القصاص العادل.

وهنّ يمثلن عادة حاملات لمشاعل ولسياط، وأحياناً محاطات بالأفاعي. وكن يُصبن فرائسهن بالجنون - ومن هنا جاء اسمهن عند الرومان: furies (من furia = جنون). وكان في اقليم أركاديا (في شبه جزيرة البلوبيونيز جنوبي بلاد اليونان) موضع فيه معبدان مكرّسان للارنيات ويسميان باسم Maniai أي: «اللواتي يُصبن بالجنون».

وكنّ في العادة يقمن في العالم السفلي (طرطاروس عند اليونان)، ويتولين التعذيب الأبدي للمحكوم عليهم بالعذاب الأبدي في الجحيم. ومن ثم جاءت رواية تقول إن الذي أنجبهن هو «هادس»، إله العالم السفلي لما أن واقع پرسفونيه، زوجته التي هي بنت زيوس من زوجته ديميتير Demeter. ولما كانت پرسفونيه ذات طبيعتين: طبيعة خيرة، وطبيعة شريرة، فإن الارنيات - بحسب هذه الرواية، ذوات طبيعتين: خيرة، وشريرة.

وفي مسرحيتنا هذه نجدهن يتخذن هاتين الطبيعتين: التعذيب، والإحسان. فهن طوال المسرحية إلى قبيل آخرها قاسيات مطاردات لأورست، لكنهن في الخاتمة يتحولن إلى محسنات، يتخلين عن مطاردة أورست ومعاقبته، ويحسنّ إليه وإلى أهل مدينة أثينا. ومن هنا جاء عنوان المسرحية: «المحسنات».

ومن ثم قامت هنا مشكلة عويصة حار في تفسيرها الفيلولوجيون وهي: كيف حدث هذا التحول من النقيض إلى النقيض في الارنيات؟ إنهن في معظم المسرحية منتقمات قاسيات متعطشات إلى الثأر والعقاب - فكيف تحولن في النهاية - لمجرد كلمات معسولة من الإلهة أثنا - إلى «محسنات» طيبات يبذلن الخير ويمنحن النعمة لأهل أثينا؟

أما الفيلولوجي الألماني العظيم فيلاموفتس مولندورف Wilamowitz Möllendorf فيرى أن الارنيات الأصلية القديمات كن محسنات لكنهن في عصر الهجرات اليونانية الكبرى إلى آسيا الصغرى تحولن إلى قاسيات عنيفات . وقد أراد اسخولوس في مسرحيته هذه أن يردهن إلى طبيعتهن الأصلية، أي إلى محسنات: ولم يفعل اسخولوس هذا التحويل من عنده، بل وجده في بعض الروايات. لكن كارل راينهردت يعارض (ص ١٦٨ - ١٧٠) رأي فيلاموفتس هذا ويسوق حججاً كثيرة.

ولا محل لترجيح أحد الرأيين، لأن كليهما يقوم على فروض مجانية لا سبيل إلى تحقيقها.

باريس في ١٣ يونيو ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

«المحسِنات» شخصيات المسرحية

الفوثيا: الكاهنة والمفسرة في معبد أبولون في دلف.
أبولون: ابن زيوس وليتو، وإله الشمس.
أورست: ابن أجاممنون.
شبح قلوطنسترا.
كورس من أرواح الانتقام.
آثنا: بنت زيوس، وإلهة الحكمة.
القضاة في محكمة مدينة أثينا.
المنظر هو أولاً في دلف، وبعد ذلك في أثينا.

(في دلف، أمام معبد أبولون. تدخل الفوثيا من ناحية اليمين وتتوجه نحو الباب المغلق للمعبد. لكن قبل أن تدخل، تتوقف وتركع بورع).

الفوثيريا: صلواتي، بين الآلهة، تخصص الممتنبئة الأولى - وهي «الأرض» - بالحكاية الأولى؛ وتتلوها ثاميس^(١)، الجالسة الثانية على كرسي التنبؤ الذي تركته أمها، كما تؤكد ذلك رواية قديمة. والثالثة، بحسب اقرار ثاميس، ودون أن تستخدم العنف مع أحد، هي طيطانة أخرى، وهي ابنة «الأرض» وتجلس بعدها؛ ومنها تلقت فويبوس Phoibos هدية عند مولدها^(٢)، هي اسمها المأخوذ من اسم فويبيه. ولما تركت فويبوس البحيرة وصخرة ديلوس فإنها نزلت على سواحل بلاس^(٣) التي كان يغشاها السفن، ثم جاءت إلى هذه البلاد واستقرت على جبل الهرناس. وأبناء هيفايستوس^(٤) يحرسونها بورع وتوقير، ويشقون أمامها الطريق، بأن يمهدوا لها الأرض الوعرة. ولدى وصولها استقبلها الشعب وملكهم دلفوس بمراسم فاخرة، وكان دلفوس هو زبّان هذا البلد. وزيوس، بعد أن ملأ قلبه بعلم إلهي، أجلسه، في المرتبة الرابعة، على عرش التنبؤ، وقد صار لوكسياس هو اليوم متنبئ زيوس أبيه. وإلى هذين الإلهين أوجه استهلال صلواتي. لكن

(١) في مسرحية «برومثيوس مغلولاً». اسخولوس يجعل من الأرض واثاميس إلهة واحدة هي هي نفسها.

(٢) بحسب رواية أخذ بها كل من فنندارس ويوريفيدس فإن أبولون استولى بالعنف على وحي دلف وطرده منه ثاميس. أما فوييا فهي بنت أورانوس وجيا. وعند الشعراء المتأخرين لم تعد طيطانة، بل اختلطت بأرتميس.

(٣) بحسب الرواية الآثينية كانت اقامتها بالقرب من ماراثون.

(٤) يلقب أهل أثينا بلقب: «أبناء هيفايستوس» بسبب أن ملكهم ارخثونبوس كان ابن هيفايستوس.

المنقول يمجّد أيضاً بخاصةٍ بلاس^(١) پرونايا، وأنا أوقّر أيضاً الحوريات اللواتي يسكنن في مغارة كوروكوس^(٢) التي تؤثّرهما الطيور والآلهة الذين يأوون إليها. وپروميوس^(٣) Bromios يقيم في هذا المكان - أنا لا أغفل عن هذا - منذ الزمن الذي فيه الإله، وهو على رأس جماعة من الباخوسيات، اقتاد بنثيا Penthée كما لو كان أرنباً وقتله. وأخيراً أدعو منابع نهر پلايستوس^(٤)، وفوسيدون القدير، وزيوس العالي جدأ والذي يقود كل شيء إلى نهايته - قبل أن أحتل مكاني على عرشي بوصفي متنبئة. والآن، يا ليت هؤلاء الآلهة يوفقوني في دخولي في هذا المعبد. وإن كان ثم قادمون من بلاد اليونان، فليقتربوا بحسب الترتيب الذي حدّدته المقادير، كما جرت العادة؛ لأنني أتنبأ وفقاً للترتيب الذي وضعني فيه الإله.

آه! إن منظراً رهيباً في وصفه، رهيباً في رؤيته بعيني - يجعلني أخرج من معبد لوكسياس (= أبولون)، وهو من الرهبة بحيث لا أجد في نفسي القوة على الوقوف، فأعدو بمساعدة يدي، غير قادر بعد على الاعتماد على سرعة أقدامي. إن العجوز التي تخاف ليست بشيء بعد، أو هي بالأحرى طفلة. كنت ذاهبة إلى أعماق المعبد الحافل بالقرابين لما أن أبصرت بالقرب من السرة^(٥) رجلاً نجساً لارتكابه جريمة فظيعة، وهو في موقف المستجير، ويدها تقطران بالدم، ومعه سيف حديث الامتشاف. وكان يحمل غصناً عالياً من الزيتون لفت حوله بعناية خيوط من الصوف، أو بتعبير أدق خصلة من الصوف البيضاء. وكانت أمام هذا الرجل جماعة غريبة من النساء نائمة وهي جالسة على كراسي. ماذا أقول؟ بل هن بالأحرى جورجونات، بل لن أقارنهن بنمط العجورجونات. لقد شاهدتهن من قبل على لوحة وهن يخطفن طعام فينيه^(٦) Phinée. لكن هؤلاء ليس لهن أجنحة؛ وهن سوداوات

-
- (١) كان لپلاس معبدٌ في دلف يقع امام معبد أبولون. وپلاس قد جلبت أبولون إلى دلف بعد تطهره في وادي تمپه Tempé.
- (٢) مغارة كوروكوس في جبل پرناسوس.
- (٣) اسم آخر لديونيسوس، ومعناه: المرتعد، المنذر.
- (٤) نهر في إقليم فوقيس.
- (٥) كانت «السرة» حجراً مخروطياً مغطى بشبكة من الأربطة.
- (٦) فينيا الذي من سالمودس - في تراقيا - وكان ملكاً، ومتنبئاً وقد أصابه الآلهة بالعمى، وكانت الوحوش المجنحة الهاربيات تأتي كل يوم لتسلبه ما يقدم إليه من طعام أو تنجسه. ثم أنقذه الأرجونوت. وقد ألف اسخولوس مسرحية مأساوية بعنوان: «فينيا، مثلت في سنة ٤٧٢ ق.م.

ومقززات تماماً؛ وشخيرهن من الشدة بحيث لا يجرواً أحد على الاقتراب منهن؛ ويسيل من عيونهن سائل مخيف، وثيابهن^(١) ليست من النوع التي يمكن ارتداؤها أمام تماثيل الآلهة ولا في بيوت الناس. ولم أشاهد البلد الذي يمكن أن يفخر بإطعام هذه الجماعة دون أن يعاقب ودون أن يأسف على عقابه. أما ماذا يمكن أن يحدث عن هذا، فعند سيد هذا المقام، لو كسياس القدير، الخبر اليقين عنه. إنه يستطيع أن يشفي بوحيه، وأن يفسر المعجزات بل كان يطهر بيوت الآخرين.

(تخرج والمعبد يفتح).

أبولون: كلا، لن أخونك. وسأكون حتى النهاية حارساً لك، وبالقرب منك، ولن أكون رحيماً مع أعدائك. وهأنت ذا ترى هؤلاء الغاضبات المجنونات وقد انخدعن. لقد وقعن في النوم، هؤلاء العذارى المكروهات، عوانس الماضي السحيق، اللواتي لا يقترب منهن أبداً أيّ إله، ولا أيّ إنسان، ولا أي حيوان. إنهن لم يولدن إلا من أجل فعل الشرّ، وهن يسكنن في مقام الشرّ: الظلمات وطرطاروس الذي تحت الأرض، ولا يترككن أبداً، لأنهن سيدفعنك للشرود في قارة فسيحة، وبعد ذلك يعبرن بك البحر إلى مدن محاطة بالأمواج، ولن يترككن ترعى آلامك وأن تعانق بذراعيك التمثال العتيق. وحينئذ ستجد، مع قضاة وكلمات مهذّبة، الوسيلة لتخليصك من آلامك أبداً. ذلك لأنني أنا الذي حملتك على قتل أمك.

أورست: أبولون أيها الملك، أنت تعلم ما معنى العدل. ومن ثم تعلم أيضاً أن تكون يقظاً. إن قوتك ضمان لإحسانك.

(هرمس يظهر).

أبولون: تذكر كلماتي: لا تجعلن الحزن يقهر نفسك. وأنت يا أخي، يا من صدرت مثلي عن دم زيوس، أي هرمس! اسهر عليه. برّر اسمك بوصفك «مرشداً»، وذلك بأن ترشد المستجير^(٢) بي: وزيوس نفسه يرعى المطرودين ويرشد بني الإنسان.

(١) وهي الثعابين التي يلفها الأرنيس حول رؤوسهن أو أذرعتهن أو وسطهن.

(٢) كان هرمس يسمى «بقائد» لأنه كان يقود النفوس إلى العالم السفلي.

(أبولون يختفي.. هرمس وأورست يخرجان من المعبد ويتعدان من ناحية الشمال. شبح قلوطنسترا يظهر فجأة في وسط المعبد).

شبح قلوطنسترا: أنتن نائمات، هيا انظرن! هل أنا في حاجة إلى نائمات! أنا التي تحتقرونها بين أشباح الموتى، إنني أسمع باستمرار بين أشباح الموتى من يلومني بكوني قاتلة، وأنا هائمة ها هنا، يسربلني العار. وأكرر القول وأقول إنهن ينعتن ما فعلت بأنه جريمة عظيمة؛ وبعد المعاملة المهينة التي عاملني بها أعز الناس عندي، فإنه لم يظهر أي واحد من الآلهة غضباً لصالح أم ذبحتها أيدٍ قاتلة للأهل. انظرن^(١) إلى هذه الجروح بعيون الروح، لأن للروح النائمة عيوناً تضيء لها، بينما إبان النهار بصر بني الإنسان يبقى قصيراً. ومع ذلك فكثيراً ما تجرّعتن هداياي، وصبّاتي الخالية من الخمر، وإنما هي مشروبات مهدّئة، في ساعة لا يعرفها الآلهة الآخرون. وكل هذا أنا أراه يداس عليه بالأقدام. أما هو^(٢) فقد رحل؛ لقد أفلت مثل الظبي، وأبدأ بخفة خارج شباككن، وقد غرر بكن بلطف، أصغين إليّ: إن الأمر يتعلق بالحياة، استعدن رشدكن، يا آلهات العالم السفلي، إنني أنا قلوطنسترا التي تناديكن في الحلم في هذه اللحظة.

(ضجيج من الكورس)

قلوطنسترا: أضججن ما شئتُن؛ لكن الرجل نجا وهرب إلى مكان بعيد. إنهن إنما يتدخلن لصالح أصدقائهن لا لصالحي أنا.

(ضجيج من الكورس)

قلوطنسترا: حقاً أنت تبالغ في النوم، ولا تأخذك شفقة بما أعانيه، وقاتل أمه: أورست، قد اختفى.

أنت^(٣) تنام، انهض بسرعة أليست لك شغلة غير أن تحدث الآلام؟

(صرخة من الكورس)

قلوطنسترا: النوم والتعب، متحالفان لا يُفهران، قد جمدا غضب التنين الأثنى الرهيبة.

(١) الخطاب موجه إلى الكورس.

(٢) أي: أورست.

(٣) أي الكورس.

(ضجيج حاد مزدوج)

الكورس: أمسك، أمسك، أمسك، أمسك! انتبه.

قلوطمنسترا: أنت تطارد الدابة في الحلم، وتنبح مثل كلب ملازم دائماً لمهمته. ماذا تفعل؟ انهض ولا تدع التعب يتغلب عليك. لا تغفل عن إدراك ما يكلفك تخاذلك بواسطة النوم. وعلى قلبك أن يتأثر بتوبيخاتي العادلة؛ إن التوبيخات هي حوافز الحكيم. انفخ على هذا الرجل (= أورست) نفختك الدموية، جفّفه بنار ذلك البخار المنبعث من بطنك، طارده وتبعه، واستنفد قواه بمطاردة جديدة.

(الشبح يختفي)

الكورس: آه! أيتها الآلهة العظام! آه! لقد تألمنا، يا صواحيبي!

- آه! نعم، لقد تألمت كثيراً، وما من أجل شيء!

- لقد عانينا ألماً شديداً، واأسفاه! شراً لا يحتمل.

- هذه الدابة قد أفلتت من شباكي، وقد صارت بعيدة!

- لقد غلبني النعاس، فأضعت فريستي.

- آه! يا ابن زيوس، أنت لصّ.

- أيها الإله الشاب، أنت دُستَ بأقدامك على آلهات قديمة.

- أنت تشرف المستجير بك، وهو رجل فاسق، قاسٍ على أهله.

- أنت إله، وأنت سرقت منا جناية قتلٍ للأهل.

هل يمكن أن يقال إن هذا بعض العدالة؟

لقد جاءني في الحلم توبيخ أصابني في أعماق قلبي كأنه نخاس السائق الذي يمسكه من وسطه. وأشعر تحت ضرب جلدة جلاّد متوحش قشعريرة أليمة جداً تجمّد قلبي.

وعلى هذا النحو يعمل الآلهة الجُدد الذين يحكمون العالم دون أن يحفلوا بالعدالة. ويمكن مشاهدة هذا العرش الذي تقطر منه الدماء من الأقدام حتى

الرأس، تتشربه الأرض، الحاملة لنجاسة القتل الرهيبة.

إن الإله المتنبيء قد قَبِلَ في صور متعامة ذلك الشيء النجس الذي يُدَنُّسه بحركته، دون أن يُطلب منه ذلك. إنه يخالف قانون الآلهة من أجل تكريم إنسان، وقد مَزَّق التوزيع القديم.

وعبثاً يعذبني، فإنه لن يُسَلِّم هذا الرجل. وحتى لو هرب تحت الأرض، فإنه لن يُسَلِّم أبداً. وأنا اذهب حاملاً تضرعاته، فإنه سيجد على رأسه منتقماً آخر.

أبولون: اخرج من هنا، أنا أمرك بهذا. اخرجن بسرعة من هذا المقام؛ أخلين معبد التنبؤ: أخشى أن يلدغكن الثعبان ذو الأجنحة البيضاء والذي تطلقه القوس الذهبية التي - تحت تأثير الألم - ستجعلكن تلفظن من أحشائكن رغبة سوداء وتستنزفن دماً متخثراً استخرجنه من القتل. ليس لكن الحق في الاقتراب من هذا المقام. ومكانكم هو حيث العدالة تطيح بالرؤوس، وحيث تقتلع العيون، وحيث يتم الذبح، وحيث يهدر السائل المنوي عند الأطفال الناشئين، وحيث تقطع أطراف الأعضاء، أو حيث يتم الرجم، وحيث يحدث الصراخ الفظيع تحت تأثير الخازوق المغروس في سلسلة الظهر. أيها الوحوش الملعونون من الآلهة، استمعوا إلى الاحتفالات التي تسركم، وكل تقريركم يتفق مع هذه الفظائع. إن المقام الذي يناسب وحوشاً مثلكن، هو معناه الأسد الشراب للدماء، وليس لكن أن تتحكمن في هذا المعبد التنبؤي لتطبعن عليه نجاستكن. إذهبن للرعي بدون راع؛ لا أحد من الآلهة يمكن أن يهتم بمثل هذا القطيع.

رئيسة الكورس: أيها الملك أبولون، استمع إليّ، بدورك. أنت نفسك لا أقول: الشريك، بل الفاعل الوحيد المسؤول مسؤولية كاملة عن الجريمة التي أرتكبت.

أبولون: وكيف كان ذلك؟ أجيبني، واقصري على هذا كلامك.

رئيسة الكورس: إن وحيك هو الذي أمر ضيفك بأن يقتل أمه.

أبولون: لقد أمرته بالذهاب للانتقام لأبيه. وبعد ذلك؟

رئيسة الكورس: وبعد ذلك أنت وعدته باستقباله في الحال بعد إهدار الدم.

أبولون: أجل، أنا أمرته بأن يبحث عن ملجأ في هذا المعبد.

رئيسة الكورس: لماذا تسببنا إذن اللواتي يصحبنه؟

أبولون: لأنكن لستن مؤهلات للدخول في هذا المقام.
رئيسة الكورس: إني لا أفعل إلاً تأدية المهمة التي كُلفت بها.
أبولون: وما هذه المهمة الشريفة؟ تفاخري أمامنا بهذا الإمتياز.
رئيسة الكورس: نحن نطرد قتلة أهلهم من بيتهم.
أبولون: وماذا تفعلون مع المرأة التي قتلت زوجها؟
رئيسة الكورس: إنها لم تقتل شخصاً دمه من دمها.

أبولون: أنت تخطئين خطأ فاحشاً، أنت لا تعلمين بألوان القسم التي ضمنها زيوس وهيرا التي هي إلهة الزيجات. إن حجتك تزدري قوبريس Cypri التي تمنح بني الإنسان أجمل المسرات. ذلك لأن الفراش الذي عليه يجمع القدر بين الرجل وزوجه والذي عليه تسهر العدالة هو أجدر بالاحترام من القسّم. فإن كانت حماستك ضد الزوجين اللذين يقتل كلاهما الآخر قد تراخت إلى درجة أنك لا تحفلين بهما ولا تطاردنهما بغضبك، فإني أعلن لك أنك ظالمة حين تطاردين أورست. إني أرى أن هناك جرائم تهّمك أشد اهتمام، وأخرى تنهار عندها حماستك. لكن الإلهة پلاس Pallas (= أثنا) ستولى الفصل في هذه القضية.

رئيسة الكورس: فيما يتصل بذلك الرجل، فإني أعتقد أنني لن أتركه في سلام أبداً.

أبولون: طارديه إذن، وأضيفي إلى متاعبك.

رئيسة الكورس: لكن لا تسع أنت بأقوالك أن تقلل من شرف تصرفاتي.

أبولون: تصرفاتك الشريفة هذه أنا لن أقبلها لو بذلتها لي أنا.

رئيسة الكورس: ذلك لأنك - فيما يقولون - قوي، وأنت جالس بالقرب من عرش زيوس. أما أنا فيدفعني دم أم. وسأطارد بانتقامي هذا الرجل وسأتعقبه.

أبولون: أما أنا فأساعده، وسأنقذ من استجار بي. ذلك انه أمر رهيب عند بني الإنسان وعند الآلهة استصراخ مستجير وقعت به الخيانة عن قصد واردة.

(المنظر يتغير. يشاهد أورست وهو يعانق تمثال الإلهة أثنا على الأكرهول في مدينة أثينا).

أورست: «أي أثنا الجلييلة! إني ها هنا بأمر من لوكسياس: فاستقبلي هذا

الملعون يا حسان. إنه لم يُعَدَّ مستجيراً ذا يدين نجستين: إن نجاستي قد تضاءلت، بفضل الاتصال بالناس الذين استقبلوني في بيوتهم أو التقيت بهم في الطرقات، أثناء تجوالي خلال الأرض والبحر، لقد أطعت وصايا لوكسياس التنبؤية، ووصلت إلى معبدك، وهأنذا متعلق بصورتك أنتظر هنا قرار العدالة.

(الكورس يدخل من ناحية اليسار).

رئيسة الكورس: هذا حسن! ها هوذا دليل واضح: أظن نصائح هذا المبلِّغ الصامت. مثلما يتبع الكلب ظيماً جريحاً، نحن نتبع أثر الدم الذي يتقطر منه نقطة بعد نقطة. لكن تحت تأثير كل هذه المتاعب فإن أعصابي تحطمت، ومن صدري تنهدج أنفاسي. لا يوجد على الأرض مكان لم يمرّ به قطيعي. التزمت بمطاردته، فطرت - بدون أجنحة - فوق الأمواج أسرع من أية سفينة. وفي هذه المرّة هو يقعي في مكان ما: إن رائحة الدم الإنساني تبسم لي.

الكورس: حذار، حذار جيداً تفحص في كل ناحية، إن شئت ألاّ يفلت منك قاتل أمّه دون أن يدفع ما عليه من دَيْن.

(مجموعة من أفراد الكورس يلمحون أورست).

- آه! لقد عثر على ملجأ! لقد أحاط بذراعيه تمثال الإلهة الخالدة، ويريد أن يحاكم على الفعل الذي ارتكبه بذراعه.

- هذا مستحيل! إن دم الأم وقد سال على الأرض، فليس من السهل تذكره، ووا أسفاه! إن السائل الذي سال على الأرض قد ضاع إلى الأبد!

- بلّ عليك أنت، وأنت حيّ، أن تقدّم إلى عطشى قرباناً أحمر مأخوذاً من عروقتك. أريد أن أرتوي منك بهذا الشراب الرهيب.

- سأجرّك إلى باطن التراب وقد جف دمك وأنت حيّ، من أجل أن تعاقب، أي قاتل أمك بما تستحق من عقاب.

- ستشاهد هناك المخازي التي أهانت الألوهية. وسواء أكان المرء ضيفاً أم قريباً فإنه سيعاني العقاب الذي تتطلبه العدالة.

- هادس، تحت التراب، يطالب بني الإنسان بحسابات رهيبه، وروحه التي ترى كل شيء تحتفظ بأثر لكل شيء.

(أورست، دون أن يلتفت الى الارنيات، يستمر في الابتهاال إلى اثنا).

أورست: علّمني الشقاء، فصرت أعرف أكثر من طريقة للتطهر وأعرف أيضاً أين ينبغي السكوت، وأين يحق الكلام. وفي الحالة الجاهزة تلقيت - من مولى حكيم - الأمر بأن أرفع صوتي. إن الدم على يدي ينام ويمّحي؛ والنجاسة الناشئة عن قتل الأمّ قد غُسِلَتْ. كانت لا تزال غَضّة حينما طردها، في معبد فويبوس (= أبولون) القربان المطهّر المكوّن من خنزير مذبوح.. ويطول ذكر أولئك الذين اقتربت منهم دون أن يكون اتصالي بهم قد أصابهم بأي ضرر.

لا يوجد شيء لا يمّحي بمرور الزمن. وفي وسعي إذن، الآن، أن أبتهل بلسان طاهر إلى تلك التي تحكم هذه البلاد. فلتكن إذن آتنا في عوني، وبدون بذل مجهود حربي ستغزو أورست وأرض أرجوس وشعبها، وسيكون حليفاً لها باخلاص وإلى الأبد. فإما أن تذهب لنجدة أنصارها، مكشوفة أو محجبة بالظل^(١)، إلى البلاد اللوية، بالقرب من نهر تريثون^(٢) الذي شاهد شاطئه ميلادها. وإما أن تتفحص - كقائد حربي جسور في سهل فلجرا^(٣) Philegra - إن الإله يسمع أبعد النداءات - فلتأت إليّ وتقدّني من هؤلاء.

رئيسة الكورس: كلا، لن تنقذ قوّة آتنا، ولا قوة أبولون؟ بل ستهلك، وقد تخلى عنك الجميع، وغادر السرور روحك إلى الأبد، وصرت شبحاً خالياً من الدم الذي يغذي الآلهات.

أنت لا تجيب؛ وأنت تنبذ كلامي باصقاً عليه، وأنت فريسة سَمِئَتْ من القرابين المقدّمة إليّ! أنت، وأنت حيّ، ستقدم إليّ طعام مآدبتي، دون ذبح شيء على المذبح. ولتسمع أولاً النشيد الذي سيقيدك في الأغلال.
(الكورس يقترب من أورست).

هيا! لنعقد السلسلة الراقصة: نريد أن ننشد نشيد الفزع، وأن نذكر كيف توزّع فرقتنا على بني الإنسان حظوظهم.

-
- (١) معنى النص اليوناني هنا غير واضح تماماً. وقد اتبعنا ما اقترحه مازون في ترجمته الفرنسية.
(٢) من أسماء الإلهة آتنا الاسم: سليلة تريثون. وتفسيراً لهذا الاسم رأى البعض أن تفسيره هو أن آتنا ولدت على شواطئ نهر، أو بحيرة تريثونيس في ليبيا.
(٢) فيلجرا: ساحة معركة اسطورية انتصر فيها الآلهة على العمالقة. وهذه الساحة كانت توجد في إقليم خلقيس، غير بعيد عن مدينة أثينا.

نحن نحسب أننا قضاة عادلون؛ وإذا أبدى إنسان عن يدين طاهرتين، فلن تتوجه غضبتنا ضده؛ بل سيمضي العمر دون آلام.

لكن حين يخفي مجرم، مثل هذا، يديه الداميتين، فإننا ونحن شهود صادقون، سنذهب لنجدة الموتى، وننبثق أمامه دون رحمة، من أجل أن يدفع دَيْن الدم الذي سفكه.

(الارنيات يحطن بتمثال آثا پلاس، مكُونات سلسلة تعيط بأورست).

الكورس: يا أيها الليل، يا والدي، يا مَنْ انجبتني لمعاقبة من يرون النور ومَنْ فقدوا النور، اسمع صوتي! إن ابن ليتو Leto يريد أن يدلني بأن ينتزع مني هذا الأرنب^(١)، وهو القربان الوحيد الذي يستطيع أن يكفر عن قتل الأم.

وبالنسبة الى فريستنا - ها هو نشيد الهذيان الذي فقد الصواب؛ ها هو نشيد الارنيات، اللواتي يقيدن الأرواح في السلاسل؛ وهو نشيد غير مصحوب بقيثارة، ويملاً بني الإنسان بالرعب.

إن الحظ الذي غزلته البارك^(٢) التي لا ترحم - هو مصاحبة الانسان الذي ألقى به الجنون في طرق القتل، مصاحبته حتى أعماق العالم السفلي، ولن يستطيع الموت نفسه أن ينقذه!

وبالنسبة الى فريستنا - ها هو نشيد الهذيان، الذي فقد الصواب؛ ها هو نشيد الارنيات اللواتي يقيدن الأرواح في السلاسل؛ وهو نشيد غير مصحوب بقيثارة، ويملاً بني الانسان بالرعب.

إن البخت، عند ميلادنا، قد قدّر لنا هذا الحظ: ولا يجوز لأحد من بني الإنسان أن يغمس يده فيه. ولهذا لا يشارك أحد في مادبنا^(٣). لكن الثقب^(٤) البيض محرمة عليّ وممنوعة^(٥).

(١) يشرون إلى أورست، وهو ممسك بتمثال.

(٢) إحدى آلهات المصير اللواتي يغزلن حياة بني الإنسان.

(٣) «مادبهم» تقوم في الامتلاء من دم ضحاياهن.

(٤) هذا لا يعني فقط أنهم يلبسن الثياب السوداء، بل يعني أيضاً وخصوصاً أن عبادتهن لا تتضمن ثياباً خاصة بالأعياد.

(٥) هنا يقص بيت شعر في النص اليوناني.

ها أنا أخذت لنفسي خراب البيوت، تلك التي فيها آرس Ares يصرع أخاً هنالك نحن نطارده، مهما تكن قوته، ونقضي عليه تحت نجاسة جديدة^(١).

وها نحن أولاء متأهبات لاعفاء آخرين من هذه المهمة: إننا نريد، أن نتولى القيام بهذا بدلاً من الآلهة، وحتى لا يحتاجوا إلى إجراء مخادعات من هذا النوع. إن زيوس يبعد عن حضرته الفئة الكريهة المؤلفة من كل أولئك الذين تدنسوا بسفك الدماء.

وأنا أخذت لنفسي خراب البيوت، تلك التي فيها آرس Ares يصرع أخاً. هنالك نحن نطارده، مهما تكن قوته، ونقضي عليه تحت نجاسة جديدة.

إن أعظم ألوان المجد تحت السموات تذوب وتضيع مهينة تحت التراب، بتأثير هجوم نُقَبنا السوداء وأخاديع خطواتنا الراقصة.

لقد وثبت إلى أقصى علوٍ بقدمي القوية، كيما أسقط بوزن أشد ثقلًا - والهاربون ترنحوا تحت المنجل الثقيل للشقاء^(٢).

فيسقط وهو لا يشعر في نوبة من الهذيان تقضي عليه: مثل الليل الذي تنشره نجاسته من حوله فيعمي عينيه، بينما تنقض على بيته سحابة سوداء، كما تعلن ذلك شائعة أليمة.

لقد وثبت إلى أقصى علوٍ بقدمي القوية، كيما اسقط بوزن أشد ثقلًا - والهاربون ترنحوا تحت المنجل الثقيل للشقاء.

حظي بقي ثابتاً لا يتغير: مهارة وإصرار، ذاكرة جيدة تتذكر الجرائم - هذا كله قد مُنِح للمخيفين، مع قلب مغلق دون التوسلات الانسانية، ليتمكنها من متابعة المهمة الحقيرة والمهينة التي تبعدهم عن السماء، وتبقيهم في الحمأة^(٣) المظلمة.

(١) يعني أن مهمة الارنيات هي الانقراض على الجاني لفرض النجاسة عليه لأنه يستحقها. وهذا النجاسة بعد ذلك تستهلكه وتقضي عليه شيئاً فشيئاً.

(٢) النص غير واضح تماماً. لكن المعنى العام هو أن قطعاً من الدواب الغاضبة يهاجم الجاني ويسحقه تحت ثقله. والمقصود هو جماعة الارنيات اللواتي ينقضن على من يقتل اباه أو أمه عقاباً له وانتقاماً منه.

(٣) كانت الفرقة الأورفية تستعمل هذا التعبير للدلالة على الجزء من العالم السفلي الذي يوضع فيه من لم ينتسب إليهم.

القاسية على خُطى الأموات والأحياء على السواء .

أي انسان كان يمكنه أن يسمع - دون أحلام ولا قشعريرة - القانون الذي حددته لي «البارك» وصدّق عليه الآلهة؟ لقد احتفظ لي بامتياز قديم، ولست مجرداً من التشريعات كيما يكون لي مكانة تحت الأرض، في ليل مغلق دون الشمس .
(الإلهة أننا تظهر).

آثنا: سمعت من بعيد نداء صوت: على شواطئ نهر اسكامندر امتلكت البلد الذي وهبني إياه ملوك ورؤساء بلاد اليونان بوصفه نصيباً ثميناً من غنائمنا الحربية، وصارت أرضه ملكاً لي من الآن فصاعداً، وهو نصيب ممتاز يمنح لأبناء ثيسوس^(١). ومن هناك أحضرت إلى ها هنا خطواتي التي لا تتعب، تاركة - بمثابة أجنحة - ترفرف في الرياح قائدتي المنضوية، وهي عربية سحرية تجرّها خيول قوية^(٢). لكنني لما رأيت هذه الفرقة الجديدة في هذا البلد، فإن نظرتي اندهشت، وإن لم يهتز قلبي. من أنتن إذن؟ وأنا أتوجه بسؤالي هذا إلى الجميع: إلى هذا الغريب القابع أمام صورتني؛ وإليكن أنتن يا من لا تشبهن أية مخلوقات: إن الآلهة لا يرونكن أبداً بين عداد الآلهات، وأنتن ليس لكنّ شكل النساء. لكن سبّ الغير دون أن يكون فيه ما يلام عليه - هو فعل ظالم بعيد عن الإنصاف.

رئيسة الكورس: ستعرفين كل شيء بكلمات قليلة، يا ابنة زيوس: نحن بنات الليل الحزينات؛ في المساكن الموجودة تحت الأرض يطلقون علينا اسم: «اللعنات».

آثنا: حسن! أنا أعرف جنسكن والاسم الذي يطلقونه عليكم.

رئيسة الكورس: اعلمي الآن إذن ما هي التشريعات الخاصة بي.

آثنا: ليكن! إن شئت ان تكلمي بلغة واضحة.

رئيسة الكورس: نحن اللواتي نطرد القاتل من بيته.

(١) المقصود هو لسان سيجيا Sigée عند مدخل مضيق البوسفور حيث كان للإلهة آثنا معبد. وكان هذا الموضوع مهماً بالنسبة إلى أهل مدينة أثينا، إذ كانوا يستوردون جزءاً كبيراً من القمح من البنطس وكان ينازعهم عليه كثير من البلاد الأخرى. واسخولوس يريد هنا أن يؤكد حقوق أهل أثينا في لسان سيجيا. وبعد ذلك بشماني سنوات صارت سيجيا من المدن التابعة لأثينة.
(٢) هذه الخيول هي الرياح.

أثنا: وبالنسبة إليه، أين تتوقف مطاردته؟
 رئيسة الكورس: في الملكوت الذي لم يعرف فيه السرور أبداً.
 أثنا: أهذا إذن هو الموضوع الذي تطارد إليه صرخاتكن الرّجل!
 رئيسة الكورس: نعم، لأنه تجاسر وذبح أمة.
 أثنا: أكان ذلك قهراً، أو خوفاً من انتقام؟
 رئيسة الكورس: أي دافع يمكن أن يدفع إلى حد قتل الأبوين؟
 أثنا: إنني أرى هنا خصمين، لكنني لا أسمع إلا صوتاً واحداً.
 رئيسة الكورس: إنه لا يريد ميثاً قَسماً منا ولا لنفسه.
 أثنا: أنت تريدين أن تكوني عادلة أكثر مما أنت عليه بالفعل.
 رئيسة الكورس: كيف إذن؟ خبّرني، فأنت مليئة بالحكمة.
 أثنا: إن الأقسام (جمع: قَسَم) لا تجعل الظلم ينتصر.
 رئيسة الكورس: قومي إذن بالتحقيق في هذا الأمر واحكمي حكماً منصفاً.
 أثنا: إذن أنتن تكلن إليّ الحكم في هذه القضية.
 رئيسة الكورس: نعم، من أجل أن نقدم إليك التكريم الواجب لك.

أثنا: بماذا تجيب على هذا، أيها الغريب؟ لكن خبّرني أولاً ما هو بلدك، وجنسك، ومصائبك - قبل أن تدافع عن نفسك فيما تتهم به. إن كنت تثق حقاً بالعدالة، وأنت حارس بالقرب من مذبحي، وتعانق صورتني، مستجيراً محترماً مثلما كان اكسيون^(١) - فأجب إجابة واضحة عن كل هذه النقاط.

أورست: أثنا يا صاحبة الجلالة! سأريحك أولاً من الهم الثقيل الذي تكشف عنه كلماتك الأخيرة إنني لست كائناً نجساً. وأنا لم أجلس عند أقدام تمثالك

(١) كان اكسيون Ixion يعذّ أول قاتل وأول مستجير. وكان قد قتل حماه ديونيه Dionée من أجل يقدم إليه الهدايا المفروضة في مقابل الزواج. فاستجار بزيوس، وزيوس استجاب لاستجابه وطهره، بل وأقامه في الأولمپ. وهناك عشق هيرا - زوجة زيوس - وأوشك أن يغتصبها لولا زيوس أبدل بهيرا سحابة على صورتها. وعقاباً له قيد في عجلة تدور أبداً. والارنيات يشرن هن إلى الجزاء الذي لقيه اكسيون عن عقوقه.

ويدي نجستان. وسأسوق إليك الدليل الساطع على هذا. صحيح أن القانون يمنع القتل من أن يرفع صوته، لكن حتى اليوم الذي فيه دم دابة صغيرة يسيل عليه من يد مُطَهَّر للدم المسفوك وقد مضى وقت طويل منذ أن استهلكت نجاستي بالاتصال بمذابح أخرى وفي كل الطرق الموجودة على البرّ وعلى البحر. فاستبعدي إذن هذا الهمّ. إنني من أرجوس، وأبي معروف لك جيداً: إنه أجامنون الذي سلّح أسطول اليونانيين وساعدك أنتِ على أن تحوّل مدينة الطرواديين إلى خرائب. لقد هلك هذا الوالد في ميتة شائنة حينما عاد إلى بيته. إن أُمِّي الخبيثة قتلته بأن شدّته في شبكة معقدة تشهد على الجريمة التي ارتكبت في الحمام. وأنا كنت منفيّاً منذ زمان طويل، فلما عُذْتُ إلى وطني قتلت أُمِّي - هذا أمرٌ لا أنكره - كي يكون في هذا القتل الجزاء عن قتل أبي العزيز لكن لو كسياس مسؤول أيضاً عن سلوكي هذا، لأن وحيه كان الدافع عندي، إذ تنبأ لي بأشدّ الآلام إذا أنا لم أنفذ أوامره ضدّ الجُنّة. فهل أخطأت في هذا؟ أو كنت على حق؟ لك أن تحكمني، وأنا تحت تصرفك؛ وأقبل حكمك، مهما قرّر بالنسبة إليّ.

أثنا: إذا كانت القضية أخطر من أن يفصل فيها إنساناً قاضٍ^(١)، فأنا أيضاً ليس مسموحاً لي بالفصل في اغتياالات أملتها غضبة انتقامية - خصوصاً وأنك قد جئت مستجيراً، خاضعاً، مُطَهراً، دون خطر على مقامي، وأعتبرك ايضاً بريئاً من كل خطأ فيما يتعلق بمدينتي. لكن هؤلاء، من ناحيتهم، لهن حقوق لا يمكن استبعادها بخفة، وإن لم يحصلن على انتصار لقضيتهم على أرض هذا البلد. ففيما بعد سينزل سهم حنقهم على المدينة أعني كارثة محزنة لا تحتمل. فأنا إذن في هذا الوضع المحرج: فسواء أرضيتهم أو رفضتهم، فكلا الأمرين سيفضي بي إلى شرور لا مفر منها. لكن ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحدّ، فسأختار القضاة الذين يفصلون في قضية الدم المسفوك؛ وعليهم أن يقسموا القسم الملزم لهم، والمحكمة التي سأقيمها ستقام إلى الأبد. وعليكن أن تلجأن إلى شهود، وإلى أدلة، وإلى مساعدين أقسموا اليمين. وسأعود بعد أن أُميّز أفضل أهل مدينتي من أجل أن يحكموا بكل صراحة دون أن ينتهكوا أقسامهم بقلوب قد نسيت الانصاف.

(١) يعني أن القضية هي من الخطورة بحيث لا يمكن أن يفصل فيها حكام من بني الإنسان أو من الآلهة؛ وإنما يجب أن تتولى الفصل فيها محكمة، بل ومحكمة من بني الإنسان.

(الإلهة آتنا تخرج).

الكورس: هذا اليوم سيرى إذن مجيء قوانين جديدة، إن كانت قضية - جريمة هذا القتل للأُم يجب هنا أن ينتصرا!
إن هذا الحادث الجميل سيعطي لكل بني الإنسان الفانيين لهجة الرُخص المسموح بها.

ألف جرح بالغ أحدثته الأنباء في أجسامهم - ذلك هو النصيب المخصص للأقارب في المستقبل القادم!

وهذا لأن الفوريات Furies التي تراقب بني الإنسان ستوقف هي الأخرى عن الغضب ضد مثل هذه الجرائم. منذ هذا اليوم سأطلق العنان للقتل بمختلف أشكاله.

وسيتساءل الناس حينئذ بعضهم لبعض، وعلى فم كل واحد رواية مصائب الآخرين: أين نعر إذن على نهاية، على هدنة لهذه البلايا، ولن يستطيع هؤلاء المساكين إلا أن يتشاوروا عبثاً بشأن العلاج غير الأكيد.

وليس لأحد أن ينادي طالباً النجدة حينما يصيبه البخت، ولا أن يصيح: «إيه أيتها العدالة! إيه يا عروش الارنيات!»

هذه الشكوى النائحة ربما سينوح بها أب، أو أم؛ فريسة لقدر لم يسمع بمثله: إن العدالة في هذا اليوم ستشهد انهيار مسكنها!

هناك أحوال فيها يكون الخوف مفيداً، ويكون حارساً ساهراً على القلوب، وينبغي عليه أن يبقى فيها باستمرار. من الخير أن يتعلم المرء أن يكون حكيماً، في مدرسة الألم.

أيّ إنسان أو أية مدينة سيتحلى بالاحترام الواجب للعدالة، إن لم يوجد شيء تحت السماء يسكن الخوف في روحه؟

لا تُوافق على العيش في ظل الفوضى، ولا في ظل الاستبداد. في كل مكان يسود الاعتدال: هذا هو الامتياز الذي وهبته له الآلهة، وهو وحده الذي يَحُدُّ من سلطتهم المتقلبة المزاج^(١).

(١) أي أن الآلهة هم أنفسهم قد حُدُّوا من سلطانهم بهذا المبدأ وهو: الاعتدال ينتصر دائماً.

أليس من المناسب تكرار هذا هنا؟ إذا تأكد أن عدم الاعتدال هو ابن الفسق، فإن العقل السليم - بعكس ذلك - ابنه هو السعادة المحبوبة التي ترتجىها كل الأماني الإنسانية.

وأكرر لك هذا هنا وأقول إنه القانون الأسمى: احترام مذبح العدالة، ولا تقلبه بضربة من قدم فاسقة، تحت تأثير واغراء أي مكسب. سيأتي العقاب، والنتيجة لا مفرّ منها.

وإذن قبل كل شيء، عليك أن تراعي الاحترام الواجب لأهلك، وأحسن إلى الضيوف الذين يدخلون في بيتك. مَنْ مِنْ تلقاء نفسه ودون أي قسر يَكُنْ عادلاً، لن يُخرم من السعادة ولن يهلك كُله.

لكن العاصي الجسور، الذي جملته الاجرامي مكوّن من كنوز تكدّست حيثما اتفق، على الرغم من العدالة، فإنه سيجد نفسه ذات يوم - وأنا واثق من هذا - مضطراً إلى طيّ شراعه، حينما يستولي عليه القلق أمام السارية التي تتحطم.

إنه ينادي - دون أن يصغي إليه أحد - وهو في قبضة الدوامة التي لا تقاوم. والسماء تضحك وهي تشاهد هذا الوقح الذي لم يتوقع مجيء هذه الساعة، وقد صار فريسة لمصائب لا علاج لها وهو عاجز عن مقاومة الأمواج العاتية.

إن سعادته الطويلة المدى في الماضي هو قد ألقى بها في مواجهة صخرة العدالة، وها هو ذا قد هلك، دون أن يبكي عليه أحد.

(أثنا تدخل من ناحية اليمين. ووراءها منادٍ يدخل القضاة. وهؤلاء يجلسون في مواجهة الجمهور. والكورس يتجمع في جانب من الأوركسترا. وأورست يقف في مواجهة الكورس).

أثنا: يا منادي! قم بواجبك، وهديء الجمهور. ولينطلق بوق اتروريا^(١) بصوته الحادّ حتى عنان السماء، نافذاً في آذان الشعب. في الساعة التي يجتمع فيها هذا المجلس، ينبغي التزام الصمت وجعل المدينة كلها تسمع القوانين التي أعلنها ها هنا، كيما تدوم أبداً، ومنذ اليوم لتمكين هؤلاء الناس من النطق بحُكم عادل.

(١) كان بوقاً طويلاً، ينتهي بنهاية منحنية. وكان يسمى في روما باسم Likuus لأنه كان شبيهاً بالمصا التي كان يستخدمها الأتروسكيون في التنبؤ بالغيب. وينسب اختراعه إما إلى الأتروسكيين، وإما إلى التورسيين الساكنين في إقليم لوديا.

رئيسة الكورس: يا مولاي أبولون، ابق على أرضك. وإلا، فما دخلك في هذه القضية؟

أبولون: أنا جئت كشاهد أولاً: إن هذا الرجل هو - بحسب القانون - مستجير بي، وهو ضيف في معبدي؛ وأنا طهرته من الدم المنسوب إليه. كما أنني جئت أيضاً كمدافع، لأنني مسؤول عن قتل أمه. (مخاطباً اثنا): افتتحي الجلسة، وافصلي في هذه القضية بحسب حكمتك.

(أثنا تلتفت نحو الارنيات).

أثنا: الكلمة لكتن؛ وأعلن افتتاح المناقشة. وعلى مقدم الاتهام أن يتكلم أولاً، وأن يبين لنا الوقائع بالدقة.

رئيسة الكورس: على الرغم من كثرة عددنا، فإننا نستطيع الإيجاز. على كل سؤال أجب إجابة صريحة دقيقة. خبرني أولاً ألم تقتل أمك؟

أورست: نعم أنا قتلتها: هذا امرٌ لا أنكره.

رئيسة الكورس: هذه واحدة من ثلاث^(١) قد كسبناها.

أورست: أنا لم اسقط على الأرض؛ فلا تفتخري بشيء.

رئيسة الكورس: وعليك أن تذكر أيضاً كيف قتلتها.

أورست: ذراعي سحب السيف واحتز عنقها.

رئيسة الكورس: لكن من دفعك إلى هذا؟ ومن حرّضك؟

أورست: وحي الإله الذي هو اليوم شاهدي.

رئيسة الكورس: لعل العراف هو الذي أملى عليك أن تقتل أمك؟

أورست: وأنا لا أشكو حتى الآن من قدرتي.

رئيسة الكورس: حين يصدر الحكم عليك، فإنك ستغير رأيك.

أورست: إن أبي - الذي أثق به - سيرسل إليّ نجلته.

رئيسة الكورس: ضع ثقتك في الموتى، أنت يا من قتل أمك!

(١) في المعاصرة كان المصارح لا يعد متصراً تماماً إلا إذا كان خصمه قد مس الأرض ثلاث مرات.

أورست: إنها كانت قد تنجست بجريمتين اثنتين معاً.

رئيسة الكورس: وكيف؟ خُبر مَنْ عليهم أن يحكموا.

أورست: إنها بقتلها لزوجها قد قتلت أبي^(١).

رئيسة الكورس: لكنك حيّ، بينما هي قد لقيت جزاءها بقتلها.

أورست: لكن لما كانت لا تزال حيّة، هل طاردتها أنت؟

رئيسة الكورس: كلا، لأنها لم تكن مِنْ دم مَنْ قتلته.

أورست: ماذا؟ وهل أنا مِنْ دم أمي؟

رئيسة الكورس: وكيف إذن عَدَّتْكَ في رحمها، أيها القاتل؟ هل تنكر إذن دم

الأمّ العذب؟

أورست: عليك أن تشهد يا أبولون. بيّن: هل أنا قتلتها بالعدل؟ إنني لا

أنكر الواقعة نفسها لكن: هل يبدو لروحك أن هذا القتل له ما يبرره، أو لا؟

انطق، وبهذا سأخبر هؤلاء.

أبولون: سأجيب عليك أيتها المحكمة التي أقامتها آثنا: هذا القتل له ما

يبرره. وبوصفي نبياً فلا يمكنني أن أكذب. وعلى عرشي التنبؤي لم أنطق بوحي

خاص برجل أو امرأة أو مدينة - لم يكن بأمر من زيوس، أبي الألومبيين (= الآلهة

المقيمين على جبل الأولمپ). وهذا التبرير له قيمته: وأنا أدعوكم إلى فحصه

واتباع إرادة أبي. ولا قَسَم يتغلب على زيوس.

رئيسة الكورس: إنه إذن زيوس - بحسب كلامك - هو الذي أملى عليك

الوحي الذي أمر أورست بالانتقام من مقتل أبيه دون أن يحفل بالاحترام الواجب

نحو الأم.

أبولون: نعم! وفارق عظيم بين موت بطل نبيل يحيط به الإجلال الواجب

للصولجان الذي هو هبة من زيوس - وبين الموت الناجم عن ساعد امرأة لم تقتل

(١) بحجة مماثلة قال أورست لأمه (في مسرحية «حاملات القرابين») «لقد تمّ بيعي مرتين» - أي

بصفتين: بوصفي ابناً، وبوصفي أميراً. وكذلك الحال فيما يتعلق بقلوطنسترا: إنها قتلت زوجاً كما

قتلت رب أسرة، بقتلها لأجامنون. فالجاني يصاب بنجاسات بمقدار ما يرتكب من انتهاك لحقوق

مختلفة.

بواسطة القوس البعيد المدى لأمزونة محاربة وإنما تم بالطريقة التي ستعلمينها يا
بلاس Pallas (= أثنا) وسيسمعها كل أولئك الجالسين هنا للفصل في هذه القضية
بأصواتهم. إن أجامنون كان عائداً لتوه من حرب ظفر فيها بالانتصار في كل
موضع بعيد، واستقبلته قلوطنسترا بكلمات المحبة، واقتادته إلى الحمام. ولما
غادر الحوض أُلقت هي عليه ملاءة كبيرة وضربت زوجها وقد أحيط به في هذا
الرداء المطرز الذي كان بمثابة أحبولة لا مخرج منها. تلك كانت نهاية البطل
العظيم، قائد الحملة البحرية. . لقد قلت ما قلت من أجل إيقاظ غضبة الناس
المكلفين ها هنا بالفصل في هذه القضية.

رئيسة الكورس: لو استمع لك، لكان زيوس كبير الاهتمام بالوالد. لكنه هو
قيّد في السلاسل أباه العجوز: خرونوس. فكيف توقّف بين هذا وذاك؟ (مخاطبة
القضاة): وأتوسل إليكم أنتم أن تصغوا جيداً.

أبولون: إن زيوس يعرف كيف يفك الوحوش البغيضة عند الطبيعة كلها،
وعند الآلهة - يفكها من أغلالها. وثم علاج لهذا، إذ توجد وسائل عديدة للتخلص
منها. لكن حين يتشرب التراب دم إنسان مات، فليس له بعث. إن أبي لم يخلق
لهذا تمائم سحرية، وهو الذي قلب العالم دون أن يناله أيّ تعب.

رئيسة الكورس: على هذا النحو إذن أنت تحكم ببراءته! إنه دم أمّه الذي
يجري في عروقها هو ما سفكه وأسأله على الأرض، وسيسكن في أرجوس، في
قصر أبيه! في أية مذابح هو سيدبح إذن الأضاحي؟ وأية فرترية^(١) ستسمح له
باستخدام مائها الطقوسي؟

أبولون: استمع إلى جوابي، وشاهد صحة احتجاجي: ليست الأم هي التي
تنجب من يسمي: الابن؛ إنها ليست إلا المَعْدِيَة للجراثومة التي تُبَدَّر فيها. أما
الذي ينجمه حقاً فهو الرجل الذي يلقي بمنيّه فيها، أما هي - مثلها مثل أجنبية فإنها
تحرس الغرس، حينما لا يصيبه الآلهة بأية إصابة. . وأسوق إليك الدليل على
هذا: وهو أن من الممكن أن يكون المرء أباً بدون مساعدة أم. وثم شاهد على

(١) كانت الفرترية Phratie في أثينا ذات صبغة دينية، وكانت تجمع في داخلها عدداً من الأسر اللاتي
تمارسن عبادات مشتركة. وأثينا كانت مقسمة إلى أربع قبائل، وكل قبيلة تتألف من ثلاث فرتريات؛
وكانت الفرترية مكوّنة من ثلاثين أسرة مرتبطة بالاشتراف في تقديم الأضاحي.

هذا قريب منا وهو أن ابنة زيوس الأولمپ لم تتغذ في رحم أم: فأية إلهة استطاعت أن تنجب مثل هذا الإنجاب. . وفيما يتعلق بي، أنا پلاس Pallas، حكمتي تستطيع أن تجعل عظيماً شعبك ومدينتك لكن منذ هذه الساعة قد اقتدت هذا المستجير إلى مذبح معبدك، كيما يكون مخلصاً لك دائماً، ويكون لك حلفاء: فيه وفي أبنائه، ويبقى لك هذا الإخلاص في أبناء أبنائه.

(أنا تخاطب الارنيات).

أنا: هل أقدر أن أدعو الآن هؤلاء القضاة كي يضعوا في الإجانة أصواتهم المنصفة، بحسب ما تمليه ضمائرهم؟ وهل قلت كل شيء؟

رئيسة الكورس: إن جعبتنا نحن قد صارت فارغة الآن: وأنا أنتظر القرار الذي يُنهي المناقشة.

(أنا تتوجه إلى أبولون وأورست).

أنا: وأنتما؟ ماذا ينبغي علي أن أفعل لتلافي ما أخذكما؟

أبولون (مخاطباً القضاة): لقد سمعتم ما سمعتم، فاحتفظوا في قلوبكم باحترام القَسَم، أيها الغرباء.

أنا: اسمعوا الآن ما توصلت إليه، يا مواطني مدينة أثينا، فأنتم أول المدعوين لمعرفة الشأن في الدم المسفوك. إن شعب إيجيه سيحتفظ بهذا المجلس من القضاة، مع تجديده باستمرار. على جبل آرس Ares هذا أقامت الأمزونات في الماضي خيامهن، في الأيام التي حاربن فيها مدينة أثينا بغضاً منهن لثيسوس^(١) - وفي مواجهة قلعته أقمن المتاريس العالية لقلعة أخرى. وضحين بالأضاحي قرباناً لآرس هناك، ولا تزال الصخرة والجبل يحتفظان باسم آرس - أقول إنه على هذا الجبل من الآن فصاعداً - الاحترام والخوف أخوه - سيمنعان المواطنين بعيدين عن

(١) الدافع إلى هذا البغض اختلف في تحديده: هل هو اختطاف ملكتهن (أنثيوب أو هبوليت)؟ أو الاهانة التي وجهت إلى هذه الملكة، لما ان هجرها ثيسوس بعد أن تزوجها، وتزوج من فدر Phèdre؟ إن الخلاف في هذا الشأن كبير بين الأساطير المتعلقة به، ومن الصعب معرفة رأي اسخولوس في هذا الشأن. ويلوح أن استقرار الجيش المهاجم على صخرة المحكمة مستلهم من حصار الفرس للأكروبول في سنة ٤٨٠ ق.م.

الجريمة ليلاً ونهاراً، اللهم إلا إذا قلبوا قوانينهم: ذلك لأن من يعكّر ينبوع الصافي بمجاري نجسة وبطين فلن يجد بعد ذلك ما يشربه. لا فوضى، ولا استبداد: تلك هي القاعدة التي أنصح مدينتي باتباعها بتوقير. وينبغي حصرها، ألا تطرد أي خوف إلى خارج أسوارها؛ ذلك أنه إذا لم يكن ثمّ ما يخاف منه، فأى إنسان سيفعل ما يجب عليه؟ إنكم إن احترمتكم - كما ينبغي - هذه السلطة الجلييلة، فستجدون فيها حصناً حصيناً لبلادكم ولمدنيتكم، حصناً لم يظفر بمثله أي شعب: لا في اسقوثيا، ولا على أرض فالوفس^(١). إن المجلس الذي أشكله ها هنا نزيه، موقر، لا يلين ولا يتهاون في رعاية والسهر على المدينة النائمة. تلك هي النصائح التي أردت إسداءها الى مواطني ليعملوا بها في الأيام القادمة. والآن يجب عليكم أن تقفوا وأن تدلوا بأصواتكم وأن تفصلوا في هذا النزاع وأنتم تحترمون قسّمكم. هذا ما أردت أن أقوله.

(القضاة: ينهضون جميعاً ويتوجهون نحو الاجانات).

رئيسة الكورس: احذروا! إن حضوري سيكون ثقيلاً على هذا البلد، وأنصحكم ألا تزدروا هذا التهديد.

أبولون: وأنا أقول لكم: إن وحيي هو وحي زيوس؛ فاخشوا من تبديد ثماره.

رئيسة الكورس: إن قضايا الدم ليست من اختصاصك: فلماذا تهتم بها؟ لن يكون فمك طاهراً للنطق بوحيك.

أبولون: هل أخطأ أبي إذن في حساباته يوم أن جاءه اكسيون - أول قاتل - مستجيراً به؟

رئيسة الكورس: أنت الذي تقول هذا! - أما أنا فإنني إذا لم أكسب هذه القضية، فإن هذا البلد سيشعر بوطأة حضوري هنا.

أبولون: لا واحد من الآلهة الأقدمين أو المحدثين يحترمك: إنني أنا الذي سأنتصر.

(١) كان الاسقوثيون والداريون يعتبرون نماذج للحكم الحسن، أي أنهم كانت لديهم أنظمة حكيمة وعادلة.

رئيسة الكورس: هكذا أنت تتصرف في قصر فيريس Pheres: أنت أقنعت
الباركات بجعل بني الانسان خالدين^(١).

أبولون: أليس من الطبيعي فعل الجميل مع من يوقرك، خصوصاً في ساعة
الحاجة؟

رئيسة الكورس: إنك أنت الذي مزقت التقسيم القديم واستعملت الخمر
لخداع الآلهات القديمة.

أبولون: حينما تخسرين الحكم المتوقع فإنك لن تبصقي بعد إلا سماً عاجزاً
في وجوه أعدائك.

رئيسة الكورس: إنه ليلذ لك، أيها الإله الشاب، أن تسحق شيخوختنا:
فليكن! أما أنا فإني أنتظر سماع قرار المحكمة، وأكظم غضبي على هذا البلد حتى
حينئذ.

أثنا: من حقي أن أكون آخر من يدلي بصوته. لم تجلبني إلى هذا العالم أم.
وقلبي يؤيد الرجل تأييداً تاماً - على الأقل حتى الزواج. وأنا في صف الأب دائماً
وبدون أي تحفظ. وليس لدي اعتبار خاص بالنسبة إلى موت امرأة كانت قتلت
زوجها، الساهر على بيتها. (تضع صوتها في الإجانة) وكي ينتصر أورست يكفي
أن تتساوى الأصوات. ألقوا بسرعة بأصواتكم في الإجانات، يا أيها القضاة
المكلفون بهذه المهمة.

أورست: إيه يا أبولون فويوس، ماذا سيكون القرار؟

رئيسة الكورس: يا أيها الليل البهيم، يا أبي، ألا ترى ما يحدث؟

أورست: هل لا بد لي أن أشنق نفسي، أو أن استأنف الحياة؟

رئيسة الكورس: هل لا بد لنا أن نهلك، أو أن نحفظ بشرفنا؟

أبولون: احسبوا بالدقة الأصوات التي أدلي بها، أيها الغرباء؛ وفي عدها
اعملوا على تجنب كل غلط أو غش. إن الصوت الناقص يؤدي إلى كارثة، كما أن
الصوت الزائد يرفع شأن بيت.

(١) إشارة إلى أسطورة أدमित Admète. ومعناها أن أبولون قد حصل من الباركات على إنقاذ أدमित من
الموت، وقد تم له هذا بفضل إسكاره للإلهات بالخمير.

(القضاة المكلفون بفحص الأصوات يقدمون إلى آثنا اللوحات التي سجّلوا عليها الأصوات).

آثنا: هذا الرجل بريء من جريمة القتل: إن عدد الأصوات متساوٍ بين كلا الجانبين.

أورست: يا پلاس، يا من إليك يرجع الفضل في انقاذ بيتي، لقد فقدت حتى أرض آبائي، وأنت أعدتها إليّ. وسيقول الناس في بلاد اليونان: «لقد صار من جديد مواطناً في مدينة أرجوس ومالكاً لثرائه وأمواله، بفضل پلاس وبفضل لوكسياس» - وبفضل الحكم الأعلى، الإله المنجّي^(١)، الذي التفت إلى قتل الأب، ولما رأى هؤلاء يدافعون عن أمي، وهبني النجاة. لكن من أجل هذا البلد، ومن أجل شعبي، ومن أجل المستقبل والزمان الذي لن ينتهي - ها هو القَسَم الذي أقسم به في اللحظة التي أعود فيها إلى مسكني: لن يحمل ملك يحكم أرجوس السلاح الظافر في هذه الأماكن أبداً. وأنا نفسي، حين أكون في أعماق قبري، سأتعهد لمن ينتهك هذا العهد الذي ذكرته لكم هنا، أن أجعله يندم على مقامرته، وذلك بإصابته بانتكاسات لا شفاء منها، وبتيئيسه من تصرفه ووضع العقبات الأليمة في طريقه. وفي مقابل ذلك، فإنه إذا روعيت أقسامي (جمع: قَسَم)، وإذا لم تتوقف بلدي عن مساعدة مدينة پلاس (= مدينة أثينا) بالسلاح الحليف، فإنني سأكون رحيماً معها. وداعاً إذن، وداعاً يا پلاس، وداعاً يا شعب مدينة أثينا ولتكن هجماتك على الأعداء قوية لا تقاوم: تنقذ مدينتك، وتمجد أسلحتك.

(أورست يخرج. أبولون كان قد خرج).

الكورس: آه، أيها الآلهة الشباب! أنتم دُستم على القوانين القديمة، وتنتزعون ما في يدي منها. ليكن! إن البائسة التي أهينت ستجعل هذه الأرض - آه! يا للويل! - تشعر بوطأة غضبها. وكل قطرة تسيل من قلبي ستكلف هذه المدينة ثمناً غالياً: سيصيبها البرص المهلك للأسرة، والمهلك للولد^(٢)، حينما يصيب هذه الأرض - الانتقام! الانتقام - سيوقع بها أكثر من جرح قاتل. لكني أنوح! فكيف العمل؟ لنكن شديدي الوطأة على هذه المدينة. آه! لقد أصيبن بإهانة رهيبة: بنات الليل الحزينات، وأهنُّ بكل قسوة.

(١) المقصود هو: زيوس.

(٢) حينما تصاب مدينة بنجاسة، فإن آرس - إله الطاعون ومنفذ انتقام الآلهة - يصيبها بالبلايا الشديدة: بالجراح الواسعة، ويهلك الناس والأنعام والمحاصيل الزراعية.

آثنا: استمعن إليّ، واعفين أنفسكن من الزفرات الثقيلة. لستن مهزومات: إنه قرار غير متين ذلك الذي صدر عن التصويت ومن أجل إرضاء الحقيقة، وليس من أجل إذلالكن. لقد كانت هناك شهادات ساطعة، صادرة عن زيوس، وقد أتى بها إلينا ذلك الذي تنبأ لأورست بأن أمثال هذه الأفعال لا تستحق أي عقاب. أنتن تردن أن تنفثن على هذا البلد بغضبة شديدة: فكنرن، ولا تنفعلن. ولا تجعلن هذه الأرض جذباء، بأن تفرزن من شفاهكنّ الالهية رغبة متوحشة مليئة بالجرائم. وأنا أقدم إليكن، في هذا البلد الملجأ اللائق، والمذابح اللامعة^(١) التي عليها تجلسن محوطات باحترام هؤلاء المواطنين.

الكورس: آه! أيها الإلهة الشابة! أنتم دُستم على القوانين القديمة، وتنتزعون ما في يدي منها. ليكن (إن البائسة التي أهنت ستجعل هذه الأرض - آه! يا للويل! - تشعر بوطأة غضبي وكل قطرة تسيل من قلبي ستكلف هذه المدينة ثمناً غالياً. سيصيبها البرص المهلك للأسرة، والمهلك للولد، حينما يصيب هذه الأرض - الانتقام! الانتقام! - سيوقع بها أكثر من جرح قاتل. لكني أنوح! فكيف العمل؟ لنكن شديدي الوطأة على هذه المدينة. آه! لقد أصببنّ بإهانة رهيبة بنات الليل الحزينات، وأهننّ بكل قسوة.

آثنا: إنكنّ لم تُهننّ أبداً؛ في إسرافكن في الغضب، أيتها الإلهات، لا تُثرنّ على بني الإنسان؛ لا تجعلن الأرض صماء عن نداءاتهم. أنا أتكفل بزيوس؛ وأنا - هل يحق لي أن أقول ذلك؟ - وأنا، وحدي من بين الآلهة، أعرف كيف أفتح الغرفة التي ترقد فيها العاصفة المجنونة، لكن لا حاجة إلى هذا ها هنا. هيا! لا يحق لفمك الغاضب أن يلقي على الأرض كلمات ثمرتها الوحيدة هي الموت للجميع! قف هذا السيل الأسود من الكراهية؛ وتلق نصيبك من الشرف وتعال عشنّ معي. في هذا البلد الشاسع كل البواكير، وقرابين الميلاد، وقرابين^(٢) الزواج ستقدم إليك ولن تكف عن إطراء نصيحتي.

(١) كانت المذابح تعدّ عروش الألوهية، وكان المؤمنون يلمعونها بالزيت.

(٢) في عشية الزواج كان أبو العروسة يقدم أضحية أولية «تسمى بروقليا». وكانت هذه الأضحية تقدم إلى الارنيات، على الأقل في مدينة أثينا. ونحن نعلم أن الباركات كن أيضاً يتهل إليهن في هذه المناسبة وكانت الارنيات يطلبن مساعدة الباركات لتأمين زواج الفتيات في أثينا.

الكورس: أعاني أنا هذا المصير، وأنا الإلهة القديمة؟! أقيم في هذا البلد ككائن نجس ومحتقر، آه! كلا، إني لا أتنفس إلا الغضب والانتقام. إيه يا أرض ويا سماء! أية آلام تنفذ إذن في قلبي! استمع إلي أيها الليل، يا أب! شرفي القديم قد انتزعه مني آلهة لهم حيل خبيثة وأطاحوا به.

أنا: أرى التسامح مع غضبك، لأن لك احترام السن. لكن إن كنت - من غير شك - تعرفين أكثر مما أعرف أنا، فإن زيوس قد أعطاني بعض الحكمة. إنك إن ذهبت إلى بلد آخر، فإنك ستأسفين على هذا البلد. أصغي إلى وحيي: إن الموجة الصاعدة التي للأيام ستزيد من مجد مدينتي؛ وأنت إذا استقرت، على الأرض الماجدة، إلى جوار مقام ارختيا^(١)، فستشاهدين مواكب من الرجال والنساء يقدمون إليك ما لا يستطيع أي شعب آخر أن يقدمه. وأنت، من ناحيتك، في هذه الأماكن التي أحبها، لا تغرزي هذه السنن الدامية التي تهلك الصدور الشابة وتسكرهم - بدون خمر - بسورات جنونية، لا تهيجي الغضب في قلوب مواطني - كما يفعل الناس مع الديكة، ولا تمنهم بالتعطش إلى القتل، الذي يثير الأخ ضد أخيه ببث الجرأة في كل منهما. فلتأت الحرب الأجنبية، وهي دائماً في متناول أولئك الذين تعمل فيهم الرغبة في المجد الحقيقي - لكن يا لسوأة المعارك التي تقع بين الطيور الساكنة في نفس الوكرا! هذا هو ما يحق لك أن تتلقبه من يدي: تبريكات للتوزيع، تبريكات للقبول، وستكونين مباركة من البلد الطيب الذي ستصيرين مواطنة فيه.

الكورس: أعاني أنا هذا المصير، وأنا الإلهة القديمة؟! أقيم في هذا البلد ككائن نجس ومحتقر! آه! كلا، إني لا أتنفس إلا الغضب والانتقام. إيه يا أرض ويا سماء! أية آلام تنفذ إذن في قلبي! استمع إلي أيها الليل، يا أبي! شرفي القديم قد انتزعه مني آلهة لهم حيل خبيثة، وأطاحوا به.

أنا: كلا، أنا لا أكيل عن ذكر ما هي مصلحتك، خوفاً من أن تدعي أن ألوهيتي الشابة ورجال هذه المدينة قد طردوا دون شرف ونفوا من هذه الأرض إلهة قديمة. إن كنت تعرفين احترام الإقناع المقدس، الذي يهب كلامي عدوبته

(١) أي مبنى الأرختيون على الأروبول في أثينا، وربما الأروبول هو نفسه الذي كان يعد مقام ملوك مدينة أثينا القدماء.

السحرية - فستبقين ها هنا. لكن إن رفضت هذا، فإنك ستكونين ظالمة حقاً إن سمحت بأن يقع على هذا البلد الحنق، أو الغضب، أو الانتقام اللواتي ستكون قاسية على شعبي، بينما مسموح لك أن تتمعي - دون معارضة - بحق المواطنة في وسط مدينة ستحترمك أبداً.

رئيسة الكورس: يا آثنا الجلييلة، ماذا سيكون مقامي؟

آثنا: خالياً من كل تعب: أقبليه، وصدّقيني.

رئيسة الكورس: لنفرض أنني أقبله: فأية تشريفات تنتظرني؟

آثنا: بدونك لن يسعد أي بيت^(١).

رئيسة الكورس: هل تستطيعين أن تؤمني لي كل هذه القوة؟

آثنا: لن أحمي إلا من يشرفك.

رئيسة الكورس: وهذا الالتزام سيستمر إلى الأبد؟

آثنا: مَنْ ذا الذي يرغمني على التعهد، إذا كنت لا أستطيع الوفاء؟

رئيسة الكورس: إنك تسحرين غضبي: وأنا أتخلى عن كراهيتي.

آثنا: إذن ستكونين لك هنا أنصاراً مخلصين.

رئيسة الكورس: أية آمال تأمريني بأن أنشدها على مدينتك؟

آثنا: تلك التي تجلب انتصاراً^(٢) لا غبار عليه. وأولها: أن تأتي الأنسام التي تهب من الأرض، ومن الأمواج البحرية أو من السماء - تأتي على هذا البلد على أشعة شمس سعيدة الطالع! وأن لا توقف خصوبة التربة الثمينة والماشية عن جعل مدينتي تعيش في رغد وهناء، أبداً. وأن تصان ذرية بني الإنسان المقيمين فيها! وأن تجتثي أنت الفاسقين دون رحمة. بودي أن أرى مثل بستاني صالح، أن العادل ينمو في حمى من هذا الزؤان. تلك هي الأمانى التي تتعلق بك. وأما فيما يتعلق

(١) الأرنيايت يعطين السعادة المادية، وليس في قدرة آثنا أن تضيف إلى هذا الامتياز. لكن المدينة الهائلة لا تستمتع بالسعادة إذا كان يهددها عدو. وحمايتها من الكوارث أمر من شأن آثنا وحدها. وآثنا بتعهدها بحماية الشعب الذي يجلب الأرنيايت، فإنها تقدم السبب الحاسم للتعلق بهؤلاء الآلهات.

(٢) أي: انتصاراً ليس انتصار فئة على فئة، بل الوفاق بين الجميع. وهذا أيضاً هو ما سيطلبه الأرنيايت؛ عما قليل.

بالصراعات الحربية، فإنني أنا سأعمل على أن تكون مشرفة لمدينتي، وأن تكون المنتصرة من بين بني الانسان!

الكورس: نعم، أنا أريد أن أعيش مع بلاس (= آثنا) وألاً أزدري أبدأ المدينة التي جعلها زيوس القدير وأرس بُرَج سيادة الآلهة بفضل حضورها، وحصناً حصيناً لمذابح اليونان المقدسة. وسأشدد عليها تمنياتي على شكل وحي مبارك. ولتنبثق المفاجر التي تؤمن الحياة السعيدة - تنبثق جمة على ضوء شمس ساطعة!

آثنا: إنني أطبع الحب الذي أحمله لهذا الشعب، بأن أوطن ها هنا آلهات قوية الشكيمة، مهمتهن هي ترتيب كل أمور بني الإنسان. مَنْ لم يستطع أن يتصالح مع هذه الآلهات الرهيبة لا يستطيع أن يدرك من أين تأتي الضربات التي تنقض على حياته. إنها جرائم آبائه هي التي تسوقه أمامها، وتهلكه منية صامته تحت غضبتها الجبارة، على الرغم من لهجته المتكبرة.

الكورس: يا ليت الريح السموم لا تأتي لإصابة أشجارنا بالجفاف: ستكون هذه نعمتي: إن النار التي تحرق البراعم الغضة لن تجتاز حدودكم. ويا ليت الماء الشرير الذي تموت منه المحاصيل لا يقترب من هنا! ويا ليت الأرض تغذي بالكلاً الأغنام الجميلة، ويا ليت كل نعجة تلد خروفين معاً في الوقت المحدد! ويا ليت نتاج الكنز الذي كشفت لكم عنه هذه الأرض لا يتوقف أبداً عن تشريف هبة الآلهة^(١)!

آثنا: هل سمعتم، يا حراس المدينة، ما هي مستعدة لعمله من أجلكم؟ إن قوة ارنيس العظيمة كبيرة، بالنسبة الى الخالدين (= الآلهة)، كما بالنسبة إلى آلهة العالم السفلي. أما بالنسبة إلى بني الإنسان فإنهن هن اللواتي يعطين البعض منهم الأناشيد، ويعطين البعض الآخر حياة مكللة بالدموع.

الكورس: إنني أفصي عنكم الأقدار التي تحصد الشباب. فاسمحوا للعداري المحبوبات بالعيش مع الزوج، أيتها الباركات المتحكّمات في مصير بني الإنسان، بنات آثنا، أيتها الموزعات الإلهيات للانصاف؛ إنكن مقيمات في كل بيت، وفي

(١) الإشارة هنا هي إلى مناجم مارونيا Maronée التي اكتشفت في القرن الخامس قبل الميلاد (راجع ارستو: «دستور أثينا» فصل ٢٢، بند ٧)؛ وقد كانت بالفعل «هبة» من الآلهة، إذ كانت وفيرة الانتاج دون انقطاع.

كل ساعة أنتن تُشعرن بثقل حضوركن المحقق للعدالة، أنتن أكبر الآلهة حظاً من الإجلال.

أثنا: إن قلبي يستشعر السرور وأنا أسمع ما يؤمنه من إحسان لمدينتي؛ وأنا أبارك الإقناع الذي ترشد نظراته شفاهي ولساني في مواجهة ما لهن من رفض جبار. إن إله القول، زيوس، قد انتصر، وإصراري المُخسن قد انتصر إلى الأبد.

الكورس: ألا ليت العذاب المتشرب للدماء السوداء التي سفكها المواطنون لا يجازى بدم الانتقام الذي يدمر المدن! ألا ليت الجميع لا يتبادلون فيما بينهم إلا المسرات، وهم مملوؤون بالحب المتبادل، وإذا كرهوا كرهوا بقلب واحد أحدا!

أثنا: هل يستطيع أحد أن يقول إنهن يرفضن العثور على طريق التمنيات السعيدة؟ على هذه الوجوه المخيفة أرى أنه سيخرج لهذا الشعب منافع رائعة. فإن أحببتم على حبههم بتشريفات رائعة وأبدية فإنكم ستظهرون للعالم أنكم جميعاً تقودون بلدكم وشعبكم في سُبُل العدالة المستقيمة.

الكورس: وداعاً! عيشوا سعداء في بحبوحة من نِعَم الثراء، عيشوا سعداء، يا سُكَّان هذه المدينة، وأنتم جالسون إلى جوار عذراء زيوس، باذلين لها الحب، ومحصلين الحكمة في كل يوم! إن الذي يحتمي تحت جناح بلاس (= أثنا) يحترمه أبوها (= زيوس).

أثنا: وداعاً، وأنتن أيضاً عِشن سعيدات! لا بد لي أن أسير أمامكن وأن أريكن مسكنكن، على الضوء الورع للموكب السائر اذهبن، مع هذه الأضاحي المقدسة واهبطن إذن تحت الأرض، وأبعدن الشرّ بعيداً عثا، وابعثن إلينا بالسعادة، وبالنصر لمدينتي.

وأنتم، يا سادة هذه المدينة، يا أبناء كراناوس - بيئوا الطريق لأولئك اللواتي يتلقين هنا حق الإقامة؛ وعلى مواطني - من أجل سعادتهم - ألا يضعوا إلا الخطط السعيدة.

الكورس: وداعاً! عيشوا سعداء، أكرر تمنياتي لكم جميعاً يا من تقيمون في هذه المدينة «آلهة» كنتم أو من بني الإنسان. إن مدينتكم هي مدينة بلاس (= أثنا): فعليها أن تشرف أولئك اللواتي تمنحن حق الإقامة، ولن يكون لديكم داعٍ إلى الشكوى من المصير الذي ستهيئه الحياة الكريمة.

آثنا إنني أصفّق لتمنياتك، وسأقودكن - على ضوء المشاعل^(١) الساطعة - إلى الأماكن التي ستنتفتح في أسفل، تحت الأرض. ومعني ستأتي خادماتي الحارسات لتمثالي. إن مكانهن هناك: إنني أدعو عين كل بلد ثيسوس للخروج هنا: جماعة النساء النبيلة، وجماعة الأطفال^(٢)، والمواكب الورعة المؤلفة من النساء العجائز^(٣). . . (مخاطبة الكاهنات الخارجات من المعبد:) تعالين، اتبعن خطواتي متجدن هؤلاء الآلهات بأن تتدثرن بثياب من القورفير، وأبرزن النار الساطعة، ابتغاء أن يتجلى حضورهن المبارك فيما بيننا على شكل ازدهارات إنسانية.

الموكب: سيروا أيتها الآلهات المتعطشات للتمجيد والتشريف، البنات العواقر لليل الولود، على خطوات موكب صديق، وليخشع جميع من في المدينة! - ابتغاء الوصول إلى الكهف الذي تحت الأرض حيث ستجدون - بين القرابين والطقوس القديمة - عبادة لا نظير لها. وليخشع جميع من في المدينة! وأنتن أيتها المخيفات، والمحسنات المُخلصات لهذا البلد - اذهبن إذن، واستمتعن بلاأ المشاعل التي تلتهمها النار، والتي تدلكن على الطريق. (مخاطبة الشعب:) والآن، صيحوا الصيحة الشعائرية جواباً عن نشيدنا.

(صيحة متواصلة).

حصل السلام لشعب پلاس اليوم، ابتغاء سعادة معابدها. وهكذا تم الوفاق بين «الپارك» وزيوس الذي ترى عينه كل شيء - (مخاطبة الشعب:) والآن، صيحوا الصيحة الشعائرية، جواباً عن نشيدنا.

(صيحة متواصلة).

انتهت مسرحية

«المحسنات»

(١) الحاح اسخولوس في إبراز دور المشاعل في المراسم التي ستعدّ - يدل على أن هذه المشاعر علامة بارزة في عيد المحسنات في أثينا.

(٢) المقصود: البنات الصغيرات، وليس الأولاد الذكور، اللواتي في خدمة الالاهة آثنا.

(٣) في النص اليوناني خرم هنا.

الفهرست

٥	أسخولوس : حياته ومؤلفاته
٣٥	مسرحية «المستجيرات»
٣٧	مقدمة «المستجيرات»
٤٥	«المستجيرات» شخصيات المسرحية
٨١	مسرحية «السبعة ضد ثيبا»
٨٣	مقدمة «السبعة ضد ثيبا»
٩١	«السبعة ضد ثيبا» شخصيات المسرحية
١٢١	مسرحية «الفُرس»
١٢٣	مقدمة «الفُرس»
١٣١	«الفُرس» شخصيات المسرحية
١٦٥	مسرحية «بروميثيوس مغلولاً»
١٦٧	مقدمة «بروميثيوس مغلولاً»
١٨١	«بروميثيوس مغلولاً» شخصيات المسرحية
٢١٥	مسرحية : «أجاممنون»
٢١٧	مقدمة «أجاممنون»
٢٢٧	«أجاممنون» شخصيات المسرحية
٢٧٥	مسرحية : «حاملات القرابين»
٢٧٧	مقدمة «حاملات القرابين»
٢٨٧	«حاملات القرابين» شخصيات المسرحية
٣٢٣	مسرحية «المحسنات»
٣٢٥	مقدمة المحسنات
٣٣٣	«المحسنات» شخصيات المسرحية

تراجيديات أسخولوس



الدكتور هبدي الرشيد ديركس

- حصل على شهادة الدكتوراه برسالته في «الزمان الوجودي» بإشراف الدكتور طه حسين سنة ١٩٤٣.
- أسس ورأس قسم الفلسفة في جامعة «عين شمس» منذ ١٩٥٠ حتى ترك الجامعة في سبتمبر ١٩٧١.
- عمل في عدد من الجامعات العربية، منها بنغازي والكويت وبيروت.
- عمل مستشاراً ثقافياً ومديراً للبعثة التعليمية المصرية في «بيرن» من ١٩٥٦-١٩٥٨.
- انتدب في ١٩٦٧ استاذاً زائراً لإلقاء محاضرات في السوربون.
- له أكثر من مائة وخمسين كتاباً في تاريخ الفلسفة والدراسات الإسلامية والأدب الأوروبي.
- ترجم عدداً كبيراً من روائع الأدب الألماني (جوته وبريست وغيرهما).
- له فضل عظيم على الثقافة العربية بما حققه من مخطوطات، وما قدمه من دراسات وترجمات من كثير من اللغات الأوروبية الحديثة.
- ألف في السنوات الأخيرة عدداً من الكتب باللغة الفرنسية في انتقال الثقافة اليونانية إلى الغرب عن طريق العرب، وفي الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، وأخيراً في الدفاع عن الإسلام.
- يقيم حالياً في باريس عاكفاً على دراساته الخصبية المتنوعة.



المؤسسة سيروت، سابقاً، لبحر رسالة
العربية في سيج الضارثون، ص ب، ٥٤٠-١١
لدراسات العنوان، بوضا، هـ، ٨٧٨٠٠١
والنشر تلاكس، L. ٧ LE / DIRKAY

العراق، هجر وشاب